

THE BOOK WAS DRENCHED

TIGHT BINDING BOOK

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

نهاية الآداب

في

فنون الآداب

تأليف

شهاب الدين محمد بن عبد الله بن يوسف النون

السفر الثالث

[الطبعة الثانية]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠ م

دَارُ الْكِتَابِ الْمَضَرَّةِ

الْقِسْمُ الْأَدَبِيُّ

نَهْائِيَةُ الْأَدَبِ

فِي

فُتُوحِ الْأَدَبِ

تَأَلَّفَ

شَيْخُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ النَّوَّاسِ

السَّفَرُ الثَّالِثُ

[الطبعة الثانية]

مَطْبَعَةُ دَارِ الْكِتَابِ الْمَضَرَّةِ بِالْقَاهِرَةِ

١٩٣٠ - ١٣٤٨ هـ

فهرس

السفر الثالث

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب
للنويري

القسم الثاني من الفن الثاني

* في الأمثال المشهورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن جماعة من الصحابة
رضى الله عنهم ، والمشهور من أمثال العرب ، وأوابد العرب وأخبار الكهنة ،
والزجر ، والقال ، والطيرة ، والفراصة والذكاء ، والكثايات
والتعريض ، والأحاجي ، والألغاز وفيه خمسة أبواب

الباب الأول : صحيفة

- ١ ... في الأمثال
- ٢ ... ما تمثل به من أقوال النبي صلى الله عليه وسلم
- ٤ ... ومن كلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه
- ٥ ... ومن كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه
- ٥ ... ومن كلام عثمان بن عفان رضي الله عنه
- ٦ ... ومن كلام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه
- ٦ ... ومن كلام عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

مصنفة

ومن أمثال العرب المرتبة على حروف المعجم :

٦	حرف الهمزة
١٨	» الباء
١٩	» التاء
٢١	» الثاء
٢١	» الجيم
٢٤	» الحاء
٢٦	» الخاء
٢٧	» الدال
٢٨	» الذال
٢٩	» الراء
٣٠	» الزاى
٣١	» السين
٣٢	» الشين
٣٣	» الصاد
٣٥	» الضاد
٣٦	» الطاء
٣٦	» الظاء
٣٧	» العين
٣٩	» الغين
٤٠	» الفاء

صفحة

٤٢	حرف القاف
٤٤	» الكاف
٤٦	» اللام
٤٨	» الميم
٥١	» النون
٥٢	» الهاء
٥٣	» الواو
٥٤	ما جاء في أوله (لا)
٥٧	حرف الياء
	ومما يمتثل به من أشعار الجاهلية :

*

٥٨	امرؤ القيس بن حجر
٥٩	زهير بن أبي سلمى
٥٩	الناطقة الذبياني
٦٠	طرفة بن العبد
٦٠	أوس بن حجر
٦١	شر بن أبي طازم
٦١	الملتس وهو جرير بن عبد المسيح
٦١	الأفوه الأودي
٦٢	تميم بن أبي مقبل
٦٢	حميد بن ثور
٦٢	عدى بن زيد

صفحة

٦٣	الأسود بن يعفر
٦٣	علقمة بن عبدة
٦٤	عمرو بن كلثوم
٦٤	الحارث بن حنزة
٦٤	حاتم الطائي
٦٤	المرقش الأصغر
٦٤	النمر بن تولب
٦٥	مهلهل بن ربيعة
٦٥	طفيل الفنوي
٦٥	عروة بن الورد
٦٥	الأعشى ميمون بن قيس
٦٦	لقيط بن معبد
٦٦	نابط شرًا
٦٦	المنقب العبدى
٦٦	المنزق العبدى
٦٦	أفنون التغلبي
٦٧	الأضبط بن قريع السعدى
٦٧	سويد بن أبى كاهل

ومما يتئل به من أشعار المخضرمين :

٦٧	ليد بن ربيعة
٦٨	كعب بن زهر

٦٨	الناطقة الجعدى
٦٨	أمية بن أبى الصلت الثقفى
٦٩	حسان بن ثابت
٦٩	الحطيئة
٦٩	مقيم بن نورية
٦٩	أبو ذؤيب الهذلى
٧٠	الخنساء
٧٠	عمرو بن معد يكرب
٧٠	معن بن أوس
٧٠	زياد بن زيد
٧١	أبى بن نعيم بن فالك الأسدى
		وبما يمثّل به من أشعار المتقدمين فى صدر الاسلام :
٧١	القطامى
٧١	الطرماح بن حكيم بن الحكم
٧١	الكيت بن زيد الأسدى
٧٢	المساور بن هند
٧٢	عدى بن الرقاع
٧٢	الفرزدق واسمه همام بن غالب
٧٣	جرير بن الحطافى
٧٣	الأخطل واسمه مالك بن غياث
٧٤	الصلتان البدى

صحيفة

- ٧٤ ... كثيرة عزة
- ٧٥ ... جميل
- ٧٥ ... عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة ... وما يمثل به من أشعار المحدثين :
- ٧٦ ... ابراهيم بن هرمة
- ٧٦ ... بشار بن برد
- ٧٧ ... أبو العتاهية
- ٧٨ ... سلم بن عمرو الخاسر
- ٧٩ ... صالح بن عبد القدوس
- ٨٠ ... ابن ميادة
- ٨٠ ... أبو نواس الحسن بن هاني
- ٨١ ... ابو عينة المهلي
- ٨١ ... عبد الله بن أبي عتبة المهلي
- ٨١ ... العباس بن الأحنف
- ٨٢ ... مسلم بن الوليد
- ٨٢ ... منصور الثوري
- ٨٣ ... العتابي
- ٨٣ ... أشجع السلمي
- ٨٤ ... الجرهمي
- ٨٥ ... محمود الوراق
- ٨٥ ... محمود بن حازم الباهلي

صفحة

السموئل بن عاذله	٨٥
محمد بن أبي ذرعة الدمشقي	٨٦
أبو الشيص	٨٦
علي بن جبلة بن عبد الرحمن الأتباري	٨٦
المجلاج الحارثي	٨٦
عبد الصمد بن المصنل	٨٦
الحمدوني	٨٧
العتبي	٨٧
أبو سعيد المخزومي	٨٧
دعبل بن علي الخراعي	٨٨
اسحاق بن إبراهيم الموصلي	٨٨
المؤقل بن أميل	٨٨
ابراهيم بن العباس	٨٨
أبو علي البصير	٨٩
سعيد بن حميد	٨٩
علي بن الجهم	٨٩
ابن أبي فنن	٩٠
يزيد بن محمد المهلب	٩٠
عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير	٩٠
أحمد بن أبي طاهر	٩٠
أبو تمام حبيب بن أوس الطائي	٩١

صيفة

- ٩٣ أبو عبادة البحرى
- ٩٥ ديك الجن
- ٩٥ ابن الرومى
- ٩٦ عبدالله بن المعتر
- ٩٦ عبيد الله بن عبيد الله بن طاهر
- ٩٧ ابن طباطبا العلوى
- ٩٧ منصور الفقيه المقرئ
- ٩٨ ابن بسم
- ٩٩ جحظة
- ٩٩ الصنوبرى
- ١٠٠ أبو الفتح ككاشم
- ومما يمتثل به من أشعار المولدين :
- ١٠٠ أبو فراس الحمدانى
- ١٠١ أبو الطيب المتنبي
- ١٠٣ السرى بن أحمد بن السرى الموصلى
- ١٠٣ أبو بكر محمد بن هاشم الخالدى
- ١٠٤ أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدى [أخوه]
- ١٠٤ الحجاز البلى
- ١٠٤ أبو اسحاق الصابى
- ١٠٤ عبد العزيز عمر بن نباته
- ١٠٥ ابن لتكك البصرى

حبيبة

- ١٠٥ ... أبو الحسن عبد الله بن محمد بن محمد السلامي
- ١٠٦ ... أبو الفرج البغدادى
- ١٠٦ ... ابن سكرة الهاشمي
- ١٠٦ ... ابن المهاج
- ١٠٧ ... أبو الحسن الموسوي القتيب
- ١٠٨ ... أبو طالب المأموني
- ١٠٨ ... ابن العميد
- ١٠٨ ... صاحب بن عباد
- ١٠٩ ... الحسن بن علي بن عبد العزيز القاضي
- ١٠٩ ... أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي
- ١١٠ ... بدیع الزمان أبو الفضل الهمداني
- ١١٠ ... اسماعيل الناشئ
- ١١٠ ... أبو الفتح علي بن محمد البستي

الباب الثاني من القسم الثاني من الفن الثاني :

- ١١٢ ... أوابد العرب
- ١١٢ ... البحيرة
- ١١٢ ... الوصيلة
- ١١٣ ... السائبة
- ١١٣ ... الحامي
- ١١٣ ... الأتلام
- ١١٤ ... الميسر

صفحة

١١٦	نكاح المقت
١١٦	رمى البقرة
١١٦	ذبح العتائر
١١٦	عقد السبع والعشر
١١٦	ذبح الظبي
١١٧	حبس البلايا
١١٧	خروج الهامة
١١٧	إغلاق الظهر
١١٧	التممية والتفقتة
١١٧	بكاء المقتول
١١٨	رمى السن في الشمس
١١٨	خضاب البحر
١١٨	التصفيق
١١٨	جز النواصي
١١٩	كي السليم عن الحرب
١١٩	ضرب الثور
١١٩	كسب الأرنب
١٢٠	حبس السمرة
١٢٠	الطارف والمطروف
١٢٠	وطء المقاتل
١٢٠	تعلق الحل على السليم

من نهاية الأرب

(م)

صفحة

نهاب الخدر	١٢٠
الحلا	١٢١
التمشير	١٢١
عقد الرثم	١٢١
دائرة المهقوع	١٢١
شق الرءاء والبرقع	١٢٢
نوء الصماك	١٢٢
النسيء	١٢٢
وَأد البثات	١٢٢

*

الباب الثالث :

في أخبار الكهنة ويتصل به الزجر والفأل والطيرة والفراسة والذكاء :

أخبار الكهنة	١٢٤
الزجر	١٣٠
الفأل والطيرة	١٣٩
الفراسة والذكاء	١٤٤

الباب الرابع :

في الكتابيات والتعريض

١٤٧

الباب الخامس :

في الألفاظ والأحاجي

١٥٧

وما يتصل بهذا الباب مسائل العويس

١٦٦

القسم الثالث من الفن الثاني

في المدح، والمجود، والمجون، والفكاهات، والملح والخمر، والمعاقرة

والندمان، والقيان، ووصف آلات الطرب

وفيه خمسة أبواب

الباب الأول :

في المدح وفيه ثلاثة عشر فصلا ١٦٨

ذكر ما قيل في الافتخار ١٩٦

ذكر ما قيل في الجود والكرم وأخبار الكرام ٢٠٠

ذكر من انتهى اليهم الجود في الجاهلية وذكر شئ من أخبارهم ٢٠٤

وفي أخبار الكرام ٢٠٧

ذكر ما قيل في الإعطاء قبل السؤال ٢١٦

ذكر ما قيل في الشجاعة والصبر والإقدام ٢١٧

ومما قيل في الصبر والإقدام ٢٢٢

ذكر ما قيل في وفور العقل ٢٢٩

ذكر ما قيل في حد العقل وماهيته وما وصف به ٢٣٢

ذكر ما قيل في الصدق ٢٣٦

ذكر ما قيل في الوفاء والمحافظة والأمانة ٢٣٨

ذكر ما قيل في التواضع ٢٤٤

ذكر ما قيل في القناعة والزهادة ٢٤٦

ذكر ما قيل في الشكر والثناء ٢٤٧

ذكر ما قيل في الوعد والإنجاز ٢٥٤

صحيفة

ذكر ما قيل في الشفاعة ... ٢٥٧

ذكر ما قيل في الاعتذار والاستعطاف ... ٢٥٨

الباب الثاني — في المجاء وفيه أربعة عشر فصلا :

ذكر ما قيل في المجاء ومن يستحقه ... ٢٦٧

ومما قيل في المجاء من النظم ... ٢٧٢

ومما يذم به الرجل أن يكون ثقيلا ... ٢٨٥

ومما يحى به أهل الوقت على الإطلاق ... ٢٨٦

ومما قيل في مجاء بعض العشيرة ومدح بعضهم ... ٢٨٦

ذكر ما قيل في الحسد :

ومما يذم به الرجل أن يكون حسودا ... ٢٨٧

ومن أخبار الحسدة ... ٢٨٩

ومما قيل من الشعر في تفضيل المحسود ومدحه وهجاء الحاسد وذمه ... ٢٨٩

ذكر ما قيل في السعاية والغبى والغيبة والتميمة ... ٢٩١

ومما قيل في الغيبة والتميمة ... ٢٩٤

ذكر ما قيل في البخل واللؤم ... ٢٩٧

ومن أخبار البغلاء ... ٣٠٠

احتجاج البغلاء وتحسينهم للبخل على قبحه ... ٣١٨

ومن نواذر البغلاء ... ٣٢٧

ذكر ما قيل في التطفيل ويتصل به أخبار الأكلة والمؤاكلة ... ٣٢٨

ذكر آداب الأكل والمؤاكلة ... ٣٤٣

صفحة

٣٤٦ ذكر الاقتصاد فى المطاعم والسفة عنها
٣٤٩ ذكر أخبار الأكلة
٣٥٣ ذكر ما قيل فى الجهن والفوار
٣٥٧ ومن أخبار الفزارين الذين حسنوا الفرار على قبحه
٣٦٠ ذكر ما قيل فى الحق والجهل
٣٦٣ ومن صفات الأحق وعلامته
٣٦٧ ذكر ما قيل فى الكذب
٣٧١ ذكر ما قيل فى القدر والحيانة
٣٧٣ ذكر أخبار أهل القدر وغدراتهم المشهورة
٣٧٨ ذكر ما قيل فى الكبر والمعجب
٣٨٤ ومما هجى به أهل الكبر
٣٨٤ ذكر ما قيل فى الحرص والطمع
٣٨٧ ذكر ما قيل فى الوعد والمطل
٣٩٠ ذكر ما قيل فى العى والحصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القسم الثاني من الفن الثاني

في الأمثال المشهورة

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم ،
والمشهور من أمثال العرب ، وأوابد العرب ، وأخبار الكهنة ، والزجر ، والقال ،
والطيرة ، والفراصة ، والذكاء ، والكثايات ، والتعريض ، والأحاجي ، والألفاظ .
وفيه خمسة أبواب :

الباب الأول

من هذا القسم

(في الأمثال)

ضرب الله عز وجل الأمثال في كتابه العزيز في آي كثيرة ، فقال تعالى :
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ) وتكرر ذكر الأمثال .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً ، وعلى
جَنَّتِي الصراط أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى رأس الصراط داع
يقول أدخلوا الصراط ولا تفرجوا " فالصراط : الإسلام ، والستور : حدود الله تعالى ،
والأبواب : محارم الله ، والداعي : القرآن .

قال المبرد : المثل مأخوذ من المثل وهو قول سائر شبه به حال الثاني بالأول ،
والأصل فيه التشبيه . قال : وقولهم مثل بين يديه ، إذا انتصب ؛ معناه أشبه
الصورة المنتصبة . وفلان أمثل من فلان ، أى أشبه .

والمثال : القصص ، تشبيه حال المقتص منه بحال الأول .

وقال ابن السكيت : المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه .

وقال إبراهيم النخاس : يجتمع في المثل أربع لا تجتمع في غيره من الكلام : إيجاز
اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وجودة الكفاية ، فهو نهاية البلاغة .

وقال ابن المقفع : إذا جعل الكلام مثلاً كان أَوْحَى لِلنَّاطِقِ ، وَأَنَّى لِلسَّمْعِ ، وَأَوْسَعَ
لشعوب الحديث .

وأول ما نبداً به من ذلك ما مُثِّلَ به من أقوال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم وهو مما لم يسبق إليه :
”إِيَّاكُمْ وَخَضِرَاءَ الدِّمَنِ“ فقليل له : وما ذاك يا رسول الله ؟ فقال : ”المرأة الحسناء
في منيئ السوء“ .

”كل الصبيد في جوف القرا“ قاله لأبي سفيان يتألفه على الإسلام .

”مات فلان حتف أنفه“ .

”لا ينتطح فيه عتران“ .

”إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى“ . المنبت : المنقطع عن أصحابه

في السفر والظهر : الدابة ، قاله في الغلو في العبادة .

”الآن حيي الوطيس“ : ضربه في الحرب .

”يا خيل الله أركبي“ .

(١) أى يا فرسان خيل الله أركبي ، وهذا من أحسن المجازات وألطفها .

”اشتدّى أزمة تنفّري“ .

وقوله صلى الله عليه وسلم : ”الناس كأسنان المشط وإنما يتفاضلون بالعافية“ .
”الناس كعماد النعب والفضة ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا“ .

”الناس كإبل ، مائة لا تجد فيها راحلة“ .

”المؤمن حينئذٍ ، كالجلل الأنيف إن قيد آقدا ، وإن أُنِخ على حخرة استنخ“ .

”المؤمن للمؤمن كالبيان يشد بعضه بعضا“ .

”أصحاب كالنجوم ، بأيهم اقتديتم اهتديتم“ .

”مثل أصحابي كالملع لا يصلح الطعام إلا به“ .

”أنتى كالمطر ، لا يدري أوله خير أم آخره“ .

”مثل أبى بكر كلقطر أين وقع نفع“ .

”عمالكم كأعمالكم وكما تكونوا يولى عليكم“ .

وقال لما كتب كتاب المهادنة بينه وبين سبيل بن عمرو : ”والعهد بيننا كشرج العينة“ .
يعنى إذا أنحل بعضه أنحل جميعه .

”المرأة كالضلع العوجاء إن قومتها كسرتها ، وإن داربها أستمعت بها“ .

”المتشعب بما لم يعطه كلابس ثوب زور“ .

”الدال على الخير كفاعله“ .

”لو توكلتم على الله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو نحاصا وتروح بهانا“ .

”وعد المؤمن كالأخذ باليد“ .

”مثل المؤمن كالنحلة ، لا تأكل إلا طيبا ولا تطعم إلا طيبا“ .

”مثل المؤمن كالسبلة تميل أحيانا ، وتمتدل أحيانا“ .

(١) قال ابن الأعرابي : العرب تمدح بالهين الذين يخفون ودم بهما مقلين ولم يذكر غيره هذا الفرق .

”مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ كَالْعِطَّارِ، إِنْ لَمْ تُصَبِّبْ مِنْ عِطْرِهِ أَصَبْتَ مِنْ رِيحِهِ، وَمَثَلُ الْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَالْكَبِيرِ إِنْ لَمْ يَحْرِقْ ثَوْبَكَ آذَاكَ بِدُخَانِهِ“ .

”عَلِمَ لَا يَنْفَعُ كَثْرَ لَا يُنْفِقُ مِنْهُ“ .

وَقَالَ : ”الْمُؤْمِنُ مِرَّاةُ أَخِيهِ“ .

”قَدْ جَدَعَ الْحَلَالُ أَنْفَ الْفَاقِرَةِ“ .

”الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَلِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَى“ .

”نِيَّةُ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ“ .

”إِنْ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةٌ وَإِنْ مِنَ الْيَأْنِ لَيَحْزَنُ“ .

”مَنْ كَثُرَ سَوَادُ قَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ“ .

”الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِمِهَا“ .

”سَاقَى الْقَوْمِ أَحْرَمُ شَرِبَا“ .

”الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَمْرًا مِمَّنْ يُخَالُ“ .

”الْمُسْتَشِيرُ مَعَانٌ وَالْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ“ .

وَمِنْ كَلَامِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

إِنْ أَتَى قَرْنٌ وَعَدَهُ بِوَعِيدِهِ .

لَيْسَتْ مَعَ الْقَزَاءِ مَصِيبَةٌ .

الْمَوْتُ أَحْوَنُ مِمَّا بَعْدَهُ وَأَشَدُّ مِمَّا قَبْلَهُ .

ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كُنَّ عَلَيْهِ : الْبَنَى، وَالنَّكُثُ، وَالْمَكْرُ .

ذَلَّ قَوْمٌ أَسْتَدُوا أَمْرَهُمْ إِلَى أَمْرَاءِهِ .

أَحْرَصُ عَلَى الْمَوْتِ تَوَهَّبَ لَكَ الْحَيَاةُ؛ قَالَهُ لَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى أَهْلِ الرَّدَّةِ .

كَثِيرُ الْقَوْلِ يُنْشِئُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَإِنَّمَا لَكَ مَا وُيِّحَى عَنْكَ .

لا تكتم المستشار خيرا فتؤتى من قبل نفسك .

خير الخصالين لك أبغضهما إليك .

صنائع المعروف تقي مصارع السوء .

ومن كلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه

من كتم سره كان الخيلار في يده .

أشقى الولاة من شقيت به رعيته .

اتقوا من تنبضه قلوبكم .

اعقل الناس أعدلهم للناس .

اجعلوا الرأس رأسين .

أخيفوا الهوام قبل أن تخيفكم .

لو أن الشكر والصبر يعيران لما باليت أيهما ركبت .

من لم يعرف الشر كان أجدر أن يقع فيه .

ما الخمر صرفا بأذهب للعقول من الطمع .

إلى الله أشكو ضعف الأمين وخيانة القوى .

اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة .

لا يكن حبك كلفا، ولا بغضك تلقا .

ومن كلام عثمان بن عفان رضى الله عنه

ما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن .

الهدية من العامل إذا عيرل مثلها منه إذا عمل .

أتم إلى إمام فعال، أحوج منكم إلى إمام قوال؛ قاله يوم صعد المنبر فاربح عليه .

وقال يوم قتل : لأن أقتل قبل الدماء ، أحب إلى من أن أقتل بعد الدماء .

ومن كلام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه
 من رضى عن نفسه كثر الساخط عليه ؛ ومن ضيعه الأقرب أُنْجَح له الأبعد ؛
 ومن بالغ في الخصومة أُنْجَح ، ومن قَصَرَ فيها ظلم .
 رأى الشيخ خير من مشهد الغلام .
 الناس من خوف الذل في الذل .
 إن من السكوت ما هو أبلغ من الجواب .

ومن كلام عبد الله بن عباس رضى الله عنهما
 لكل داخل دهشة فأبدعوه بالتحية ؛ ولكل طاعم حشمة فأبدعوه باليمين .
 ومن أمثال العرب ما نقلته من كتاب "الأمثال" لليداني . [والميداني ^(١)] : هو
 أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري — والميداني : بفتح الميم
 وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الدال المهملة نسبة إلى ميدان زياد ، وهي محلة
 بنيسابور ؛ توفي سنة تسع وثلاثين وخمسمائة [ووضعت على حروف المعجم .
 فمن ذلك ما جاء منها على حرف الهَمْزة :

حرف الهَمْزة

١٥ نقول العرب : « إِنَّ الْمُوصِينَ بَنُو سَهْوَانَ » قال الميداني : يُضْرَبُ لِمَنْ يَسْهُو
 عَنْ طَلَبِ شَيْءٍ أَمْرَهُ ، وَبَنُو سَهْوَانَ : بَنُو آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ عَهِدَ إِلَيْهِ
 فَمَهَا وَنَسَى .
 وقولهم : « إِنَّ الرِّثِيَّةَ تَفْتَأُ الْغَضَبُ » قال : الرِّثِيَّةُ : اللَّابِنُ الْخَامِضُ يَخْلُطُ
 بِالْحُلُوبِ وَالْقَتَّةُ : التَّسْكِينُ ؛ وَزَعَمُوا أَنَّ رَجُلًا تَزَلُّ بِقَوْمٍ وَكَانَ سَاخِطًا عَلَيْهِمْ ،

وكان جائها فسقوه الزينة فسكن فضبه ، فقال هذا المثل . يضرب في الهدية
تورث الوفاق .

وقولهم : « إن الحديد بالحديد يُفْلَح » أى يستعان في الأمر الشديد بما
يشاكله ويقاويه .

وقولهم : « إن السلامة منها ترك ما فيها » في اللقطة وذم الدنيا .^(١١)

والنفس تكلف بالدنيا وقد علمت * أن السلامة منها ترك ما فيها

وقولهم : « إن العصا من العصية » يقال : إن أول من قال ذلك الأفعى^(١٢)

الجرهمي ، ذلك أن زارا لما حضرته الوفاة جمع بنيه : مضر ، وإيادا ، وربيعه ،

وأثمارا ، فقال : يا بني ، هذه القبة الحمراء — وكانت من آدم — لمضر ، وهذه الفرس

الأدهم والجباء الأسود لربيعة ، وهذه الخادم — وكانت شطاء — لإيادا ، وهذه البدره

والمجلس لأثمار ، فإن أشكل عليكم كيف تفتسمون ، فاتوا الأفعى الجرهمي ومثله

بغيران . فتشاجروا في ميراثه ، فتوجهوا إليه ، فبينما هم في سيرهم إذ رأى مضر أثر

كلاء قد رعى ، فقال : إن البعير الذي رعى هذا أعور ، وقال ربيعة : إنه لأزور ،

وقال إياد : إنه لأبقر ، وقال أثمار : إنه لشروذ ، فساروا قليلا ، فاذا هم برجل يوضع^(١٣)

جمله فسألهم عن البعير ، فقال مضر : أهو أعور ؟ قال : نعم ، وقال ربيعة :

أهو أزور ؟ قال : نعم ، وقال إياد : أهو أبقر ؟ قال : نعم ، وقال أثمار : أهو شروذ ؟

قال : نعم ، هذه والله صفة بعيري فدلوني عليه ! فقالوا : والله ما رأيناه ، فقال :

هذا والله الكذب ! كيف أصدقكم وأتم تصفونه بصفته ! فساروا حتى قدموا أنجران ؛

(١١) في الميداني : وهذا في بيت أثله . والنفس الخ .

(١٢) في الميداني : يشد جله .

ومن كلام عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه
من رضى عن نفسه كثر الساخط عليه ؛ ومن ضيَّعه الأقربُ أتبع له الأبعد ؛
ومن بالغ في الخصومة أئيم ، ومن قصر فيها ظلم .
رأى الشيخ خير من مشهد الغلام .
الناس من خوف الذلِّ في الذلِّ .
إن من السكوت ما هو أبلغ من الجواب .

ومن كلام عبد الله بن عباس رضى الله عنهما
لكل داخل دهشة فأبدوه بالتحية ؛ ولكل طاعم حشمة فأبدوه باليمين .
ومن أمثال العرب ما نقلته من تحاب "الأمثال" للميداني . [والميداني : ^(١) هو
أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري] — والميداني : بفتح الميم
وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الدال المهملة نسبة الى ميدان زياد ، وهى محلة
بنيسابور ؛ توفى سنة تسع وثلاثين وستمائة [ووضعت على حروف المعجم .
فن ذلك ما جاء منها على حرف الهمزة :

حرف الهمزة

١٥ تقول العرب : « إِنَّ الْمُؤَصِّينَ بَنُو سَهَوَانَ » قال الميداني : يُضَرَّبُ لِمَنْ يَسْهُو
عن طلب شيء أمر به ، وبنو سهوان : بنو آدم عليه السلام حين عهد اليه
فسيها ونسي .
وقولهم : « إِنَّ الرَّثِيئَةَ تَفْتَأُ الْغَضَبُ » قال : الرثيئة : اللبن الحامض يخلط
بالحلوى والفتء : التسكين ؛ وزعموا أن رجلا نزل بقوم وكان ساخطا عليهم ،

وكان جائئا فسقوه الرثينة فسكن غضبه ، فقال هذا المثل . يضرب في الهدية توريث الوفاق .

وقولهم : « إن الحديد بالحديد يُفْلَح » أى يستعان في الأمر الشديد بما يشاكله ويقاويه .

وقولهم : « إن السلامة منها ترك ما فيها » في اللقطة وذم الدنيا .

والنفس تكاف بال دنیا وقد علمت . أن السلامة منها ترك ما فيها

وقولهم : « إن العصا من العصية » يقال : إن أول من قال ذلك الأفعى

الجرهمى ، ذلك أن تزارا لما حضرته الوفاة جمع بينه : مضر ، وإيادا ، وربيعه ،

وأثمارا ، فقال : يا بنى ، هذه القبة الحمراء - وكانت من آدم - لمضر ، وهذه الفرس

الأدم والخباء الأسود لربيعه ، وهذه الخادم - وكانت شطاء - لإياد ، وهذه البدره

والجلس لأثمار ، فإن أشكل عليكم كيف تنقسمون ، فاتوا الأفعى الجرهمى ومثله

بنجران . فتشاجروا في ميراثه ، فتوجهوا إليه ، فيناهم في سيرهم إذ رأى مضر أثر

كلاء قد رعى ، فقال : إن البعير الذى رعى هذا أعور ، وقال ربيعه : إنه لأزور ،

وقال إياد : إنه لأبتر ، وقال أثمار : إنه لشروء ، فساروا قليلا ، فاذاهم برجل يوضع

جمله فسألهم عن البعير ، فقال مضر : أهو أعور ؟ قال : نعم ، وقال ربيعه :

أهو أزور ؟ قال : نعم ، وقال إياد : أهو أبتر ؟ قال : نعم ، وقال أثمار : أهو شروء ؟

قال : نعم ، هذه والله صفة بعيرى فدلونى عليه ! فقالوا : والله ما رأينا ، فقال :

هنا والله الكذب ! كيف أضدقكم وأنتم تصفونه بصفته ! فساروا حتى قدموا أنجران ؛

(١) في الميداني : وهذا في بيت أوله - والنفس الخ .

(٢) في الميداني : يتشد جله .

- فلما نزلوا، نادى صاحب البعير، هؤلاء أصحاب جملى وصفوا لى صفته ثم قالوا :
 لم نره ؛ فاختصموا إلى الأفعى، فقال لهم : كيف وصفتموه وأتم لم تروه ؟ فقال مضر :
 رأيته قد رعى جانبا وترك جانبا، فعلمت أنه أعور؛ وقال ربيعة : رأيته إحدى
 يديه ثابتة والثانية فاسدة، فعلمت أنه أزور لأنه أفسدها بثبته وطله؛ وقال إياد :
 عرفت أنه أبتى باجتماع بعره ولو كان ذبيلا لمصع به ؛ وقال أنمار : عرفت أنه
 شرود، لأنه يرمى فى المكان الملتف نبتة ثم يحوزه إلى مكان أرق منه ؛ فقال الأفعى :
 ليسوا بأصحاب جملك فاطلبه، ثم سألم : من أتم ؟ فأخبروه بخبرهم، وبما جاءوا له،
 فأكرمهم، وقال : أحتاجون إلى وأتم كما أرى ؟ ثم أنزلم وذبح لهم شاة، وأتاهم
 بجمر، وجلس لهم الأفعى بحيث لا يرى ؛ فقال ربيعة : لم أر كاليوم أطيب لحما لولا
 أن شاته غذيت بلبن كبة ؛ وقال مضر : لم أر كاليوم أطيب حمرا لولا أن حبلتها
 نبتت على قبر؛ فقال إياد : لم أر كاليوم رجلا أسرى لولا أنه ليس لأبيه الذى
 يدعى له ؛ فقال أنمار : لم أر كاليوم كلاما أنفع فى حاجتنا من كلامنا ، وكان كلامهم
 بإذنه، فدعا قهرمانه ، فقال : ما هذه الخمر، وما أمرها ؟ قال : هى من حيلة
 غرستها على قبر أبيك ؛ وقال للراعى : ما هذه الشاة ؟ فقال : هى عناق أرضعتها
 بلبن كلبة وكانت أمها ماتت ؛ ثم أتى أمه، فقال : اصدقينى، من أبى ؟ فأخبرته
 أنها كانت تحت ملك كثير المال وكان لا يولد له، تخفت أن يموت وليس له ولد،
 فأمكننت من نفسى ابن عم له كان نازلا عليه فولدتك ؛ فرجع إليهم وقال : ما أشبه
 القبة الحمراء من مال تزار فهو لمضر، فذهب بالإبل الحمر والدنانير ، فسميت مضر
 الحمراء . وأما صاحب الفرس الأدهم والخباء الأسود فله كل شئ أسود، فصار
 لبيعة الخليل الدثم وما شاكلها، فليل : ربيعة الفرس . وأما الخادم الشمطاء

(١) الحيلة (بالضم ويحذف) : الكومة التى يكون منها الخمر .

فصاحبها لخليل البلق والماشية، فسميت : إباد الشمطاء، وقضى لآثار بالدرهم والأرض فصددوا من عنده على ذلك، فقال الأئسي : إن العصا من العصية، وإن حُشِينَا من أخشن، فأرسلهما مثلاً .

وقولهم : «إِن الْعَوَانَ لَا تُعَلِّمُ الْحِمْرَةَ» : يضرب للرجل المجرب .

وقولهم : «إِنِّي لَا أَكُلُ الرَّأْسَ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا فِيهِ» : يضرب للأمر بآتيه وأنت تعلم ما فيه مما تكبره .

وقولهم : «أَنْفٌ فِي السَّمَاءِ، وَأَسْتُ فِي الْمَاءِ» : يضرب للتكبر الصغير الشان .

وقولهم : «إِن الدَّلِيلَ الَّذِي لَيْسَتْ لَهُ عَضُدٌ» : أى أنصار وأعوان : يضرب لمن يخذله ناصره .

وقولهم : «إِن يَدَمَ أَطْلُكَ فَقَدْ نَقَبَ خُفِّيَ» الأطل : ماتحت مَنْعِمَ البعير : والحنف : قائمته : يضربه المشكوك إليه للشاكى أى أنا منه فى مثل ما تشكوه .

وقولهم : «إِن تَسْلُمُ الْجِلَّةُ فَالنَّيْبُ هَدَرُ» الْجِلَّةُ : جمع جليل يعنى العظام من الإبل ، والنائب : جمع ناب وهى الناقة المسنة، معناه إذا سلم ما يتنفع به هارب ما لا يتنفع به .

وقولهم : «إِن يَبِغَ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَبِغَ عَلَيْكَ الْقَمَرُ» يقال : إن بنى ثعلبة ابن سعد فى الجاهلية تراهنوا على الشمس والقمر ليلة أربع عشرة، فقالت طائفة : تطلع الشمس والقمر يرى، وقالت طائفة : بل يغيب قبل طلوعها، فتراضوا رجل جعلوه بينهم، فقال رجل منهم : إن قومى يقولون على، فقال المدل : إن يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر، فذهبت مثلاً : يضرب للأمر المشهور .

١٠

١٥

وقولهم : «إِنْ كُنْتَ رِيحًا فَقَدْ لَأَقَيْتَ إِعْصَارًا» الإعصار : ريح شديدة
تهب فيا بين السماء والأرض : يضرب للدل بنفسه إذا صُلِّيَ بمن هو أدنى منه وأشد.

وقولهم : «إِنَّكَ خَيْرٌ مِنْ تَفَارِيْقِ الْعَصَا» قالوا : قاله غنية الأعرابية
لأبنها، وكان عارما مع ضعفه، فواب يوما ^(١) ففقط أذنه فأخذت ديتها، فزادت

- حُسْنَ حَالٍ ثم واب آخر ففقط شفته فأخذت الدية فذكرته في أرجوزتها فقالت :
أخِلْفَ بِالْمَرْوَةِ حَقًّا وَالصِّفَا « إِنَّكَ أَجْدَى مِنْ تَفَارِيْقِ الْعَصَا ^(٢)

- فقبيل لأعرابي : ما تفاريق العصا ؟ فقال : العصا تقطع ساجورا والسواجير
للكلاب والأسرى من الناس ثم تقطع عصا الساجور تنصير أو تادا ويقطع الودد
فيصير كل قطعة شظاذا وإن جمل لرأس الشظاظ كالفلكة صار للبختي مهارة وهو
العود الذى يدخل في أنفه، وإذا فرق المهار جاءت منه توادى وهى الخشبة التى تشد
١٠ على خلف الناقة .

وقولهم : «إِنَّهُ لَيَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تُوَكَّلُ الْكَتِفُ» : يضرب للرجل الداهى؛
قال بعضهم : لِمَ تُوَكَّلُ الكتف من أسفلها ؟ قال : لأنها تنقشر عن عظمها وتبقى
المرقة مكانها ثابتة .

- ١٥ وقولهم : «إِنَّكَ لَا تَجْنِي مِنَ الشَّوْكِ الْعَنْبُ» أى لا تجد عند ذى المنبت
السوء جيلا ؛ والمثل من قول أكرم قال : إذا ظلمت فاحذر الانتصار ، فإن الظلم
لا يكسبك إلا مثل فعلك .

وقولهم : «أَخُو الظُّلَمَاءِ أَعْيَى بِاللَّيْلِ» : يضرب لمن يخطئ حجه ولا يبصر
المخرج مما وقع فيه .

- ٢٠ (١) فى الميدان : "قطع الفتى أنه فأخذت غنية دية أنه فحسنت حالها بد فقر مدفع ثم واب آخر ففقط
أذنه الخ" . (٢) فى الميدان : "خير" .

وقولهم : « إِنَّكَ لَتَكْثُرُ الْحَزَّ وَتُحْطِنُ الْمَفْصِلَ » : يضرب لمن يجتهد في السعي ثم لا يظفر بالمراد .

وقولهم : « أَوَّلُ الشَّجَرَةِ النَّوَاةُ » : يضرب للأمر الصغير يتولد منه الكبير .

وقولهم : « إِذَا صَاَحَتِ الدَّجَاجَةُ صَبَاحَ الدِّيكِ فَلْتَذِجْ » قاله الفرزدق في امرأة قالت الشعر .

وقولهم : « إِذَا رَأَى رَأَى السَّكِينِ فِي الْمَاءِ » : يضرب لمن يخافك جدًا .

وقولهم : « إِنَّكَ رِيَّانٌ فَلَا تَعْجَلْ بِشْرَبِكَ » : يضرب لمن أشرف على إدراك بغيته فيؤمر بالرفق .

وقولهم : « أَبْطَشُ مِنْ دَوَسَرٍ » هي إحدى تائب النمل أشدها بطشا ونكاية ؛ قال بعض الشعراء

ضَرَبْتُ دَوَسَرٌ فِيهِمْ ضَرْبَةً * أَثْبَتْتُ أَوْتَادَ مُلْكٍ فَاسْتَقَرَّ

وقولهم : « أَبْرَمًا قَرُونًا » البرم : الذي لا يدخل مع القوم في الميسر لبعده ،

والقرون : الذي يقرن بين الشيئين ؛ وأصله أن رجلا كان لا يدخل في الميسر ولا

يرى اللهم لحاء إلى امرأته وبين يديها لحم تأكله فأقبل يأكل معها بضعتين يقرن بينهما

فقال له : أَبْرَمًا قَرُونًا : يضرب لمن يجمع بين خصيتين مكروهتين .

وقولهم : « الثَّيِّبُ مَجَالَةُ الرَّاكِبِ » : يضرب في الحث على الرضا بيسير الحاجة

عند إعواز جليلها .

* ضربت دوسر فيهم *

(١) في اللسان : وهذا الشعر أوردته الجمهوري

وصوابه : « دوسر فيه » لأنه طائد على يوم الحفر .

وقولهم :

« الْبَسْ لِكُلِّ حَالَةٍ لَبُوسَهَا * إِمَّا نَعِيمَهَا وَ إِمَّا بُوسَهَا »

أول من قال ذلك تَيْبَس : وهو رجل من بني غراب بن فزارة ، وكان سابع
سبعة إخوة ، فأغار عليهم أناس من بني أخميم ، وهم في إبلهم فقتلوا منهم ستة وتركوا
يبسا لحقه فقال : دعوني أتوصل معكم الى أهل فأقبل معهم ، فلما كان من الند
نحروا جزورا في يوم شديد الحر ، فقال بعضهم : أطلوا لحكم لا تفسده الضَّحُّ ، فقال
يبس : لكن بالأمثال^(١) لحم لا يظلل ، فأرسلها مثلا ؛ ثم فارقه ثم أتى أمه فاخبرها
اخبر فقالت : ما جاء بك من بين إخوانك وأنت أخبثهم ، فقال : ما خَيْرُك القومُ
فتخاتري ، فأرسلها مثلا ؛ ثم أعطته ثياب إخوته ومناعمهم ، فقال : يا حبيذا التراث
لولا الذلَّة ، فأرسلها مثلا ؛ وأخذ يوما يَبْرُدُ سَكِينا ، فقيل له : ما تصنع بها ؟ فقال :
أقتل بها قتلة إخواني ، فقيل له : إنك لأحمق ، فقال : ما يؤمك من أحمق في يده
سكين ، فأرسلها مثلا ؛ ثم إنه مرَّ بنسوة من قومه يصلحن امرأة يردن أن يهدينها
لبعض قتلة إخوانه فكشفت ثوبه عن آسته وغطى به رأسه ، فقيل له : ما تصنع ؟ فقال :
الْبَسْ لِكُلِّ حَالَةٍ لَبُوسَهَا * إِمَّا نَعِيمَهَا وَ إِمَّا بُوسَهَا

وقولهم « الصَّيْفَ ضَبَّعَتِ اللَّيْلُ » قال الأصمعي : معناه تركت الشيء .

في وقته ؛ وقال غيره : تركت الشيء وهو ممكن ، وقال أبو عبيدة : أول من قاله عمرو بن
عُدَس ، وكان قد تزوج دَخَنُوس بعد ما كبر ، فكان ذات يوم نائما في حجرها فحُفِّفَ^(٢)

(١) قال ياقوت في معجبه : أمثال بالثاء هو الموضع المذكور في المتل في بعض الروايات ؛
لكن بالأمثال الخ . ثم قال : وأكثر الرواة يقولون : الأمثال - بالثاء - جمع آلة وهو صنف من الطرفا .

كبير يظلل فيه مائة نفس . (٢) في الأصل : « يبرم » وهو تحريف .

(٣) الجخيف : صوت من الجوف أشد من القطيط .

وسال لهابه فأنفثه فأنبته وهي لتأفف منه، فقال: أتحبين أن أطلقك؟ قالت: نعم، فطلقها، وتزوجها حتى ضرير حسن الوجه، ففجأتهم ذات يوم غارة والفتى نائم بطعام دَخَنَتُوس فأنبته وقالت له: الخليل، بفعل يقول: الخليل الخليل! من الخوف حتى مات فرقا وسُيِّت دَخَنَتُوس فبلغ عمرا الخبير فركب ولحقهم وقاتل حتى استنقذ جميع ما أخذوا واستنقذها فوضعها قدامه على السرج وردّها الى أهلها، ثم أصابهم سنة فبعثت إليه تقول: نحتاج اللبن فبعث إليها بلقعة وقال: الصيف ضيعت اللبن.

وقولهم: «اضطره السَّيْلُ الى مَعْطِشِهِ» وهو أن رجلا عطش وكان قد أتى واديا له غور وماء شديد الجرية، فبقى في أصل شجرة لا يقدر أن يتزل فياخذ به الماء، ولم يجد ماء فمات عطشا: يضرب لمن ألقاه الخيل الذي كان فيه الى شتر.

وقولهم:

«إِنَّ الْحِمَاةَ أُولِعَتْ بِالْكَنَةِ وَأُولِعَتْ كَتَبُهَا بِالظَّنَةِ»

الحماة: أم الزوج، والكنة: امرأة الابن والأخ، والظنة: التهمة، وبين الحماة والكنة عداوة مستحكمة: يضرب بها المثل في الشر يقع بين قوم هم أهل لذلك.

وقولهم: «إِنَّ لِلَّهِ جُنُودًا مِنْهَا الْعَسَلُ» قاله معاوية: لما بلغه أن الأشتر سُقِيَ عسلا فيه سم فمات: يضرب عند الثمالة بمصاب العذو.

وقولهم: «إِنَّ الْهُوَى يَمِيلُ بِأَسْتِ الرَّاكِبِ» أى من هوى شيئا مال نحوه قبيحا أو جيلا، كما قيل

وما زُرْتُمْ عَمْدًا وَلَكِنْ ذَا الْهُوَى * إِلَى حَيْثُ يَهْوَى الْقَلْبُ تَهْوَى بِهِ الرَّجُلُ

وقولهم : «إِنَّ الْجَوَادَ قَدْ يَعْتَرُّ» : يضرب لمن يكون الغالب عليه فعل الجميل ثم تكون منه الزلّة .

وقولهم : «إِنَّ الشَّفِيقَ بِسُوءِ ظَنِّ مُوَلِّعٍ» : يضرب للحنّ بشأن صاحبه لأنه لا يكاد يظن به غير وقوع الحوادث كظنون الوالدات بالأولاد .

• وقولهم : «إِنْ خَصَلْتَيْنِ خَيْرُهُمَا الْكَذِبُ لَخَصَلَتَا سُوءٍ» : يضرب للرجل يعتذر من شيء فعله بالكذب .

• وقولهم : «أَحَادِيثُ طَنِيمٍ وَأَحْلَامُهَا» : يضرب لمن يفتكر بما لا أصل له .

• وقولهم : «أَحْشَفًا وَسُوءَ كِلَّةٍ» : يضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين .

• وقولهم : «الْحَقُّ أَتَلَجٌّ، وَالبَاطِلُ لَجَلَجٌ» : معناه أن الحق واضح بين، والباطل يتلجلج فيه أى يتردد فلا يجد صاحبه مخرجاً .

١٠

• وقولهم : «الْحَزْمُ سُوءُ الظَّنِّ بِالنَّاسِ» : هذا المثل قاله أكرم بن صيفي .

• وقولهم : «اِخْتَلَطَ الْخَائِرُ بِالزُّبَادِ» ، الخائر : ما خسر من اللبن ، والزُّبَاد : الزبد : يضرب للقوم يقومون في التخليط من أمرهم .

• وقولهم : «أَخْطَأَتِ أَسْنَتُهُ الْحُقْرَةَ» : يضرب لمن رام شيئاً فلم ينله .

• وقولهم : «ادْعِ إِلَى طِعَانِكَ مَنْ تَدْعُوهُ إِلَى جِفَانِكَ» أى استعمل في حوائجك من تخصه بمعروفك .

• وقولهم : «أَرَوَعَانًا يَأْتُعَالُ، وَقَدْ عُلِقَتْ بِالْحَبَالِ» تعالة : الثعلب يضرب لمن يراوغ وقد وجب عليه الحق .

وقولهم : «لَا زِمَ فَقَدْ أَفْقَتْهُ مَرِيئُهَا» يقال : أفقت السهم إذا وضعت فوقه في الوتر : يضرب لمن تمكن من طليته .

وقولهم : «أَضِرُّطَّا وَأَنْتَ الْأَعْلَى ؟» قاله سُلَيْكُ بْنُ سُلَيْكَةَ السَّعْدِيُّ ، وذلك أنه بينما هو نائم إذ جثم عليه رجل من الليل وقال : استأسِرْ ، فقال له سُلَيْكُ : الليل طويل وأنت مقمر ، فأرسلها مثلاً : ثم ضمه سُلَيْكُ بيديه ضمةً أضرطته ، فقال له : أَضِرُّطَّا وَأَنْتَ الْأَعْلَى فَأرسلها مثلاً : يضرب لمن يشكوى في غير موضع الشكوى .

وقولهم : «أَضَلَّلْتَ مِنْ عَشْرِ ثَمَانِيًّا» : يضرب لمن يفسد أكثر ما يليه من الأمر .

وقولهم : «أَعْطِ أَخَاكَ تَمْرَةً ، فَإِنْ أَبَى بِخُمْرَةٍ» : يضرب لمن يختار الهوان على الكرامة .

وقولهم : «الْكَذِبُ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَتْهَا» معناه لا تحدث نفسك بأنك لا تنظفر ، فإن ذلك ينبتك . قال ليلى :

الْكَذِبُ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَتْهَا * إِنَّ صِدْقَ النَّفْسِ يُزَيِّدُ بِالْأَمَلِ

وقولهم : «أَكْبَرًا وَإِمْعَارًا؟» أى اتجمع بين الكبر والفقر .

وقولهم : «أَمَكْرًا وَأَنْتَ فِي الْحَدِيدِ» هذا المثل قاله عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز لما قبض عليه وبكاه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن رأيت ألا تنفضحنى بأن تخرجننى للناس فتقتلننى بحضرتهم فافعل ، وإنما أراد عمرو بهذه المقالة أن يخالفه عبد الملك فيخبره فيمنعه منه أصحابه ، فقال : أبا أمية ! أمكرا وأنت في الحديد : يضرب لمن أراد أن يحكم وهو مقهور .

وقولهم : « أَهَوْنُ هَالِكٍ جَحْوزٌ فِي هَامِ سَنَةٍ » : يُضْرَبُ لِلشَّيْءِ يُسْتَخَفُّ بِهِ وَبِهَلَاكِهِ .

قال الشاعر :

وأهون مفقود إذا الموت نابه * على المرء من أصحابه مَنْ تَقَنَّا

وقولهم : « أَوْسَعْتُهُمْ سَبًّا وَأَوْدَوْا بِالْإِبِلِ » أصله أن رجلا من العرب أغير على إبله فأخذت ، فلما تواروا صعد أكمةً وجعل يُسَبِّهم ثم رجع إلى قومه فسألوه عن إبله ، فقال هذا المثل .

ويقال : إن أول من قاله كعب بن زهير بن أبي سلمى ، وذلك أن الحارث بن ورقاء الصيدأوى أغار على بني عبد الله بن غطفان وأستاق إبل زهير ورأى ، فقال زهير في ذلك قصيدته التي أولها :

بان الخليط ولم يأووا لمن تركوا * وزودوك أشتياقا أيةً سلخوا

وبعث بها إلى الحارث فلم يرَ الإبل ، فهجاه ، فقال كعب أبنته : أوسعتهم سبًّا وأودوا بالإبل ، فذهبت مثلا : يضرب لمن لم يكن عنده إلا الكلام .

وقولهم : « أَوْرَدَ هَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلٌ » هو سعد بن زيد مناة أخو مالك

الذي يقال فيه : إنك آبلٌ من مالك ، وذلك أن مالكا تزوج بإمرأة وبني بها فأورد الإبل أخوه سعد ولم يحسن القيام عليها والرفق بها ، فقال مالك :

أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلٌ * ما هكذا تورد يا سعدُ الإبل

فضرب مثلا لمن قصر في طلب الأمر .

وقولهم : « إِنْ الشَّقِيَّ وَأَفْدُ الْبَرَّاجِمِ » قاله عمرو بن هند الملك . وذلك أن

سُوَيْدُ بن ربيعة التيمي قتل أخاه سعد بن هند وهرب فنذر عمرو ليقتلن بأخيه مائة

من بنى تميم، فسار إليهم فجمعهم فلقبهم الخبر فتفرقوا في نواحي بلادهم فلم يجد إلا عجوزا
كبيرة وهي حمراء بنت ضمرة، فلما نظر إليها قال : إني لأحسبك أعجمية، قالت :
لا والذي أسأله أنت ينقص جناحك، ويهد عِمادك، ويضع وسادك، ويسلبك
بلادك ، ما أنا بأعجمية ، قال : فمن أنت ؟ قالت : أنا بنت ضمرة بن جابر، ساد
معدا كبيرا عن كابر، وأنا أخت ضمرة بن ضمرة، قال : فمن زوجك ؟ قالت : هُوَذَّة
ابن جرول، قال : وأين هو الآن ؟ أما تعرفين مكانه ؟ قالت : لو كنت أعلم مكانه
حال بني وبينك، فقال عمرو : أما والله لولا أني أخاف أن تلدى مثل أبيك وأخيك
وزوجك لأستبقيتك ، فقالت : والله ما أدركت ثارا ، ولا تحوت عارا ، مع كلام
كثير كلته به فامر بإحراقها، فلما نظرت إلى النار، قالت : ألا فني مكان عجوز !
فذهبت مثلا، ثم مكثت ساعة فلم يبقها أحد، فقالت : هيات صارت الفتيان
حما، فذهبت مثلا، ثم أقيت في البار ولبت عمرو عامة يومه لا يقدر على أحد، حتى
إذا كان آخر النهار أقبل راكب يسمى عمارة توضع به راحته حتى أتاه إليه، فقال
له عمرو : من أنت ؟ قال : أنا رجل من البراجم، قال : فما جاء بك إلينا ؟ قال :
سطع الدخان وكنت طويوت منذ أيام وظننته طعاما، فقال عمرو : إن الشق وافد
البراجم، فذهبت مثلا، وأمر به فألقي في النار، قيل : إنه أحرق مائة من بني تميم :
تسعة وتسعين من بني دارم، وواحدا من البراجم .

وقال بعضهم : ما بلغنا أنه أصاب من بني تميم غير وافر البراجم وإنما أحرق
النساء والصبيان، قال جرير :

وأخرأكم عمرو كما قد تحريم • وأدرك عمارة شق البراجم

ولذلك صيرت بنو تميم بحب الطعام، قال الشاعر :

إذا مامات ميت من تميم • وسرك أن يعيش يفي بزياد

يُخْزِرُ أَوْ يُلْجِمُ أَوْ يَجْمُرُ * أَوْ الشَّيْءُ الْمَلْفُفُ فِي الْبِجَادِ
تَرَاهُ يُنْقَبُ الْآفَاقَ حَوْلًا * لِأَكْلِ رَأْسِ لِقَانَ بْنِ عَادٍ
وهذا المثل يضرب لمن يقع نفسه في هلكة طمعا .

حرف الباء

• تقول العرب : « بلغ السيلُ الزَّبْيَ » هي جمع زُبَيْة وهي حفرة تُحْفَرُ للأسد
إذا أرادوا صيده لا يعلوها الماء فإذا بلغها السيل كان مجحفا : يضرب لمن جاوز
الحدة .

وقولهم : « بَيْنَ الْعَصَا وَلِحَائِهَا » الخاء : التقشر : يضرب للتخالفين المتفقين ؛
ويروى : لا مدخل بين العصا ولحائها .

• وقولهم : « بَيْنَهُمْ دَاءُ الضَّرَارِ » هي جمع ضَرَّة : يضرب للمداوة إذا رجحت
بين قوم .

وقولهم : « بَيْنَهُمْ عِطْرٌ مَنْشِمٌ » قال الأَصْمَعِيُّ : مَنْشِمٌ كانت عطارة بمكة
وكانت تُزَاعَةُ وَبُحْرُهُمْ إذا أرادوا القتال تَطَيَّبُوا مِنْ طَيِّبِهَا فإذا فعلوا ذلك كثرت
بينهم القتل فكان يقال : أَشَامَ مِنْ عِطْرِ مَنْشِمٍ : يضرب في الشرِّ العظيم ، وفيه
يقول زهير :

تَدَارَكُنَا عَيْسًا وَدُبَيَّانَ بَعْدَ مَا * تَفَانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشِمٍ

وقولهم : « بِهِ دَاءٌ ظَلِيٌّ » أي أنه لا داء به كما أن الظلي لا داء به ، وقيل :
ربما يكون بالظلي داء لا يعرف مكانه ، معناه أن به داء لا يُعرف .

وقولهم : « بَلَغَتِ الدِّمَاءُ الثُّنَنَ » الثُّنَنُ : الشَّعْرَاتُ التي في مؤترُسُخ الدابة :
يضرب عند بلوغ الشرِّ النهاية .

وقولهم : «بَرَحَ الْخَفَاءُ» أى زال من قولهم ما برح ، والمعنى زال السر فوضع الأمر ، ويقال : الخفاء : المتعاطى من الأرض ، والبراح : المرتفع أى صار الخفاء براحا .

وقولهم : «بَنَانٌ كَيْفَ لَيْسَ فِيهَا سَاعِدٌ» : يضرب لمن له همة ولا مقدرة له على ما فى نفسه .

وقولهم : «بَاتَ فُلَانٌ يَسْوَى الْقَرَّاحِ» يعنى الماء الخالص لا يخالطه شئ : يضرب لمن سامت حاله ، وقد ماله بحيث يسوى الماء شهوة للطليخ

وقولهم : «بَجَّ بَجَّ سَاقٌ بِحَلْخَالٍ» هى كلمة يقولها المتعجب من حسن الشئ وكأله . وأقول من قال ذلك الوردية بنت ثعلبة ، وذلك أن ذهل بن شيان كان زوج الوردية وكانت لا تترك له امرأة إلا ضربتها فترج رقاش بنت عمرو بن عثمان من بنى ثعلبة ، فخرجت رقاش يوما وعليها خلخالان ، فقالت الوردية ذلك فذهبت مثلا .

حرف التاء

قولهم : «تَرَكَ الطَّبِيَّ ظِلَّهُ» أى كساه الذى يستظل به : يضرب لمن نفر من شئ فتركه تركا لا يعود له .

وقولهم : «تَرَكَتُهُ عَلَى مِثْلِ لَيْلَةِ الصَّدْرِ» وهى ليلة ينفر الناس من مئى فلا يبقى منهم أحد .

وقولهم : «تَرَكَتُهُ عَلَى أُنْقَى مِنَ الرَّاحَةِ» أى على حال لا خير فيه كما لا شعر على الراحة : يضرب فى اصطلام النهر .

وقولهم : «تَجَوَّعُ الْحُرَّةُ وَلَا تَأْكُلُ بَشَدِيهَا» أى لا تكون ظفرا وإن آذاها

- البلوع . أول من قاله الحارث بن سليل الأسدي وكان حليفاً للعقمة بن حصيفة الطائي فزاره فنظر إلى أخته الزباء وكانت من أجل أهل دهرها ، فقال : أتيتك خاطباً وقد يُتَّحَمُ الخاطب ، ويُدْرَكُ الطالب ، ويُتَمَحُّ الراغب ، فقال له عقمة : أنت كفاء كريم يُقْبَلُ منك الصفو ، ويُؤَخَذُ منك العفو ، فأقم تنظر في أمرك ، ثم أنكفأ إلى أمها ، فقال : إن الحارث سيد قومه حسبا ومنصبا وبيتا ، وقد خطب إلينا الزباء فلا ينصرف إلا بحاجته ، فقالت المرأة لأختها : أي الرجال أحب إليك الكهل الجتجتاح ، الواصل المتأح ، أم الفتى الواضح ؟ قالت : بل الفتى الواضح ، فقالت : إن الفتى يُفِيرُكَ ، وإن الشيخ يُمِيرُكَ ، وليس الكهل الفاضل ، الكثير النائل ، كالحديث السن ، الكثير المَن ، قالت يا أماء : إن الفتاة تحب الفتى ، كُتِبَ الرِّعَاءُ أُنِيقَ الكَلَاءُ ، قالت : أي بنية ! إن الفتى شديد الجهاب ، كثير العتاب ، قالت : ١٠ إن الشيخ يُبْلِي شَبَابِي ، ويدنس ثيابي ، ويُسَمِّتُ في أترابي . فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها ، فترجها الحارث على مائة وحسين من الإبل وخادم وألف درهم ، فابتنى بها ، ثم رحل بها إلى قومه فبيتا هو ذات يوم جالس بفناء قومه وهي إلى جانبه ، إذ أقبل شباب من بني أسد يتلججون فتنفست الصعداء ، ثم أرخت عينها بالبكاء ، فقال : ما يبكيك ؟ قالت : مالي وللشيوخ ، الناهضين كالفروخ ، فقال لها : تَكَلِّثُكِ ١٥ أمك ! تجوع الحزة ولا تأكل بنديها ، ثم قال لها : وأبيك ، لرب غارة شهدتها ، وسية أردقتها ، ونمرة شربتها ، فألحق بأهلك فلا حاجة لي بك ، وهذا المثل : يضرب في صيانة الرجل نفسه عن خسيس المكاسب .

وقولهم : «نَجَّشْنَا لِقْمَانُ مِنْ غَيْرِ شَيْعٍ» : يضرب لمن يدعى مالميس يملك .

- ٢٠ وقولهم : «نُجِّبُ عَنْ مَجْهُولِهِ مَرَأَتَهُ» أي منظره يخبر عن مخبره .

وقولهم : « تشكو إلى غير مُصَحِّتٍ » أى إلى من لا يهتم بشأنك . قال الشاعر

إنك لا تشكو إلى مُصَحِّتٍ * فاصبر على الحمل الثقيل أوُمِتْ

وقولهم : « تجاوز الرُّوضَ إلى القاعِ القَرِقِ » : يضرب لمن يعدل بحاجته

عن الكريم إلى اللئيم ، والقَرِقُ : المستوى .

وقولهم : « تسمع بالمُعَيَّدِ خَيْرٌ من أن تراه » وروى : لا أن تراه :

يضرب لمن خبره خيراً من مرآه ، أول من قاله : المنذر بن ماء السماء .

وقولهم : « تُقَطِّعُ أعناقَ الرجال المطامعُ » : يضرب في ذم الطمع .

وقولهم : « اتَّقلدها طَوَّقُ الحمامة » كناية عن المصلحة القبيحة التي لا تزياله

ولا تفارقه .

حرف الناء

قولهم : « نَارَ حَابِلُهُمْ عَلَى نَابِلِهِمْ » الحابل : صاحب الحباله ، والنابل :

صاحب النبل أى اختلط أمرهم : يُضْرَبُ في فساد ذات الين وناريت الشرِّ

في القوم .

وقولهم : « نَوَّرَ كَلَابٍ فِي الرَّهَانِ أَقْعَدُ » هو كلاب بن ربيعة بن عامر

أبن صَمَّحَةَ القيسى كان يحق ، وذلك أنه ارتبط بعجل نور ليساق عليه ، والأقعد

من القعيد وهو المنخلف المتباطئ : يُضْرَبُ لمن يروم ما لا يكون .

حرف الجيم

قولهم : « جَرَى المَذَكَّاتِ غِلَابٌ » المَذَكَّةُ من الخيل التي أتى عليها بعد

قروحها سنة أو ستان والغلاب المغالبة : يضرب لمن يُوصَفُ بالتبريز على أقرانه

في حبة الفضل ؛ وأول من قاله نذكره إن شاء الله تعالى في حرب داحس
والفراء .

وقولهم : «جَزَاءُ سِنَمَارٍ» وهو الذي بنى الخَوْرَقِ وتقدم خبره في مبانى العرب .

وقولهم : «بَرَحَهُ حَيْثُ لَا يَضَعُ الرَّاقِ أُنْفَهُ» قالته جندلة بنت الحارث ،

- وكانت تحت حنظلة بن مالك وهي عذراء ، وكان حنظلة شيخا كبيرا فخرجت في ليلة
مطيرة فبصر بها رجل فوثب عليها وأقتضها ، فصاحت وقالت : لَيْسَتْ ، قيل أين ؟
قالت : حيث لا يضع الراق أنفه : يضرب لمن يقع في أمر لا حيلة له في الخروج منه .

وقولهم : «جَعَجَعَةً وَلَا أَرَى طِحْنًا» : يضرب لمن بعد ولا يفي .

وقولهم : «بَحَرَى مِنْهُ مَجَرَى اللَّدُّودِ» وهو ما يُصَبُّ في أحد شِقِّ الفم من

- ١٠ الدواء : يضرب لمن يُقْبَض وَيُكْرَهُ .

وقولهم : «جَمَاعَةٌ عَلَى أَقْدَاءٍ» معناه أَجْتَمَعَ بِالْأَيْدِي ، وأفترق بالقلوب ،

وهو بمعنى قوله صلى الله عليه وسلم : «هُدَنَةٌ عَلَى دَخَنٍ» : يُضْرَبُ لِمَنْ يَضْمِرُ أَدَى
وَيُظْهِرُ صَفَاءً .

وقولهم : «جَارٌ بِكَارٍ أَبِي دُوَادٍ» يعنون كعب بن مامة فإنه كان إذا جاوره

- ١٥ رجل فإن مات وداه ، وإن هلك له بعير أو شاة أخاف عليه ، فضربت به العرب
المثل في حسن الجوار ، قال طرفة :

إِنِّي كَفَاتَنِي مِنْ أَمْرِ هَمَمْتُ بِهِ * جَارٌ بِكَارٍ الْحَذَاقِ الَّذِي انْصَفَا

والحذاق هو أبو دواد .

وقولهم : «جَدَعَ الْحَلَالُ أَنْفَ الْغَيْرَةِ» قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم

- ٢٠ ليلة زُفَّتْ فاطمة الى علي رضي الله عنهما .

وقولهم : « جَوَّعَ كَلْبَكَ يَتْبَعُكَ » أَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ مَلِكٌ مِنْ مَلُوكِ حَمِيرٍ
 كَانَ جَائِزًا عَلَى أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ يَسْلُبُهُمْ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَإِنْ أَمْرَأَتُهُ سَمِعَتْ صَوْتَ السَّوَالِ
 فَقَالَتْ : إِنِّي لِأَرْحَمُ هَؤُلَاءِ وَإِنِّي لِأَخَافُ أَنْ يَكُونُوا عَلَيْكَ سِبَاعًا ، بَعْدَمَا كَانُوا لَكَ أَتْبَاعًا ،
 فَقَالَ : جَوَّعَ كَلْبِكَ يَتْبَعُكَ ، ثُمَّ لَمَّا غَزَاهُمْ وَلَمْ يَقْسَمْ عَلَيْهِمْ شَيْئًا فَقَالُوا لِأَخِي لَهُ : قَدْ تَرَى
 مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الْجُهْدِ وَنَحْنُ نَكْرَهُ خُرُوجَ الْمَلِكِ عَنْكُمْ إِلَى غَيْرِكُمْ فَسَاعِدْنَا عَلَى قَتْلِ أَخِيكَ
 وَاجْلِسْ مَكَانَهُ ، فَوَافَقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، ثُمَّ وَثَبُوا عَلَى الْمَلِكِ فَقَتَلُوهُ ، فَتَزَبَّ عَامِرُ بْنُ جَذِيمَةَ
 وَهُوَ مَقْتُولٌ ، فَقَالَ : رُبَّمَا أَكَلَ الْكَلْبُ مَوْذِبَهُ إِذَا لَمْ يَنْلِ شَبْعَهُ ، فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا ،
 وَالْمِثْلُ يَضْرِبُ فِي الْأَثَامِ وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَسَامِلُوا بِهِ .

وقولهم : « جَاءَتْهُمْ عَوَانًا غَيْرَ بِكْرٍ » أَيْ مُسْتَحْكِمَةً غَيْرَ ضَعِيفَةٍ يَرِيدُونَ حَرْبًا
 أَوْ دَاهِيَةً عَظِيمَةً .

وقولهم : « جَاءَ بِصَحِيفَةِ الْمُتَلَمَّسِ » إِذَا جَاءَ بِالْدَاهِيَةِ ، وَكَانَ مَنْ خَبِرَ
 صَحِيفَةَ الْمُتَلَمَّسِ أَنَّ الْمُتَلَمَّسَ وَطَرَفَهُ قَدَمَا عَلَى عَمْرُو بْنِ الْمُنْذَرِ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ فَعَمِلَهُمَا
 فِي مَحَابَةِ قَابُوسَ بْنِ الْمُنْذَرِ أَخِيهِ وَأَمْرَهُمَا بِلِزُومِهِ ، وَكَانَ قَابُوسُ شَابًا يَعْجِبُهُ اللَّهُو ،
 فَطَالَ بِقَاوُضِهِمَا عِنْدَهُ ، فَهَجَا طَرَفَهُ عَمْرًا بِأَيَّاتِ فَيْلَفَتِهِ ، فَاسْتَدَاهُمَا فُجَاهًا بِجَبَاهِ وَكَتَبَ
 مَعَهُمَا إِلَى أَبِي كَرْبٍ عَامِلِهِ عَلَى حِمَّرٍ أَنْ يَقْتُلَهُمَا ، وَقَالَ : قَدْ كَتَبْتُ لَكُمَا بِجَبَاهِ
 وَمَعْرُوفٍ ، فَلَمَّا صَدَرَ مِنْ عِنْدِهِ ، قَالَ الْمُتَلَمَّسُ لَطَرَفَهُ : هَلْ لَكَ فِي كِتَابِنَا ، فَإِنْ كَانَ
 فِيهِمَا خَيْرٌ مَضِينَا لَهُ ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا آتَيْنَاهُ ؟ فَأَبَى طَرَفُهُ وَقَرَأَ الْمُتَلَمَّسُ كِتَابَهُ فَإِذَا فِيهِ
 السُّوءُ فَأَلْقَاهُ فِي الْمَاءِ وَقَالَ لَطَرَفُهُ : أَلْقَى كِتَابَكَ فَأَبَى وَمَضَى بِكَتَابِهِ ، قَالَ : وَمَضَى
 الْمُتَلَمَّسُ حَتَّى لَحِقَ بِمَلُوكِ بَنِي جَعْفَةَ بِالشَّامِ وَسَارَ طَرَفُهُ بِكَتَابِهِ ، فَلَمَّا آتَتْهُ إِلَى
 الْعَامِلِ قَتَلَهُ .

وقولهم : « جَنْدَلَتَانِ أَصْطَكَا » : يضرب لِقَتَيْنِ يتصاولان .

وقولهم : « بَزَيْتُهُ حَذَوِ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ » : للكفاة .

وقولهم : « جَاءُوا عَلَى بَكْرَةٍ أَيْبِهِمْ » أى جاءوا جميعا لم يختلف منهم أحد .

وقيل : بل البكرة تأنيث البكر، بصفهم بالقلة أى بحيث تحملهم بكرة أَيْبِهِمْ . وقيل بل

البكرة التى يُسْتَقى عليها، معناه جاءوا بعضهم يتلو بعضا كدوران البكرة على نسق واحد،

وقيل : المراد بالبكرة الطريقة كأنهم جاءوا على طريقة أَيْبِهِمْ، وقال ابن الأعرابى :

البكرة : جماعة من الناس أى بأجمعهم .

وقولهم : « جَاوَزَ الْحِزَامُ الطُّبْيَيْنِ » : يضرب فى تجاوز الحد .

حرف الحاء

١٠ قولهم : « حَرَّكَ لَهَا حَوَارَهَا نَحْنُ » الحوار : ولد الناقة، والجمع القليل أخوة والكثير حوران وحيران، معناه ذكَّره بمضِّ أُنْجَانِهِ يَهْجُ لَهُ، قاله عمرو بن العاص لمعاوية حين أراد أن يستنصر أهل الشام، أى أَرِيهِمْ دَمَ عُمَانَ عَلَى قَبِيصِهِ .

وقولهم : « حَلَبْتُهَا بِالسَّاعِدِ الْأَشَدِّ » أى أخذتها بالقوة إذ لم يَنَأَتْ بِالرَّفْقِ .

وقولهم : « حَذَوِ الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ » أى مِثْلًا بِمِثْلٍ : يضرب فى التسوية بين

١٥ الشبيئين، ومثله : حَذَوِ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، وقد تقدّم .

وقولهم : « حَلَبَ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ » معناه أنه آخِذَ الدَّهْرَ شَطْرَى خَيْرِهِ

وشره فعرف ما فيه .

وقولهم : « حَسْبُكَ مِنْ غَيِّ شَيْعٍ وَرَى » قال امرؤ القيس :

إذا ما لم تكن إِبْلُ فِعْزَى * كأن قُروْنَ جِلَّتِها الْعِصَى
فَمَلَأَ بَيْنَنَا أَقْطَعًا وَتَمَمَّا * وَحَسْبُكَ مِنْ غَيِّ شَيْعٍ وَرَى

قال أبو عبيدة : يحتمل معنيين ، أحدهما أعط كل ما كان لك وراء شبعك
وربك ، والآخر القناعة باليسير .

وقولهم : « حَسْبُكَ مِنَ الْقِلَادَةِ مَا أَحَاطَ بِالْعُنُقِ » أى اكنف بالقليل

عن الكثير .

وقولهم : « حَسْبُكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعِهِ » أى اكنف بسماعه ولا تعابيه ، قال :

ويحوز أن يريد يكفيك سماع الشر وإن لم تقدم عليه ولم تنسب إليه ، والمثل قائمه
فاطمة بنت الخُرشب من بنى أنمار بن بغيض أم الربيع بن زياد ، وذلك أن ابنها

الربيع كان أخذ من قيس بن زهير بن جذيمة درعا ، فتمرض قيس لأم الربيع وهى
على راحلتها فأراد أن يذهب بها ليرتبتها بالدرع ، فقالت له : أين عُرِبَ عنك عقلك
يا قيس ؟ ترى بنى زياد مصالحيك ! وقد ذهبت بأهمهم يمينا وشمالا وقال الناس ما
قالوا وشاموا ، وإن حسبك من شر سماعه ، فذهبت كلمتها مثلا تقول : كفى بالمقالة

عارا وإن كان باطلا .

وقولهم : « حَلَقَتْ بِهِ عَنَقَاءُ مُغْرِبٍ » : يضرب لما يُنس منه ، قال الشاعر :

إذا ما ابنُ عبد الله خلى مكانه * فقد حَلَقَتْ بِالْجُودِ عَنَقَاءُ مُغْرِبٍ

قال الميدانى : والعنقاء طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم يقال : كان

بأرض الرّس جبل يقال له : دَخَّ مَصْعَدُهُ فِي السَّمَاءِ ، وكان يأتيه طائر عظيم لها عنق

- طويلة ، وهى من أحسن الطير؛ فيها من كل لون ، وكانت تقع متصبة وتنقص على الطير فتاكلها ، بغاغت يوما وأعوزها الطير فانقضت على صبي فذهبت به فسميت عقاء مغرب : لأنها تغرب بكل ما تأخذه ، ثم أنقضت على جارية حين ترصرت فأخذتها فضممتها إلى جناحين لها صغيرين سوى جناحيها الكبيرين ثم طارت ، فشكوا ذلك إلى نبيهم : خالد بن صفوان ، فقال : اللهم خذها وأقطع نسلها وسلط عليها آفة ! فأصابها صاعقة فاحترقت فضربتها العرب مثلا .

قال عنترة بن الأعرس الطائي في مرثية خالد بن زيد :

لقد حَلَقْتُ بالجوَدِ عَقَاءَ كَاسِرٍ • كَفَتَّحَاهُ دَغْ حَلَقْتُ بِالْخَزَّوَرِ
فَإِنْ لَهَا بَيْضٌ فَيُعْرِفُ بَيْضُهَا • وَلَا شِبْهَ طَيْرٍ مُنْجِدٍ أَوْ مُقَوِّرِ

- وقولهم : « حَتَّامٌ تَكْرَجُ وَلَا تُنْقَعُ » كَرَجَ إِذَا تَاوَلَ الْمَاءَ فِيهِ مِنْ مَوْضِعِهِ :
يضرب للمريض في جمع الشيء .
وقولهم : « حَسْبُكَ مِنْ إِنْضَاجِهِ أَنْ تَقْتُلَهُ » يضرب لطالب التارفيقول :
لَأَقْتُلَنَّ فَلَنَا وَقَوْمَهُ أَجْمَعِينَ فيقال : لا تعد ، حسبك أن تدرك نارك وطلبتك :
ويضرب لمتجاوز الحد .

حرف الخاء

- وقولهم : « خَيْرَ حَالِيكَ تَنْطَعِدِينَ » : يضرب لمن يكافئ المحسن بالإساءة ،
ومثله : خَيْرَ لِمَاءِيكَ تَكْفَيْتِينَ .
وقولهم : « خَامِرِي أُمَّ عَامِرٍ » معناه آمنتري ؛ وأم عامر : الضبع يشبه بها
الأمحر . ومثله : خَامِرِي حَصْبَاجِرٍ ، أُنَاكَ مَا تَحَاذِرُ ، وهو أسم للذكر والأنثى
من الضبياع .

وقولهم : « خلا لك الجَوْ فبيضى وأصفى » قاله طرفة بن العبد ، وكان في سفر مع عمه فنصب نفقاً للقنابر وثر حباً فلم يصد شيئا ، فلما تحملوا رأى القنابر يلقتن الحب الذى ثره لمن ، فقال في ذلك :

يا لك من قنبرة بعمير • خلا لك الجَوْ فبيضى وأصفى
وقرى ما شئت أن تسمى • قد رحل الصياد عنك فأبشرى
ورق الفخ فاذا تحذرى • لا بد من صيدك يوما فاصبرى
يضرب في الحاجة يتمكن منها صاحبها •

وقولهم : « خلَّع الدرع بيد الزوج » المثل لقاش بنت عمرو بن تغلب بن وائل ، وكان زوجها كعب بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة ، فقال لها : آخلى ؛
فقلت : خلَّع الدرع بيد الزوج ، فقال : آخليه لأنظر إليك ، فقلت : التجرد
لغير النكاح مثله ، فذهبت كلمتها مثلين : يضربان في وضع الشيء في غير موضعه •
وقولهم :

« خَلَّ سَبِيلَ مَنْ وَهَى سِقَاؤُهُ * وَمَنْ هَرِيقَ بِالْقَلَاةِ مَأْوُهُ » :
يُضْرَبُ لِمَنْ كَرِهَ صَحْبَكَ وَزَهَدَ فِيكَ •

وقولهم : « نَحْمُرُ أَيْ الرِّوْقَاءَ لَيْسَتْ تُسْكِرُ » : يُضْرَبُ لِلْفَنَى الَّذِي لَا فَضْلَ لَهُ
على أحد •

حرف الدال

قولهم : « دَمِثْ لِحْنِكَ قَبْلَ النَّوْمِ مُضْطَجِعًا » أى استمعت للنواذب قبل
حلولها ، والتدमित : التلین •

وقولهم : « دَعِ أَمْرًا وَمَا اخْتَارَ » : يُضْرَبُ لِمَنْ لَا يَقْبَلُ النَّصِيحَ ؛

قال الشاعر :

إذا المرءُ لم يدر ما أمكنه • ولم يأت من أمره أزينه
وأعجبهُ العُجبُ فاقْتَنَادَهُ • وتآه به التَّيَهُ فاستحسنه
فدعهُ فقد ساءَ تديرهُ • سيضحكُ يوماً ويُسِيئُ سنهُ

حرف الذال

قولهم : « ذَكَّرَنِي قَوْلُكَ حَمَارَى أَهْلِي » أصله أن رجلاً خرج يطلب حمارين ضالاً له ، فرأى امرأة [متنبية] فأعجبته فلقى الحمارين ، فلما أسفرت عن وجهها رآها قوَّها فقال : ذَكَّرَنِي قَوْلُكَ حَمَارَى أَهْلِي ، وقال :

ليت الثَّغَابُ على النساءِ مُحَرَّمٌ • كي لَا تُفَرِّقِيَهُ إِنْسَانَا

وقولهم : « ذهبوا أَيْلَى سَبَابٍ » ويقال : تفرقوا ، أى تفرقوا تفرقا لا اجتماع

معه .

وقصة سبيلنا تفرقوا بسبب سَيْلِ العَرَمِ مشهورة ، وسند كرها إن شاء الله تعالى

في التاريخ .

وقولهم : « ذهبوا شَعْرَ بَغْرٍ ، وَشَدَّرَ مَدَرٍ ، وَخَدَعَ مَدَعَ » أى فى كل وجه .

وقولهم : « ذَلَّ بعد شِمَاسَةِ الْيَعْفُورِ » : يضرب لمن آتقاد بعد جماحه ؛ واليعفور :

فارس .

وقولهم : « ذَهَبَتْ طُولَا ، وَعَلِمَتْ مَعْقُولَا » : يضرب للطويل بلا طائل .

حرف الراء

وقولهم : « رمئني بدائها وأئسست » أصل هذا المثل : أن سعد بن زيد مناة تزوج رُهم بنة الخزرج ، وكانت من أجمل النساء ، وكان ضرارها إذا سابتها يقلن لها : يا عفلاء ، فقالت لها أمها : إذا سابتك فابديين بذلك ، ففعلت رُهم ذلك مع ضررتها ، فقالت : رمئني بدائها وأئسست ، فذهبت مثلا : يضرب لمن يُعير الآخر بما هو يُعير به .

وقولهم : « رماه بثلاثة الأثافي » وهي قطعة من الجبل يوضع إلى جنبها حجران ويُنصب عليها القدر : يضرب لمن رُمي بداهية عظيمة .

وقولهم : « رَبَّ صَلِّفْ نَحْبَ الرَّاعِدَةِ » الصلف : قلة الخير ، والراعدة : السحابة ذات الرعد : يضرب للبخيل مع السعة .

وقولهم : « رَجَعَ بِحَقِّي حَنِينٌ » أصله أن حُتينا كان إسكافا بالجيلة وساموه أعرابي بخفين فأختلفا حتى أغضبه ، فلما أرتمل الأعرابي أخذ حنين الخفين فألقى أحدهما على طريق الأعرابي ، ثم ألقى الآخر بموضع آخر على طريقه ، فلما مرَّ الأعرابي بالخلف الأول قال : ما أشبه هذا بخنف حنين ولو كانا خفين لأخذتهما ، ثم مرَّ بالآخر فندم على ترك الأول فأناخ راحته وأنصرف إلى الأول وقد كَنَّ له حنين ، فأخذ الراحلة وذهب بها وأقبل الأعرابي إلى أهله ليس معه غير خنفي حنين ، فذهبت مثلا : يضرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيلة .

وقولهم : « رَبَّ سَاجِ لِقَاعِدِ وَآكِلِ غَيْرِ حَامِدِ » أول من قاله النابغة الذبياني ، وكان سبب ذلك أن وفداً وفد إلى النعمان وفيهم رجل من بني عَسَّ يقال

له : شَقِيقٌ ، فأتت عنده ، فلما حبا النعمان الوفود بعث بجباة الى أهله ، فقال النابتة في ذلك :

أَتَى أَهْلَهُ مِنْهُ جِبَاءٌ وَنِعْمَةٌ * وَرُبَّ أَمْرٍ يُسْعَى لِأَخْرَاقِهِد

وقولهم : «رُبَّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ» قاله أكرم بن صيفي ، معناه قد ظهر

- للناس منه أمر أنكره عليه وهم لا يعرفون عنده ؛ وقيل : إن رجلا قال للأحنف ابن قيس : أنا أبغض التمر والزبد ، فقال : ربّ ملوم لا ذنب له .

وقولهم : «رُبَّ كَلِمَةٍ تَقُولُ لِصَاحِبِهَا دَعْنِي» : يضرب في النهي عن الإكثار

خافة الإيجار ؛ ذكروا أن ملكا من ملوك حمير خرج الى الصيد ومعه نديم له فوقفا على صخرة ملساء ، فقال النديم : لو أن إنسانا ذُبِعَ على هذه الصخرة إلى أين كان يبلغ دمه ، فأمر بذبحه ، وقال : ربّ كلمة تقول لصاحبها دعني .

١٠

ومثله قولهم : «رُبَّ رَأْسٍ حَصِيدٍ لِسَانٌ» : يضرب للأمر بالسكوت .

وقولهم : «رُدَّ الْحَجَرُ مِنْ حَيْثُ جَاءَكَ» أي لا تقبل الضيم وأرم من

رمالك .

حرف الزاي

- ١٠ قولهم : «زَيْنٌ فِي عَيْنٍ وَالِدٍ وَلَدُهُ» يضرب في عجب الرجل برهطه .

وقولهم : «زَاحِمٌ بَعْدَ أَوْدَعٍ» أي لا تستعن إلا بأهل السن والتجربة .

وقولهم : «زَوْجٌ مِنْ عُودٍ ، خَيْرٌ مِنْ قُعُودٍ» ، قالته بعض نساء العرب ، قالوا :

كان ذو الإصبع العبدواني غيورا ، وله بنات أربع ، وكان لا يزوجهنّ غيرة عليهنّ ، فأستمع عليهنّ يوما وقد خلونّ يتحدثنّ ، فقالت إحدهنّ : لتقلّ كلّ واحدة منا ما في نفسها ،

ولنصدقن جميعا، فأشتمت كل واحدة من الثلاث زوجا وصفت من جماله وكمال وسعة حاله، ثم أبت الصغرى أن تتكلم، فقالوا: لا بد أن تقول، وألحجن عليها، فقالت: زَوْجٌ مِنْ عُوْدٍ، خَيْرٌ مِنْ قُعُوْدٍ، فزَوَّجَهُنَّ .

وقولهم: «زُرْغَبًا تَزْدَدُ حُبًّا» قاله معاذ بن صرم الخزاعي، وكانت أمه من عك، وكان يكثر من زيارة أخواله، فأقام فيهم زمنا، ثم خرج يتصيد مع بنى أخواله، فحمل على غير، فلحقه ابن خال له يقال له: الفضبان فتخاصما، فقال له الفضبان: والله لو كان فيك خير لما تركت قومك! فقال: زُرْغَبًا، تَزْدَدُ حُبًّا، فأرسلها مثلا، وفي ذلك يقول الشاعر:

إِذَا شِئْتَ أَنْ تُقَلَّ قُرَّرَ مُتَوَالِيَا * وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَزْدَادَ حُبًّا فَزُرْغَبَا

وقال آخر:

عليك يا غباب الزيارة إنها * إذا كثرت كانت إلى المهجر مسلكا
ألم تر أن القطر يسأم دائما * ويسأل بالأيدي إذا هو أمسكا

حرف السين

قولهم: «سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدْلَ» قاله ضبَّة بن أدلم لأمه الناس على قتل قاتل ابنه في الحرم، ويقال: إنه يَنْزُجِمُ بن نوفل الحمداني .

وقولهم: «سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى سِرْحَانٍ» أصله أن رجلا خرج يلتمس العشاء، فوقع على ذئب فأكله، وقال ابن الأعرابي: أصله أن رجلا من بنى غني يقال له: سِرْحَانُ ابن هريرة كان بطلا فأتكا، فقال رجل: والله لأرعبن إلى هذا الوادي! فورد بإبله، فوجد سرحان فقتله، وأخذ إبله وقال:

أَبْلَغُ نَصِيحَةٍ أَنْ رَأَيْتَ أَهْلَهَا * سَقَطَ الْعَشَاءُ بِهِ عَلَى سِرْحَانٍ

سَقَطَ الْعَشَاءُ بِهِ عَلَى مُتَقَمِّرٍ * طَلَّقَ الْيَدَيْنِ مُعَاوِدَ لِيَطْمَانِ

يضرب في طلب الحاجة يؤدى صاحبها إلى التلف .

ومثله قولهم : «سَقَطَ الْعَشَاءُ بِهِ عَلَى مُتَقَمِّرٍ» وهو الأمد .

وقولهم : «سَكَتَ أَثَقًا، وَنَطَقَ خَلَقًا» الخَلْفُ : الردى من القول وغيره .

وقولهم : «سَاءَ سَمْعًا فَأَسَاءَ جَابَةً» أول من قاله سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو أَخُو بَنِي

عَامِرٍ، وَكَانَ قَدْ نَجَحَ بِابْنِهِ أَنْسَرٍ، فَوَقَفَ بِمَزْوَرَةٍ مَكَّةَ، فَأَقْبَلَ الْأَخْنَسَ بْنَ شَرِيقٍ

الْتَقَيْنِي فَقَالَ لَهُ : مِنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : أَجَبِي ! فَقَالَ : حَبَاكَ اللَّهُ يَا فَتَى [أَيْنَ أُمُّكَ؟]

فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا أُمِّي فِي الْبَيْتِ، وَلَكِنِّي أَنُطَلِّقُ إِلَى أُمِّ حَنْظَلَةَ تَطْعُنُ دَقِيقًا،

فَقَالَ أَبُوهُ : سَاءَ سَمْعًا فَأَسَاءَ جَابَةً، فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا .

١٠

وقولهم : «سَحَابٌ نَوْرٌ مَأْوُهُ حَمِيمٌ» : يضرب لمن له لسان لطيف وليس

وراءه خير .

وقولهم : «سَوْءُ الْاسْتِمْسَاكِ خَيْرٌ مِنْ حُسْنِ الصَّرْعَةِ» : معناه حصول

البعض مع الاحتياط خيرٌ من الكلِّ مع التهور .

١١

حرف الشين

قولهم : «شُغِبْتُ فِي الْإِنَاءِ وَشُغِبْتُ فِي الْأَرْضِ» : يضرب لمن يتكلم فيصيب

مرة ويخطئ أخرى .

وقولهم : «شَرِيقٌ بِالرَّيْقِ» أى ضره أقرب الأشياء إلى نفعه .

وقولهم : «شِنْشَنَةٌ أَعْرَفُهَا مِنْ أَنْحَرَمَ» قاله أبو أنحزم الطائى ، وكان له

أين يقال له : أخزم، فأت وترك بنين، فوثبوا على جدهم يوما فأدموه، وكان أبوهم عاقاً له فقال :

إِنْ بَنَى ضَرْجُونِي بِاللَّيْمِ * شَفِئْتُ أَنْ أَعْرِفَهَا مِنْ أَخْزَمِ

والشئنة : الطبيعة والعادة : يضرب في قرب الشبه .

وقولهم : « شَمَّرَ ذَيْلًا ، وَأَدْرَعَ لَيْلًا » : يضرب على الحث في الجدة والطلب .

وقولهم : « شَنْوَةٌ بَيْنَ يَتَامَى رَضْعٍ » الشنوءة : ما يستقذر من القول والفعل : يضرب لقوم اجتمعوا على بغور وفاحشة ليس فيهم مرشد ولا ناه .

وقولهم : « شَيْخٌ بِحُورَانٍ لَهُ الْقَابُ » وبعده * الذئب والعنق والغراب * حوران بأرض الشام : يضرب لمن يظهر للناس العفاف، ومن حقه أن يُحْتَرَزَ منه .

وقولهم : « شَعَلَّ الْحَلَى أَهْلَهُ أَنْ يُعَارَا » : يضرب للسؤل شيئاً هو إليه أحوج من السائل .

وقولهم : « شَبَّ عَمْرُو عَنْ الطُّوقِ » قاله جديمة الأبرش . وعمرو هذا هو ابن أخته وهو عمرو بن عدى بن نصر .

حرف الصاد

قولهم : « صَبْرًا عَلَى مَجَالِمِ الْكِرَامِ » قال ذلك يَسَارُ الْكَوَاعِبُ ، وكان عبداً أسوداً يرمى لأهله إبلاً مخضمة ، وكان معه عبد يراعيه ، فترأه يوماً سائرين بمحذاء الإبل التي يراعيها، فعمد إلى لقوح خيلها في علة، حتى ملأها ثم منى بها، وكان الخفج

(١) كذا بالأصل وهي وإن كانت ذات معنى يتناسب مع السياق إلا أنها لا تسبغ أن تكون محبرة عن المحبة وهي من الإبل ما بين الأزمين إلى المائة، يريد أنه كان يرعى إبلاً بهذا المقدار .

- الرجلين ، حتى أتى بها أبنه مولاہ يسقيها ، وهى راكبة على جملها ، فنظرت إلى رجله فنبست ، ثم شربت اللبن وجرته خيرا ، فانطلق فراحا حتى أتى صاحبه ، فقعى عليه القصة ، فقال : أفسخ بنفسك ولا تسخر ببنات الأحرار ، فقال : والله لقد دحكت إلى دحكة لا أختيها ، يريد : نهكت ، وكان أعجمى اللسان ، ثم بانا فقام خباب في علبة فلاحا ، ثم أتى أبنه مولاہ ، فنبها من نومها فاستيقظت وشربت ، ثم اضطجعت .
- وجلس يسأريأها ، فقالت : ما حاجتك ؟ فقال : ما أعلمك بحاجتى ! فقالت : لا والله ! فاهى ؟ قال ذاك الرجل الذى دحكت إلى . فقالت : حياك الله ، وقامت إلى سفيط لها فانحرجت منه بنجورا ودُهننا طيبا ، وعمدت إلى موسى كانت تحف به الشمر ، وأخذت شجرة فيها نار ، فوضعت عليه البخور ووضعتها تحته ، وطا طأت كأنها تصلح البخور ، فعمدت إلى مذاكيره فمسحتها بالموسى ، فلما أحس بمحرارة الحديد . قال : صبرا على مجامر الكرام ، ثم أومات إلى أنها زهته وقالت : إن هذا دهن طيب إلا أن فيه حرارة فتصبر عليه ، فإن ريح الإبل وريح الإبل وأنا أعافك ، ثم أشتمته الدهن على الموسى ، ورفعت فوضعت بين عينيه فاستلقت بها أنفه . وقالت : قم إلى إبلك يابن الخبيثة ، فأتى صاحبه ، فلما رآه . قال : أمقبل أنت أم مدبر ؟ قال : أنزلك الله ، أو قد عمى بصرك !

- ١٥ إذا لا ترى أنفا ولا أذنين * أما ترى وبأصمة الميتر
- هذا أحد الأقوال فى هذا المثل : يضرب لمن يؤمر بالصبر على ما يكره . ويقال : إن أعرابيا قدم الحضر بابل ، فباعها بمال كثير وأقام الحوائج له ، ففطن قوم من جبرته لما معه من المال ، فعرضوا عليه تزويج جارية وصفوها بالجمال والحسب طمعا فى ماله ، فرغب فيها فزوجه إياها ، ثم آخذوا طعاما وجمعوا الحى ، وجلس الأعرابي فى صدر المجلس ، فأكلوا الطعام وأداروا الكئوس وشرب

الأعرابي، ثم أتوه بكسوة فاحرة، فلبسها وقدموا له شجرة فيها بخور لا عهد له به، وكان لا يلبس السراويل، فلما جلس على المحمرة، سقطت مذاكيره في النار، فظن أن ذلك سنة لا بد منها، وأستحيا أن يكشف ثوبه . فقال : صبرا على مجامر الكرام، فذهبت مثلا وأحترقت مذاكيره، وتفرق القوم، وأرتحل إلى البادية وترك المرأة والمال، فلما وصل إلى قومه وقص عليهم القصة . قالوا : آست لم تعود المحمرة، فذهبت مثلا : يضرب لمن لا قديم له .

وقولهم : « صار الزج قد أدام السنان » : يضرب في سبق المتأخر المتقدم من غير استحقاق لذلك .

وقولهم : « صرح المحض عن الزبد » : يضرب للأمر إذا انكشف وتبين .

وقولهم : « صفة لم يشهدا حاطب » هو حاطب بن أبي بلتعة كان حازما، فباع بعض أهله ببيعة عن فيها حين لم يشهدا حاطب، فصارت مثلا لكل أمر ينبرم دون صاحبه .

حرف الضاد

وقولهم : « ضربه ضرب غرائب الإبل » وذلك أن الغريبة تزدحم على الحياض عند الورود، وصاحب الحوض يطردها ويضربها بسبب إبله : يضرب في دفع الظالم عن ظلمه بأشد ما يمكن .

وقولهم : « ضل الدريص نفعه » الدريص : ولد الفأرة والبربوع والمزة وأشباه ذلك، ونفعه : جمرة : يضرب لمن يئى بأمره ويعد عجة لخصمه، فينتقى عند الحاجة .

وقولهم : « صَلِّ حِلْمَ امْرَأَةٍ فَأَيْنَ عَيْنَاهَا ؟ » أى هَبْ أَنْ عَقَلَهَا ذَهَبَ
فَأَيْنَ ذَهَبَ بِصَرِّهَا ؟ : يضرب في استبعاد عقل الحليم .
وقولهم : « صَائِفُ اللَّيْلِ قَتِيلُ الْمَحَلِّ » : يضرب لمن اضطرب لشيء فغزى
بنفسه في طلبه .

حرف الطاء

وقولهم : « طَوَيْتُهُ عَلَى بِلَالٍ وَعَلَى بُلَيْثَةٍ » قال الشاعر :
وصاحبُ مُرَامِقٍ دَاجِيَتُهُ * عَلَى بِلَالٍ نَفْسُهُ طَوَيْتُهُ
ويقال : طَوَيْتُ السَّقَاءَ عَلَى بُلَيْثَةٍ إِذَا طَوَيْتَهُ وَهُوَ نَدٍ لِأَنَّهُ إِنْ طَوَى يَابِسَا تَكْتُمَرُ ،
وَإِنْ طَوَى نَدِيًّا عَفِنَ : يضرب للرجل يحمل على ما فيه من العيب ؛ قال الشاعر :
ولقد طَوَيْتُكُمْ عَلَى بُلَلَايِكُمْ * وَعَلِمْتُ مَا فِيكُمْ مِنَ الْأَذْرَابِ
فَإِذَا الْقَرَابَةُ لَا تُقَرَّبُ قَاطِعًا * وَإِذَا الْمَوْدَةُ أَقْرَبُ الْأَنْسَابِ
وَالْأَذْرَابِ : جمع ذَرْبٍ وهو الفساد .
وقولهم : « طَوَيْتُهُ عَلَى غَيْرِهِ » : غَرَّ النَّوْبِ : أَثْرَكَرَهُ الْأَوَّلُ : يضرب لمن
يُوَكِّلُ إِلَى رَأْيِهِ وَمَا أَنْطَوَى عَلَيْهِ .

حرف الظاء

١٣

وقولهم : « ظَالِعٌ يَعُودُ كَسِيرًا » : يضرب للضعيف يَنْصُرُ مَنْ هُوَ أَوْ أَوْفَرُ مِنْهُ .
وقولهم : « ظَنَرْتُ رَعُومَ ، خَيْرٌ مِنْ أُمِّ سَوْوَمَ » : الظنر : الحاضنة ، والرءوم :
العطوف ، والسَّوُومَ : الملول : يضرب في عدم الشفقة وقلة الاحتمام .
وقولهم : « ظَاهِرُ الْعِتَابِ خَيْرٌ مِنْ بَاطِنِ الْحَقْدِ » معناه ظاهر .

وقولهم : « ظَلَّالٌ صَيِّفٌ مَالِحًا قَطَارٌ » : يضرب لمن له ثروة ولا يُجِدَى على أحد .

حرف العين

وقولهم : « عند الصباح يَحْمَدُ القَوْمُ السَّرَى » أول من قاله خالد بن الوليد لما بعث إليه أبو بكر رضى الله عنه ، وكان بالجمامة أن يدير إلى العراق ، وثالثه مشقة بسبب العطش ، فأسرى حتى أدرك الماء فقال : عند الصباح يحمد القوم السرى : يضرب لمن يحمل المشقة وجاء الراحة .

وقولهم : « عند جُهَيْنَةَ الخَبِيرِ اليقين » يضرب في معرفة الشيء حقيقة .
وقولهم : « عَيْرَ عَارِهِ وَتَدُّهُ » أى أهلكه ، وأصله أن رجلا أشفق على حماره فربطه إلى وتد ، فهجم عليه السبع فلم يمكنه الفرار فأهلكه .

وقولهم : « عند التَّطَاحِ يَغْلِبُ الكَبْشُ الأَجَمَ » وهو الذى لا قرن له : يضرب لمن غلبه صاحبه بما أعد له .

وقولهم : « على أهلها تَجْنِي بَرَأَشَ » قالوا : كانت براش كلمة لقوم من العرب ، فغير عليهم فهربوا وهى معهم . فنبحت فأتبع القوم آثارهم بنباحها ، فادركوهم فقتلوهم ، ففيها يقول حمزة بن بَيْض :
١٥

بل جناها أخ على كريم * وعلى أهلها برأش تجنى

وقيل في هذا المثل غير ذلك .

وقولهم : « عسَى الغَوَرُ أبْؤَسًا » الغَوَرُ : تصغير غار ، والأبْؤَس : جمع بؤس وهو الشدة ، قاله الزبَاء عند رجوع قَاصِرٍ من العراق ، ومعه الرجال ، وكان الغوير

على طريقه، ومعناه لعل الشرَّ يأتِيكم من قبل الغار : يضرب للرجل يقال له : لعل الشرَّ جاء من قبلك .

وقولهم : «عُشِبٌ وَلَا بَعِيرٌ» : يضرب للرجل له مال كثير ولا ينفقه على نفسه ولا على غيره .

وقولهم : «عَادَ غَيْثٌ عَلَى مَا أَفْسَدَ» : يضرب للرجل فيه فساد ، وصلاحه أَكْثَرُ .

وقولهم : «عاد السهمُ الى التَّزَعَّةِ» أى رجع الحق الى أهله .

وقولهم : «عصا الجبانِ أطول» لأنه يفعل ذلك من فشله ، يرى أن طولها أَشَدُّ ترهيباً لعدوه من قِصرها .

١٠ وقولهم : «على الخبير سَقَطَتْ» المثل لمالك بن جُبَيْرِ العامري ، وتمثل به المرزوق حين لقي الحسين بن علي رضي الله عنهما ، عند مقدمه من العراق وخروج الحسين إليه وقد قال له : ما وراءك؟ فقال : على الخبير سقطت ، فلوبُ الناس معك ، وسيوفهم مع بني أمية ، والنصر من السماء .

وقولهم : «عادة السوءِ شَرٌّ من المَغْرَمِ» معناه أن المَغْرَمَ إذا أذيتَه فارقك ، وعادة السوء لا تفارق صاحبها .

١٥

وقولهم : «بَجَعَ لِمَا عَصَاهُ الظَّعَانُ» أى صاح ، والظعان : نِسْعٌ يُشَدُّ به الهودجُ : يُضْرَبُ لمن يَضْجُ إذا لَزِمَهُ الحق .

وقولهم : «عند الرِّهَانِ تُعْرَفُ السَّوَابِقُ» : يضرب لمن يدعى ما ليس فيه .

وقولهم : «عَادَ الْأَمْرُ إِلَى نَصَابِهِ» : يُضْرَبُ فِي الْأَمْرِ يَتَوَلَّاهُ أَرَابَهُ .

وقولهم : «عَيْنُكَ عَبْرَى وَالْفَوَادُ فِي دَدٍ» الدُّوُّ وَاللَّدُنُّ وَاللَّدَا : اللَّعْبُ وَاللَّهُوُ : يُضْرَبُ لِمَنْ يُظْهِرُ حُرّاً لِحَزَنِكَ وَفِي قَلْبِهِ خِلَافٌ ذَلِكَ .

وقولهم : «عُرْفُطَةُ تُسْقَى مِنَ الْغَوَادِقِ» ويروى : الْغَوَائِقُ ؛ الْعُرْفُطَةُ : شَجَرَةٌ خَشِيشَةُ الْمَسِّ ، وَالْغَوَادِقُ : السَّحَابُ الْكَثِيرُ الْمَاءِ : يُضْرَبُ لِلشَّرِّيرِ يُكْرَمُ وَيُجْبَلُ .

حرف الغين

قولهم : «غَدَّةُ كَفْدَةِ الْبَعِيرِ وَمَوْتُ فِي بَيْتِ سَلُولِيَّةٍ» قاله عامر بن الطفيل ؛ وذلك أنه لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقدم معه أَرْبَدُ بْنُ قَيْسٍ أَخُو لَبِيدِ بْنِ رَبِيعَةَ الْعَامِرِيِّ الشَّاعِرِ لِأَمِهِ ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ قَدْ أَقْبَلَ ، قَالَ : «دَعْنِي فَإِنَّ رَبَّكَ بِهِ خَيْرٌ مِنْ يَدِهِ» فَأَقْبَلَ حَتَّى قَامَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : يَا عَمَّهِ ، مَا لِي إِنْ أَسْلَمْتُ ؟ قَالَ : «لَكَ مَا لِلسَّامِينَ وَعَلَيْكَ مَا عَلَيْهِمْ» قَالَ : تَجْعَلُ لِي الْأَمْرَ بِعَدْلٍ ؟ قَالَ : «لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيَّ إِنَّمَا ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى يَجْعَلُهُ حَيْثُ يَشَاءُ» قَالَ : فَتَجْعَلُنِي عَلَى الْوَبَرِ وَأَنْتَ عَلَى الْمَدَرِ ؟ قَالَ : «لَا» قَالَ : فَمَاذَا تَجْعَلُ لِي ؟ قَالَ : «أَجْعَلُ لَكَ أَعْنَةَ الْخَيْلِ تَغْزُو عَلَيْهَا» ، قَالَ : أَوْ لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيَّ الْيَوْمَ ؟ وَكَانَ قَدْ أَوْصَى إِلَى أَرْبَدِ بْنِ قَيْسٍ : إِذَا رَأَيْتَنِي أَكْتُبُهُ فَعُدْ مِنْ خَلْفِهِ فَأَضْرِبْهُ بِالسَّيْفِ ؛ فَاخْتَرَطَ أَرْبَدُ سَيْفَهُ شَبْرًا فَخَبَسَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى سَلِّهِ ، فَأَلْتَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَى أَرْبَدَ وَمَا يَصْنَعُ بِسَيْفِهِ ، فَقَالَ : «اللَّهُمَّ أَكْفِنِيهِمَا بِمَا شِئْتَ» فَارْسَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَرْبَدٍ صَاعِقَةً فِي يَوْمٍ صَائِفٍ صَاحٍ فَأَحْرَقَتْهُ ، وَوُلَّى عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ هَارِبًا وَقَالَ : يَا عَمَّهِ ، دَعَوْتَ رَبَّكَ فَقَتَلَ أَرْبَدَ ، وَاللَّهُ لَأَمْلَأَنَّهَا عَلَيْكَ خَيْلًا جُرْدًا وَفِيَانَا مُرْدًا ، فَقَالَ :

رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يَمْنَعُكَ اللهُ مِنْ ذَلِكَ [وَابْتِغَايَةَ] " فسار عامر حتى نَزَلَ بَيْتَ امْرَأَةٍ سَلَوِيَّةٍ ، فغَرَجَتْ عَلَى رَكَبَتِهِ غُدَّةً عَظِيمَةً ، فَقَالَ : غُدَّةُ كَعْدَةِ الْبَعِيرِ وَمَوْتُ فِي بَيْتِ سَلَوِيَّةٍ ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ظَهْرِ فَرْسِهِ ، وَسَكُوتُ أَقْلِ الْعَرَبِ وَأَذْلَمُ ، فَسَارَ كَلَامُهُ مِثْلًا : يُضْرَبُ فِي خَصْلَتَيْنِ أَحَدَاهُمَا شَرٌّ مِنَ الْآخَرَى .

- (٢١) وقولهم : « غَرَجَنِي بُرْدَاكَ مِنْ حَدَافِلِي » وروى : من غدافلٍ ، أصل المثل أن رجلاً استعار بُرْدِيَّ امْرَأَةً فَلَبِسَهَا ، وَرَى بِحُلَّتَيْنِ كَانَتْ عَلَيْهِ ، فَأَسْتَرْجَعَتْ الْمَرْأَةُ بُرْدِيَّ فَقَالَ : يُضْرَبُ لِمَنْ ضَيَّعَ مَالَهُ طَمَعًا فِي مَالٍ غَيْرِهِ .

حرف الفاء

- وقولهم : « فِي وَجْهِ الْمَالِ تَعْرِفُ أَمْرَتَهُ » أى نماءه وخيره ، ويقال : أَمِرْتُ أَمْوَالُ بَنِي فُلَانٍ إِذَا نَمَتْ وَكَثُرَتْ : يُضْرَبُ لِمَنْ يُسْتَنْدَلُ بِحَسَنِ ظَاهِرِهِ عَلَى حَسَنِ بَاطِنِهِ .

- وقولهم : « فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الْحَكَمُ » زعمت العرب أن الأرنب أنثى تنقطع تمررة فاختلسها الثعلب فأكلها ، فانطلقا يختصمان إلى الضبِّ ، فقالت الأرنب : يَا أَبَا الْحَسَلِ ، قَالَ : سَمِعْتُ دَعْوَتَ ، قَالَتْ : أَتَيْنَاكَ لِنُخْتَصِمَ إِلَيْكَ ، قَالَ : عَادِلًا حَكَمًا ، قَالَتْ : فَأَخْرِجْ إِلَيْنَا ، قَالَ : فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الْحَكَمُ ، قَالَتْ : إِنِّي وَجَدْتُ تَمْرَةً ، قَالَ : حُلُوَّةٌ فَكَلَّيْهَا ، قَالَتْ : فَاخْتَلَسَهَا الثَّعْلَبُ ، قَالَ : لِنَفْسِهِ بَقِي الْخَيْرُ ، قَالَتْ : لَطَمْتُهُ ، قَالَ :

(١) الزيادة عن الميداني ويريد بهما في الحديث الأوس والخزرج (ج ٢ ص ٣) .

(٢) في اللسان مادة " غدل " وجمع الأمثال للميداني : « برداك » بفتح الكاف . وورد في القاموس وشرحه بفتح الكاف وكسرهما فرباية الفتح على أنه قاله امرأة رأت على رجل يردن فترويته طامعة في ساره فألفته مصرا . والكسر على أن قاله رجل استعار من امرأة برديا ... الخ .

بِحَقِّكَ أَخَذْتِ، قَالَتْ : لَطَمَتْنِي، قَالَ : حَرَّاتُصِرْ، قَالَتْ : فَاغْضُ بَيْنَنَا، قَالَ :
حَدَّثَ حَدِيثَيْنِ أَمْرَاءَ، فَإِنْ آبَتْ فَارْبَعَةً، فَذَهَبَتْ أَقْوَالُهُ كُلُّهَا أَمْثَالًا .

وقولهم : « فُتِّي وَلَا كَمَالِكَ » قَالَهُ مُتَمِّمٌ بْنُ نُوَيْرَةَ فِي أَخِيهِ مَالِكٍ لَمَّا قُتِلَ .

وقولهم : « فِي دُونِ هَذَا مَا تُنْكِرُ الْمَرْأَةُ صَاحِبَهَا » أَوَّلُ مِنْ قَالَهُ جَارِيَةٌ مِنْ مَرْثِيَّةٍ،
قَالَ الْحَكَمُ بْنُ حَمْزَرٍ الثَّقَفِيُّ : خَرَجْتُ مُتَفَرِّدًا فَرَأَيْتُ بِهَامِرَةَ (وَامْرَأَةً مَوْضِعَ) جَارِيَتَيْنِ
أُخْتَيْنِ لَمْ أَرَبِكْهُمَا، فَكَسَوْتُهُمَا وَأَحْسَنْتُ إِلَيْهِمَا، قَالَ : ثُمَّ حَجَجْتُ مِنْ قَابِلٍ وَمَعِيَ
أَهْلِي، وَقَدْ أَعْلَنْتُ وَنَصَلْتُ خَضَابِي، فَلَمَّا صَرْتُ بِهَامِرَةَ، إِذَا إِحْدَاهُمَا قَدْ جَاءَتْ،
فَسَأَلْتُ سُؤَالَ مُنْكَرَةٍ، قَالَ فَقُلْتُ : فَلَانَةُ ؟ قَالَتْ : قَدَى لَكَ أَبِي وَأُمِّي، أُنِّي تَعْرِفُنِي
وَأُنْكَرُكَ ؟ قَالَ فَقُلْتُ : أَنَا الْحَكَمُ بْنُ حَمْزَرٍ، قَالَتْ : رَأَيْتُكَ حَامًا أَوَّلَ شَابًّا سَوْفَةً،
وَأَرَاكَ الْعَامَ شَيْخًا مَلِكًا، وَفِي دُونِ هَذَا مَا تُنْكِرُ الْمَرْأَةُ صَاحِبَهَا، فَذَهَبَتْ مِثْلًا، قَالَ
قُلْتُ : مَا فَعَلْتُ أَخْتُكَ ؟ قَالَ : فَتَنَّفَسْتُ الصُّعْدَاءَ، وَقَالَتْ : تَزَوَّجَهَا أَبْنِ عَمِّ لَهَا
وَذَهَبَ بِهَا، فَذَلِكَ حَيْثُ تَقُولُ :

إِذَا مَا قَفَلْنَا نَحْوًا تَجِدُ وَأَهْلَهَا * غَسَبِي مِنَ الدُّنْيَا قُفُولٌ إِلَى نَجْدِ

قَالَ قُلْتُ : أَمَّا إِنِّي لَوْ أَدْرَكْتُهَا لَتَزَوَّجْتُهَا، قَالَتْ : وَمَا يَمْنَعُكَ مِنْ شَرِيكَتِهَا
فِي حَسَنِهَا وَجَمَالِهَا وَشَقِيقَتِهَا ؟ قَالَ قُلْتُ : يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ كَثِيرٍ حَيْثُ يَقُولُ :

إِذَا وَصَلْنَا خُلَّةً كَى تَزِيلُنَا * أَبِينَا وَقَلْنَا الْحَاجِيَّةَ أَوَّلَ

فَقَالَتْ : كَثِيرٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، أَلَيْسَ الَّذِي يَقُولُ :

هَلْ وَصَلَ عَزَّةٌ إِلَّا وَصَلَ غَانِيَةٌ * فِي وَصَلَ غَانِيَةٌ مِنْ وَصَلِهَا خَلْفٌ

(١) هذه العبارة لم ترد في الميداني في شرح هذا المثل وهي نائية هنا عن السياق، وقد أوردته الميداني
في حرف الخاء على أنها مثل مستقل وقال إن المراد أن تكرر لراة إذا حدثتها الحديث مرتين فإن لم يفهم
فرد : وهو مثل يضرب في سوء السمع والإجابة .

قال : فتركت جوابها جيا .

وقولهم : « فأنك واثقة برى » زعموا أن امرأة كثر لبها وطفقت تهريقه ، فقال لها زوجها : لم تهريقيه ؟ فقالت : فأنك واثقة برى : يضرب للفسد الذى وراء ظهره ميسرة .

حرف القاف

قولهم : « قطعت جَهِيْزَةً قَوْلَ كُلِّ خَطِيْبٍ » أصله أن قوما اجتمعوا يخطبون في صلح بين حيين ، قتل أحدهما من الآخر قتيلًا ليرضوا بالدية ، فبينما هم في ذلك ، إذ جاءت أمة يقال لها : جَهِيْزَةٌ ، فقالت : إن القاتل قد ظفر به بعض أولياء المقتول فقتله ، فقالوا : قطعت جَهِيْزَةً قَوْلَ كُلِّ خَطِيْبٍ : يضرب لمن يقطع على الناس ما هم فيه بجهله .

وقولهم : « قَبْلَ الْبُكَاءِ كَانَ وَجْهَكَ عَابِسًا » : يضرب للبخل يعتل بالإعدام ، ومثله : « قَبْلَ النَّفَاسِ كُنْتَ مُصَفَّرَةً » .

وقولهم : « قَلْبَ الْأَمْرِ ظَهَرَ لِبَطْنٍ » : يضرب في حسن التدبير .

وقولهم : « قَدْ شَمَرَتْ عَنْ سَاقِهَا فَشَمَرَى » : يضرب في الحث على الجذ في الأمر .

وقولهم : « قَدْ يَضْرِبُ الْعَيْرَ وَالْمِكْوَةَ فِي النَّارِ » قال عُرْقُطَةُ بْنُ عَرَبَجَةَ سَيْدُ بَنِي هِزَانَ ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَصَيْنِ بْنِ نَيْتِ الْعُكْلِيِّ حُرُوبٌ وَوَقَائِعٌ ، فَكُتِلَ عُكْلُ رَجُلًا مِنْ بَنِي هِزَانَ . وَأَسْرَ عُرْقُطَةُ بْنُ عُكْلٍ رَجُلَيْنِ ، فَقَالَ لَهَا : أَيُّكُمْ أَفْضَلُ لِأَقْتُلَهُ بِصَاحِبِنَا ؟ فَعَمِلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَخْبِرُ أَنَّ صَاحِبَهُ أَكْرَمُ مِنْهُ ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهِمَا

جميعا، فقدم أحدهما للقتل، فجعل الآخر يضرب، فقال عرقطة : قد يضرب العير
والمكواة في النار، فأرسلها مثلا : يضرب للرجل يخوف بالأمر فيجزع قبل
وقوعه . وهذا أحد الأقوال فيه ؛ وقيل غير ذلك .

وقولهم : « قد بين الصبح لذي عينين » : يضرب في ظهور الأمر كل
الظهور .

وقولهم : « قد أنصف القارة من راماها » القارة : قبيلة قد تقدم ذكرها
في الأنساب .

وقولهم : « قبل الزماء تملأ الكائن » أى تؤخذ أهبة الأمر قبل وقومه .
ومثله . « قبل الرمي رُاش السهم » : يضرب في تهينة الآلة قبل الحاجة
اليها .

وقولهم : « قلب له ظهر المحجن » : يضرب لمن كان لصاحبه على مودة،
ثم حال عن عهده .

وقولهم : « قد ألقى عصاه » إذا استقر من سفر أو غيره ؛ يقال : إنه لما بويج
لأبي العباس السفاح . قام خطيبا فسقط القضيب من يده ، فقام رجل من القوم
وأشدد :

فألق عصاها واستقر بها النوى . كما قرعنا بالإياب المسافر
وقولهم : « قد وثى طرفاه » : يضرب لمن ذل وضعف عن أن يتم له أمر ؛
قال النجاشي :

وإن فلانا والإمارة كالذئ * وثى طرفاه بعد ما كان أجدا

وقولهم : « قُدَّتْ سيورُهُ من أدِيمِكَ » يضرب للشين يستويان
في الشبه قال الشاعر :

« وقُدَّتْ من أدِيمِهِم سيورى »

وقولهم : « قد بَلَغَ الشِّظَاظُ الورَكَيْنِ » الشِّظَاظُ : عُوْدٌ يُجْعَلُ في عروة
الجوارح : يضرب فيما جاوز الحد ، وهو كقولهم : جاوز الحزامَ الطُّيَيْنَ .

حرف الكاف

قولهم : « كان كُرَاعًا ، فصَارَ ذِرَاعًا » : يضرب للذليل الضعيف صار
عزيزاً قوياً .

وقولهم : « كَلَامٌ كَالْعَسَلِ ، وَهَلْ كَالْأَسَلِ » : يضرب في اختلاف القول
والفعل .

وقولهم : « كُنْتَ تَبْرِكِي من الأثرِ العافِي فقد لاقَيْتِ أَخْذودَا » : يضرب
لمن يشكو القليل من الشر ثم يقع في الكثير .

وقولهم : « كُلَّ ذاتِ بعلٍ سَتَتِمْ » هذا من أمثال أكرم بن صيفى ؛ قال
الشاعر :

أفاطم إني هالك فتنبتني « ولا تجزعى كل النساء تئيم
أى ستفارق زوجها .

وقولهم : « كُلَّ أَرْبَ نَفُورٍ » قاله زهير بن جَذِيمَةَ لأخيه أميد ، ونذكر الخبر
في وقائع العرب .

وقولهم : « كُلَّ فتاةٍ بأبيها مُعجَبة » : يضرب في عجب الرجل بمشירתه ورهطه .

وقولهم : « كَلَّ الصَّيْدُ فِي جَوْفِ الْفَرَا » الفراء : الحمار الوحشي ، أصل المثل أن ثلاثة نفر خرجوا متصيديّن ، فأصطاد أحدهم أرنباً ، والآخريّين ، والثالث حمّاراً ، فطاولوا عليه بصيدهما ، فقال : كل الصيد في جوف الفراء : يضرب لمن يفضل على أقرانه ، وقد تمثّل به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقولهم : « كَدَمْتَ غَيْرَ مَكْدَمٍ » : يضرب لمن يطلب شيئاً في غير مطلبه .

وقولهم : « كَالثَّوْرِ يُضْرَبُ لَمَّا عَافَتِ الْبَقْرُ » : يضرب في عقوبة البرىء .
بذنب المجرم ، ويأتى ذكر ذلك في أوابد العرب .

وقولهم : « كَالْكَبْشِ يَحْمِلُ شَفْرَةً وَزَنَاداً » : يضرب لمن يتمزق للهلاك .

وقولهم : « كَالْمُسْتَغِيثِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ » : يضرب في الخلتين يجمعان على الرجل .

وقولهم : « كَالْقَابِسِ الْعَجَلَانَ » : يضرب لمن عجل في طلب حاجته .

وقولهم : « كَلَاهُمَا وَتَمَرَا » أول من قاله عمرو بن حمران الجعدي ، وذلك أنه مرّ برجل وبين يديه زُبد وسَنَام وتَمَر ، فقال : ألتنى ممّا بين يديك ، فقال : أيّما أحبّ إليك أزُبد أم سَنَام ؟ فقال : كلاهما وتَمَر ، فسارت مثلاً .

وقولهم : « كَالْبَاحِثِ عَنِ الْمُنْدِيَةِ » يقال : إن رجلاً وجد صيداً ، ولم يكن معه ما يذبحه به ، فبحث الصيد بأظلافه في الأرض ، فسقط على شفرة فذبحه بها . يضرب في طلب الشيء يؤدى صاحبه إلى تلف النفس .

وقولهم : « كَذَى الْعُرْيُكُوى غَيْرُهُ وَهُوَ رَاتِعٌ » : يضرب في أخذ البرىء .
بذنب البلى ، ويأتى ذكره في أوابد العرب .

وقولهم : « كالمحتاض على عَرَض السراب » : يُضْرَب لمن يطعم في محال .
 وقولهم : « كُلُّ لِيَالِيهِ لَنَا حَنَادُس » : يُضْرَب لمن لا يصل إليك منه إلا ما تكره .

حرف اللام

①

قولهم : « لَوْ ذَاتِ سِوَارٍ لَطَمَتْنِي » معناه لو ظلمني من كان كفأ لي
 لمان علي ، ولكن ظلمني من هو دوني ، وهو كقول بعضهم :

فلو أني بُلِيتُ بهاشمي • خؤولته بنو عبد المَدَانِ

لمان علي ما ألقى ولكن • تمالى فانظري بمن آبتلاني

وقولهم : « لَوْ غَيْرَ ذَاتِ سِوَارٍ لَطَمَتْنِي » روى الأصمعي أن حاتم الطائي
 مرَّ ببلاد عترة في بعض الأشهر الحرم فناداه أسيرهم : يَا أَبَا سَفَانَةَ : أَكَلْتِ الْإِسَارَ
 وَالْقَمَلَ ، فقال : وَيْحَكَ ! أَسَأْتُ إِذَا تَوَهَّتَ بِاسْمِي فِي غَيْرِ بِلَادٍ قَوْمِي ، فَسَاوِمِ الْقَوْمِ بِهِ
 ثُمَّ قَالَ : أَطْلُقُوهُ وَأَجْعَلُوا يَدِي فِي الْفِدَا مَكَانَهُ ، ففعلوا ذلك ، ثم جاءت أمراة ببيعير
 ليفصده فتحره فلطمته فقال : لَوْ غَيْرَ ذَاتِ سِوَارٍ لَطَمَتْنِي ، يعني أني لا أقصص من
 النساء ، ثم عُرِفَ ، ففدى نفسه فداءً عظيماً .

وقولهم : « لَوْ تَرَكْتُ الْقَطَا لَيْلًا لَنَامَ » قالته أمراة عمرو بن مامة ، وقد نزل عليه
 قوم من مُرَادٍ ، فطرقوه ليلاً ، فأثاروا القطا ، فرأته أمراة فنبهته فقال : إِنَّمَا هَذَا
 الْقَطَا ، فَقَالَتْ : لَوْ تَرَكْتُ الْقَطَا لَيْلًا لَنَامَ ، فسار مثلاً : يُضْرَب لمن حُلَّ على مكروه
 من غير إرادته ، وقيل : إِنْ أَلَّتْ قَالَتْ لَهُ حَنَامٍ بِنْتُ الرِّيَّانِ .

وقولهم : « لَيْسَتْ لَهُ جِلْدٌ النَّمِرِ » : يُضْرَب في إظهار العداوة وكشفها .

(١) كذا في الميدان . وفي الأصل : « لبس لهم ... الخ » .

وقولهم : «لقد ذَلَّ من بالث عليه الثعالب» أصله أن رجلا من العرب كان يبعد صخا، بغاء ثعلب فبال عليه، فقال في ذلك :

أربُّ يبول الثُعْلَابُ^(١) برأسه * لقد ذَلَّ من بالث عليه الثعالبُ

وقولهم : «ليس هذا بعشك فأدرجى» : يُضرب لمن يرفع نفسه فوق قدره .

وقولهم : «لم أجذ لشقرقى محزًا» : يُضرب عذرا في تعذر الحاجة .

وقولهم : «لو سئلت العارية أين تذهين لقاتل أكسبُ أهلى ذمًا» هذا من كلام أكرم بن صيفى : يُضرب في سوء الجزاء للنم .

وقولهم : «ليس من العذل، سرعة العذل» أى لا ينبغي أن تعجل بالعذل قبل أن تعرف العذر .

وقولهم : «ليس القدامى كانوا فى» : يُضرب عند التفضيل .

وقولهم : «لو كويت على داء لم أكره» أى لو عوتيت على ذنب ما امتعصتُ .

وقولهم : «ليس على الشرق طعناً يحجب» أى ليس على الشمس سحاب : يُضرب في الأمر المشهور الذى لا يخفى على أحد .

وقولهم : «لا كوينه كية المتلوم» أى يكأ بليفا، والمتلوم : الذى يتبع الداء حتى يعلم مكانه ؛ يُضرب في التهديد الشديد .

وقولهم : «لأمر ما جدع قصير أنفه» قاله الزبأ لما رأت قصيرا مجدوعا، وخبره يأتى في باب المكاييد .

(١) الثعلبان : ذكر الثعلب، كالأصوان : لذكر الأفعى، والمقربان : لذكر المقارب .

حرف الميم

قولهم: «ما تنفع الشَّفْعَةُ في الوادئ الرَّغْبُ» الشَّفْعَةُ: المطرة الهينة، والرَّغْبُ: الواسع. يضرب للذي يعطيك قليلا لا يقع منك موقعا.

وقولهم: «ما وراءك يا عصام» يقال: أقول من قال ذلك الحارث بن عمرو ملك كندة، وذلك أنه بلغه بحال أبنه عَوْف بن حُحْم فأرسل إليها امرأة ذات عقل ولسان، يقال لها: عصام، وقال: أذهبي لتعلميني بحالها، فلما انتهت إليها ونظرتها خرجت وهي تقول: «تَرَكَ الخُداع، مَنْ كَشَفَ القِناع» فذهبت مثلا، ثم عادت إليه، فقال لها: ما وراءك يا عصام؟ فقالت: «صَرَحَ المحض عن الزُّبد» فأرسلتها مثلا، وساق الميداني على هذا المثل كلاما طويلا قائمه عصام في وصف أعضاء المخطوبة.

وقولهم: «ما يوم حَلِيمَةٍ بِسَرٍّ» هي حليلة بنت الحارث بن أبي شير، كان أبوها وجه جيشا إلى المنذر بن ماء السماء فأخرجت لهم طيبا في مِرْكَنٍ فطيبتهم، فلما انتهت إلى ليبد بن عمرو وذهبت لتُخلِّقه قبلها، فلطمته وأنت أباه، فقال لها: ويلك! أسكتي عنه، فهو أرواحهم عندي ذكاء فؤاد، وإن مرسله، فإن قُتل فقد كفى الله شره، فسار إلى المنذر بالجيش، فقتلوا المنذر وكان يوما مشهورا، فقبل فيه: ما يوم حليلة بسر.

وقولهم: «ما أشبه الليلة بالبارحة» أي ما أشبه بعض القوم ببعض. وقولهم: «مرعى ولا كالسعدان» قالوا: السعدان أخضر العشب لبناء، ومنايته السهول. يضرب مثلا للشيء يفضل على أقرانه وأشكاله، وأقول من قال المثل: خنساء بنت عمرو بن الشريد، وقيل: بل قائمه امرأة من طيء تزوجها

(١٧)

أمرؤ القيس بن مجمر الكندي فقال لها : أين أنا من زوجك الأول ؟ فقالت :
مرعى ولا كالسعدان ، أى إنك إن كنت رضىا فليست كغفلان .

وقولهم : « ماء ولا كصداء » صداء : ركية عذبة ؛ قال ضرار السعدى :

وإنى وتيمى بزنب كالذى • تطلب من أحواض صداء مشربا

• معناه أنه لا يصل إليها إلا بالزاحمة لفراط حسنها ، كالذى يرد الماء فإنه يراحم عليه
لفراط عذوبته .

وقولهم : « مح السيف ما قال ابن دارة أجمعا » هو سالم بن دارة الغطفاني ؛
ودارة : أمه ، وكان قد هجا بعض بنى فزارة فأغتاله زميل فقتله ، ففيه يقول الكيث
فلا تكثروا فيه الضجاج فإنه • مح السيف ما قال ابن دارة أجمعا

وقولهم : « ملكت فأصبح » الإصحاح : حسن العفو ، أى ملكت الأمر فاحسن
العفو ؛ وقد تمثل به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض غزواته ؛ ونذكر الخبير
فى ذلك فى المغازى .

وقولهم : « من ينكح الحسناء يعط مهرها » أى من طلب حاجة بذل ماله فيها .

وقولهم : « من سره بنوه ساءته نفسه » قاله ضرار بن عمرو الضبي : وكان
ولده ثلاثة عشر رجلا ، كلهم قد غزا ورأس فرأهم يوما وأولادهم ، فعلم أنهم لم يبالغوا
هذه الأستان إلا مع كبر سنه ، فقال : من سره بنوه ساءته نفسه ، فارسلها مثلا .

وقولهم : « من أشبه أباه فإ ظلم » معناه ظاهرا .

وقولهم : « من ير يوما يره » قاله كئحب بن شؤبوب الأسدى ، وكان يُعير على
طبي وحده ، فدعا حارث بن لأم رجلا من قومه يقال له : عترم ، فقال له : أما تستطيع

أن تكفني مؤونة هذا الخبيث؟ فقال : بلى ، فأرسل عشرة عيون عليه ، فصلبوا مكانه فانطلق إليه عترم فوجده نائماً في ظل أراكية فنزل ومعه آخر فأخذ كل واحد منهما بإحدى يديه فانتبه فترع يده اليمنى من تمسكها وقبض على حلق الآخر فقتله وبادر الباقيون فأخذوه وشدوه وثاقاً وأتوا به حائرة ، فقال له : يا كلب ، إن كنت أسيراً فطالما أسرته ، فقال : من ير يوماً ير به ، فأرسلها مثلاً ؛ وقال حوذة وهو آبن المقتول :
لحارثة : أعطنيه أقتله بأبي ، فقال : دونك ! وجعلوا يتكلمون وهو يعالج كتابه حتى انحل ، ثم وثب على رجله فأتبعوه بالخليل فأعجزهم .

وقولهم : « من سلك الجدد آمن العثار » الجدد : الأرض المستوية : يضرب في طلب العافية .

وقولهم : « من يشتري سيفي وهذا أثره » : قاله الحارث بن ظالم ، وذلك أنه لما قتل خالد بن جعفر بن كلاب بزهير بن جذيمة العبسي على ما ذكره إن شاء الله في وقائع العرب وهرب . فوجه النعمان فوارس في طلبه فأدركه سحرًا فعطف عليهم وقتل منهم جماعة وكرأوا عليه فجعل لا يقصد جماعة إلا فرقها وهو يقول : من يشتري سيفي وهذا أثره ، فارتدعوا عنه وأنصرفوا إلى النعمان .

وقولهم : « من مال جعد وجعد غير محمود » قاله جعد بن الحصين أبو حضر ابن جعد الشاعر ، وكان قد كبر ففتق عنه بنوه وأهله . وبقيت له جارية سوداء تحمده ، فملقت بقى من الحى يقال له : عرابية ، فجعلت تنقل إليه ما في بيت جعد ، ففطن جعد لذلك ، فقال في ذلك :

أبلغ لديك بن عمسرو مغللة^(١) » عبداً وعوقفاً وما قولى بمردود

بأن يبقى أمسى وفق داهية » سوداء قد وعدتني شر موعود

(١) كذا في أبيهاني : وفي الأسن : « فود » .

تُعْطَى عَرَابَةٌ بِالْكَتْمَيْنِ مُجْتَمَعًا ۖ مِنْ الْخَلْقِ وَتُعْطَيْنِي عَلَى الْعَوْدِ
أَمْسَى عَرَابَةٌ ذَا مَالٍ يُسَرِّبُهُ ۖ مِنْ مَالٍ جَمِيدٍ وَجَعَدْتُ غَيْرَ مَجُودٍ
يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ يَصَابُ مِنْ مَالِهِ وَيَذَمُّ .

وقولهم : « من مَأْمَنَهُ يُؤَوِّي الْحَدِيثَ » قاله أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِي .

وقولهم : « من يَمْشِي يَرْضَى بِمَا رَكِبَ » : يَضْرَبُ لِلَّذِي يَضْطَرُّ إِلَى مَا كَانَ
يَرْغَبُ عَنْهُ .

وقولهم : « من يَلْقَى أَبْطَالَ الرِّجَالِ يُكَلِّمَ » قاله عَقِيلُ بْنُ عَلْقَمَةَ الْمُرِّي،
وَقَدْ رَمَاهُ غَمَلَسُ ابْنِهِ بِسَهْمٍ فَنَلَّ نَخْدِيهَ ، فَقَالَ أَيْبَاءُ مِنْهَا :

إِنِّي بَنِي زَقْلُونِي بِالْدمِ ۖ شَيْشِيئَةً أَعْرِفُهَا مِنْ أَنْزِمِ
« مِنْ يَلْقَى أَبْطَالَ الرِّجَالِ يُكَلِّمِ » .

وقولهم : « مَنْ لَا يَذُدُّ عَنْ حَوْضِهِ يَهْدِمُ » أَيْ مِنْ لَمْ يَدْفَعْ عَنْ نَفْسِهِ يُظْلَمُ ،
قَالَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُئْمَى .

وقولهم : « مُكْرَهُ أَخْوَاكَ لَا بَطْلَ » قَالَ أَبُو حَنْشَلٍ خَالَ تَيْمَسَ : يُضْرَبُ لِمَنْ
يُجَلُّ عَلَى مَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ .

وقولهم : « مَنْ نَامَ لَا يَسْعُرُ بِشَجْوِ الْأَرَقِ » : يُضْرَبُ لِمَنْ غَفَلَ عَمَّا يَعْنِيهِ
صَاحِبُهُ مِنَ الْمَشَقَّةِ .

حرف النون

وقولهم : « نَفْسُ عَصَامٍ سَوْدَتْ عَصَامًا » هُوَ عَصَامُ بْنُ شَهْرٍ حَاجِبُ النُّعْمَانِ
ابْنِ الْمُنْذَرِ : يُضْرَبُ فِي نِبَاهَةِ الرَّجُلِ مِنْ غَيْرِ قَدِيمٍ ، وَقِيلَ فِي هَذَا :

نَفْسُ عَصَامٍ سَوَّدَتْ عَصَامَا * وَعَلَّشَهُ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامَا
* وَصَيَّرَتْهُ مَلِكَا مُهَامَا *

وقولهم: «نَظَرَةٌ مِنْ ذِي عَالَى» أى من ذى هوى : يضرب لمن ينظر بؤذ.

وقولهم: «نَزَّتْ بِهِ الْبَطْنَةُ»: يضرب لمن لا يحتمل النعمة؛

قال الشاعر:

فَلَا تَكُونَنَّ كَالنَّازِي يَبْطِنُهُ * بَيْنَ الْقَرِينَيْنِ حَتَّى ظَلَّ مَقْرُونَا

وقولهم: «نَجَوْتُ وَأَرْهَنْتُهُمْ مَالَكَا» قال عبد الله بن هَمَّامٍ السَّلُولِيّ:

فَلَمَّا خَشِيتُ أَظْفَارَهُمْ «نَجَوْتُ وَأَرْهَنْتُهُمْ مَالَكَا

يُضْرَبُ لِمَنْ يَنْجُو مِنْ هَلَكَةٍ نَسَبَ فِيهَا شُرَكَاءَهُ وَأَعْمَاجَهُ .

وقولهم: «نَامَ عَصَامٌ سَاعَةَ الرَّحِيلِ»: يضرب لمن طلب الأمر بعد ما ولى .

حرف الهاء

قولهم «هُدْنَةٌ عَلَى دَخْنٍ» .

وقولهم: «هَذَا أَوْأَنُ شَدَّكُمْ فَشُدُّوا» .

ومثله قولهم: «هَذَا أَوْأَنُ الشَّدِّ فَاشْتَدَّى زَيْمٌ» قال الأصمعيّ: زَيْمٌ أَسَمٌ

فَرَسٌ: يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ يُؤْمَرُ بِالْجَدِّ .

وقولهم: «هُوَ عَلَى حَبَلٍ ذِرَاعَكَ» أى الأمر فيه إليك: يُضْرَبُ فِي قَرَبِ

الْمُتَنَاوَلِ؛ وَحَبْلُ الذِّرَاعِ: عَرْقٌ فِي الْيَدِ .

وقولهم: «هَانَ عَلَى الْأَمْلَسِ مَا لَاقَى الدَّيْرَ»: يضرب فى سوء اهتمام الرجل

بشأن صاحبه .

وقولهم : « هو بين حاذف وقاذف » الحاذف بالعصا ، والقاذف بالحصى :
يُضْرَبُ لِمَنْ هُوَ بَيْنَ الشَّرِّينِ .

وقولهم : « هو على طَرْفِ الثَّامِ » الثَّامُ : نبت ضعيف سهل المُتَنَاوِلُ تُسَدُّ بِهِ
خِصَامُ الْبُيُوتِ ، وَرَبَّمَا حُشِبَتْ بِهِ الْخِثَابُ قَالُوا : إِنَّهُ يَنْبَغِي عَلَى قَدْرِ قَامَةِ الْإِنْسَانِ :
يُضْرَبُ فِي تَسْهِيلِ الْحَاجَةِ وَقَرَبِ النَّجَاحِ .

وقولهم : « هِيَ انْتَرُكْنِي الْطَّلَاءُ » : يَضْرَبُ لِلْأَمْرِ ظَاهِرُهُ حَسَنٌ وَبَاطِنُهُ
عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ .

حرف الواو

قولهم : « وَاَفَقَ شَنْ طَبَقَةً » قَالَ الشَّرْقِيُّ بْنُ الْقَطَامِيِّ : كَانَ رَجُلٌ مِنْ دِهَاقِ الْعَرَبِ
وَعُقَلَانُهُمْ يُقَالُ لَهُ : شَنْ ، قَالَ أَنَّهُ يَطُوفُ الْبِلَادَ حَتَّى يَجِدَ أَمْرًا مِثْلَهُ فَيَتَرَجَّعُهَا ، فَبَيْنَا
هُوَ فِي بَعْضِ سَبِيلِهِ إِذْ وَاَفَقَهُ رَجُلٌ فِي الطَّرِيقِ فَسَارَا جَمِيعًا ، فَقَالَ لَهُ شَنْ : اَتَحْمِلُنِي
أَمْ أَحْمِلُكَ ؟ فَقَالَ : أَنَا رَاكِبٌ وَأَنْتَ رَاكِبٌ ، فَكَيْفَ تَحْمِلُنِي أَوْ أَحْمِلُكَ ! ثُمَّ سَارَا فَاتَّهَبَا
إِلَى زَرْعٍ قَدْ اسْتَحْصَدَا ، فَقَالَ شَنْ : أَرَى هَذَا الزَّرْعَ أَكَلَّ أَمْ لَا ؟ فَقَالَ : لَمْ أَرِ
أَجْهَلَ مِنْكَ ، بَتْنَا مُسْتَحْصِدَا فَنَقُولُ : أَكَلَّ أَمْ لَا ! فَسَكَتَ ، ثُمَّ سَارَا حَتَّى دَخَلَا الْقَرْيَةَ
فَلَقِيَا جَنَازَةً ، فَقَالَ شَنْ : أَرَى صَاحِبَ هَذَا النَّمَشِ حَيًّا أَمْ مَيِّتًا ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ :
تَرَى جَنَازَةً تَسْأَلُ عَنْهَا أَمِيتَ صَاحِبَهَا أَمْ حَيٌّ ! فَسَكَتَ عَنْهُ شَنْ وَأَرَادَ مَفَارَقَتَهُ فَأَبَى
أَنْ يَتْرَكَهُ سَارَ بِهِ إِلَى مَتْلِهِ ، وَكَانَ لِلرَّجُلِ بِنْتُ يُقَالُ لَهَا : طَبَقَةٌ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِمَا أَبُوهَا
سَأَلَتْهُ عَنْ ضَيْفِهِ ، فَقَالَ : مَا رَأَيْتُ أَجْهَلَ مِنْهُ ، وَحَدَّثَهَا بِحَدِيثِهِ ، فَقَالَتْ : يَا أَبْتَ
مَا هَذَا بِجَاهِلٍ ، قَوْلُهُ : اَتَحْمِلُنِي أَوْ أَحْمِلُكَ ؟ أَرَادَ اَتَحَدَّثُنِي أَمْ أَحَدَّثَكَ ، وَأَمَّا قَوْلُهُ :
أَرَى هَذَا الزَّرْعَ أَكَلَّ أَمْ لَا ؟ فَأَرَادَ هَلْ بَاعَهُ أَهْلُهُ فَأَكَلُوا شَيْئًا أَمْ لَا ؟ وَأَمَّا الْجَنَازَةُ

- فأراد هل ترك عقبا يحيا بهم ذكره أم لا؟ فخرج الرجل فقعده مع شَنٍّ فخادته، وقال له :
 أحب أن أفسرك ما سألتني؟ قال : نعم ، ففسره ، فقال شَنٍّ : ما هذا من كلامك ،
 فأخبرني مَنْ صاحبه ؟ فقال : أبنَةُ لي ، فخطبها إليه فزوجه إياها وحملها إلى أهله ،
 فلما رأوها قالوا : وافق شَنٍّ طبقة ، فذهبت مثلاً ، يضرب للتوافقين ؛
 وقال الأصمى : هم قوم كان لهم وعاء من أديم فنتشَنٍّ فجعلوا له طبَقًا فوافقه فقبل :
 وافق شَنٍّ طبَّقه ، ورواه أبو عبيدة في كتابه ، وقال ابن الكلبي : طبقةٌ : قبيلة من
 إياد كانت لا تطاق فأوقعت بها شَنٍّ بن أفعى بن دُعَمي فانتصفت منها وأصاب
 فيها فضربتاً ، مثلاً ، وأنشد :

لَقِيْتُ شَنٍّ إِيَادًا بِالْقَنَا * طَبَقًا وَافِقَ شَنٍّ طَبَقَهُ

- وقولهم : «وجدتُ الناسَ أَخْبِرُ تَقَلَّه» أصله أَخْبِرُ الناسَ تَقَلَّهم : يُضْرَب
 في ذمِّ الناسِ وسوءِ معاشرتهم .
 وقولهم : «وَلَوْ دُ الوعد عَاقِرُ الإِجْازِ» : يُضْرَبُ لِمَنْ يَكْثُرُ وَعْدُهُ وَيَقِلُّ نَقْدُهُ .
 وقولهم : «وَدَّعَ مَالًا مُودَعُهُ» لأنه إذا آستودعه غيره فقد ودَّعه وغرَّبه
 ولعله لا يرجع إليه .
 وقولهم : «وَمَوْرِدُ الْجَهْلِ وَبَيْءُ الْمَنْهَلِ» : يُضْرَبُ فِي النَّهْيِ عَنِ اسْتِعْمَالِ
 الْجَهْلِ .

ما جاء في ما أوله (لا)

قولهم : « لا تَحْبَأْ لِعِطْرٍ بَعْدَ عَرُوسٍ » ويقال : « لا عِطْرَ بَعْدَ عَرُوسٍ »
 أول من قاله امرأةٌ من عُدْرَةَ ، يقال لها : أسماء ، بنت عبد الله ، وكان لها زوج من

بنى عمها يقال له : عروس ، فأت عنها ، فترجها رجل من قومها يقال له
نوفل ، وكان أعسر أبحر بجيلا ذميا ، فلما دخل بها قال : ضئى إليك عطرک ، فقالت :
لا عطر بعد عروس ، فذهبت مثلا ، ويقال : إن رجلا تزوج امرأة ، فلما أهديت
إليه وجدها تفلّة فقال لها : أين الطيب ؟ فقالت خبائه ، فقال لها : لا تحباً لعطر
بعد عروس : يضرب مثلا لمن لا يدترعنه نفيس .

(١٩)

وقولهم : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ^(١) » : يضرب لمن أصيب
ونكب مرة بعد أخرى ، يقال هذا من أمثال النبي صلى الله عليه وسلم قاله
لأبي عزة الشاعر ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسره يوم بدر فن عليه
وأطلقه ثم أتاه يوم أحد فأسره ، فقال : من على ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » أى لو كنت مؤمنا لم تعد لقتالنا .

١٠

وقولهم : « لا أطلب أثراً بعد عين ^(٢) » أول من قاله مالك بن عمرو العامري ،
وكان من حديثه أن بعض ملوك غسان كان يطلب فى بنى عامر دحلاً فأخذ منهم
مالكا وسماكا أبى عمرو العامري فاحتبسهما زمانا ثم دعا بهما ، فقال لها : إني قاتل
أحدكما ، فأيكما أقتل ؟ فجعل كل واحد منهما يقول : أقتلنى مكان أخى ، فقتل
سماكا وخلى سبيل مالك ، فقال سماك حين ظن أنه مقتول :

١٥

فأقسم لو قتلوا مالكا • لكنك لهم حية راصدة
برأس سبيل على مرقيب • ويوما على طريق واردة
فأم سمالك فلا تجزعى • فللموت ما تلد الوالدة

(١) كذا فى الأصل . وفى مجمع الأمثال وفرادى اللآل : « لا يلسع » .

(٢) هكذا فى الأصل . وفى مجمع الأمثال : « العاقل » باللام . وفى فرائد الأكل : « الباهل » .

٢٠

وأنصرف مالك إلى قومه فأقام فيهم زمنا ثم إن ركباً مرّوا وواحد منهم يتفقى
 بقول سِمْك * فأقسم لو قتلوا مالكا * فسمعته أم سِمْك، فقالت : يا مالك قبح الله
 الحياة بعد سِمْك، أخرج في الطلب نفرج فلقى قاتل أخيه يسير في ناس من قومه فقال :
 من أحسن لي الجمل الأحمر، فقالوا له وقد عرفوه : يا مالك أكفف ولك مائة
 من الإبل، فقال : لا أطلب أثرا بعد عين، فذهبت مثلا .

وقولهم : « لا يرسل الساق إلا مُسِكاً ساقاً » أصله في الجرباء : يضرب
 لمن لا يدع حاجة إلا سأل أخرى .

وقولهم : « لا ماءك أبقيت ، ولا حركك أنقيت » ويروى : ولا درّتك ؛
 أصله أن رجلاً كان في سفر ومعه امرأته ، وكانت عازكة فطهرت وكان معها ماء يسير
 فأغتسلت به فنفد ولم يكفها لغسلها فطشاً فقال هذا القول فصار مثلاً ، وقيل : إن
 الذي قاله الضبّ بن أروى الكلاعيّ قاله لأمراته عمرة بنت سُبَيْع ، قال الفرزدق :
 وكنت كذات الحيض لم تبقِ ماءها * ولا هي من ماء العذابة طاهراً

وقولهم : « لا ناقتي في هذا ولا جمل » المثل للحارث بن عبّاد حين قتل
 جَسَّاس بن مُرّة كليباً وهاجت الحرب بين الفريقين وأعتزلها الحارث ، قال الراعي :
 وما هجرتك حتى قلت مُعَانَةً * لاناقة لي في هذا ولا جمل
 يضرب عند التبرؤ من الظلم والإساءة .

وقولهم : « لا ينتطح فيها عَنَزَان » قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 وقولهم : « لا يُنبِتُ البَقْلَةُ ، إلا الحَقْلَةُ » الحَقْلَةُ : القَرَأُ ، أي لا يلد الوالد
 إلا مثله . ويضرب مثلاً للكلمة الخسيسة تخرج من الرجل الخسيس .
 (١) العاركة : الحائض . (٢) كذا في الأصل : وفي الميداني : « فقه » .

وقولهم : « لَا تَدْخُلْ بَيْنَ الْعَصَا وَلِحَائِهَا » : يضرب في المتخالفين المتصافين .
 وقولهم : « لَا يَحْزُنُكَ دَمٌ هَرَّاقَهُ أَهْلُهُ » قال هذا المثل جَذِيمَةٌ : يُضْرَب
 لمن يُوقِع نفسه فيما لَا تَحْلُسُ له منه .

حرف الباء

قولهم : « يَدَاكَ أَوْكَا وَفُوكَ نَفَخَ » أصله أن رجلا كان في جزيرة من جزائر
 البحر فأراد أن يعبر على زَقٍّ قد نَفَخَ فيه فلم يُحَسِّنْ إحكامه ، فلما تَوَسَّطَ البحر
 خرجت منه الريح ففِرَّقَ فاستفثت برجل ، فقال له : يداك أَوْكَا وفوك نفخ ، فذهبت
 مثلا : يُضْرَب لمن يَمْنِي على نفسه الحَيْن .

وقولهم : « يَشْجُ وَيَأْسُو » : يُضْرَب لمن يُصِيب في التدبير مرَّةً وَيُغْطِي
 أخرى ، قال الشاعر :

إني لَا كَثِيرٌ مُمْتَنِي تَجَبَا * يَدْ تَشْجُ وَأُخْرَى مِنْكَ تَأْسُو

وقولهم : « يُسِرُّ حَسَوًا فِي أَرْتِفَاءِ » أصله أن الرجل يُؤَوِّي باللبن فيُظْهِرُ أنه
 يريد الرِّغْوَةَ خَاصَّةً فيُسْرِبُهَا ، وهو في ذلك ينال من اللب : يُضْرَب لمن يُرِيك أنه
 يَعْنِيك وإنما يَحْزُ النِّفْعَ إلى نفسه ، قال الكبيت :

فإني قد رَأَيْتُ لَكُمْ صَدُودًا * وَتَحَصَاءَ بِمَلَّةٍ مُرْتَفِيًا

وقولهم : « يَمْشِي رُويْدًا وَيَكُونُ أَوَّلًا » : يُضْرَب للرجل يُدْرِك حاجته
 في تَوَدِّعٍ وَدَعَةٍ ، وَيُنْشِدُ فيه :

تَسَالَنِي أُمُّ الْوَلِيدِ جَلَا * يَمْشِي رُويْدًا وَيَكُونُ أَوَّلًا

وقولهم : « يُصْبِحُ ظِلْمَانًا وَفِي الْبَحْرِ قَهٌ » : يُضْرَب لمن يَعاثِرُ بَحْلًا مُثْرِيًا .

وقولهم : « يَمْلَأُ الدَّلُو إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ » مأخوذ من قول عُبَيْدِ بْنِ أَبِي مُصَيْبٍ
 من يُسَاجِلُنِي يُسَاجِلْ مَا جَدَا * يَمْلَأُ الدَّلُو إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ
 وهو الحبل الذي يُشَدُّ فِي وَسْطِ الْمَرَاقي : يُضْرَبُ لِمَنْ يَبَالِغُ فِي مَا عَلَى مِنَ الْأَمْرِ .

وقولهم : « يُكْوَى الْبَعِيرُ مِنْ يَسِيرِ الدَّاءِ » : يُضْرَبُ فِي حَسَمِ الْأَمْرِ الضَّائِرِ
 قَبْلَ أَنْ يَعْظُمَ وَيَتَفَاقَمَ .

وقولهم : « يَعُودُ عَلَى الْمَرْءِ مَا يَأْتَمُرُ » وَيُرْوَى : يَمْدُودُ ، مَعْنَاهُ يَعُودُ عَلَى الرَّجُلِ
 مَا تَأْمُرُهُ بِهِ نَفْسُهُ فَيَأْتَمُرُ ، أَيْ يَمِثِّلُهُ فَلَمَّا مِنْهُ أَنَّهُ رَشِدٌ ، وَرَبَّمَا كَانَ هَلَاكُهُ فِيهِ ،
 وَمِنْهُ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

أَحَارِبَنَّ صَمْرُوكَ نِيَّ تَمَرٍ * وَيَعْدُو عَلَى الْمَرْءِ مَا يَأْتَمُرُ

١٠

ومما يمثّل به من أشعار الجاهلية

٢٠

أَمْرُو الْقَيْسِ بْنِ مَجْرٍ : قَدْ تَقَنَّمْ مِنْ شَعْرِهِ فِي الْإِسْتِشْهَادِ عَلَى أَمْثَالِ
 الْعَرَبِ مَا يُسْتَفْنَى عَنْ إِطَاعَتِهِ فِي هَذَا الْمَكَانِ .
 وَمِنْ شَعْرِهِ :

* وَالسِّرُّ خَيْرُ حَقِيْقَةِ الرَّجُلِ * * رَضِيْتُ مِنَ الْفَنِيْعَةِ بِالْإِيَابِ * .

١٥

* إِنْ الشَّقَاءَ عَلَى الْأَشْقِيَيْنِ مَصْبُوبٌ * .

وَقَالَ أَيْضًا :

وَقَامَ جَدُّهُمْ بِبَنِي أَبِيهِمْ * وَبِالْأَشْقِيَيْنِ مَا كَانَ الْعِتَابُ

وَقَالَ :

فَإِنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كِفَاخَرُ * ضَعِيفٌ وَلَمْ يَنْبَلِكْ مِثْلُ مُغْلَبٍ

زهير بن أبي سلمى يقول :

ومن يفترب يحسب عدواً صديقه * ومن لا يُكرّم نفسه لا يُكرّم
ومهما يكن عند امرئ من خليقة * ولو خالها تخفى على الناس تُعلم
ومن لا يصانع في أمور كثيرة * يُضرّس بأنياب ويوطأ بمَنِم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه * يفرّه ومن لا يتق الشتم يُشتم
ومن يك ذا فضل فيخلّ بفضلِه * على قومه يُستغف عنه ويُدّم
ومن لا يذد من حوضه بسلاحه * يُهدّم ومن لا يظلم الناس يُظلم
ومن ينص أطراف الزجاج فإنه * مُطيع العوالي رُجبت كلّ لَهْدَم
وقال أيضا :

وهل يُنبت الخطى إلا وشيجه * وتُفرّس إلا في منابتها النخل

وقال أيضا :

والسترُ دون الفاحشات وما * يلقاك دون الخير من ستر

وقال أيضا :

فإن الحقّ مَقطعهُ ثلاث * يمين أو نفاق أو جلاء

يقول : إنما الحقوق تصحّ بواحدة من هذه الثلاث : يمين أو حاكمة أو حجة واضحة ؛

وكان عمر بن الخطّاب رضى الله عنه يتمعّب من معرفته بمقاطع الحقوق .

الناطقة الدّيباني : اسمه زياد بن عمرو ، ويكنى أبا أمامة ؛ غلب عليه "الناطقة"

لأنه غيّر برهه لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله ؛ وكذلك الجعدي ؛ وقيل : إنما لقّب بالناطقة

لقوله :

* فقد نبّغت لهم منّا شؤون *

وقيل في نفسه : زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة
ابن عوف بن سعد بن ذبيان .

فما يُخْتَل به من شعره قوله :

« فإناك كالليل الذي هو مُدْرِكِي » . « فإن عطية الجهل الشباب » .

وقال :

ولست بُسْتَقِي أَحَا لَا تُلْمُهُ » على شَعْتِ أَى الرّجال المهْلَب

وقال أيضا :

إِسْتَقِ وَدَكَ لِلصّديق وَلَا تَكُن » قَبَّيَا يَعْضُ بِضَارِبٍ مِلْحَا حَا

طرفة بن العبد يقول :

« حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرَاهُونِ مِنْ بَعْضِ » « مَا أَشَبَّهُ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ »

وقال أيضا :

سُبْدِي لَكَ الْإِيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلَا » وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُرَوِّدْ

وقال أيضا :

وَأَعْلَمُ مِلْمَا لَيْسَ بِالشَّكِّ أَنَّهُ » إِذَا ذَلَّ مَوَلَى الْمَرْءِ فَهُوَ ذَلِيلٌ

أوس بن حجر يقول :

فَإِنْ كَمَا يَأْتِي حُبَابٍ وَجَدْنَا » كَنْ دَبٍّ يَسْتَخْفِي وَفِي الْكَفِّ جُلُجُلٌ

وقال أيضا :

وَمَا يَنْهَضُ الْبَايِزِي بِغَيْرِ جَنَاحِهِ » وَلَا يَحْمِلُ الْمَاشِيْنَ إِلَّا الْحَوَامِلُ

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُعْرِضْ عَنِ الْجَهْلِ وَالْحَنَا » أَصَبَتْ حَلْمًا أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلُهُ

وقال أيضا :

ولست بخائف أبدا طعاما * حذار غدا لكل غد طعام

بشرين أبي خازم يقول :

« وأيدى الندى في الصالحين قروض * صكفي بالموت نأيا واعترابا »

المتلمس وهو جرير بن عبد المسيح يقول :

قليل المال تصلحه فيبقى * ولا يبق الكثير مع الفساد

وقال أيضا :

لذي الحلم قبل اليوم ما تُقرع العصا * وما علم الإنسان إلا لعلما

ولو غير أخوالى أرادوا نقيصتى * جعلت لهم فوق المرانين ميسما

وما كنت إلا مثل قاطع كفه * بكف له أنرى فأصبح أجدا

وقال أيضا :

ولا يُقيم على ذل يراقبه ^(١) * إلا الأذلان غير السوء والوئد

هذا على الخسف مربوط برمته * وفأ يسج فلا يرى له أحد

الأفوه الأودى ^(٢) يقول :

إنما نعمة دنیا مُعمة * وحياة المرء ثوب مستعار

(١) كذا بالأصل والرواية المشهورة في هذا البيت :

وان يقيم على غسف سام به * إلا الأذلان غير الحق والوئد

(٢) ذكرت في صلب أحد الأصولين الفتوغرافيين هذه العبارة : (حاشية : الأفوه لقب واسمه صلاة بن

عمرو بن مالك بن عوف بن الحارث بن عوف بن منبه بن أود بن صعب بن سعد العنبرية وكان يقال لأبيه :

درس الشوها . وفيه يقول الأفوه :

أبي فارس الشوها عمرو بن مالك * غداة الوغى إذ مال بالجسده طائر

ووردت أيضا في الأصل الأكثر حاشية بياضته ولم ترد في النسخة الراجية .

١٠

١٥

٢٠

وصروف الدهر في أطباقه * حَقَّةٌ فيها ارتضاعٌ وانحدارٌ
بينما الناس على عليائها * إذ هووا في هوة منها فغاروا

وقال أيضا :

والبيت لا يُتَقَى إلا له عَمَدٌ * ولا عِمَادَ إذا لم تُرْسَ أوتادُ
فإن تجمع أوتادُ وأعمدةٌ * وساكنٌ بلغوا الأمر الذي كادوا
تَهْدَأُ الأمورُ بأهل الزأى ماصِلَتْ * وإن تولّت فبالأشْرار تنقادُ
لا يصلح النَّاسُ قَوْضَى لاسِرَّةٍ لهم * ولا سِرَّةً إذا جُهاَلهم سادوا

تميم بن أبنِ بن مقبل يقول :

خِلِّي لا تستعجلا وانظرا غدا * عسى أن يكون الرفقُ في الأمر أَرشدا

وقال أيضا :

ما أنعم العيشَ لو أن الفقى حَجَرٌ * تنبوا الحوادثُ عنه وهو مَلُومٌ
حميد بن ثور يقول :

أرى بَصْرِي قد رابحى بعد مَحْصَةٍ * وحسبك داءٌ أن تصح وتسلما
ولن يلبثَ المصران يوما وليلةً * — إذا طَلَبَا — أن يُدْرِكَا ماتِمَا

عدي بن زيد يقول :

كفى واعظا لمرء أيامُ دهره * تروح له بالواعظات وتغتدى
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكلَّ قرينٍ بالمقارِنِ يقتدى
وظلم ذوى القُرْبَى أشدُّ مَضَاضَةٍ * على المرء من وقع الحسام المهند
إذا ما رأيت الشرَّ يبعثُ أهْلَه * وقام جُنَاةُ الشرِّ للشرِّ فأقعده

(٢١)

(١) كذا بالأصل . والمشهور أن هذا البيت لطرفة بن العبد من مقلده التي مطلعها :

علولة أتلألأ بريقة شمسه * تلوح بجفاف الوشم في ظاهر اليد

وقال أيضا :

يا راقدا الليل مسرورا بأوله * إن الحوادث قد يطرقن أحجارا

وقال :

قد يدرك المبطل من حظه * والخير قد يسبق جهد الحريص

وقال :

لو بنصر الماء خلق شرق * كنت كالغصان بالماء أعنصرى

وقال :

فهل من خايد إما هلكنا * وهل بالموت يا للناس عار

الأسود بن يعفر يقول :

ماذا أوّل بعد آل محرق * تركوا منازلهم وبعد إباد

أرض تخيّرنا لطيب مقلها * كعب بن مامة وابن أم دؤاد

أهل الخورق والسدير وبارق * والقصر ذى الشرفات من سناد

جرت الرياح على محل ديارهم * فكانهم كانوا على ميعاد

ولقد غنوا فيها بانعم عيشة * في ظل ملك ثابت الأوتاد

فإذا النعم وكل ما يلهى به * يوما يصير إلى بلى ونقاد

علقمة بن عبدة يقول :

فإن تسألوني بالنساء فإني * علم بأدواء النساء طيب

إذا شاب رأس المرء أو قل ماله * فليس له في وعر نصيب

يردّ ثراء المال حيث علمه * وشرح الشباب عندهم عجب

وقال أيضا :

وكلّ حصين وإن طالت إقامته • على دعائه لا بدّ مهذوم
ومن تمّوض للفرابان يزجرها • على سلامته لا بدّ مشنوم
عمرو بن كلثوم يقول :

وما شرّ الثلاثة أمّ عمرو • بصاحبك الذي لا تصحينا
وإن غدا وإن اليوم رهن • وبعد غد بما لا تعلمينا

الحارث بن حلزة يقول :

لا تكسح الثول بأعبارها^(١) • إنك لا تدري من النتائج
وأصيب لأضياك إبانها • إن شرّ اللبن الواجب

حاتم الطائي يقول :

أماوى ما يُنسى الثراء عن الفقى • إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
وقد علم الأقوام لو أن حاتما • أراد ثراء المال كان له وقْر
وقال أيضا :

وأنت إذا أعطيت بطنك سؤله • وقرجك نالا منتهى الذم أجمعا

المرقش الأصغر يقول :

ومن يلق خيرا يحمّد الناس أمره • ومن يفتو لا يعدم على الفى لائما
التمر بن قولب يقول :

يوذ الفقى طول السلامة جاهدا • فكيف ترى طول السلامة يفعل

(١) كسح الناقة بغيرها : ترك في ضرعها بقية من اللبن . وأغارها جمع غير وهو بقية اللبن .

وقال أيضا :

ومنى تُصَبِّكْ خِصَاصَةً فَارْجُ الْفَتَى * وإلى الذى يَهَبُ الرِّغَابَ فَارْغِبْ
لا تَفْضَحْ عَلَى أَمْرِيَّ فِي مَالِهِ * وَعَلَى كَرَامَتِهِ صُلْبٌ مَالِكٌ فَاغْضَبْ

وقال :

فلا وأبى النَّاسُ لا يَعْلَمُو * نَ الْخَيْرِ خَيْرٌ وَلِلشَّرِّ شَرٌّ
فَيَوْمَا عَلَيْنَا وَيَوْمَانَا * وَيَوْمَا تُسَاءُ وَيَوْمَا تُشْرُ

مهلهل بن ربيعة، وأسمه عدى يقول :

أَعِزُّ عَلَى تَغْلِبٍ بِمَا لَقِيتُ * أَخْتُ بَنَى الْأَكْرَمِينَ مِنْ جُحْمٍ
أَتَكْحَمُهَا فَقَدْ هُمَا الْأَرْاقِمُ فِي * جَنْبٍ وَكَانَ الْخِلَاءُ مِنْ أَدَمِ
لَوْ بَا تَزِينُ^(١) جَاءَ بِخَطْبِهَا * ضُرَّجَ مَا أَنْفَ خَاطِبِ بَدَمِ
لَيْسُوا بِأَكْفَانَا الْكَرَامِ وَلَا * يُقْنُونُ مِنْ ذَلَّةٍ وَلَا عَدَمِ

طَفِيلُ الْغَنَوَى يَقُولُ :

إِنَّ النِّسَاءَ كَأَشْجَارٍ تَبْتَنُ مَعَا * مِنْهُنَّ مُرٌّ وَبَعْضُ الْمُرِّ مَا كَوُلُ
إِنَّ النِّسَاءَ مَتَى يُنْهَيْنَ عَنْ خُلُقٍ * فَإِنَّهُ وَاجِبٌ لَا يَدَّ مَفْعُولُ

عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ يَقُولُ :

وَمَا شَابَ رَأْسِي مِنْ سِتِينَ تَابَعْتُ * عَلَى وَلَكِنْ شَيْتَنِي الْوَقَائِعُ

وقال أيضا :

وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ وَمُقْتَرَا * مِنَ الْمَالِ يَطْرَحُ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحٍ
يُلْبِغُ عُدْرًا أَوْ يَسْأَلُ رَغِيصَةً * وَمُيْلَغُ نَفْسٍ عُدْرَاهُ مِثْلُ مُنْجِجٍ

الْأَعَشَى : وَهُوَ مَيْمُونُ بْنُ قَيْسٍ مِنْ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ يَقُولُ :

كَطَاحِ حَصْرَةٍ يَوْمَا لِفَاقَمِهَا * فَلَمْ يَضْرُهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعْلُ

(١) أَبَان : جِيلَانِ فِي تَوَاحِي الْبَحْرِ .

وقال أيضا :

تعالوا فإن الحكم عند ذوى النهى * من الناس كالبلقاء باد مجولما

وقال أيضا :

ومن يغترّب عن قومه لم يزل يرى * مصارع مظلوم بحسراً ومسحاً
وتدفن منه الصالحات وإن يُسئ * يكن ما أثار النار فى رأس كجحا

وقال أيضا :

عودت كندة عادة فاصبر لها * اغفر لجاهلها وروّجها

لقبط بن مَعْبَد يقول :

قوموا قياما على أمشاط أرجلكم * ثم أفزعوا قد يال الأمر من فزعا
هيات ما زالت الأموال مذايد * لأهلها - إن أصيبوا مرة - تبعاً

تأبط شراً : وهو ثابت بن جابر يقول :

لقرصن على السن من نديم * اذا تذكرت يوما بعض أخلاق

المثقب العبدى يقول :

فأما أن تكون أنى بحق * فأعيرف منك غنى من سمينى

ولا فاطرحنى وأتخذنى * عدوا أتقيك وتغيبنى

فإنى لو تساندنى شمالى * عنادك ما وصلت بها يمينى

المزق العبدى يقول :

فإن كنت ما كولا فكأن أنت آكل * وإلا فادركنى ولما أمرق

أفنون التعلبى يقول :

لعمرك ما يدرى الفتى كيف يتقى * إذا هو لم يعمل له الله واقبا

(١) وقال أيضا : لقبض بن (ممر وممر) .

الأضبط بن قريع السعدي يقول :

قد يجمع المال غير آكله * ويأكل المال غير من جمعة
لا تحقرن الفقير علك أن * تركع يوما والدمر قد رفعة
واقبل من الدهر ما أتاك به * من قزعنا بعينه فعة

(٢٢)

سويد بن أبي كاهل يقول :

رب من أنضجت غيظا قلبه * قد تمنى لي موتا لم يطع
ويراني كالشجي في حلقه * صبرا مخرجه ما ينزع
ويحيني إذا لقيته * وإذا يحلوه له لمي رتع
أتى ما يمثل به من أشعار الجاهلية .

ومما يمثل به من أشعار المخضرمين

المخضرمون : هم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام .

منهم ليث بن ربيعة ، وفاته سنة إحدى وأربعين ، وعمره مائة سنة وسبع
ونحسون سنة يقول :

وإذا رمت رجلا فارغى * وأعص ما يأمر توصي الكسل^(١)
وأكذب النفس إذا حدثتها * إن صدق النفس يزرى بالأمل

وقال أيضا :

وما المسأل والأهلون إلا ودبة * ولا بد يوما أن تردّ الودائع
وما المرأة إلا كالشهاب وضوئه * يحور رمادا بعد إذ هو ساطع

(١) التوسيم في الجسد : التكبير والفترة والكسل .

وقال أيضا :

كانت قناتي لا تلين لغامر * فالانها الإصباح والإمساء
ودعوت ربّي في السلامة جاهدا * ليُصَحّي فإذا السلامة داء

وقال أيضا :

ذهب الذين يُعاش في أكافهم * وبقيت في خلف بجلد الأجرين

وقال أيضا :

إلى الحول ثم أسم السلام عليك * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

كعب بن زهير يقول :

ومن دعا الناس إلى ذمه * ذقوه بالحق وبالباطل

١٠ مقالة السوء إلى أهلها * أسرع من منحدر سائل

النابعة الجعدى : وهو قيس بن عبد الله ، وقيل حسان بن قيس بن عبد الله
ويكنى النابعة : أباليل ، وهو أسن من الذبياني ، وطال عمره حتى أدرك أيام بني أمية ،
وهو الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم : " لا يفضض الله فاك " ، فاسقطت له
سن ، وفي رواية : فكان أحسن الناس نفرا إذا سقطت له سنّ ثبت له أخرى ، وعاش
عشرين ومائة سنة ، وقيل أكثر . ومما يُتمثل به من شعره قوله :

١٥

ولا خير في حلم إذا لم يكن له * بواذر تحمي صفوه أن يكذرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له * حليم إذا ما أورد الأمر أصدر

وقال أيضا :

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا * وأيسر جرما منك ضرج بالدم

٢٠

أمية بن أبي الصلت الثقفي يقول :

تلك المكارم لأقربان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبو الـ

حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يَقُولُ :

وإنَّ أَمْرًا يُعْمَى وَيُصْبَحُ سَالِمًا * من النَّاسِ - إلَّا مَا جَنَى - لَسَعِيدُ

وَقَالَ أَيْضًا :

رُبَّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَا * لِ وَجْهِ لٍ غَطَّى عَلَيْهِ النِّعَمُ

مَا أَبَالَى أَنْبَ بِالْحَزَنِ تَيْسُ * أَمْ لِحَانِي بِظَهْرِ غَيْبٍ لَيْثُ

الْحَطِيطَةُ : وَأَسْمُهُ جَرُولُ بْنُ أَوْسٍ بْنِ مَخْزُومٍ . وَقِيلَ : جَرُولُ بْنُ أَوْسٍ بْنِ مَالِكِ

ابْنِ غَطَفَانَ بْنِ سَعْدٍ وَيُكْنَى : أَبَا مُلَيْكَةَ ، وَالْحَطِيطَةُ لَقَبٌ غَلَبَ عَلَيْهِ ؛ قِيلَ لِقَبِّ بِهِ

لِقَصْرِهِ وَقَرَبِهِ مِنَ الْأَرْضِ ؛ وَقِيلَ : حَقَّقَ فِي مَجْلِسِ قَوْمِهِ فَقَالَ : إِنَّمَا هِيَ حَطَّاءَةٌ

فَسَمَّى الْحَطِيطَةَ . فَمَا يَحْتَمِلُ بِهِ مِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ :

مَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ * لَا يَذْهَبُ الْعَرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا * وَاقْعِدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّامِعُ الْكَاسِي

وَقَالَ أَيْضًا :

أَقِلُّوا عَلَيْهِمَ لَا أَبَا لَا يَبْعُكُمُ * مِنَ اللُّومِ أَوْ سُدُّوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُّوا

أَوَّلُكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبِنَا * وَإِنْ وَعَدُوا أَوْفَوْا وَإِنْ عَقَدُوا اشْدُّوا

مُتَمِّمٌ بْنُ نُؤَيْرَةَ يَقُولُ :

وَكُنَّا كَنَدَمَائِي جَذِيمَةَ حِقْبَةٍ * مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قَبِلَ لِي أَنْ يَتَصَدَّعَا

فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا * لَطُولِ أَجْتِمَاعٍ لَمْ نَهْتَ لَيْلَةً مَعَا

أَبُو ذُوَيْبٍ الْهَذَلِيُّ يَقُولُ :

وَتَجَلَّدِي لِلشَّامِتِينَ أُرِيئُ * أُنَى لِرَبِّ الدَّهْرِ لَا أَنْتَضِعُ

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا * أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغِبَتْهَا * وَإِذَا رُذُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

الخنساء : وهي ثَمَاضُ بنت عمرو بن الشريد تقول :

وَمَنْ ظَنَ مَنْ بُلَاقِ الحُرُوبِ * بِالْأَيَّاصِ فَقَدْ ظَنَّ عَجْزًا

وقالت أيضا :

نُهِنُ النُفُوسَ وبِذَلِكَ النُفُوسُ * سَ عِنْدَ الكَرِيهِ أَيْقَى لَهَا

عمرو بن معد يكرب يقول :

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَمْرًا فَدَعِهِ * وَجَاوِزِهِ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ

وقال أيضا :

لَيْسَ الْجَمَالُ بِمُتَزَرٍّ * فَاعْلَمْ وَإِنْ رُدِّيتَ بِرَدًّا

أَنْ الْجَمَالَ مَاتَرٌ * وَمَكَارِمُ أَوْرَثَ مَجْدًا

معن بن أوس يقول :

وَفِي النَّاسِ إِنْ رَقَّتْ حَبَالُكَ وَاصِلٌ * وَفِي الْأَرْضِ عَنْ دَارِ الْيَقَلِّ مُتَحَوِّلٌ

إِذَا أَنْصَرَفَتْ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تَكُنْ * إِلَيْهِ بِوَجْهِ أَنْتَرِ الدَّهْرِ تَقِيلُ

وقال أيضا :

أَعْلَمُهُ الرَّمَايَةُ كُلَّ يَوْمٍ * فَلَمَّا أَسْتَدَّ سَاعِدُهُ رِمَانِي

زياد بن زيد يقول :

وَلَا أَتَمْنَى الشَّرَّ وَالشَّرُّ نَارُكَ * وَلَكِنْ مَتَى أَتَحْمِلُ عَلَى الشَّرِّ أَرْكَبُ

وقال أيضا :

هَلِ الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ إِلَّا كَمَا تَرَى * رَزِيَّةٌ مَالٍ أَوْ فَسْرَاقٌ حَبِيبُ

(١) كذا في النسخة الراجية وأحد الأسلين الفتوغراميين . وفي الأصل الفتوغرافي : الآخر «اشتد» بالسين

المعجمة . وفي اللسان مادة «سدد» : «قال الأصمعي اشتد بالسين المعجمة ليس بشيء الخ» - (انظر اللسان) .

أَيْمَنَ بنُ مُحَرِّمٍ بنِ فَاثِكِ الأَسَدِيِّ يَقُولُ :

إِنِّ لِلْفَتْنَةِ مِيطًا بَيْنَنَا * فَرَوَيْدَ الْمِيطِ مِنْهَا تَعْتَدِلُ
فَإِذَا كَانَ عَطَاءُ فَأْتِيهِمْ * وَإِذَا كَانَ قَتْلُ فَأَعْتَرِلُ

اتهى ما يُمَثِّلُ به من أشعار المخضرمين .

ومما يُمَثِّلُ به من أشعار المتقدمين في صدر الإسلام

الْقُطَامِيُّ : وَأَسَمَهُ عُثَيْرُ بنِ شُبَيْمٍ يَقُولُ :

وَمَعَصِبَةُ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ مِمَّا * يَزِيدُكَ مَرَّةً مِنْهُ أَسْتَعَا
وَضِرُّ الأَمْرِ مَا أَسْتَقْبَلْتَ مِنْهُ * وَلَيْسَ بِأَنْ تَتَّبِعَهُ أَتْبَاعًا
أَرَاهِمُ يَضْمُزُونَ مِنْ أَسْتَرْكُوا^(٢) * وَيَحْتَنِبُونَ مِنْ صَدَقِ المِصْبَاعَا
لَذَاكَ وَمَا رَأَيْتِ النَّاسَ إِلَّا * إِلَى مَا جَرَّ جَانِبِهِمْ سِرَاعَا

وقال أيضا :

قَدْ يَدْرِيكَ المُنَاقِي بَعْضَ حَاجَتِهِ * وَقَدْ يَكُونُ مَعَ المُسْتَعْجِلِ الزَّلُّ
وَرَبَّمَا فَاتَ بَعْضُ القَوْمِ أَمْرَهُمْ * مَعَ التَّائِي وَكَانَ الرَّأْيُ لَوْ عَجَلُوا
وَالنَّاسَ مِنْ يَلْقَى خَيْرًا قَائِلُونَ لَهُ * مَا يَشْتَهَى وَلَأَمَّ المَخْطِئُ المَبْلُ

الطَّرِمَاحُ بنُ حَكِيمِ بنِ الحَكَمِ يَقُولُ :

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أُنَى * بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ غَيْرِ طَائِلِ
وَأُنَى شَقًّا بِالنَّاسِ وَلَنْ تَرَى * شَقِيًّا بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ الشَّمَائِلِ

الكُمَيْتُ بنُ زَيْدِ الأَسَدِيِّ يَقُولُ :

إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا الأَسَنَةُ مَرَكَبٌ * فَلَا رَأْيَ لِلضُّطَّرِّ إِلَّا رَكُوبَهَا

وقال أيضا :

فيا موقدا نارا لغيرك ضوءها * ويا حاطبا في جبل غيرك تحطب

المساور بن هند يقول :

شقيت بنو أسد بشعر مساور * إن الشق بكل جبل يُحق

عدى بن الرقاع يقول :

وإذا نظرتُ إلى أميري زادني * ضنا به نظري إلى الأمراء
بل ما رأيتُ جبالَ أرض تستوى * فيا غشيت ولا نجموم سماء
كالبرق منه وأبل متابع * جود وأخر ما يبض بماء
والمرء يورث مجده أبناءه * ويموت آخر وهو في الأحياء

الفرزدق : واسمه همام بن غالب يقول :

فواعجا حتى كُلبتُ تسبني * كأن أباهما نهشل أو مجاشع

وقال أيضا :

ترجى ربيع أن يميء صغارها * بخير وقد أعيا عليك بكارها

وقال أيضا :

فإن تتج منها تتج من ذى عزيمة * وإلا فإني لا إخالك ناجيا

وقال أيضا :

يمضي أخوك فلا تلق له خلفا * والمال بعد ذهاب المال مكتسب

وقال أيضا :

ليس الشفيح الذي يأنيك مؤزرا * مثل الشفيح الذي يأنيك عمرانا

وقال أيضا :

قُلْ لنُصِيرُ والمرء في دولة السد * سلطان أعمى مادام يُدعى أميرا
فإذا زالت الولاية عنه * وأستوى بالرجال عاد بصيرا

وقال أيضا :

ولا نلين لسلطان يكادنا * حتى يلين لبضرس الماضغ الحجر

وقال أيضا :

هل أبنتك إلا أبنت من الناس فأصبون * فلن يرجع الموتى حين المآثم
بحرير هو أبن الخطي توفى سنة عشر ومائة يقول :
إن الكريمة تنصر الكرم أبنا * وأبْنُ اللثيمة للثام نصور

وقال أيضا :

زعم الفرزدق أن سيقتل مريما * أبشر بطول سلامة يا مريج

وقال أيضا :

وآبن اللبون إذا ما كُزّي قرين * لم يستطع صولة البزل القنايس

وقال أيضا :

رايتك مثل البرق يُحسب ضوءه * قريبا وأدنى ضوءه منك نازح

وقال أيضا :

أما الرجال فجعلان ونِدْوَتُهُمْ * مثل القنايف لا حُسن ولا طيب

الأخطل : وأسمه مالك بن غياث بن غوث ، وقال أبو الفرج الأصبهاني :
أسمه غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن سَيِّحان بن عمرو ، ورفّع نسبه

إلى جُثَم بن بكر ويَكْنَى : أبا مالك ، قال : وقال المذائبي « وغيث بن غوث بن سلمة ابن طارقة . فما يتمثل به من شعره قوله :

والناس همُّهم الحياة ولا أرى * طول الحياة يزيد غير خبال
وإذا آنفرت إلى الذخائر لم تيمد * دُخْرًا يكون كصالح الأعمال

وقال أيضا :

إن الصنيعة تلقاها وإن قدُمت * كالعسر^(١) يكن حيناً ثم ينتشر
وأقسم المجد حقاً لا يخالفهم * حتى يخالف بطن الراحة الشعر

وقال أيضا :

وإذا دعوتك يا أنحى فإنه * أحنى إليك مودةً ووصالاً
وإذا دعوتك عنهم فإنه * نسبٌ يزيدك عندهن خبالاً

وقال أيضا :

ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت * فدل عليها صوتها حية البحر

وقال أيضا :

يا مرسل الريح جنوباً وصباً * إن غصبت قيس فزدها غضباً

الصِّلَتَانُ العَبْدِيُّ يقول :

وإن بك بجر الحنظلين واحداً * فما يستوى حيتانه والضفادع
وما يستوى صدر القناة وزجها * وما يستوى في الراحتين الأصابع

كثير غزوة : وهو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعي ، توفي سنة خمس ومائة

يقول :

ولم يوتها يوتها بعد ما * تخلت مما بيننا وتخلت

(١) العزب يفتح وبالفم : الجرب .

(٢١)

لكل مرتجى ظل الغامة كلها * نبواً منها للقليل أضمحلّت
فقلت لها يا عزّ كل مصيبة * إذا وطئت يوماً لها النفس ذلّت
ههنا مرثى غير داء خامر * لعزة من أعراضنا ما استحلّت

وقال أيضا :

قضى كل ذي دين فوفى غريمه * وعزة مطوّل معنى غريمها

وقال أيضا :

ومن لا يمتص عينه من صديقه * وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن يتبع جاهدا كل عترة * يعجزها ولا يسلم له الدهر صاحب

جميل يقول :

فلان يك حرب بين قومي وبينها * فلان لها في كل نائبة سلم

وقال أيضا :

ولرب عارضة علينا وصلها * بالحد تخططه بقول المازل
فاجبتها في القول بعد تستر : * حيّ بشينة عن وصالك شاغل
لو كان في قلبي كقدر قلامية * وصلاً وصلتك أو أنتك رسائل

عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة يقول :

أيت هنذا أنجزنا ما تعدّ * وشفقت أبادنا مما نجد^(١)
وأسببت مرة واحدة * إنما العاجز من لا يسند

وقال أيضا :

لا تألني وأنت زيتها لي * أنت مثل الشيطان للإنسان

(١) الرواية المشهورة في هذا البيت : * وشفقت أنفسنا مما نجد * ٢٠

ومما يَمَثِّلُ به من أشعار المحدثين

منهم إبراهيم بن هرمة يقول :

عَجِبْتُ أَتَيْلَهُ أَنْ رَأَيْتُ مُحَلِّفًا * نَكَتِكَ أُمِّكَ أَيْ ذَلِكَ يَرُوعُ
قَدْ يَدِيرُكَ الشَّرَفُ الْفَقْرَ وَرَدَاؤُهُ * خَلَقَ وَجَبَّ فَيَصْهَ مَرْقُوعُ

وقال أيضا :

تَكَارَكَ بِيضُهَا بِالْمَرَاءِ * وَمَلْبَسُهُ بِيضُ أُخْرَى جَنَاحَا

بِشَارِ بْنِ بَرْدٍ يَقُولُ :

إِذَا كُنْتُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مَعَاتِبًا * صَدِيقُكَ لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تَعَاتِبُهُ
فَعَشَّ وَاحِدًا أَوْ صِلَ أَحَاكَ فَإِنَّهُ * مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَجَانِبُهُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَذَى * ظَلَمْتُ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مِشَارِبُهُ

وقال أيضا :

وَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاظَةً * فَإِنَّ الْخَوَافِ عُدَّةً لِلْقَوَادِمِ
وَمَا خَيْرُ كَفِّ أَمْسَكَ الْفُلِّ أَخْتَهَا * وَمَا خَيْرُ سَيْفٍ لَمْ يُؤَيِّدْ بِقَاتِمِ

وقال أيضا :

كَبْكَبِ تَنْهَى لِذِيكَ النَّكَاحِ * وَتَفَرِّقُ مِنْ صَوْلَةِ النَّكَاحِ

وقال أيضا :

أَنْتَ مِنْ قَلْبِهَا عَمَلُ شَرَابٍ * يُشْتَبَى شَرِبُهُ وَيُحْتَشَى صُدَاعُهُ

وقال أيضا :

الْحَرُّ يُلْحَى وَالْمَصَا لَالْبِيدِ * وَلَيْسَ لِلْمُلْحِفِ مِثْلُ الرَّدِّ

وَصَاحِبِ كَالْدُمْلِ الْمَيْدِ * حَمَلَتْهُ فِي رُقْعَةٍ مِنْ جِلْدِي

وقال أيضا :

وإذا جفوتَ قطعتُ عنك منافعِي * والدُّرُّ يقطعُه جفاءُ الحالبِ

وقال أيضا :

ولولا الذي خَبَرُوا لم أكن * لِأمدحَ رِيحانةَ قَبْلَ شَمِّ

وقال أيضا :

تأني المقيم — وما سعى — حاجاته * عددَ الحصى وَيَحْيِبُ سَعْيُ الناصبِ

وقال أيضا :

أنا والله اشتبى بحمر عيني * بِكَ وأخشى مصارعَ العشاقِ

وقال أيضا :

نرجو غدا وغدا كحاملة * في الحى لا يدرون ما تلدُ

وقال أيضا :

تسقط الطيرُ حيث يَتَحَرَّ الحُبُّ وتَفُتَّى منازلُ الكرماءِ

ليس يُعطيك للرجاءِ ولا الخو * فِي ولكنَّ يَلْذُ طعمَ العطاءِ

وقال أيضا :

* والصعبُ يُمكنُ بعد ما جمعا * * ولن تَبْلُغَ العَلْيَا بغيرِ الدراهمِ^(١)

وقال أيضا :

ولا بد من شكوى إلى ذى مروءة * يواسيك أو يُسليك أو يتوجعُ

أبو العتاهية يقول :

* أذلَّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ * * وكلُّ غنيٍّ في العيونِ جليلُ

* روائحُ الجنةِ في الشبابِ * * وأى الناسِ ليس له عُيوبُ

(١) في الأغاني طبع دار الكتب المصرية (ج ٣ ص ٢١٤) : ولا تبلغ العلياء بغير الدراهم .

وقال أيضا :

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفِرَاقَ وَالْجَدَّةَ * مَفْسَدَةٌ لِلدِّينِ أَيْ مَفْسَدَةٌ

وقال أيضا :

أَنْتَ مَا اسْتَفْنَيْتَ عَنْ صَا * حَيْكَ الدَّهْرَ أَخُوهُ

فَإِذَا أَحْتَجَّتْ إِلَيْهِ * سَاعَةً يَجُتُّكَ فَوْهُ

وقال أيضا :

مَا يَحْزُزُ الْمَرْءَ مِنْ أَطْرَافِهِ طَرَفًا * إِلَّا تَحْوَنُهُ النِّقْصَانُ مِنْ طَرَفٍ

وقال أيضا :

يُصَادُّ فَوَادِي حِينَ أَرَى وَرَمَيْتِي * تَعُودُ لِي تَحْرَى وَيَسْلُمُ مِنْ أَرَمِي

وقال أيضا :

وَلَرُبَّ شَهْوَةٍ سَاعَةٍ * قَدْ أَوْرَثَتْ حَزَنًا طَوِيلًا

سَلَمُ بْنُ عَمْرٍو الْخَاسِرُ : وَهُوَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَهُوَ
بَصْرِيٌّ لُقِّبَ الْخَاسِرَ لِأَنَّهُ وَرِثَ مِنْ أَبِيهِ مَصْحَفًا فَبَاعَهُ وَأَشْتَرَى بِجَنَّةٍ طَنْبُورًا ،
وَقِيلَ : بَلْ خَلَّفَ أَبُوهُ مَالًا فَأَنْفَقَهُ فِي الْأَدَبِ وَالشَّعْرِ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَهْلِهِ : إِنَّكَ
لِخَاسِرٍ الصَّفِيقَةِ ، فَلَقَّبَ بِذَلِكَ . فَلَمَّا يَتَمَثَّلُ بِهِ مِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ :

مَنْ رَاقِبَ النَّاسَ مَاتَ غَمًّا * وَفَازَ بِاللَّذَّةِ الْجَسُورُ
لَوْلَا مَنَى الْعَاشِقِينَ مَاتُوا * غَمًّا وَبَعْضُ الْمَنَى غُرُورُ

وقال أيضا :

وَلَوْ مَلَكَتْ عَيْنَا الرِّيحَ تَصْرِفُهُ * فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مَا قَاتَكَ الطَّلَبُ

وقال أيضا :

لَا تَسْأَلِ الْمَرْءَ عَنْ خِلَاقِهِ * فِي وَجْهِهِ شَاهِدٌ مِنَ الْخَبِيرِ

صالح بن عبد القدوس يقول :

ما يبلغ الأعداء من جاهل * ما يبلغ الجاهل من نفسه
والجاهل الأمل ما في غد * كحفظه في اليوم أو أمسه
والشيخ لا يترك أخلاقه * حتى يوارى في ثرى رمسه
والحق داء ما له حيلة * تربي كبعد النجم من لمسه

وقال أيضا :

وإن عناء أن تفهم جاهلا * فيحسب جهلا أنه منك أفهم
مضى يبلغ البنيان يوما تمامه * إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

وقال أيضا :

إذا ورت أمرأ فاحذر عداوته * من يزرع الشوك لا يحصد به عينا

وقال أيضا :

شر المواهب ما تجود به * من غير محبة ولا أجر

وقال أيضا :

لا تجحد بالمطاء في غير حق * ليس في منع غير ذي الحق بخل
إنما الجود أن تجود على من * هو للجود منك والبذل أهل

وقال أيضا :

يشقى رجال ويشقى آخرون بهم * ويسعد الله أقواما بأقسوام
وليس رزق الفقى من لطف جلته * لكن جدود بأرزاق وأقسام
كالصيد يحرمه الراى المحيد وقد * يرى فيرزقه من ليس بالراى

وقال أيضا :

إِنْ يَكُنْ مَا بِهِ أَصَبَتْ جَلِيلًا * فَذَهَابَ الْعِزَاءُ مِنْهُ أَجَلٌ
كُلُّ آيَةٍ لَأَشْكُ آيَةَ وَذُو الْجَهِّ * لِي مُعْتَى وَالنَّهْمُ وَالْحَزَنُ فَضْلُ
ابن ميمادة : هو الرماح بن أبرد كنيته شريحيل يقول :

واعجبا من خالد كيف لا * يُخْطِئُ فِينَا مَرَّةً بِالصَّوَابِ

وقال أيضا :

وَأَرَانَا كَالزَّرْعِ يَحْصِدُهُ الدَّمُ * رُفِينٌ بَيْنَ قَائِمٍ وَحَصِيدِ
وَمَكَانًا لِلْوَتِّ رَكْبٌ يُحِبُّو * نَ سَرَّاعٌ لِمَنْهَلٍ مَوْرُودِ

أبو نواس الحسن بن هانئ يقول :

دَعِ عَنْكَ لَوْمَى فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءُ * أَلَا رَبُّ إِحْسَانٍ عَلَيْكَ ثَقِيلُ

وقال :

وَاللَّجَاءُ حَرْمَةٌ لَا تُجْهَلُ * وَأَيُّ جِدٍّ بَلَغَ الْمَازِحُ

وقال أيضا :

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَيْبٌ تَكْشُفُ * لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ

وقال أيضا :

لَا أَذْودُ الطَّيْرِ عَنْ شَجِيرٍ * قَدْ بَلَوْتُ الْمَرْءَ مِنْ ثَمَرِهِ

وقال أيضا :

وَلَيْسَ لِلَّهِ بِمُسْتَكْبِرٍ * أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدِ

وقال أيضا :

صَارَ جَدًّا مَا مَزَحْتُ بِهِ * رَبِّ جِدِّ سَاقَهُ اللَّعْبُ

وقال أيضا :

كفى حزنا أن الجواد مُقْتَرٌ * عليه ولا معروف عند بخيل

وقال أيضا :

وأوبئة مشتاق بغير دراهم * إلى أهله من أعظم الحداث

أبو عيينة المهلبي يقول :

* وكيف مجود القلب والعين تشهد * ولا خير فيمن لا يدوم له عهد *

* وشتان ما بين الولاية والعزل *

وقال أيضا :

وإذا تناولت الرءو * من فسط رأسك فم طاطة

عبد الله بن أبي عتبة المهلبي يقول :

كل المصائب قد تمر على الفقى * فتبورن فبرشامة الأعداء

وقال أيضا :

ما كنت إلا كلم ميت * دعا إلى أكله اضطرار

العباس بن الأحنف يقول :

لو كنت عاتبة لسكن روضي * أمل رضاك وزرت غير مراقب

لكن ملئت لها لصدك حيلة * صد الملول خلاف صد العائب

وقال أيضا :

صرت كأتى ذبالة نصبت * تُغنى للناس وهي تحترق

وقال أيضا :

أرى الطريق قريبا حين أسلكه * إلى الحبيب بعيدا حين أنصرف

وقال أيضا :

كفى حزنًا أن التباعد بيننا ٨ وقد جمعنا والأحبة دارُ

وقال أيضا :

أفنا مكرهين بها فلما * ألقاها نرجنا مكرهينا

وقال أيضا :

* ولا خير في ودّ يكون بشافع * من عاج الشوق لم يستبعد الدار *

مُسلم بن الوليد : هو مولى الأنصار، ثم مولى آل أبي أمامة : أسعد بن
زُرارة الخزرجي ولُقّب صريع الفوانى، ومما يُتمثل به من شعره قوله :

دلت على عيبها الدنيا وصدقها * ما استرجع الدهر مما كان أعطاني

وكان يقول أخذتُ معنى هذا البيت من التوراة .

وقال أيضا :

يعدّ القى مرّ الليالي سليمة * وهنّ به عما قليل عوائر

وقال أيضا :

أما الهجاء فدقّ عرضك دونه * والمدح عنك كما علمت جليلُ

فأذهب فانت طليق عرضك إنه * عرض عززت به وأنت ذليل

منصور الحميري : هو منصور بن الزبرقان بن سلمة . وقيل منصور بن سلمة

ابن الزبرقان بن شريك، مُطعم الكيش الرّخم، سُمي بذلك لأنه أطمع ناسا زلوا به ونحر لهم ، ثم رفع رأسه فاذا هو برّخم يمحّن حول أضيافه ، فأمر أن يُدبج لهم كبش ويرمى لهم ففعل ذلك وزلن عليه فرزقته ، وهو ابن مالك بن سعد بن عامر الضّحّيان، سُمي بذلك لأنه كان سيد قومه وحاكمتهم وكان يجلس لهم إذا أضحى النهار ، وهو ابن سعد

أَبْنُ الْخَزْرَجِ بْنِ تَيْمِ اللَّهِ بْنِ الْبَرِّ بْنِ قَاسِطِ بْنِ هَنْبِ بْنِ أَنْصَى بْنِ دُعَيْيَ بْنِ جَدِيلَةَ
أَبْنِ أَسَدِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ زَرَّارٍ . فَمَا يُقْتَلُ بِهِ مِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ :

لَعَلَّ لَهَا عَذْرًا وَأَنْتَ تَلُومُ * وَرَبُّ أَمْرِي قَدْ لَامَ وَهُوَ مُلِمٌ .

وَقَالَ أَيْضًا :

مَا كُنْتُ أَوْفَى شَبَابِي كُنْهَ عِزَّتِهِ * حَتَّى أَنْقَضَى فَإِذَا الدُّنْيَا لَهُ تَبَعٌ .

وَقَالَ أَيْضًا :

أَقْلَلُ عَنَابَ مَنْ أَسْتَرَبْتُ بُوْدَهُ * لَيْسَتْ تُسَالُ مَسُوْدَةٌ بِعَنَابٍ

الْعَنَابِيُّ : هُوَ كُتَيْبُ بْنُ عَمْرِو بْنِ أَيُّوبَ بْنِ عِيْدِ بْنِ حَيْشِ بْنِ أَوْسِ بْنِ مَسْعُودِ

أَبْنِ عَمْرِو بْنِ كُتَيْبِ الشَّاعِرِ . أَيْ مَالِكِ بْنِ عَنَابِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ جُثَمِ بْنِ بَكْرِ بْنِ
حَبِيبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ غَنَمِ بْنِ ثَعْلَبٍ . فَمَا يُقْتَلُ بِهِ مِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ :

وَإِنْ عَظِيَّاتُ الْأُمُورِ مَشُوبَةٌ * بِمَسْتَوْدَعَاتٍ فِي بَطْنِ الْأَسَاوِدِ

وَقَالَ أَيْضًا :

وَلَهُ فِي عَرْضِ السَّمَوَاتِ جَنَّةٌ * وَلَكِنَّا مَحْفُوفَةٌ بِالْمَكَاكِرِ .

وَقَالَ أَيْضًا :

قُلْتُ لِلْفَرْقَدِيِّنَ وَاللَّيْلِ مُلْقٍ * سُودًا أَكْثَفُهُ عَلَى الْآفَاقِ

إِبْقِيَا مَا بَقِيْنَا سَوْفَ يُرَى * بَيْنَ تَخْصِيكَا بِسَهْمِ الْفِرَاقِ

أَشْجَعُ السَّلَاسِي : هُوَ أَشْجَعُ بْنُ عَمْرِو أَبِي الْوَلِيدِ ، وَقِيلَ : أَبُو عَمْرِو مِنْ أَهْلِ الرَّقَّةِ .

فَمَا يُقْتَلُ بِهِ مِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ :

نَسِيكٌ مِنْ أَمْسَى يَنَاجِيكَ طَرْفُهُ * وَلَيْسَ لِمَنْ تَحْتَ التَّرَابِ نَسِيبُ

وقال أيضا :

سبق القضاءُ بكلِّ ما هو كائن * فليجهد المتقلبُ المحتالُ

وقال أيضا :

داءٌ قديمٌ في بني آدم * فتنةُ إنسانٍ بإنسان

وقال أيضا :

وعلى عدوك يا بن عمِّ محمد * رَصَدانِ ضوءُ الصبحِ والإِغلامِ
فاذا تبَّه رَعتهُ وإذا غفا * سَلَتْ عليه سِيوفُك الأَحلامِ

الجرهميُّ :

وأعددتُه ذنرا لكلِّ مُلِيةٍ * وسهمُ الرزايا بالذخائرِ مولعُ

وقال أيضا :

إذا ما ماتَ بعضُك فابكِ بعضًا * فإنَّ البعضَ من بعضِ قريبُ

وقال أيضا :

أرى الحلمَ في بعضِ المواطينِ ذِلَّةً * وفي بعضها عزًّا يُسَوِّدُ فاعلُهُ

وقال أيضا :

ودون النسيءِ في كلِّ قلبٍ قَنِيَّةٌ * لها مَصْعَدٌ حَزَنٌ ومُنْعَدٌ سَهْلُ

وقال أيضا :

العيش لا عيش إلا ما قَنِيتَ به * قد يكثرُ المالُ والإنسانُ مُقْتَرِرُ

وقال أيضا :

وهل حازم إلا كآخر عاجز * إذا حلَّ بالإنسانِ ما يتوقَّعُ

محمود الورّاق : هو محمود بن الحسن البغدادي مولى بني زهرة، ويُكنى أبا الحسن . فلما يُمَثَّلُ به من شعره قوله :

وإذا غلا شيءٌ على تركته * فيكون أرخص ما يكون إذا غلا

وقال أيضا :

ماكدت الفص عن أخى ثقة * إلّا ذممت عواقب الفحص

وقال أيضا :

الدمر لا يتقى على حالة * لا بد أن يُقِيلَ أو يُدْبِرَا
فإن تلقاك بمكرهه * فأصبر فإن الدهر لن يصبرا

وقال أيضا :

إذا كان وجهه العذريس بواضح * فإن أطراح العذير خير من العذر

محمود بن حازم الباهلي :

إلا إنما الدنيا على المرء فتنة * على كل حال أقبلت أم تولت

وقال أيضا :

وقائل كيف نفرقتما * فقلت قولاً فيه إنصاف
لم يك لي شكلا ففارقته * والناس أشكأل وألأف

السّموءل بن عادياء :

إذا المرء لم يدنس من اللّوم عِرْضه * فكلّ رداء يرتديه جميل

وقال أيضا :

إذا كنت ملّحياً مُبيّناً ومُحسّناً * فنيشيان ما تهوى من الأمر أكس

محمد بن أبي ذُرَّةَ الدَّمَشْقِي :

لَا يُؤْنِسُكَ أَنْ تَرَانِي ضَاحِكًا * كَمْ مَحْكَمَةٍ فِيهَا عُيُوسٌ كَامِنٌ

وقال أيضا :

قَدْ يَمِزُ الْهِنْدِيُّ وَهُوَ حُسَامٌ * وَيُحْتِ الْجَوَادُ وَهُوَ جَوَادُ

- أبو الشَّيْص : واسمه محمد بن رَزَّين بن تَمِيم بن نَهْل ، وأبو الشَّيْص لَقَبٌ قَلْبٌ عَلَيْهِ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو جَعْفَرٍ وَهُوَ عَمُّ دَعِيلِ بْنِ عَلِيٍّ . فَمَا يُمَثِّلُ بِهِ مِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ :
إِذَا لَمْ تَكُنْ طَرُقَ الْهَوَى لِي ذَلِيلَةً * تَتَكَبَّرُهَا وَانْحَزْتُ مِنْ جَانِبِ السَّهْلِ

عَلَى بْنِ جَبَلَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَنْبَارِيِّ ، وَهُوَ الْمَلَقَبُ بِالْمَكُوكِ قَالَ :

وَأَرَى الْيَلَابِيَّ مَا طَلُوتُ مِنْ شَرِّهِ * رَدَّتْهُ فِي عِطَاقِي وَفِي إِنْهَامِي

- وَعَلِمْتُ أَنَّ الْمَرْءَ مِنْ بَنِي الرَّدَى * حَيْثُ الرِّيمَةُ مِنْ يَسَامِ الرَّمَى

وقال أيضا :

وَخَافَتْ عَلَى التَّطَوَّافِ هَوَى وَإِنَّمَا * تُصَابُ غِرَارُ الْوَحْشِ وَهِيَ دُؤُوعُ

الْمَجْلَاجُ الْحَارَتِي :

وَمَا كُنْتُ زَوَّارًا وَلَكِنْ ذَا الْهَوَى * إِلَى حَيْثُ يَهْوَى الْقَلْبُ تَهْوَى بِهِ الرَّجُلُ

وقال أيضا :

إِذَا مَا أَهَانَ أَمْرُؤُ نَفْسَهُ * فَلَا أَكْرَمَ اللَّهُ مِنْ يُكْرِمُهُ

عبد الصمد بن المعدل :

لَيْسَ لِي عُذْرٌ وَعِنْدِي بُلْفَةٌ * إِنَّمَا الْمَذْرُومُ لَنْ لَا يَسْتَطِيعَ

وقال أيضا :

وأعلم أن بنات الرجاء * تُحِلُّ العزَّزَ محلَّ الذليل
وان ليس مُستغنيا بالكثير من ليس مُستغنيا بالقليل

وقال أيضا :

أرى الناس أهدوئة * فكونوا حديثا حسن
كان لم يكن ما أتى * وما قدمنى لم يكن
إذا وطن راجى * فكل بلاد وطن
إذا عزَّ يوما أخو * ك في بعض أمر فهن

الحمدونى :

إن المَقْدَمَ في حَذِّ بصنعتة * أتى توجه فيها فهو محروم

العتبي :

قالت عهدتك مجنونا فقلت لها * إن الشباب جنون برؤه الكبر

وقال أيضا :

وحبك من حادثٍ بصرى * يرى حامديه له راحينا

أبو سعيد الخزومي : وأسمه عيسى بن خالد بن الوليد، والصحيح أنه أبو سعد
لا سعيد . فما يُتمثل به من شعره قوله :

وكم رأينا للدهر من أسد * بالت على رأسه ثعالبه

وقال أيضا :

إذا ضنَّ الجواد بما لديه * فما فضل الجواد على البخيل

وقال أيضا :

ليس لبس الطيَّاليس * من لباس القواريس

لا ولا حومة الوغى * كصدور المباليس
وظهور الجياد غير ظهور الطنائس
ليس من مارس الخطو * بكن لم يمارس

دَعِيلُ بْنُ عَلِيٍّ - الخزاعي - هو أبو جعفر واسمه محمد ودعبل أقبُ غَلَبَ عليه،
والدَّعِيلُ : البعير المسنُّ، وقيل : الناقة التي معها أولادها . فلما يُمَثَّلُ به من شعره قوله :

لا تسجي ياسلم من رجل * ضحك المشيب برأسه فبكي

وقال أيضا :

هي النفس ماحسته فحسِّن * إليها وما قبَحته ففُتِّح

وقال أيضا :

جننا به يشفع في حاجة * فاحتاج في الإذن إلى شافع

وقال أيضا :

تلك المساعي إذا ما اتعرت رجلا * أحب للناس عيباً كالذي مابه
كذلك من كان هذم المجد عادته * فإنه لبناء المجد عيابه

إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيُّ :

وكل مسافر يزداد شوقاً * إذا دنت الديار من الديار

المؤمل بن أميل :

إذا مريضنا أتيناكم نعوذكم * وتنبون فتابكم ونعتذر
لا تحسبوني غيباً عن مودتكم * إني إليكم وإن أيسرت مفتقر

إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ صَوْلٍ مولى يزيد بن المهلب يكنى أبا إسحاق،
وأصله من خراسان . فلما يُمَثَّلُ به من شعره قوله :

ورب أبح ناديتُه لأملة * فالقيته منها أجلاً وأعظما

وقال أيضا :

وكنْتَ أَذَمَّ إِلَيْكَ الزَّمَانُ * فَأَصْبَحْتُ فِيكَ أَذَمَّ الزَّمَانَا
وكنْتَ أَعَدَّكَ لِلنَّائِبَاتِ * فَهَآنَا أَطْلُبُ مِنْكَ الْأَمَانَا

وقال أيضا :

دَنَتْ بَانَسٌ عَنْ تَنَاهٍ زِيَارَةٍ * وَشَطَّ بِلِيلٍ عَنْ دُنُوِّ مَرَارِهَا
وَإِنَّ مَقَامَاتٍ بِمَقْطَعِ السَّوَى * لِأَقْرَبَ مِنْ لَيْلٍ وَهَاتِيكَ دَارَهَا

أبو عليّ البصير : وهو الفضل بن جعفر الكوفي يقول :
فلا تَمْتَدِّرْ بِالشُّغْلِ عَنَّا فَاثِمًا * تَنَاطُلُ بِكَ الْأَمَالُ مَا آتَصَلَ الشُّغْلُ

وقال أيضا :

لَعَمْرُ أَبِيكَ مَا تُسَبِّحُ الْمُحَلَّ * إِلَى كَرَمٍ وَفِي الدُّنْيَا كَرِيمُ
وَلَكِنَّ الْبِلَادَ إِذَا أَقْشَمَتْ * وَصُوحُ نَبْثِهَا رُحَى الْمَشِيمُ

سعيد بن حميد يقول :

* إِنَّ جَهْدَ الْمُقَلِّ غَيْرُ قَلِيلٍ * وَطَى الْمَرِيبُ شَوَاهِدًا لَا تُدْفَعُ *

وقال أيضا :

وَإِنَّكَ كَالدُّنْيَا تُدَمُّ صُرُوفُهَا * وَتَوْسَعُهَا سُبَا وَنَحْنُ عِيِيدُهَا

عليّ بن الجهم يقول :

وَلِكُلِّ حَالٍ مَقْعَبٌ وَلَرِيَا * أَجَلُ لَكَ الْمَكْرُوهُ عَمَّا تَعْمَدُ

وقال أيضا :

وَمَاقِبَةُ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ حِمْلَةٌ * وَأَفْضَلُ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ التَّفَضُّلُ
وَلَا حَارَ إِنْ زَالَتْ عَنِ الْمَرْءِ نَمَّةٌ * وَلَكِنَّ حَارًا أَنْ يَزُولَ التَّجَمُّلُ

وقال أيضا :

إَرْضِ السَّائِلَ الْخُضُوعَ وَلِقَا * رِفِ ذَنْبًا مَذَلَّةَ الْأَعْذَارِ

ابن أبي فتن : هو أحمد بن صالح بن أبي معشر مولى المنصور يقول :

أَرَى الدَّهْرَ يَخْلُقُنِي كَلَمًا * لَبَسْتُ مِنَ الدَّهْرِ نَوْبًا جَدِيدًا

وقال أيضا :

سَرَّ مِنْ عَاشٍ مَالُهُ فَإِذَا حَا * سَبَّهُ اللَّهُ سَرَّهُ الْإِعْدَامُ

وقال أيضا ،

رَبِّ أَمْرِ سَرَّانَرُهُ * بَعْدَ مَا سَمِعْتَ أَوَّالَهُ

يزيد بن محمد المهلبى يقول :

* لَا عَارَ إِنْ ضَامَكَ دَهْرٌ أَوْ مَلِكٌ *

١٠

وقال :

وَإِنَّ النَّاسَ جَمْعُهُمْ كَثِيرٌ * وَلَكِنْ مِنْ تُسَرُّ بِهِ قَلِيلٌ

وقال أيضا :

وَمَنْ ذَا الَّذِى تُرْضَى بِجَبَايَاهُ كُلِّهَا * كَفَى الْمَرْءُ نُبْلًا أَنْ تَعُدَّ مَعَايِشُهُ

١٥

عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير يقول :

فَإِنْ تَلَحَّظْتَ حَالِي وَحَالَكَ مَرَّةً * بِنَظَرَةٍ عَيْنٍ عَنْ هَوَى النَّفْسِ تُحْجَبُ
تَرَى كُلَّ يَوْمٍ مَرًّا مِنْ يَوْمٍ عِشْتَنِي * عَلَيْكَ يَوْمٌ مِنْ نَعِيمِكَ يُحْسَبُ

أحمد بن أبي طاهر يقول :

وَبَيْنَ الْفَقْرِ بَيْنَ التَّمَاكِ وَالنَّهْيِ * وَدُنْيَا الْفَقْرِ بَيْنَ الْهَوَى وَالتَّعْزِزِ

وقال أيضا :

حسن الفقى أن يكون ذا حسب * من نفسه ليس حسنة حسبة

أبو تمام حبيب بن أوس الطائى يقول :

* ما الحب إلا للحبب الأول * لسان المرء من جذم الفؤاد *

* وذو التقص فى الدنيا بذى الفضل مولع *

وقال :

ما أب من أب لم يظفر بحاجته * ولم يغب طالب للنجح لم يغب

وقال أيضا :

ومن لم يسلم للنوائب أصبحت * خلاصته طرا عليه نوائب

وقال أيضا :

لأمرى عليهم أن يتم صدوره * وليس عليهم أن تم عواقبه

وقال أيضا :

لا تنكرى عطل الكرم من الفقى * فالسيل حرب للكان العالى

وقال أيضا :

واذا تأملت البلاد رأيتها * تخرى كما تخرى الرجال وتعيدم

وقال أيضا :

واذا أمرؤ أهدى اليك صنعة * من جاهد فكأنها من ماله

وقال أيضا :

خلفنا رجلا للتجلد والأسمى * وتلك الفوانى للبيكا والمآتم

وقال أيضا :

ينال الفقى من عيشه وهو جاهل * ويكلى الفقى فى دهره وهو عالم
ولو كانت الأرزاق تجرى على الجبا * هلكن إذا من جهلن البهائم

وقال أيضا :

• ألفسة النحيب كم أفتراق * أطل فكان داعية أجتاع
وليست فرحة الأبواب إلا * لموقف على ترج الوداع

وقال أيضا :

• وإذا أراد الله نشر فضيلة ^(١) * يوما أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيها جاورت * ما كان يُعرف طيبُ عرف العود

وقال أيضا :

• ١٠ خشموا لصوتك التى هى عندهم * كلوت يأتى ليس فيه نار

وقال أيضا :

ذاك الذى قرحت بطون جفونه * مرها وتربة أرضه من إئيد

وقال أيضا :

• ١٥ وتركى سرعة الصدر أعتابا * يدل على مواقة الورد

وقال أيضا :

ولم أر كالمروف تدعى حقوقه * مغارم فى الأقوام وهى مقام

وقال أيضا :

• وإن أمرأ ضلت بداء على أمرئ * بنيل يد من غيره لبخيل

• ٢٠ كذا فى الأصول . والرواية المشهورة كما فى دهران أب تمام طبع مصر ص ٤٣ : « ... طويت ... الخ » .

أبو عبادَةَ البُخَيْرِيّ، وهو الوليد بن عُبيد بن يحيى بن عُبيد بن شَيْلان بن جابر
ابن مُسلمة بن مُسهِر بن الحارث بن خَيْثَم بن أبي حارثة بن جدى بن زَول بن بَحْر
الطائيّ . فما يُمثل به من شعره قوله :

* وأبرجُ مما حلّ ما يُتَوَقَّعُ *

وقال أيضا :

* وليس تَهْتَرَنُ النماءُ والحسدُ *

وقال أيضا :

* إن المعنى طالبٌ لا يظفرُ *

وقال أيضا :

* أرى الكفرَ للنماءِ ضرباً من الكفرِ *

وقال أيضا :

* يزينُ اللائى فى النظامِ أزدواجها *

وقال :

وكان رجائى أن أؤوب مملُكا * فصار رجائى أن أؤوب مسلماً

وقال أيضا :

مضى أخرجتَ ذا كرمٍ تخطى * اليك بيمضٍ أخلاقُ اللئيمِ

وقال أيضا :

والشئُ مُنَمَّهٌ يكونُ بِقُوَّتِهِ * أجدى من الشئِ الذى تُعْطَاهُ

وقال أيضا :

تأسَّ ذنوبَ قومك إن حفظَ الذنوبُ* إذا قُئِمَنَ من الذنوبِ

وقال أيضا :

وَإِذَا مَا خَفَيْتُ صَكْتُ خَرِيًّا * أَنْ أَرَى غَيْرَ مُصْبِحٍ حَيْثُ أُمِّي

وقال أيضا :

مَتَى أَرَيْتِ الدُّنْيَا نِبَاهَةً حَامِلًا * فَلَا تَنْتَظِرُ إِلَّا نُحُولَ نَيْبِهِ

وقال أيضا :

وَأَرَى النِّجَابَةَ لَا يَكُونُ تَمَامُهَا * لِنَجِيبِ قَوْمٍ لَيْسَ بَابُنْ نَجِيبِ

وقال أيضا :

وَإِذَا مَا الشَّرِيفُ لَمْ يَتَوَاضَعَ * لِلْأَخْلَاءِ فَهُوَ عَيْنُ الْوَضِيعِ

وقال أيضا :

وَلَمْ أَرِ أَمْثَالَ الرِّجَالِ تَفَاوُتَ * إِلَى الْمَجْدِ حَتَّى عُدَّ أَلْفُ بَوَاحِدِ

وقال أيضا :

لَيْسَ الَّذِي يُعْطِيكَ تَالِدَ مَالِهِ * مِثْلَ الَّذِي يُعْطِيكَ مَالَهُ النَّاسِ
وَتَفَاضُلُ الْأَخْلَاقِ إِنْ حَصَلَتْهَا * فِي النَّاسِ حَيْثُ تَفَاضُلُ الْأَجْنَاسِ

وقال أيضا :

لَا يَبِاسُ الْمَرْءُ أَنْ يَخِيَّهَ * مَا يَحْسَبُ النَّاسُ أَنَّهُ عَظِيمُهُ
يَسْرُكُ الشَّيْءُ قَدْ يَسُوءُ وَكَمْ * تَوَهُ يَوْمًا بِخُضَامِلِ لَقْبُهُ

وقال أيضا :

إِذَا عَايَنِي اللَّاقِ أَدُلَّ بِهَا * كَانَتْ ذُنُوبِي فَقُلْ لِي كَيْفَ اعْتَدُرُ

وقال أيضا :

وَعَطَاءُ غَيْرِكَ إِنْ بَذَلَ * حَتَّ عِصَايَةٍ فِيهِ عَطَاؤُكَ

ديك الجن، وأسمه عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن رغبان بن زيد بن تميم بن مجد من أهل حمص يقول :

وشافى النَّصَحُ يُدَلُّ بالأشافي * وليس القدر إلا بالأتافي^(١).

وقال :

إذا شجر الموقدة لم تجده * بنيت البرأسرع في الجفاف

وقال أيضا :

برقد الناس آمنين وريب الدهر يرعاهم بمقلية إص

أبي الرومي يقول :

وكم داخل بين المحيمين مصلح * كما أنقل بين العيين والجفن مرود

وقال أيضا :

هو باز صائد أرسلته * فأرجعوه سالما إن لم يصد

وقال أيضا :

وما الحمد إلا توهم الشكر في الفتى * وبعض السجايا ينتسب إلى بعض
إذا الأرض رقت ربيع ما أنت زارع * من البذر فهي الأرض ناهيك من أرض

وقال أيضا :

وإذا أهلك من الأمور مقدر * ففروت منه فتحوه نتوجه

وقال أيضا :

كيف ترضى الفقير عرسا لا مري * وهو لا يرضى لك الدنيا أمة

وقال أيضا :

عدوك من صديقك مستفاد * فلا تستكثر من الصحاب

فإن الداء أكثر ما تراه * يكون من الطعام أو الشراب

(١) هكذا ورد في جميع الأصول ولم نوفق إلى تحقيقه في المراجع التي بين أيدينا .

عبد الله بن المعتز يقول :

* فإن الميون وجوه القلوب *

وقال أيضا :

* أم الكرام قليلة الأولاد *

وقال أيضا :

* أبطأ فيض الدلاء أمؤها *

وقال أيضا :

اصبر على كيد الحسو * د فإن صبرك قاتله

فالنار تأكل بعضها * إذ لم تجد ما تأكله

وقال أيضا :

ولا هم إلا سوف يفتح قفله * ولا حال إلا للفني بعدها حال

وقال أيضا :

لا تأمنوا من بعد خير شرأ * كم غصني أخضر عاد جمرأ

وقال أيضا :

وإني على إشفاق عيني من البكا * لتجمع مني نظرة ثم أطرق

كما حلكت عن ماء ورد طريدة * تمتد إليه جيدها وهي تفرق

وقال أيضا وإشارته الى الديك :

صقق إما آرتياحة لسانا * ففجروا إما على الدجى أسفا

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

الم تر أن المرأة تكوى يمينه * فيقطعها عمدا ليسلم سائرته

فكيف تراه بعد يمينه صانعا * لمن ليس منه حين تكوى سائرته

وقال أيضا :

الاقبح الله الضرورة إنتها * تكلف أعل الخلق أدنى الخلائق

وقال أيضا :

وكم قائل قد قال مالك راجلا * فقلت له من أجل أنك فارس

وقال أيضا :

ومن سره ألا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا

ابن طباطبأ العلوي : هو أبو الحسن محمد بن أحمد العلوي الأصهباني يقول :

إن في نيل المتى وشك الردى * وقياس القصد عند السرف

كسراج دهنه قوت له * فإذا غرقه فيه طغى

وقال أيضا :

لقد قال أبو بكر * صوابا بعد ما أنصت

نرجنا لم نصد شيئا * وما كان لنا ألفت

وقال أيضا :

يا عيشنا المفقود خذ من عمرنا * علما ورد من الصبا أياما

منصور الفقيه المقرئ يقول :

يا من يخاف أن يكو * ن ما أخاف مرمدا

أما سمعت قولم * إن مع اليوم غدا

وقال أيضا :

الملح يصلح كل ما * يُخنى عليه من الفساد

فإذا التساد جرى عليه * ه فككه حكم الرماد

وقال أيضا :

كُلُّ مذكورٍ من الناس إذا ما * فقدوه صار في حكم الرِّمَادِ

وقال أيضا :

كُلُّ مذكورٍ من الذ * اس إذا ما فقدوه

صار في حكم حديث * حفظوه ونسوه

وقال أيضا :

كُلُّ من أصبح في ده * رك ممن قد تراه

هو من خلقك مقرا * ض وفي الوجه مرآه

ابن بسام : هو علي بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام كنيته أبو الحسن يقول

* وكم أمانة جلبت مني *
١٠

وقال :

ولولا الضرورة ما جتكم * وعند الضرورة يؤتى الكنيف

وقال أيضا :

قل لأبي القاسم المربى * قابلك الدهر بالعجائب

مات لك أبى وكان زينا * وعاش ذوالشين والمعائب

حياة هذا كموت هذا * فليست تحلون المصائب
١٥

وقال أيضا :

رب يوم بكيت منه فلما * جزت في غيره بكيت عليه

وقال أيضا :

قد يحمل الشيخ الكبي * رُجْازةَ الطفل الصغير
٢٠

بَحْظَةٌ : هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك
النديم يقول :

* وللساكن أيضا بالندى وَلَعٌ *

وقال أيضا :

* وآفة التبر ضَعْفٌ متقِدُهُ *

وقال أيضا :

* متى يلتقى المَيْتُ والفاسلُ *

وقال أيضا :

لا تَمَتِّتِ للزمان صديقا * وأعد الزمان للأصدقاء

وقال أيضا :

وما كَذَبَ الذى قد قال قبل * اذا ما مرَّ يومٌ مرَّ بعضي

وقال أيضا :

اذا الشهر حلَّ ولا رزق لى * قَمَدَى لأيامه باطلٌ

وقال أيضا :

واذا جفانى جاهلٌ * لم أستخر ما عشتُ قطعة

وجملته مثل القبسو * رآزوره فى كَلِّ جمعه

الصنوبرى يقول :

يَحْنُ التَّقَى يُخْبِرُنْ عَنْ فَضْلِ الْفَتَى * كالنار مخبئةٌ بفضل المنبرِ

وقال أيضا :

رَبِّ حَالٍ كَأَنَّهَا مُذْهَبُ الدِّيبِ * سِجَاجٌ صَارَتْ مِنْ رَقَّةٍ كَاللَّادِ^(١)

(١) الالة : ثوب حرير أحمر صفي، والجمع لاذ .

وزمان مثل آبنه الكرم حسنا * عاد عند العيوف مثل الداذي^(١)
أو ما من فساد رأى الليالى * أن شرى هذا وحالى هذى^(٢)

أبو الفتح كشاجم : هو محمود بن الحسين بن السندی بن شاهك، وشاهك
أنه يقول :

يُعاد حديثه فيزيد حسنا * وقد يُستقبح الشيء المُعاد

وقال أيضا :

شخص الأنام إلى جمالك فاستعذ * من شر أعينهم بعب واحد



ومما يُمثّل به من أشعار المولّدين : منهم

أبو فراس الحمداني :

غنى النفس لمن يعق * ل خير من غنى المال

وفضل الناس في الأنف * س ليس الفضل في الحال

وقال أيضا :

ونحن أناس لا توسط عندنا * لنا الصدر دون العالمين أو القبر

تهون علينا في المعالي نفوسنا * ومن خطب الحسناء لم يغلبها مهر

وقال أيضا :

وندعو كريما من يجود بماله * ومن يبذل النفس النفيسة أكرم

وقال أيضا :

وجبل المدوّ غير جميل * وقبيح الصديق غير قبيح

٢٠

(١) العيوف : الأبي وفي الأصول : (اليون) وهو مخربف .

(٢) الداذي : — جاء على لفظ النسب وليس بنسب — شراب مسكر، قال الشاعر :

شرينا من الداذي حتى كأننا * ملوك لنا برّ المراقين والبحر

أبو الطيب المتنبي يقول :

* مصائب قوم عند قوم فوائد *

وقال أيضا :

* إن المعارف في أهل النهى ذم *

وقال أيضا :

* وخير جليس في الزمان كتاب *

وقال أيضا :

* وتأتي الطبائع على الناقل *

وقال أيضا :

* ومنفعة الفوت قبل العتاب *

وقال أيضا :

* ومن فرح النفس ما يقتل *

وقال أيضا :

* إذا عظم المطلوب قل المساعد *

وقال أيضا :

* أنا الفريق لما خوفي من البليل *

وقال أيضا :

* فأن الرفق بالجناني عتاب *

وقال أيضا :

* بنيض إلى الجاهل المتعاض *

وقال أيضا :

وكل أمرئ يولى الجميل محبب * وكل مكان يُنبت العز طيب

وقال أيضا :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته • وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
ووضع الندي في موضع السيف بالعلأ • مضرك وضع السيف في موضع الندي

وقال أيضا :

• والأمر لله رب مجتهد • ما خاب إلا لآفته جاهد

وقال أيضا :

وليس يصح في الأفهام شيء • إذا احتاج النهار إلى دليل

وقال أيضا :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى • عدوا له ما من صداقته يذ

وقال أيضا :

• وإذا كانت النفوس كباراً • تعبت في مرادها الأجسام

وقال أيضا :

• وإن يكن الفعل الذي ساء واحدا • فافعله اللاتي سررن ألوف

وقال أيضا :

• وإذا ألتك مذقتي من ناقص • فهي الشهادة لي بآتي فاضل

وقال أيضا :

• وما الحسن في وجه الفتى شرفا له • إذا لم يكن في فعله والخلاقي

وقال أيضا :

• وما يوجب الحرمان من كف حارم • كما يوجب الحرمان من كف رازق

وقال أيضا :

إنا لفي زمن ترك القبيح به * من أكثر الناس إحساناً وإجمالاً
ذكرُ الفتي عمره الثاني وحاجته * ما قاته وفضول العيش أشغالاً

وقال أيضا :

وقيدت نفسي في ذراك محبة * ومن وجد الإحسان قيداً تهديداً

وقال أيضا :

ما كل ما يبتغي المرء يُدرسه * تجمري الرياح بما لا تشتهي السفن
السريّ بن أحمد بن السريّ الموصليّ يقول :

إذا العبء الثقيل توزعته * أكف القوم هان على الرقاب

وقال أيضا :

فإنك كلما استودعت سرّاً * أنتم من النسيم على الرياض

وقال أيضا :

إني كم أحبّ فيك المدحج * ويلقي سواي لديك الجهورا

أبو بكر محمد بن هاشم الخالديّ يقول :

إن خانك الدهر فكن عائداً * باليد والظلماء والعيس

ولا تكن عبد المني فائتي * رموس أموال المفاليس

وقال أيضا :

وأج رخصت عليه حتى ألقى * والشئ مملول إذا ما يرخص

ما في زمانك ما ييسر وجوده * إن رمته إلا صديق مخلص

أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالديّ [أخوه] يقول :
يا هذه إن رحّت في * خلق فإ في ذاك عارُ
مذى المدام هي الحيا * ة لقصها نرقُ وقارُ
وقال أيضا :

• صغيرُ صرفتُ اليه الهوى * وما خاتمٌ في سوى خنصر

الخبّاز البلديّ : هو أبو بكر محمد بن أحمد بن حمدان، نسبة الى "بلد" وهي
من بلاد الجزيرة التي منها الموصل يقول :

إذا استقلت أو أبغضت خلقا * وسرك بسده حتى التناد
فشرده بقرض دُرهمات * فإن القرض داعيةُ الفساد

١٠ أبو إسحاق الصابيّ يقول :

نيم الله كالوحوش وما نأ * لف إلا الأخير النساء
نقرنها آثام قوم وصارت * لأولى البر والثقى أشراكا

وقال أيضا :

ومن الظلم أن يكون الرضا سئرا ويبدو الإنكار وسطا النادى

١٥ وقال أيضا :

الضرب والنون قد يربى أنقاؤهما * وليس يربى التفاء اللب والذهب

عبد العزيز عمر بن نُبّاته يقول :

فلا تحقرن عدوا رماك * وإن كان في ساعديه قصر
فإن السيوف تحمّر الرقاب * وتمجز عما تنال الإبر

وقال أيضا :

مَثَلٌ خَلَعْتُ عَلَى الزَّمانِ رِداءَهُ * عَوَّزُ الدِّراهِمِ آفَةُ الأَجْوادِ

وقال أيضا :

يَهْوَى الثَّناءَ مُبَرِّزاً وَمُقَصِّرَ * حُبُّ الثَّناءِ طَبِيعَةُ الإنسانِ

وقال أيضا :

وَتَبَّتْ بَناءُ أَرْضِ العِراءِ * قَفا عَمَّناها بِمِجْنَةٍ

غَيْرِ الرِّحِيلِ كَفَى البَلاءِ * دَيرِجَةُ النِّجاءِ مِجْنَةٌ

ابن لنكك البصرى : هو أبو الحسين محمد بن محمد يقول :

وماذا أُرَجَى مِنْ حِياةٍ تَكَذَّرَتْ * وَلَوْ قَدِصِفَتْ كَانَتْ كَأَضْغاثِ أَحْلامِ

وقال أيضا :

عَدَدُنا فِي زَمائِنا * عَنِ حَلِيقِ المِكارِمِ

مِنْ كَفَى النِّاسِ شَرُّهُ * فَهُوَ فِي جُودِ حائِمِ

وقال أيضا :

جارِ الزَّمانُ عَلينا فِي تَصَرُّفِهِ * وَأَيُّ دَهرٍ عَلَى الأَحْرامِ لَمْ يَحْمِرِ

عِنْدِي مِنَ الدَّهْرِ ما لَوْ أَنَّ أَيْسَرَهُ * يُلْقَى عَلَى الفَلَكِ الدُّوَّارِ لَمْ يَدِرِ

أبو الحسن عبد الله بن محمد بن محمد السلامي يقول :

تَبَسَّطْنا عَلَى الأَناامِ لَمَّا * رَأينا العَفْوَ مِنْ ثَمَرِ الذُّنُوبِ

وقال أيضا :

والمرءُ ما شَمَّتْهُ فَرْصَةُ لَذَّةٍ * ناسِيَ الحِواثِ آمِنِ الحِداثِ

وقال :

وكان رقادى بين كائس وروضة * فصار مُسْهَدى بين طريف وصارم

وقال أيضا :

رَكُوبُ الهَوْلِ أَرَكِيكَ الْمَذَاكِي * وَلَيْسَ الدِّرْعُ أَلَيْسَكَ الْغَلَامِلُ

أبو الفرج البَغَاء يقول :

مَا الدَّلْ إِلَّا تَحْمِلُ الْمَنِي * فَكُنْ عَزِيزًا إِنْ شِئْتَ أَوْفَعُهُنَّ

وقال أيضا :

وَمَنْ طَلَبَ الْأَعْدَاءَ بِالْمَالِ وَالطُّبَا * وَبِالسَّعْدِ لَمْ يَبْعُدْ عَلَيْهِ مَرَامُ

وقال أيضا :

وَلَمْ أَرْمُدْ عَرَفْتُ عَمَلُ نَفْسِي * بَلُوغُ مَنِي تَسَاوَى حَمَلُ مَنِي

وقال أيضا :

أَكُلْ وَمِضْ بَارِقَةَ كَذُوبُ * أَمَا فِي الدَّهْرِ نِيءٌ لَا يَرِيبُ

١٠

ابن سُرَّة الهاشمي : هو محمد بن عبد الله يقول :

* وَعِلَّةُ الْحَالِ تُنْسِي عِلَّةَ الْجَسَدِ *

وقال أيضا :

* وَقَدْ يَنْبَغِي الشُّوْكَ بَيْنَ الْأَفَاحِي *

وقال أيضا :

١٥

الموت أنصف حين عَدَلَ قِسْمَةُ * بَيْنَ الْخُلَيْفَةِ وَالْمَقِيرِ الْبَائِسِ

ابن الْحَجَّاج : هو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج يقول :

* وَرَبِّ كَلَامٍ تُسْتَتَارُ بِهِ الْحَرْبُ *

وقال أيضا :

* خَوْدُ تَرْفٍ إِلَى ضَرْبٍ مُقْعَدِ *

٢٠

(١) المذاكي : الخيل التي تم سها وكنت قوتها .

وقال أيضا :

واللوزة المسترة يا سادق * يفسد في الطعم بها السكر

وقال أيضا :

مازلتُ أسمعكم من واقفٍ محجل * حتى أبليتُ فكنتُ الواقعةَ الجحلا

وقال أيضا :

وبى مرضان غطفان حال ال * حليلة منهما تُسمى بحال
إذا عالجته هذا جف يكبدى * وإن عالجته ذاك رباً طحال

أبو الحسن الموسوى النقيب : هو محمد بن الحسين بن موسى يقول :

أسميتُ أرحم من قد كنتُ أغبطه * لقد تقارب بين العز والمون
ومنظر كان بالسراء يضحكنى * يا قرب ما عاد بالضراء يُكبنى

وقال أيضا :

والخز من حذر هوا * ن يزاول الأمر الجسبا
وهو العظم وغير بد * ع منه إن ركب العظما

وقال أيضا :

ما السؤددُ المطلوب إلا دون ما * يؤمى إليه السؤدد المولود
فاذا هما آتفا تكسرت القنا * إن غالباً وتضعضع الجملود

وقال أيضا :

اشترى العز بما به * ع فى العز بنالى
بالقصار البيض إن شد * مت أو السمر الطوال
ليس بأغبون عقلا * مشتر عزاً بمال

إنما يُدخر الماء لِحاجات الرجال

والفتى من جعل الأمد * ووال أثمان المعالي

أبو طالب المأمونى يقول :

لى فى ضمير الدهر سرٌّ كامنٌ * لا بد أن تستلّه الأقدارُ

وقال أيضا :

وما شرف الإنسان إلا بنفسه * أكان ذووه سادة أم مواليا

وقال :

إذا الفيت وفى الروض واجب حقه * وزاد فإن الفيت للروض ظالمٌ

(٢١)

ابن العميد : هو أبو الفضل محمد بن أبى عبد الله الحسين بن محمد، عُرف

١٠ بابن العميد، كان أبوه أبو عبد الله وزير مرداويج توفى أبى العميد بالرّى فى محرم

سنة ستين وثلاثمائة يقول :

لن يصرف الدهر من سمّيته * أرب أريب وحول ذى جيل

أى معين صفا على كدر الدهر وأى التعميم لم يزل

وقال أيضا :

١٥ من يُشَفّ من داءٍ بآثر مثله * أثرت جوانحه من الأدواء

داوى جوى يجوى وليس بحازم * من يَشْكُف النارَ بالحلقاء

الصاحب بن عباد : هو أبو القاسم إسماعيل بن عباد . توفى فى صفر

سنة خمس وثمانين وثلاثمائة وعمره خمس وستون سنة وسمى بالصاحب لصحبة أبى

العميد يقول :

٢٠ * بقدر المغموم تكون المهم * * كم صارم حُرِّب فى ختير

وقال أيضا :

لقد صدقوا والرافعات الى منى * بأن مودات العدا ليس تنفع
ولو أنى داريت دهرى حية * اذا استمكنت يوما من السع تسع

الحسن بن على بن عبد العزيز القاضى يقول :

* القلب يدرك ما لا يدرك البصر * * يملك الأحرار بالإيناس *

وقال أيضا :

وما أعجبتنى قط دعوى عريضة * وواقام فى تصديقها ألف شاهد

وقال أيضا :

يقولون لى فىك آقباض وأتأ * رأوا رجلا عن موقف الذل أحمأ
اذا قيل هذا مودت قد أرى * ولكن قس الحز تحتل الظأ

وقال أيضا :

وقالوا اضطرب فى الأرض فالرزق واسع * فقلت ولكن مطلب الرزق ضيق
اذا لم يكن فى الأرض حز يمينى * ولم يك لى كسب فى أين أرزق

أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمى يقول :

* ومن عجب الأيام ترك التجب *

وقال أيضا :

* لكل صناعة يوما مديل *

وقال أيضا :

واذا مدة الشقى تاهت * جاءه من شقائه متقاضى

وقال أيضا :

عليك بإظهار التجلّد للمدا * ولا تظهرن منك الدتو فتحقرا

بديع الزمان أبو الفضل الحمذاني، أحد بن الحسين بن يحيى بن سعيد
توفي سنة ثمان وتسعين وثلثمائة مسموما، وأوفى على الأربعين سنة يقول :

يا حريصا على الفنى * قاعدا بالمراسيد
لست فى سعيك الذى * خضت فيه بقاصيد
إن دنياك هذه * لست فيها بخالد
بعض هذا فإنما * أنت ساج لقاعد

إسماعيل الناشئ يقول :

« وللشباب تُراعى حرمة الكتم^(١) »

وقال أيضا :

وكنت أرى أن التجارب عُدّة * نغانت نقات الناس حتى التجارب

وقال أيضا :

فركضنا فى ميادين التصايب * أحق الخيل بالركض المعار^(٢)

وقال أيضا :

ولا تجزعن على أيكّة * أبت أن تُظلك أغصانها

أبو الفتح على بن محمد البستي يقول :

إذا مرّ بى يوم ولم آتخذ يدا * ولم أستفد علما لما ذاك من عمرى

وقال أيضا :

أنا كالورد فيه راحة قويم * ثمّ فيه لأخبرين زكام

(١) الكتم : نيات يخضب به :

(٢) المعار : القوس المضربة .

وقال أيضا :

لا تَرُجُ شَيْئًا خَالِصًا نَفْعُهُ * فالنَّيْثُ لَا يَخْلُو مِنَ الْعَيْثِ

وقال أيضا :

وَلَمْ أَرِ مَثْلَ الشَّكَرِ جَنَّةَ غَارِسٍ * وَلَا مَثْلَ حَسَنِ الصَّبْرِ جَنَّةَ لَايِسٍ

وقال أيضا :

وَلَنْ يَشْرَبَ السَّمُّ الزُّعَافَ أَخُو الْجَمَا * مُدِلًّا بِدِرْيَاقٍ لَدَيْهِ مَجْرَّبٌ

وقال أيضا :

مَا أَسْتَقَامَتْ قَنَاءُ رَأْيِي إِلَّا * بَعْدَ أَنْ عَوَّجَ الْمَشِيبُ قَنَائِي

وقال أيضا :

وَطُولُ حِمَامِ الْمَاءِ فِي مُسْتَقَرِّهِ * يَغْيِرُهُ لَوْنًا وَرِيحًا وَمَطْعَمًا

وقال أيضا :

إِذَا حَيَوَانٌ كَانَ طَعْمَةً ضَيْقَهُ * تَوَقَّاهُ كَالْفَارِ الَّذِي يَتَّقِي الْهَرَاءَ

وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمَرْءَ طَعْمَةٌ دَعَرُهُ * فَمَا بِالْهَ يَأْوِيهِ يَأْمَنُ الدَّعَرَا

وقال أيضا :

لَا تَحْقِرِ الْمَرْءَ إِنْ رَأَيْتَ بِهِ * دِمَامَةً أَوْ رِثَاءَةَ الْحُلَلِ

فَالنَّعْلُ شَيْءٌ عَلَى ضَوْؤِلَتِهِ * يَشْتَارُ مِنْهُ الْفَقِيرُ جَنَى الْعَمَلِ

الباب الثاني

من القسم الثاني من الفن الثاني

في أوابد العرب

ومعنى الأوابد ها هنا : الدواهي ، وهى مما حى الله تعالى هذه الملة الإسلامية منها ، وحذر المؤمنين عنها . فقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ وقال تعالى : ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِيَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلِلُونَ مَا مَا وَيُحَرِّمُونَهُ مَا مَا﴾ . وكانت للعرب أوابد جعلوها بينهم أحكاما ونسكا وضلالة وعادة ومداواة ودليلا وتفاؤلا وطيرة . فمنها :

البحيرة :

قالوا : كان أهل الوبر يعطون لأهلتهم من اللحم ، وأهل المدر يعطون لها من الحارث ، فكانت الناقة اذا أتجعت نحمة أبطن عمدوا الى الخامس ما لم يكن ذكرا فشقوا أذننها ، فذلك : البحيرة ؛ فربما اجتمع منها هجمة من البحر فلا يُبْرز لها وبر ولا يذكر عليها إن ركب اسم الله ، ولا إن حمل عليها شيء ، فكانت ألبانها للرجال دون النساء .

الوصيلة :

كانت الشاة اذا وضعت سبعة أبطن عمدوا الى السابع ، فان كان ذكرا ذُبح ، وإن كانت أنثى تركت في الشاء ، فان كان ذكرا وأنثى قبل : وصلت أخاها ، فخرما حيماء ، وكانت منافعها ، ولبن الأنثى منها للرجال دون النساء .

السابعة :

كان الرجل يسبب الشيء من ماله ، إما ببيعة أو إنسانا ، فتكون حراما أبدا ،
منافعا للرجال دون النساء .

الحاشي :

كان الفعل اذا أدركت أولاده فصار ولده جدًّا قالوا : حمى ظهره ، أتركوه ،
فلا يحمل عليه ولا يركب ولا يمنع ماء ولا مرعى . فإذا ماتت هذه التي جعلوها
لآلئهم ، أشترك في أكلها الرجال والنساء ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ
هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُنُوبِنَا وَمَحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مِثْقَلُ مِثْقَةٍ فِيهِ شُرْكَاءٌ ﴾
قالوا : وكانت أهل المدر والحريث اذا حرثوا حرثا ، أو غرسوا غرسا ، خطوا
في وسطه خطأ ، فقسموه بين اثنين فقالوا : ما دون هذا الخط لآلئهم ،
وما وراءه لله ، فإن سقط مما جعلوه لآلئهم شيء فباعوه لله بثمنه ، وإن سقط
مما جعلوه لله فباعوه لآلئهم بثمنه ، وإذا أرسلوا الماء في الذي لآلئهم ، فأنفتح
في الذي سموه لله بثمنه ، وإن أنفتح من ذاك في هذا قالوا : أتركوه فإنه فقير إليه ،
فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ
بِرَّعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ
إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ .

الأزلام :

قالوا : كانوا اذا كانت مداراة أو نكاح أو أمر يرملونه ، ولا يدرون ما الأمر
فيه . ولم يصح لهم أخذوا قداما لهم ، فيها : أفعل ولا أفعل لا يفعل ، نعم لا خير ،

(١) هكذا في الأصول ، والتي في بلوغ الأرب لا لوسي ولسان العرب مادة حمى عن الحاشي جملة أقوال
قدل الغراء : هو الفعل اذا لقي ولده فقد حمى ظهره ، وقيل : الفعل يولد من ظهره عشرة أبطن ، وقيل غير ذلك .

شرطيٌّ سريعٌ، فأما المداراة: فإن قدامها لم فيها بيضا ليس فيها شيء فكانوا يجعلونها
فمن خرج صهقه فالحق له . وللحضر والسفر سهران ؛ فيأتون السادن من سدة
الأوثان فيقول السادن : اللهم أيهما كان خيرا فأخرجه لفلان، فيرضى بما يخرج له .
فاذا شكوا في نسب الرجل أجالوا له القداح وفيها : صريحٌ، وملصقٌ ؛ فإن خرج
الصريح ألحقوه بهم، وإن خرج الملصق نفوه وإن كان صريحا، فهذه قداح .
الاستقسام .

الميسر :

قالوا في الميسر : إن القوم كانوا يجمعون فيشترون الجزور بينهم ، فيفصلونها
على عشرة أجزاء ؛ ثم يؤتى بالخرصة وهو رجل يتأله عندهم لم يأكل لحما قط بمن ،
ويؤتى بالقداح وهو أحد عشر قدحا، سبعة منها لها حظ إن فازت ، وعلى أهلها
غرم إن خابت ، بقدر ما لها من الحظ إن فازت ، وأربعة يُنقل بها القداح ، لا حظ
لها إن فازت ، ولا غرم عليها إن خابت .

فأما التي لها الحظ : فاولها القد في صدره حر واحد، فإن خرج أخذ نصيبا،
وإن خاب غريم صاحبه ثمن نصيب ؛ ثم التوم ، له نصيبان إن فاز ، وعليه ثمن نصيبين
إن خاب ؛ ثم الضرب ، وله ثلاث أنصباء ؛ ثم الخلس ، وله أربعة ؛ ثم النافس ،
وله خمسة ؛ ثم المسبل ، وله ستة ؛ ثم المعل ، وله سبعة . قالوا : والمسبل يستنى :
المصْفَحُ ، والضرب يقال له : الرقيب .

وقد جمع صاحب بن عبّاد هذه الأسماء ونظمها في أبيات فقال :

إن القداح أمرها عجيبٌ :: القد والتوم والرقيبُ

والخلس ثم النافس المصيبُ * والمصْفَحُ المشتهر النجيبُ

ثم المعلّى حفظه الترغيبُ * هالك فقد جاء بها الترتيبُ

وأما الأربعة التي ينقل بها القِداح، فهي : السَّفِيح، والمنجَح، والمُضَعَف،
والوَعْد .

قال ابن قتيبة : والمنجَح له موضعان : أحدهما لا حظ له ، والثاني له حظ ،
فكانه الذي يُنَحَّ حظّه ، وعلى ذلك دلّ قول عمرو بن قبيصة :
بأيديهم مَقْرُومَةٌ وَمَقَاتِي * يموذُ بأرْزاق العيال منيَها

قالوا : فيؤتى بالقِداح كلها وقد عرف كلّ ما اختار من السبعة ولا يكون الأيسار
إلا سبعة ، لا يكونون أكثر من ذلك ، فإن قصّوا رجلا أو رجلين ، فأحب الباقون
أن يأخذوا ما فضل من القِداح ، فيأخذ الرجل القِدح والقِدحين فيأخذ فوزهما إن
فازا ، ويَرمَ عنهما إن خابا ، ويدعى ذلك التَّمِيم قال النابغة :

إني أتمم أيساري وأمنعهم * من الأيادي وأكسو الحفنة الأدماء

فيُعمد إلى القِداح ، فتشَدُّ مجموعة في قطعة جِلْد ثم يعمد إلى الحُرْضة فيلقف
على يده اليمنى ثوب لثلاث يحدّ مسّ قِدح له في صاحبه هوى ، فيحاط به في إخراجِه ، ثم
يؤتى بثوب أبيض يدعى المِجْوَل ، فيبسط بين يدي الحُرْضة ، ثم يقوم على رأسه
رجل يدعى الرقيب ، ويدفع رِبابَةَ القِداح إلى الحُرْضة وهو محوّل الوجه عنها ،
والرِبابَةُ : ما يجمع فيها القِداح ، فيأخذها ويدخل شماله من تحت الثوب ، فينكر
القِداح بشماله ، فإذا نهد منها قِدح تناوله فدفعه إلى الرقيب . فإن كان مما لا حظ له
رُدَّ إلى الرِبابَةِ ، فإن خرج بعده المُسَيَّل ، أخذ الثلاثة الباقية ، وغيرم الذين خابوا ثلاثة
أنصياء من جزر أخرى ، وعلى هذه الحال يفعل بمن فاز ومن خاب ، فربما تحمروا
عدة جزر ولا يقرّم الذين فازوا من ثمنها شيئا ، وإنما القرّم على الذين خابوا ولا يحلّ
لخائنين أن يأكلوا من ذلك اللحم شيئا ، فإن فاز قِدحُ الرجل فأرادوا أن يعيدوا قدحه
ثانية على خطار فعلوا ذلك به .

ومنها : نكاحُ المقت : كان الرجل اذا مات قام اكبر ولده فالتق ثوبه على امرأة أبيه فوريث نكاحها ، فإن لم يكن له فيها حاجة تزوجها بعض إخوانه بمهر جديد ، فكانوا يرثون نكاح النساء كما يرثون المال ، فأنزل الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ) .

- ومنها : رمي البعرة : كانت المرأة في الجاهلية اذا توفى عنها زوجها ، دخلت حَفَشًا ، والحَفَشُ : الخَص ، وابست شرثاها ولم تمس طيبا ولا شيئا ، حتى تمر لها سنة ثم تاتي بدابة : حمار أو شاة أو طير فتفتش به أى تمسح به ، فقلما تفتش بشيء إلا مات ، ثم تخرج على رأس الحول ، فتعطي بعرة فتري بها ، ثم تراجع ما شاعت من طيب أو غيره ومعنى رميها بالبعرة : أنها ترى أن هذا الفعل هين عليها مثل البعرة المرمية ، فنسخ الإسلام ذلك بقوله تعالى : (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا) .

ومنها : ذبح العتائر ، قالوا : كان الرجل منهم يأخذ الشاة ، وتسعى العتيرة والمعتورة فيذبحها ويصب دمها على رأس الصنم ، وذلك يفعلونه في رجب ، والعترة قيل : هو مثل الذبح ، وقيل : هو الصنم الذى يعتزله . قال الطرمح

- ١٥ • خنز صريحا مثل عاترة النسك •

أراد بالعاترة : الشاة المعتورة .

عقد السِّلَعِ والعُشْرِ : وقد تقدم ذكره عند ذكر أسماء نيران العرب .

ذبح الظبي : كان الرجل ينذر أنه إذا بلغت إبله أو غنمه مبلغا فاذبح عنها كذا ، فإذا بلغت ضئ بها ، وعمد الى الأطباء فيصطادها ويذبحها وفاء بالنذر ، قال الشاعر :

- ٢٠ عَتَاً باطلاً وزُوراً كما يُعَدُّ * تَرَعْنُ مَجْرَةَ الرِّبِيضِ الظُّبَاءُ

(١) لهُ : «ذبح عنها» . (٢) الربيض : الغنم نفسها .

ومنها : حبس البلايا ، كانوا اذا مات الرجل يشنون ناقته الى قبره ،
ويكسون رأسها الى ذنبها ، ويفنون رأسها بوليّة وهي : البردة ، فإن أفلتت لم تُردّ
عن ماء ولا مرعى ، ويزعمون أنهم إنما يفعلون ذلك ، ليركبها صاحبها في المعاد ،
ليحشر عليها ، فلا يحتاج أن يمشي ، قال أبو زيد :

كالبلايا رموسها في الولايا * مانحات السموم حراً لحدود

ومنها : خروج الهامة ، زعموا أن الإنسان اذا قُتل ، ولم يطالب بشاره ، نرج
من رأسه طائر يسمى : الهامة ، وصاح على قبره : أسقوني ! أسقوني ! الى أن
يطالب بشاره ، قال ذو الإصبع :

يا عمسرو ألا تدع شتى ومنقّصتي * أضربك حتى تقول الهامة أسقوني

ومنها : إغلاق الظهر ، كان الرجل منهم اذا بلغت إبله مائة ، عمد الى البعير
الذى أمات به ، فاعلق ظهره ^(١) فلا يُركب ، ويعلم أن صاحبه حى ظهره ، وإغلاق
ظهره أن يترع سناسن فقرته ويعقر سنامه .

ومنها : التعمية والتفقتة ، وكان الرجل إذا بلغت إبله ألفاً فقأ عين الفحل
يقول : إن ذلك يدفع عنها العين والفارة ، قال الشاعر :

وهبتها وأنت ذو آمتان * تنفأ فيها أعين البُمران

فإن زادت عن ألف فقأ العين الأخرى ، فهو التعمية .

ومنها : بكاء المقتول ، كان النساء لا يبكين المقتول إلا أن يُدرك بشاره ،
وإذا أدرك بشاره بكينه ، قال شاعر :

من كان مسرورا بمقتل مالك * فليات نسوتنا بوجه نهار

يمجد النساء حواسرا يندبنه * يلطن حراً الوجه بالأسفار

(١) أمات به : مات به مائة .

ومنها : رمى السن في الشمس ، يقولون : إن الغلام إذا نحر ، فرمى سِنه
في عين الشمس بسببته وإبهامه وقال : أبدلني أحسن منها ، أمن على أستانه
العوج ، والفَلَج ، والثَّل ، قال طرفة :

بدأنه الشمس من منته • برداً أبيض مصقول الأثر

ومنها : خضباب النحر ، كانوا إذا أرسلوا الخيل على الصيد فسبق واحد
منها ، خضبوا صدره بدم الصيد علامة له ، قال الشاعر :

كأن دماء العاديات بخره • عصارة حنّاء بشيب مرجل

ومنها : التصفيق ، كانوا إذا ضلّ الرجل منهم في الغلاة ، قلب ثيابه ، وحبس
ناقته ، وصاح في أذنها كأنه يومئ إلى إنسان ، وصفق يديه : الوحا الوحا ، النجا النجا !
هكيكل^(١) ، الساعة الساعة ! إلى - إلى ! عجل ، ثم يحولك النافقة فيهدى ، قال الشاعر :

وأذن بالتصفيق من ساء ظنّه • فلم يدر من أذى اليمين جوابها
يعنى يسوء ظنّه بنفسه إذا ضل .

ومنها : جرّ النواصي ، كانوا إذا أسروا رجلاً ، ومنوا عليه فأطلقوه جزوا ناصيته
ووضعوها في الكئانة ، قال الخطيئة :

قدنا سلول فسلوا من كئانتهم • مجدداً تليداً ونبيلاً غير أنكاس^(٢)

(١) هكذا في أحد الأصولين . وفي الأصل الآخر والنسخة الراهية : « هيكلك » .
(٢) ورد هذا البيت مع تفسيره هكذا في الأصول ، وقد روى هذا البيت في ديوانه (النسخة المخطوطة
المحفوطة بدار الكتب تحت رقم ٣ أدب ش) وفي ترجمته في الأغاني الجزء الثاني طبع دار الكتب ص ١٨٥
ضمن قصيدته في جو الزبرقان ومناخله عن بيض هكذا :

قدنا ضلوك فسلوا من كئانتهم • مجدداً تليداً ونبيلاً غير أنكاس
ورد في لسان العرب مادة نكس :

قد ناضلونا فسلوا من كئانتهم • مجدداً تليداً ونبيلاً غير أنكاس
وفسر الأزهري بأن العرب كانوا إذا أسروا أسيراً خرو بهن النظية وجزا لئاصية والأسرة فان اختار جز
الناصية جزوها وخلوا سبيلهم ثم جعلوا ذلك الشر في كئانتهم فان اختاروا آخرجه وأروهم ففأخرهم .

يئى بالنبل ، الرجال ، وقالت الخنساء :

جزنا نواصي فرسانهم * وكانوا يظنون ألا تجزأ

ومنها : كي السليم عن الجرب ، زعموا أن الإبل إذا أصابها العرُفاخذوا

الصحيح وكوه زال العر عن السقيم ، قال النابغة :

وكلفتنى ذنب أمري وتركته * كذى العر يكوى غير وهو رائح

ويقال : إنهم كانوا يفعلون ذلك ، ويقولون : تؤمن معه العدوى .

ومنها : ضرب الثور ، وزعموا أن الجحش تركب الثيران قصدة البقر عن الشرب ،

قال الأعشى :

وإني وما كلفتماني وربكم * ليعلم من أمسى أعق وأحوبا

للكائور والجنى يركب ظهره * وما ذنبه إن عافت الماء مشربا

وما ذنبه إن عافت الماء باقر * وما إن تعاف الماء إلا ليضربا

وقال آخر :

كذلك الثور يضرب بالمرأوى * إذا ما عافت البقر الغلاء

ومنها : كعب الأرنب ، كانوا يلقونه على أنفسهم ويقولون : إن من فعل

ذلك لم تصبه عين ولا يصر ، وذلك أن الجحش تهرب من الأرنب ، لأنها ليست من

مطايا الجحش لأنها تحيض ، قال الشاعر :

ولا ينفع التعشير إن حُج واقع * ولا دمدع^(١) يفي ولا كب أرنب

وقيل لزيد بن كُثَوفَة : أحق^(٢) . يقولون : إن من حلق على نفسه كب أرنب

لم يقر به جنان الحى وعُمار الدار ؟ فقال : إى والله ! ولا شيطان الحماطة — الحماطة :

(١) كذا فى كتاب الحيوان لمباظه ، ودمدع : كلمة يقولونها عند المنار . وفى الأصلين القنوغرافين :

« دمدع » وفى هامش إحداهما : « مساو به دمع » . وفى النسخة الزاغية : « جذع » بالهال المهملة .

وفى بلوغ الأرب للألمسى (ج ٢ ص ٣٤٨ طبع بغداد) : « زهزوع » .

شجرة التين - وجان العشرة، وغول القفرة، وكل الخوافي، إلى واقته يطفئ نيران السعالي .

ومنها : حيض السمررة ، يزعمون أن الصبي إذا خيف عليه نظرة أو خطفة ، فعلق عليه سن ثعلب ، أو سن هرة ، أو حيض سمرة آمن ، فإن الجنية إذا أرادته لم تقدر عليه ، فإذا قال لها صواحباتها في ذلك ، قالت :

كانت عليه نقره * ثعالب وهرة
والحيض حيض السمررة *

ومنها : الطارف والمطروف ، يزعمون أن الرجل إذا طرف عين صاحبه ، فهاجت لمسح الطارف عين المطروف سبع مرات وقال في كل مرة : بإحدى جامت من المدينة ، باثنتين جاءتا من المدينة ، بثلاث جئت من المدينة ، إلى سبع سكن هيجانها .
ومنها : وطء المقاتل ، يزعمون أن المرأة المقلات إذا وطئت قتيلا شريفا بقى أولادها ، وفي ذلك يقول بشر بن أبي خازم :

تظل مقاتلت النساء يطأنه * يقلن ألا يلقى على المرء مئزر

ومنها : تعليق الحللى على السليم ، كانوا يعلقون الحللى على المسجوع ويقولون إنه إذا علق عليه أفاق ، فيلقون عليه الأسورة والرعات ، ويتركونها عليه سبعة أيام ويمنع من النوم ، قال النابغة :

يسهد في وقت العشاء سليمها * حللى النساء في يديه قعاقع

ومنها : ذهاب الخلد ، يزعمون أن الرجل إذا خدرت رجله فذكر أحب الناس إليه ذهب عنه ، قال كثير :

إذا خدرت رجل دعوتك أشنى * بذكراك من مذل بها فيهن

وقالت امرأة من كلاب :

أذا خدرت رجلى ذكرتُ ابنَ مُصعب * فإن قلتُ عبد الله أجلى فتورُها
وقيل ذلك لابن عمرو وقد خدرت رجلاه فقال : يا محمداه .

ومنها : الحَلَّاءُ ، زعموا أنه إذا ظهرت بشفة الغلام بُشُورٌ ، يأخذ مُتَخَلِّلاً على رأسه ويمزج بين بيوت الحى ، وينادى : الحَلَّاءُ الحَلَّاءُ ، فيلقى فى منخله من هاهنا ثمرة ، ومن هاهنا كسرة ، ومن ثم بضمة ليم ، فإذا أمتلأ ، ثره بين الكلاب ، فيذهب عنه البثر ، وذلك البثر يسمى : الحَلَّاءُ .

ومنها : التعشير ، يزعمون أن الرجل إذا أراد دخول قرية ، تخاف وبأعها ، فوقف على بابها قبل أن يدخلها فعشركا ينق الجار ، ثم دخلها لم يصبه وبأعها ، قال
عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ :

لعمري اثن عشرت من خشية الردى * تُهاق الحمير إني لجزوع

ومنها : عقد الرِّمِّ ، كان الرجل منهم إذا أراد سفراً عمد الى رَتَمٍ نَمَقَةٍ ، والرم : نبت ، فإن رجع ورأه معقوداً ، زعم أن أمراًته لم تحنه ، وإق رأه محلولا زعم أنها قد خانتَه ، قال الشاعر :

هل ينفعنك اليوم إن هِمتَ بهم * كثرة ما توصى وتنفاد الرِّمِّ

وقال آخر :

خانتَه لسارات شيا بمفارقة * وغرّه حلقها والعقد للرِّمِّ

ومنها : دائرة المهقوع ، وهو الفرس الذى به الدائرة التى تسمى : المَقَمَّةُ ، يزعمون أنه إذا عرق تحت صاحبه ، أغلقت حلينته وطلبت الرجال ، قال
الشاعر :

إذا عرق المهقوع بالمرء أنعطت * حلينته وأزدادَ حراً عجانها

ومنها : شقَّ الرداء والبرقع ، زعموا أن المرأة إذا أحبَّت رجلاً أو أحبها ثم لم تشقَّ عليه رداءه ، ويشقَّ عليها برقعها ، فسد خبثها ، فإذا فعل ذلك دام حبها ، قال الشاعر :

إذا شقَّ بردُّ شقِّ بالبردِ برُقُعٌ * دَوَالِكُ حَتَّى كُنَّا غَيْرَ لَابِسِ

فكم قد شققنا من رداءٍ غيرِ • ومن برقع عن طفلةٍ غيرِ عائِسِ •

ومنها : نوء السهاك ، كانوا يكرهونه ويقولون فيه داء الإبل ، قال الشاعر :

لَيْتَ السَّهَّاءُ وَنَوَاهُ لَمْ يَخْلُقَا * وَمَشَى الْأَفْرِقَى فِي الْبِلَادِ سَلِيَا

ومنها : النسيء ، وقد تقدم خبره في الفن الأول من الكتاب .

ومنها : وأد البنات ، وقد نهاهم الله عز وجل عنه في قوله : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ

خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ يَنْحُرُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ . وكانوا يقتلون خشيَةَ الإِمْلَاقِ أو من الإِمْلَاقِ ،

وقد قيل : لأنهم كانوا يقتلون خوف العار أو أن يُسَيَّنَ ، فإن قتلن خشيَةَ الإِمْلَاقِ

ما رُوي عن صَعْبَةَ بْنِ نَاجِيَةِ الْمُجَاشِي جَدِّ الْفَرَزْدَقِ : أَنَّهُ لَمَّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي كُنْتُ أَعْمَلُ عَمَلًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، أَفِيضَنِي ذَلِكَ

الْيَوْمَ؟ قَالَ : «وَمَا عَمَلُكَ؟» قَالَ : أَضَلَّتُ نَاقَتَيْنِ عَشْرَ أَوْ بَيْنَ ، فَرَكِبْتُ جَمَلًا وَمَضَيْتُ

فِي بَعْثَاتِهِمَا فَرَفَعْتُ لِي بَيْتٌ حَرِيدٌ^(١) فَقَصَدْتُهُ فَذَا رَجُلٌ جَالِسٌ بِفَنَائِهِ ، فَسَأَلْتُهُ عَنِ النَّاقَتَيْنِ ،

فَقَالَ : مَا نَارُهُمَا؟ قُلْتُ : يَسِمُ بَنِي دَارِمٍ ، قَالَ : هُمَا عِنْدِي ، وَقَدْ أَحْيَا اللَّهُ تَعَالَى

بِهِمَا قَوْمًا مِنْ أَهْلِكَ مِنْ مَضَرٍ ، وَإِذَا عَجُوزٌ قَدْ نَحَرَجَتْ مِنْ كِسْرِ الْبَيْتِ ، فَقَالَ لَهَا :

مَا وَضَعْتَ؟ فَإِنْ كَانَ سَقْبًا شَارَكْنَا فِي أَمْوَالِنَا ، وَإِنْ كَانَتْ حَائِلًا وَأَدْنَاهَا - . معنى قوله

سَقْبًا أَى ذَكَرًا ، وَحَائِلًا أَى أَنْثَى - فقالت العجوز : وَضَعْتُ أَنْثَى ، فَقُلْتُ : أَتَبِيعِيهَا؟

قال : وهل يبيع العرب أولادها ! قال قلت : أحكم ، قال بالناقين والجل ، قلت : لك ذلك ، على أن ينقلني الجل وإياها ففعل ، فأمنت بك يا رسول الله ، وقد صارت لي سنة على أن أشتري كل موعودة بناتين عشاوين وجل ، فعندى الى هذه الغاية ثمانون ومائتا موعودة قد أنقذتها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا ينفعك ذلك لأنك لم تبخ به وجه الله تعالى وإن تعمل في إسلامك عملا صالحا كتبت عليه" ففى ذلك يقول الفرزدق مفتخرا :

وجدى الذى منع الوائدين * وأحيا الوئيد فلم تود

ومن قتلهم خشية العار : قيس بن عاصم المنقرى وكان من وجوه قومه ومن ذوى الأموال فيهم وكان يشد بناته ، وسبب ذلك : أن النعمان بن المنذر لما منعه بنو تميم الإتاوة التى كانت تؤدونها له جهز اليهم أخاه الرمان بن المنذر ، ومعه بكر بن وائل ففازهم ، فاستاق النعم وسبى الذرارى ، فوفدت اليه بنو تميم فلما رآها أحب البقاء عليها ، فقال النعمان :

ما كانت ضرتنما لو تمددا * من فضلنا ما عليه قيس عيلان

فأجاب القوم وسألوه النساء ، فقال النعمان : كل امرأة آخارت أباه ردت اليه وإن آخارت صاحبها تركت عليه ، فكأن اخترن آباءهن إلا ابنة لقيس بن عاصم آخارت صاحبها عمرو بن المشمرج ، فنذر قيس لا يولد له ابنة إلا قتلها ، فاعتل بهذا من واد وزم أنه حية .

(١) كذا فى النسخة الراغية . وفى باقى الأصول : « ينقلني الجل » وهو محرف .

(٢) فى الألفاظ (ج ١٩) فى الكلام على الفرزدق ، ساق أبو الفرج هذا القصة وقال فقال : هل ل

فى ذلك من أجر يا رسول الله فقال عليه السلام : « هذا باب من البر ولك أجره اذ من الله عليك بالإسلام » .

الباب الثالث

من القسم الثاني من الفن الثاني

في أخبار الكهنة

ويتصل به الزجر والفأل والطيرة والفراسة والذكاء، وكانت كهنة العرب

- لهم أتباع من الشياطين يسترقون السمع ويأتونهم بالأخبار، فيلقونها لمن يتبعهم ويسألهم عن خفيات الأمور حتى جاء الإسلام، فمُنت الشياطين من استراق السمع، كما أخبر الله تعالى عنهم في كتابه العزيز: ﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَيْئًا يَرِئِدًا﴾ فعند ذلك انقطعت الكهانة فلم يسمع في الإسلام بكاهن، وهذا من معجزات سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوال الإشكال في الوحي. **فمن أخبار الكهنة:** خبر سطيح الكاهن حين ورد عليه ابن أخته عبد المسيح وهو يسألج الموت، فأخبره خبر ما جاء لأجله، وذلك أنه لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أرتجس إيوان كسرى، وسقط منه أربع عشرة شرفة، ونجحت نارفارس، ولم تكن تحدث قبل ذلك بألف عام، وغارت بحيرة ساوة، ورأى المؤبدان إبلا صاعبا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلاد فارس، فلما أصبح [وأخبر] كسرى تصبر تشجعا **١٠** ثم رأى ألا يكتم ذلك عن وزرائه ومرارته، فلبس تاجه، وقعد على سريره، وجمعهم وأخبرهم الخبر فينتاهم كذلك إذ ورد عليهم كتاب بخود النار فأزداد غما ورسال المؤبدان وكان أعلمهم فقال: **حدث يكون من قبل العرب، فكتب كسرى إلى النعمان بن المنذر: أن وجهه إلى رجلا عالما بما أريد أن أسأله عنه فوجه إليه عبد المسيح بن حسان بن قتيبة الغساني، فقال له كسرى: أعندك علم بما أريد** **٢٠**

أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْهُ ؟ قَالَ : لِيُخْبِرُنِي الْمَلِكُ فَإِنْ كَانَ عِنْدِي مِنْهُ عِلْمٌ ، وَإِلَّا أَخْبَرْتُهُ بِمَنْ يَعْلَمُهُ ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا رَأَاهُ فَقَالَ : عِلْمُ ذَلِكَ عِنْدَ خَالِي لِي يَسْكُنُ مَشَارِفَ الشَّامِ يَقَالُ لَهُ : سَطِيعٌ ، فَأَرْسَلَهُ كَسْرَى إِلَيْهِ فَوَرَدَ عَلَى سَطِيعٍ وَقَدْ أَشْفَى عَلَى الْمَوْتِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَحَيَّاهُ فَلَمْ يُجِبْ سَطِيعٌ جَوَابًا فَأَنشَدَ يَقُولُ :

أَصَمُّ أَمْ يَسْمَعُ غَطْرِيفُ الْيَمَنِ * أَمْ فَازَ قَازِلٌ بِهِ شَاؤُ الْعَنْزِ
يَا فَاصِلَ الْخُطَّةِ أَمِيتَ مَنْ وَمَنْ * وَكَاشَفَ الْكُرْبَةَ عَنْ وَجْهِ النَّضَنِ
أَتَاكَ شَيْخُ الْحَيِّ مِنْ آلِ سَنَنْ * وَأَتَاهُ مِنْ آلِ ذَنْبِ بْنِ سَجَنْ
أَزْرَقُ مُهْمَى النَّابِ صَرَارَ الْأُذُنِ * أَبْيَضُ فَضْفَاضِ الرِّدَاءِ وَالْبَدَنِ
رَمُولٌ قَيْلُ الْعُجْمِ يَسْرَى بِالْوَسَنِ * لَا يَرْهَبُ الرِّعْدَ وَلَا رَيْبَ الزَّمَنِ
يُحِبُّ فِي الْأَرْضِ عَلَى ذَاتِ شَيْخِنْ * تَرْفَعُنِي وَجَنًّا وَتَهْوِي بِي وَجَنْ
حَتَّى أَتَى عَارِي الْجَاثِي وَالْقَطَنُ * تَلْقَاهُ فِي الرِّيحِ بَوَغَاءُ الدَّمَنِ
* كَأَنَّمَا حُمِيحَتْ مِنْ حِضْنِي نَكْنُ *

(٢٦)

فَفَتَحَ سَطِيعٌ عَيْنَيْهِ ثُمَّ قَالَ : عَبْدُ الْمَسِيحِ ، عَلَى بَحْلِ مُشِيحٍ ، أَتَى إِلَى سَطِيعٍ ، وَقَدْ أَوْفَى عَلَى الضَّرِيحِ ، بَعَثَكَ مَلِكُ بَنِي سَاسَانَ ، لِأَرْتَجِاسِ الْإِيوَانِ ، وَنَحْوِ النِّيرَانِ ، وَرَوَّيَا الْمُؤَبَّدَانِ : رَأَى إِبِلًا صِعَابًا ، تَقُودُ خَيْلًا عِرَابًا ، قَدْ قَطَعَتْ دِجْلَةَ وَأَنْتَشَرَتْ فِي بِلَادِ فَارَسَ ، يَا عَبْدَ الْمَسِيحِ إِذَا كَثُرَتْ التَّلَاوَةُ ، وَبُعِثَ صَاحِبُ الْهَرَاوَةِ ، وَفَاضَ وَادِي السَّمَاءِ ، وَغَاضَتْ بِحِيرَةُ سَاوَةِ ، وَنَجِدَتْ نَارَ فَارَسَ ، فَلَيْسَ الشَّامُ لِسَطِيعٍ شَامًا ، وَلَا بَابِلُ لِلْفَرَسِ مُقَامًا ، يَمْلِكُ فِيهِمْ مُلُوكٌ وَمَمْلَكَاتٌ ، بَعْدَ الشَّرَفَاتِ ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ ، ثُمَّ قَضَى سَطِيعٌ لَوْقَتَهُ ، فَتَارَ عَبْدُ الْمَسِيحِ إِلَى رَحْلِهِ وَهُوَ يَقُولُ :

شَمِّرْ فَإِنَّكَ مَاضِي الْعَزْمِ شَيْئِيرٌ * لَا يَفْزَعُكَ تَفْرِيقُ وَتَقْيِيرُ
إِنْ كَانَ مَلِكُ بَنِي سَاسَانَ أَفْرَطُهُمْ * فَإِنَّ ذَا الدَّهْرِ أَطْوَارُ دَعَارِيرُ

فربما ربما أضغوا بمنزلة * تهاب صولم الأسد المهاجير
منهم أخوال الصرح بهرام وإخوته * والمهرمزان وسابور وشابور
والناس أولاد علات فمن علموا * أن قد أقل فمحور ومهجور
وهم بنو الأثم أما إن رأوا نسيا * فذلك الغيب محفوظ ومنصور
والخير والشر مقرونان في قرن * فالخير متبع والشر محذور

فلما قص الخبر على كسرى قال : إلى أن يملك منا أربعة عشر تكون أمور؛ فلك
منهم عشرة في أربع سنين ، وملك الباقون إلى زمن عثمان رضي الله عنه .

ومن أخبارهم : أن سعدى بنت كرز بن ربيعة كانت قد تعازقت وتكهننت
وهي خالة عثمان بن عفان رضي الله عنه ؛ روى عنه أنه قال : لما زوج النبي صل
الله عليه وسلم أبته رقية بن عتبة بن أبي لهب وكانت ذات جمال رائع ، دخلني
الحسرة أو كالحسرة ألا أكون سبقت إليها ، ثم لم ألبث أن أنصرفت إلى منزلي فالفيت
خالي فلما رأيته قالت :

أبشر وحييت ثلاثا ترى * ثم ثلاثا وثلاثا أخرى
ثم بأخرى كي تم عشرا * أذاك خير ووقيت شرا
نكحت والله حصانا زهرا * وأنت يكر ولقيت يكر
وافيتها بنت نفيس قدرا * بنت نبي قد أشاد ذكرا

قال عثمان : فسيجت من قولها ؛ وقلت : ماذا تقولين ؟ فقالت :

عثمان يا ابن أخت يا عثمان * لك الجمال ولك البيان
هذا نبي معه البرهان * أرسله بحقه الديان
وجاءه التنزيل والفرقان * فاتبعه لا تبعالك الأوثان^(١)

(١) اجناله : حوله عن قصده ، ومه اجنالتهم الشياطين أي صرفتهم عن هدام إلى ضلالتها .

فقلت : يا خالة ، إنك لئذ كرين ما قد وقع ذكره في بلدتسا فأنبئني لي ، فقالت :
 إن محمد بن عبد الله رسولٌ من عند الله ، جاء بتقريب الله ، يدعو إلى الله ، مصباحه
 مصباح ، وقوله صلاح ، ودينه فلاح ، وأمره نجاح ، وقرنه نطاح ، ذلت له البطاح ،
 ما ينفع الصياح ، لو وقع الذباح ، وسُلت الصفاح ، ومدت الرماح ، قال : ثم قامت
 فأنصرفت ووقع كلامها في قلبي ، وجعلت أفكر فيه ، وذكر بعد ذلك إسلامه وترويحه
 رقية ، فكان يقال : أنهما أحسن زوجين أنفاقا وجمالا .

ومنها أن هنداً بنت عُتبة بن ربيعة كانت عند الفاكه بن المغيرة ، وكان من فتيان
 قریش ، وكان له بيت الضيافة خارجا من البيوت ، تفشاه الناس من غير إذن ، فخلا
 البيت ذات يوم وأضطجع هو وهند فيه ، ثم نهض لبعض حاجته ، وأقبل رجل ممن
 كان يفتش البيت فوجدته ، فلما رآها ولّى هاربا وأبصره الفاكه فأقبل إليها فضرها
 برجله وقال لها : من هذا الذي خرج من عندك ؟ قالت : ما رأيت أحدا ،
 ولا أنبئت حتى أنبئني ! فقال لها : أرجعي إلى أبيك ، وتكلم الناس فيها ، فقال
 لها أبوها : يا بنية ، إن الناس قد أكثروا فيك ، فأنبئني نبأك ، فإن يكن الرجل
 عليك صادقا دسست عليه من يقاتله ، فننقطع عنك المقالة ، وإن يك كاذبا حاكته
 إلى بعض الكهّان ، فقالت : لا والله ! ما هو على بصادق ، فقال له : يا فاكه ! إنك
 قد رميت آبتى بأمر عظيم ، فهاكني إلى بعض كهّان أئمن ، نفرج الفاكه في جماعة
 من بني مخزوم ، وخرج عُتبة في جماعة من بني عبد مناف ، ومعهم هند ونسوة ، فلما
 شارفوا البلاد ، وقالوا : غدا نرد على الرجل ، تنكرت حال هند ، فقال لها عُتبة : إني أرى
 ما بك من تنكر الحال ، وما ذاك إلا لمكروه عندك ، فهلا كان هذا قبل أن يشتهر عند
 الناس مسيرنا ! فقالت : لا والله ! ولكني أعرف أنكم تأتون بئرا يخطئ ويصيب
 ولا آمنه أن يسمى ميسما يكون على سبة فقال : إني سوف أختبره لك ، فصفر لفرسه

حتى أدلى ثم أدخل في إحليله حبة حنطة وأوكأ عليها بسير، فلما أصبحوا قدموا على الرجل فأكرمهم ونحر لهم، فلما تغدوا قال له عتبة: قد جشاك في أسر وقد خباناً لك خبيثاً اختبرك به، فانظر ما هو؟ فقال: ثمرة، في كره. قال: إني أريد أين من هذا، قال: حبة برّ، في إحليل مهر، قال: أنظر في أمر هؤلاء النسوة، بفعل يدنو من إحداهن فيضرب بيده على كتفها ويقول لها، أنهضى، حتى دنا من هند فقال لها: أنهضى غير سحاء ولا زانية، ولتلدن ملكاً اسمه معاوية، فنهض إليها الفاكه فأخذ بيدها فغذبت يدها من يده، وقالت: اليك عني فوالله لأحرصن أن يكون من غيرك، فترؤجها أبو سفيان.

ومنها: أن أمية بن عبد شمس دعا هاشم بن عبد مناف إلى المنافرة^(١) فقال هاشم: إني أنافرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحرها بمكة، أو الإحلاء عن مكة عشرين، فرضى أمية وجعل بينهما النزاعى الكاهن ونحرا اليه ومعهما جماعة من قومهما فقالوا نحباً له خبيثاً فإن أصابه تماكنا اليه، وإن لم يصبه تماكنا الى غيره، فوجدوا أباهممة وكان معهم أطباق بمجمة، فأمسكها معه ثم أتوا الكاهن فأنافخوا ببابه وكان منزله بسفان. فقالوا: إنا قد خباناً لك خبيثاً فأنبتنا عنه. قال: أحلف بالضوء والظلمة، وما بتهامة من تهمة، وما بنجد من أكبه، لقد خبانتم لي أطباق بمجمة، مع الفلندح أبي هممة فقالوا: صدقت أحكم بين هاشم بن عبد مناف وبين أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أيهما أشرف بيتاً ونفساً، قال: والقمر الباهر، والكوكب الزاهر، والغمام الماطر، وما بالحق من طائر، وما أعتدى بعلم مسافر، من منجد وغائر، لقد سبقي هاشم أمية الى المائر، أقولاً منه وآخر، فأخذ هاشم

الإبل ونحرها وأطعمها من حضرو وخرج أمية إلى الشام فأقام بها عشرين سنة ؛
فيقال : إنما أول عداوة وقعت بين بنى هاشم وبين بنى أمية .

ومنها : أن بنى كلاب وبنى رباب من بنى نضر خاضعوا عبد المطلب في مال
قريب من الطائف فقال عبد المطلب : المال مالى فسلونى أعطكم ، قالوا : لا ،
قال : فأختاروا حاججا ، قالوا : ربيعة بن حذار الأسدى فراضوا به وعقلوا مائة ناقة
في الوادى وقالوا : الإبل والمال لمن حكم له ، وخرجوا وخرج مع عبد المطلب
حرب بن أمية ، فلما نزلوا بربيعة بعث اليهم بجزائر فنحرها عبد المطلب ، وأمر فصنع
جزرا وأطعم من أناه ، ونحر الكلابيون والنضريون وشقوا ، فقيل لربيعة فقال :
إك عبد المطلب أمرؤ من ولد خزيمه ففى يلقى يصله بنو عمه ، وأرسل اليهم أن آخبتوا
لى خبيثا ، فقال عبد المطلب : قد خبت كلبا اسمه سوار فى عنقه فلادة ، فى حرزة
مزادة ، وضممتها بعين جرادة ، فقالوا الآخرون : قد رضينا ما خبت وأرسلوا إلى
ربيعة ، فقال : خبا فم خبيثا حيا ، قالوا : زد ، قال : ذو برثن أغبر ، وبطن أحمر ،
وظهر أقر ، قالوا : قربت ، قال : سما فسطع ، ثم هبط فطلع ، فترك الأرض بلقع ،
قالوا : قربت فطبق ، قال : عين جرادة ، فى حرزة مزادة ، فى عنق سوار ذى الفلادة
قالوا : زه زه ! أصبت فاحكم لأشدنا طعانا ، وأوسعنا مكانا ، قال عبد المطلب :
أحكم لأولانا بالخيرات ، وأبعدنا عن السوءات ، وأكرمنا أمهات ؛ فقال ربيعة :
والسقى والشفقى ، والخلق المتفق ، ما لبنى كلاب وبنى رباب من حق ، فانصرف
يا عبد المطلب على الصواب ، ولك فصل الخطاب ؛ فوهب عبد المطلب المال
لحرب بن أمية .

وأخبار الكهنة كثيرةٌ نذكر منها إن شاء الله تعالى في السيرة النبوية جملة تغف
عليها في المبشرات برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك في السُّفر الرابع عشر من
كتاب الأصل .

الزَّجَر

- قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في زجر الطير : إن العلماء بهذا الفن قالوا :
إذا خرجتَ من منزلك تطلب حاجةً ، أو تخطب امرأةً ، فنَعَب غرابٌ عن يمينك
وعن يسارك أو سَنَعَ أو برح فأمض فإنك مُدْرِكُ حاجتك إن شاء الله تعالى ،
فإن نَعَب أمامك أو فوقك فأرجع ففها تأخير .

وإن خرجتَ تريد خصومةً فنَعَب فوق رأسك فأمض فإنك مُدْرِكُ حاجتك
إن شاء الله تعالى .

فإن خرجتَ تطلب دابةً فنَعَب عن يمينك أو يسارك على حائط مرتفع فامض
لحاجتك ، فإن نَعَب أمامك فأرجع .

وإن خرجتَ تطلب مالاً ضلَّ عنك أو سُرق ، فنَعَب غرابٌ على شجرة يابسة
فلا تطلبه فقد آسَتهك وقد يأتيك بعضُه ، فإن نَعَب على جدار جديد أو شجرة
خضراء فإنك تصيب مالك إن شاء الله تعالى .

فإن خرجتَ تريد الضَّالَّ فنَعَب من ورائك فأرجع فليس لك في ذلك خَيْرٌ ،
وإن نَعَب عن يسارك فإني خائف على نفسك إلا أن يشاء الله .

فإن خرجتَ تريد الصيد فنَعَب من فوقك فأرجع ، فإن نَعَب أمامك فامض
فإنك تدرك خيرا .

وإن خرجت تطلب سلطاناً في طلب مال أو حاجة فنعب عن يمينك ثم طار
ثم نعب أدركت منه طلبك إن شاء الله تعالى .

وإن خرجت تريد شراء شيء فنعب عن يمينك فإنه صالح، وإن نعب عن يسارك
فلا خير فيه .

وإن خرجت من منزلك فرأيت غراباً يمسح بمقاره على الأرض فإنيك تصيب
أو تأتيك هدية من مكان بعيد .

وإن خرجت تطلب حاجة فنعب عن يمينك ثم قطع الطريق إلى يسارك فنعب
فإنيك تدرك حاجتك عجباً إن شاء الله تعالى ، فإن نعب فوق رأسك فارجع فإني
أخاف عليك بعض أعدائك .

وإن خرجت تريد سلطاناً فنعب غراب وهو مستقبل الشرق فامكث يومك ذلك
فإني أخاف عليك .

فإن خرجت فرأيت غراباً ينفض ريشه؛ فإنه يأتيك خير عاجل .

وإن خرجت تريد أرضاً بعيدة فرأيت غراباً ينفض فامض لحاجتك، فإنك تدرك
أملك إن شاء الله تعالى .

وإن خرجت تريد السلطان فوقع غراباً على شيء فنعب ثلاث مرات فامض
لحاجتك، فهو خير عاجل ويسير للوائح إن شاء الله تعالى .

وإن خرجت فرأيت غراباً ناشر جناحيه يريد الطيران فامض، فإن نعب فارجع
يومك .

وإن خرجت تريد خصومة فنعب من فوقك فامض، وإن نعب فأجابه الآخر
فهو جيد صالح .

وإن خرجت تريد خصومة فنعب من فوقك أو شحج فامض ، فإنك تلقى في يومك ذلك ما تريد إن شاء الله تعالى .

وإن خرج جماعة وفيهم رجل شريف فشحج غراب^(١) على رأس الشريف ، ثم أتوا ملكاً فإنهم يصيبون خيراً إن شاء الله تعالى .

وإن خرج يطلب حاجة إلى سلطان فواجهه غراب فليمكث يومه ذلك ولا يمض في تلك الحاجة ، وإن نعب عن يمينه فقطع الطريق ثم وقع فهو يدرك حاجته .

وإن خرج يريد السلطان أو بعث إليه وهو لا يدري فرأى غراباً يطير قليلاً ثم يقع فيلقط من الأرض شيئاً فليمض فإنه يصيب سلطاناً ويلي قوماً ، وإن رأى غراباً يبحث في الأرض فإن بعض أهله يموت سريعاً ، وإن رآه ينقر في الأرض فذلك ملك .

وإن خرج فرأى غراباً يطير ثم وقع ثلاث مرات وهو ساكت لا ينبع ، فذلك ثم يصيبه إلا أن يدفع الله عز وجل عنه .

وإن خرج فرآه يتفص ثم ينبع ثم يطير فذلك سلطان يناله ويتزوج ، والعلم عند الله .

وإن خرج فرأى غراباً يطير ثم يقع فذلك خير وسرور يأتيه .

وإن خرج فرأى غراباً يطير نحو عين الشمس فذلك ثم يصيبه شديد .

وإن خرج فلقى بقراً فليرجع فإن لقي من البقال شيئاً لم يركب فليرجع والمركوبة صالحة لا بأس بها .

وإن خرج يعود مريضاً فتهق حمار عن يمينه أو عن يساره فالمرضى صالح ، وإن نهق خلفه فقد آتشد بالمريض مرضه وأنا خائف عليه .

(١) في الأصل الفتوغرافين : « منج » بالحاء المهملة . وفي النسخة الراجية : « شحج » وما أثبتناه هو الأنسب بالمقام . وشحج الغراب : غلظ صوته .

وإن خرج يريد حاجة فاستقبله غلامٌ بيكى وهو متلخخٌ بِعَذْرَةٍ وهو ذاهب والغلام راجع فليمض فإن حاجته تقضى ، وإن استقبله غلامٌ يعدو ويتلهف فإن حاجته تعسر وتطول .

وإن خرج في حاجته فرأى ورشاشاً يطير، يرتفع ويهبط فليمض فإن ذلك أنجح لحاجته، وإن رآه يطير مستعلياً فليرجع، وإن رأى حمامة مسرولة تطير من فوق رأسه وتدور فإن حاجته مقضية بعد بطة ومطل، وإن رأى حمامة هابطة واقعة تقع وتطير فإن ذلك خير صالح وسرور إن شاء الله تعالى .

وإن خرج من منزله فاستقبلته جنازةٌ وجماعةٌ فليرجع يومه ذلك، ولا يعود لحاجته فإنها غير مقضية ، فإن كانت الجنازة قد جاوزته مَدْرَةٌ فليذهب لحاجته ، فإن ذلك صالح . وإن رأى نسوةً إلى المقابر وهن مقبلات نحوه فليتعهد حتى يمضين عنه فإنه أنجح لحاجته ، وإن رآهن مُدْبِرَاتٍ فليمض في حاجته فإنها مقضية .

❦

وإن خرج من داره فرأى في أرضها نملاً كثيراً في حائطها فليمض لحاجته فذلك خير وسرور يناله . فإن رأى ذباباً كثيراً اجتمعوا على حائط وهو يسمع لمن ديباً فذلك مرض يصيبه في بدنه أو يصيب بعض أهله . ومن رأى ذراً كثيراً وقرداناً فذلك فرح ورزق عاجل يناله إن شاء الله تعالى . ومن رأى دجاجتين يقتتلان بنقر بعضهما فذلك يدل على أنه يقع بينه وبين امرأته كلامٌ وغضب .

وإن خرج من منزله فرأى ورشاشين يقتتلان في جَوِّ السماء رافعين وهابطين فيأتيه ما يُسرِّبه ، وإن رأى كلباً والكلاب تطوف حولها ويتبع بعضها بعضاً : فإن كان عليه دين قضاه الله عنه ، وإن كانت له حاجة مهمة قضيت في وجهه ذلك ، وإن أراد شيئاً يسره الله له ، وإن أراد سفراً تيسراً له ورجع سالماً .

وإن خرج فرأى على رجل قربة ثم آنشت فليرجع الى منزله ويتعوذ بالله من شر ذلك اليوم فإنه مكروه جدًا .

وإن خرج فرأى رجلاً وهو يريد أن يملأ قربة فليمض في حاجته فإنه فرح وسرور وخير يناله عاجلاً إن شاء الله تعالى .

وإن خرج فرأى حماراً أو بغلاً عليه راوية مملوءة فشأنه غير صالح وهو مكروه ، وإن كان صاحب الراوية يريد أن يملأها فليمض لحاجته مقضية إن شاء الله تعالى .

وإن خرج من منزله فرأى جملاً عليه حطب أو بعض منافع الناس فهو من علامات النجاح في الخصوصة والظفر العاجل إن شاء الله تعالى ، فإن رآه غير محمول عليه وعليه صاحبه فإن ذلك خير يأتيه وينى اليه بمض أهله من مكان بعيد .

قال : وأرجو أن يدفع الله ، فإن رآه متاخاً يرغو فإن ذلك خير يأتيه ويخبر عن شيء مما يجب من تزويج أو غنيمة وهو صالح .

وإن خرج فرأى بئيراً قد شرد ورأى من يطلبه فإن ذلك نجاة من عدوه وفرح قريب إن شاء الله تعالى .

وإن خرج فرأى بئيراً قد شرد فاجتمع عليه الناس فإن ذلك يدل على ظفوره بعدوه وانتقامه منه فليحمد الله على ما رأى ويشكره .

ومن خرج من منزله فرأى قرداً يتقلب والناس حوله فليمض لحاجته فإنها مقضية .

وإن خرج فرأى القرد يلعب والناس مجتمعون عليه وقد صار لعبه الى أن يتقلب ظهراً لبطن في الأرض فليرجع من وجهه ذلك فليس بموفق وهو مكروه .

وإن خرج من منزله فرأى غلاماً يلعبون بالأكرة ويتسابقون فليمض في وجهه ذلك فإنه يصيب رفعة وشرفاً وتمكناً من السلطان ويصيب مالاً عظيماً .

وإن خرج فرأهم يلبعون بالصواب لجة فهو رفعة ويدل على مال ردىء حرام يصيبه من سلطان، ويركب أمراً عظيماً من عمله فليتيق الله .

وإن رأى جوارى يلبعن بالطرق كأنهن يزفن عروساً فهو خير وورود دخول في أمر شريف وأنه يربح ربما عظيماً، وهو خير الزجر .

وإن خرج فرأى عصفورين يلقيان الحب فهو صالح، وإن رأهما يتسافدان فهو خير يناله في يومه، وإن رأهما مدبرين فليعض لحاجته فإنها مقضية إن شاء الله تعالى .

وإن خرج فتعلق بشوبه شيء فليرجع؛ فإنى أكره له أن يذهب في حاجته تلك .

وإن خرج فرأى حداةً تسفد حداةً وهى تصيح فهو نجاح فليعض لحاجته .

وإن خرج فعثر فلا يذهبن في تلك الحاجة وليؤثرها .

ومن الزجر ما أخرجه مخرج الكهانة .

فمن ذلك ما حكى أن أُمَيَّةَ بن أبي الصَّامِتِ الثَّقَفِيَّ، يئنا هو يشرب مع إخوان له في قصر عِلَّان بالطائف إذ سقط غرابٌ على شُرْفَةِ القصر فتعب نعبه فقال أُمَيَّةُ :

بفبك الكُثْكُثُ أى التراب فقال له أصحابه : ما يقول؟ قال يقول : إنك إذا شربت الكأس التى بيدك مت ، ثم تعب نعبه أخرى ، فقال أُمَيَّةُ كقائله الأولى فقال أصحابه :

ما يقول؟ قال : يزعم أنه يقع على هذه المزيللة فى أسفل القصر فيستثير عظماء فينتاعه فيشجى به فيموت ، فوق الغراب على المزيللة فأنار العظم وأبتمه فشجى فمات ، فأنكر أُمَيَّةُ ووضع الكأس من يده وتغير لونه فقال أصحابه : ما أكثر ما سمعنا

مثل هذا وكان باطلاً ، والحواء عليه حتى شرب الكأس قال فأغشى عليه ثم أفاق فقال : لا برىء فأعذر ، ولا قوى فانتصر ، ثم خرجت نفسه .

وزعموا أن رجلاً من كعب خرج في جماعة ومعه سقاء من لبن فسار صدر يومه فمطش فأناخ ليشرب ، فإذا غراب يتعب فأنار راحته ، ثم سار فلما أظهر أناخ

ليشرب، فنعب الغراب وتمزق في التراب فضرب الرجل السماء بسيفه فاذا فيه أسود^(١) خضم فقتله، ثم سار فاذا غراب وقع على سِدْرَة، فصباح به فوقع على سَلَمَة، فصباح به فوقع على صخرة، فأتتهى إليها فأتار كَثَرًا، فلما رجع الى أبيه قال له : إيه ما صنعت ؟ قال : سِرْتُ صدر يومي، ثم انخْتُ لأشرب فنعب الغراب، قال أطره وإلا فلست

(١٠)

- بابي، قال : أثرته، ثم انخْتُ لأشرب فنعب الغراب وتمزق في التراب، قال : أضرب السماء وإلا فلست بابي، قال : فعلتُ، فاذا أسود خضم، قال : ثم مه ! قال : ثم رأيتُ غراباً على سِدْرَة، قال : أطره وإلا فلست بابي، قال : فعلتُ فوقع على سَلَمَة، قال : أطره وإلا فلست بابي، قال : فعلتُ فوقع على صخرة، قال : أحمِد يا بني ! فاحذاه ومن الزجر : ما يُروى أن كسرى أبرويز بعث الى النبي صلى الله عليه وسلم حين

- ١٠ بعث زاجراً ومصوراً وقال للزاجر : أنظر ما ترى في طريقك وعنده، وقال للمصور : أنقِ بصورته، فلما عاد اليه أعطاه المصور صورته صلى الله عليه وسلم فوضعا كسرى على وسادته، وقال للزاجر : ما رأيت ؟ فقال : لم أَر ما أزعجه حتى الآن وأرى أمره يعلو عليك لأنك وضعت صورته على وسادتك .

وقيل : إن كثيراً تشقى امرأة من نخاعة يقال لها : أم الحوِيرث، فشبه بها فكرهت

- ١٥ أن يفضحها كما يفضح عزة فقالت له : إنك رجل فقير لا مال لك فابتغِ، إلا، ثم تعال فاخطبني كما يخطب الكرامُ قال : فاحلفني لي ووثنى أنك لا تتزوجين حتى أقدم عليك خلقتُ ووثقتُ له، فمدح عبد الرحمن بن [أريق] الأزدي وخرج اليه، فاقى طلباءً سوانح، ولقي غراباً يفحص التراب بوجهه، فتطير من ذلك حتى قدم على حي من لُهب فقال : أياكم يزجر ؟ قالوا : كلنا، فمن تريد ؟ قال : أعلمكم بذلك،

(١) الأسود : الضيق من الحيات . (٢) أحذاه من الغيبة : أعطاه منها .

(٣) الزيادة عن الأعاني، وفي الأصل يياض .

قالوا : ذلك الشيخ المنعنى الصُّلب ، فأتاه فقص عليه القصة فكره ذلك له وقال :
قد ماتت أو تزوجت رجلا من بنى عمها ، فقال كثير :

تيممتُ لِمَا أبتنى السِّلْمَ عندهم * وقد رُدَّ علمُ العائِفينَ ^(١) الى لِيْلِي
تيممتُ شيئا منهمُ ذا بَجَالَةٍ ^(٢) * بصيرا بَزَجِر الطير مُنْعَنَى الصُّلْبِ
فقلتُ له ماذا ترى في سوانح * وصوتِ غرابٍ يفحص الوجه بالترِبِ
فقال جرى الطير السليح بينها * وتنادى غرابٌ ^(٣) بالفراق وبالسلْبِ
فإلا تكن ماتت فقد حال دونها * سواك خليل باطن من بنى كمي
قال : ثم مدح الرجل الأزدي فأصاب منه خيرا ، ثم قدم عليها فوجدها قد تزوجت
رجلا من بنى عمها فأخذها الملاس ^(٤) فكشَّح جنباه بالنار ، فلما أندمل من عطه ووضع
يده على ظهره فإذا هو برقتين فقال : ما هذا ؟ قالوا : أخذك الملاس وزعم الأطباء
أنه لا علاج لك إلا بالكشَّح بالنار فكشَّحت بها ، فأنشأ يقول :

عفا الله عن أم الحويث ذنبها * علام تعينني وتكفي دوائيا
ولو آذنوني قبل أن يرقوا بها * لقلتُ لهم أم الحويث دائيا

وحكى أن صاحب الروم بعث الى النبي صلى الله عليه وسلم رسولا وقال له :
أنظر أين تراه جالسا ، ومن الى جانبه ، وأنظر ما بين كتفيه حتى الخاتم والشامة ، فقدم
ورسول الله صلى الله عليه وسلم على تشيز واضعا قدميه في المساء ، وعن يمينه على عليه
السلام ، فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال : " تحوّل فانظر ما أمرت به " فنظر

(١) كذا في الأغاني وبلوغ الأرب ، وفي الأصول : « العائفين » . وهو تحريف .

(٢) البجالة : الشرف والسيادة .

(٣) كذا في بلوغ الأرب للأوسى . وفي الأصل والأغاني : « وقال غراب جد منهمر السكب »

(٤) الملاس : الدقة والضمور ومرض السل .

ثم رجع الى صاحبه فأخبره الخبر، فقال : ليعلوق أمره وليلكن ما تحت قدمي وقال :
بالنشر : العلو، وبالماء الحياة .

ومن الزجر : ما روى عن أبي ذؤيب المذلي قال : إنه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل فأوجس أهل الحى خيفة عليه فبت ليلة ثابتة النجوم طويلة الأناة لا ينجاب ديجورها ولا يطلع نورها حتى اذا قرب السحر غفوت فتهنأ هانف يقول :
• خطب أجل أناخ بالإسلام * بين التخييل ومعقد الآطام
قُبض النسي مجد فعيوننا * تدرى الدموع عليه بالتسجام

قال أبو ذؤيب : فوثبت من نومي فرأيت ، فنظرت الى السماء فلم أر إلا سعد الدايح ،
فتفاءلت به ذبحا يقع في العرب ، وعلمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات أو هو
ميت من علته ، فركبت ناقتي وسرت حتى أصبحت . فطابت شيئا أزجره ، فمن لي
شيمهم قد قبض على صل وهو يتأوى عليه والشيم يقضمه حتى أكله ، فزجرت ذلك
[قلت : شيمهم] شيء هم ، وتلقى الصل أنفالت الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، ثم أولت أكل الشيم إياه : غلبة القائم على الأمر ، فحشأت ناقتي
حتى اذا كنت بالعلية زجرت الطير فأخبرني بوفاته . ونصب غراب سائحا بمثل ذلك
فتموذت من شر ما عر لي في طريق ، ثم قدمت المدينة ولأهلها صبيح كضجيج الحجيج
• أهلوا جميعا بالإحرام ، فقلت : مه ! قالوا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فحشأت
المسجد فأصبته خاليا فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصبت بابه مرتجا وقد
خلاه به أهله ، فقلت : أين الناس ؟ فقيل : في سقيفة بنى ساعدة صاروا الى الأنصار
فحشأت السقيفة فوجدت أبا بكر ، وعمر رضي الله عنهما ، وأبا عبيدة ، وسالم ،

(١) الشيم : ذكر التفتة . (٢) كذا في بلوغ الأرب (ج ٣ ص ٣٢١) . وفي الأصل :
قد أرم . (٣) الزيادة عن بلوغ الأرب .

وجماعة من قريش، ورأيت الأنصار فيهم سعد بن عبادة، ومعهم شعراؤهم، وأمامهم
 حسان بن ثابت، وكعب في ملائمتهم، فأويت إلى الأنصار فتكلموا فاكثروا، وتكلم
 أبو بكر فيهم من رجل لا يطيل الكلام ويعلم مواضع الفصل! والله لتكلم بكلام
 لم يسمعه سامع إلا أنقاد له ومال إليه، وتكلم بعده عمر رضي الله عنه بكلام دون
 كلامه، ومد يده فبايعه، ورجع أبو بكر رضي الله عنه ورجعت معه، فشهدت
 الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهدت دفنه. قال: ولقد بايع الناس
 من أبي بكر رجلا حل قدامها ولم يركب دناها، وأنصرف أبو ذؤيب إلى بادية
 وثبت على إسلامه.

ومنه: ما روى عن مصعب بن عبد الله الزبيري أنه حدث عن رجل قال:
 شردت لنا إبل فأتيت حليسا الأسدى فسأته عنها، فقال لبنت له: خطى، فخطى،
 ونظرت ثم أقبضت وقامت مصرفة، فنظر حليس في خطها فضحك وقال:
 أتدري لم قامت؟ قلت لا، قال: رأيت أنك تجد إبلك وأنت تزوجها فاستجيت
 فقامت، فخرجت فأصبحت إبل ثم تزوجتها بعد.

الفأل والطيرة

حكى أنه لما ولد لسعيد بن العاص عتبة قال سعيد لابنه يحيى: أى شئ
 تحمله؟ قال: دجاجة بفراريجها، وإنما أراد احتقاره بذلك لأن أمه كانت أمة،
 فقال سعيد: إن صدق الطير ليكونن أكثركم ولداً، فكان كذلك.

لما طلب عامر بن إسماعيل مروان بن محمد أعترضه بالقيوم قوم من العرب
 فسأل رجلاً: ما أسمك؟ فقال: منصور بن سعد، وأنا من سعد العشيرة، فتبسم
 تفاؤلاً به وتيمناً، وأستصحبه فظفر بمروان تلك الليلة.

ثم رجع الى صاحبه فأخبره الخبر، فقال : ليعلمن أمره ولعلكن ما تحت قدمي وقال :
بالنشر : العلو، والماء الحياة .

ومن الزجر : ما روى عن أبي ذؤيب الهذلي قال : إنه بلغنا أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم عليل فأوجس أهل الحى خيفة عليه فبت ليلة ثابتة النجوم طويلة الأناة
لا يخباب ديجورها ولا يطلع نورها حتى اذا قرب السحر غفوت فتهفل هاتف يقول :
• خَطْبُ أَجَلِ أَنَاخِ بِالْإِسْلَامِ * بَيْنَ التَّخِيلِ وَمَقْعِدِ الْأَطَامِ
قُبُضِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ فَمَيُونِنَا * تَذَرِي الدَّمْعَ عَلَيْهِ بِاتِّسَابِ

قال أبو ذؤيب : فوثبت من نومي فرعاً، فنظرت الى السماء فلم أر إلا سعد الذابح،
فتفاءلت به ذبحاً يقع في العرب، وعلمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات أو هو
ميت من علة، فركبت ناقى وسرت حتى أصبحت، فطلبت شيئاً أزجره، فمن لي
شيهيم قد قبض على صل وهو يتأوى عليه والشيهيم يقضمه حتى أكاه، فزجرت ذلك
[وقلت : شيهيم] شى هم، وتلوى الصل آفتال الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم، ثم أولت أكل الشيهيم إياه : غلبة القائم على الأمر، فحثت ناقى
حتى اذا كنت بالأمية زجرت الطير فأخبرني بوفاته . ونعب غراب سانحا بمثل ذلك
فتعذت من شر ما عنى لى طريق، ثم قدمت المدينة ولأهلها منجيج كضجيج المنجيج
• أهلوا جميعاً بالإحرام، فقلت : مه ! قالوا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فحثت
المسجد فأصبت خالياً فأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصبت بابه مرثجاً وقد
خلا به أهله، فقلت : أين الناس ؟ فقيل : فى سقيفة بنى ساعدة صاروا الى الانصار
فحثت السقيفة فوجدت أبا بكر، وعمر رضى الله عنهما ، وأبا عبيدة ، وسالمًا،

٢٠ (١) الشهم : ذكر النقص . (٢) كذا فى بلوغ الأرب (ج ٣ ص ٢٢١) . وفى الأصل :
(٣) الزيادة عن بلوغ الأرب .

وجامعة من قريش، ورأيت الأنصار فيهم سعد بن عبادة، ومعهم شعراءهم، وأمامهم
 حسان بن ثابت، وكُتب في ملائمتهم، فأويئذ إلى الأنصار فتكلموا فاكثروا، وتكلم
 أبو بكر فنه من رجل لا يُطيل الكلام ويعلم مواضع الفصل! والله لتكلم بكلام
 لم يسمعه سامعٌ إلا ألقاه له ومال إليه؛ وتكلم بعده عمر رضي الله عنه بكلام دون
 كلامه، ومد يده فبايعه؛ ورجع أبو بكر رضي الله عنه ورجعت معه، فشهدت
 الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهدت دفنه. قال: ولقد بايع الناس
 من أبي بكر رجلا حلَّ قدامها ولم يركب دُناها، وأنصرف أبو ذؤيب إلى بادية
 وثبت على إسلامه.

ومنه: ما روى عن مصعب بن عبد الله الزبيري أنه حدث عن رجل قال:
 شردت لنا إبلً فأتيت حليسا الأسدى فسألته عنها؛ فقال لبنت له: خُطلي، فخطت
 ونظرت ثم أقبضت وقامت مُهَيَّرَةً، فنظر حليس في خطها فضحك وقال:
 أندري لم قامت؟ قلت لا، قال: رأيت أنك تعبد إبلك وأنت تترجها فاستجيت
 فقامت، فخرجت فأصبحت إبلً ثم تترجتها بعد.

القال والطيرة

حكى أنه لما ولد لسعيد بن العاص عتبة قال سعيد لابنه يحيى: أئى شئ
 تُحِبُّه؟ قال: دجاجة بقراريحها، وإنما أراد احتقاره بذلك لأن أمه كانت أمة،
 فقال سعيد: إن صدق الطيرُ ليكونن أكثركم ولدًا؛ فكان كذلك.

لما طلب عامر بن إسماعيل مروان بن محمد أعترضه بالقيوم قوم من العرب
 فسأل رجلاً: ما اسمك؟ فقال: منصور بن سعد، وأنا من سعد العشيرة، فبسم
 تفاؤلاً به وتيمناً، وأستصحبه فظفر بمروان تلك الليلة.

ومن الطَّيْرَةِ ما حكى عن بعضهم قال : حضرتُ الموقفَ مع عمر بن الخطَّابِ رضى الله عنه فصاح به رجلٌ من خلقه : يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، فقال رجل من خلفه : دعاه بأسم ميت ، مات والله أمير المؤمنين ، ولا يقف هذا الموقف أبداً ، فالتفت إليه فاذا هو اللُّهْيُ ؛ فقُتِلَ عمر قبل الحلول .

وحكى أن عمر رضى الله عنه ، خرج إلى حَرَّةٍ وأقيم ، فلقى رجلاً من جُهمينة ، فقال له : ما أسمك ؟ قال : شهاب ، قال : أين من ؟ قال : أين بَحْمرة ، قال : ومن أنت ؟ قال : من الحُرَّةِ ، قال : ثم من ؟ قال : من بنى ضرام ، قال : وأين منزلك ؟ قال : بمِثْرَةَ لَيْلى ، قال : وأين تريد ؟ قال : لفلَى ! وهو وضع ؛ فقال عمر : أدرك أهلك ، فما أراك تُدركهم إلا وقد أحترقوا . قال : فادرِكهم ، وقد أحاطت بهم النار .

وقال المدائني : وقع الطاعونُ بمصر في ولاية عبد العزيز بن مروان فخرج هارباً منه فترك قريةً من الصعيد يقال لها : سُكْرٌ ، فقدم عليه حين نزلها رسولُ لعبد الملك ، فقال له عبد العزيز : ما أسمك ؟ قال طالب بن مُدْرِك ! فقال : أوه ! ما أراي راجعاً إلى القُسْطَاطُ أبداً ومات في تلك القرية .

وقيل : بينا مروان بن محمد في إيوان له يُنْقَذُ الأُمُورَ ، فانصدعت زُجاجةُ الإيوان ، فوقعَت الشمسُ منها على منكب مروان وكان هناك قَيَافٌ فقال : صَدَعُ الزُّجَاجِ أمر منكر على أمير المؤمنين ، ثم قام فأتبعه ثوبان مولى مروان . فقال له : ويحك !

(١) هكذا في أحد الأصلين القنوغرافيين ومعهم ياقوت في إحدى روايته والأغانى (ج ١ ص ٢٦٠)

طبع دار الكتب المصرية . وفي رواية أخرى لياقوت وتاريخ الإسلام للذهبي والنجوم الزاهرة والكندي أنه نزل إلى حلوان قرب مصر ومات بها . وفي الأصل الآخر القنوغرافى : « شكر » بالشين المعجمة وهو تحريف .

ما قلت ؟ قال . قلت : صَدْعُ الزجاج صدع السلطان ، سذهب الشمس بملك مروان ، بقوم من الترك أو خراسان : ذلك عندي واضح البرهان . قال : فما ورد لذلك شهران حتى ورد خبر أبي مسلم .

وقال إبراهيم بن المهدي : أرسل إلى محمد الأمين في ليلة مُقَمَّرَة من ليالي الصيف فقال : يا عمي ! إن الحرب بيني وبين طاهر قد سكنت فصر إلى فاني اليك مشتاق بلحنته وقد بسط له على سطح ، وعنده سليمان بن جعفر ، وعليه كساء رُوْدْبَارِي ، وقلنسوة طويلة ، وجواريه بين يديه ، وضعف جاريته عنده . فقال لما : غنيتي فقد سررت بعمومتي ، فاندفعت تغنيته :

هَمْ قَلَوهُ كِي يَكُونُوا مَكَانَهُ * كَمَا فَاعَتْ يَوْمَا يَكْسِرَى مَرَا زَبَهُ
بَنِي هَاشِمٍ كَيْفَ التَّوَاضُّعِ بَيْنَنَا * وَعِنْدَ أَخِيهِ سَيْفُهُ وَنَجَابَتُهُ
هَكَذَا غَنَتْهُ ، وَإِنَّمَا هُوَ :

* وَعِنْدَ عَلِيٍّ سَيْفُهُ وَنَجَابَتُهُ *

فغضب وتطير ، وقال : مَا قِصَّتِكَ ؟ وَيْحَكَ ! غَنَيْتَنِي مَا يَسِّرُنِي ؟ فَغَنَتْ :

هَذَا مَقَامُ مُطَرِّدٍ * هُدِمَتْ مَنَازِلُهُ وَدَوْرُهُ

فازداد تطيرا ، ثم قال : وَيْحَكَ ! أَتَيْتَنِي وَغَنَيْتَ غَيْرَ هَذَا ، فَغَنَتْ :

كُلِّيبٌ لِعَمْرَى كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا * وَأَيْسَرُ جُرْمًا مِنْكَ ضُرْجٌ بِالذِّمِّ

فقال لها : قومي إلى لعنة الله ، فوثبت ، وكان بين يديه قدح بلور وكان لحبه إياه يسميه محمدا باسمه ، فأصابه طَرْفٌ ذليلها فسقط على بعض الصواني فانكسر ؛ فأقبل على وقال : أرى والله يا عم أن هذا آخر أمرنا ، فقلت : كَلَّا ! بَلْ يَبْقِيكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَيَسْرُكَ ، قال : وَدِجَلَةٌ وَاللَّهِ هَادِمَةٌ مَا فِيهَا صَوْتٌ مِجْدَافٍ ، وَلَا أَحَدٌ يَحْرُكُ ؛ فَسَمِعْتُ هَاتِفًا يَتَف : (قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) قال فقال لي :

سمعت يا عم؟ فقلت: وما هو؟ وقد والله سمعته، فإذا الصوت قد عاد، فقال: أنصرف
ببتك الله بخير، فقال ألا تكون الآن قد سمعت ما سمعت، فأنصرفت وكان آخر المهدبه. (٤٢)

وشبه بهذا ما حكى عن علويه المغني قال: كنت مع المأمون لما خرج الى
الشام، فدخلنا دمشق فطفنا فيها، وجعل يطوف على قصور بني أمية، ويتبع
آثارهم، فدخلنا مهنًا من صهونهم، مفروشا بالرخام الأخضر، وفيه بركة ماء فيها سمك،
وأمامها بستان، فاستحسن ذلك وعزم على الصبوح ودعا بالطعام والشراب، وأقبل
على فقال: غني ونشطني، فكان الله تعالى أنساني الغناء كله إلا هذا الصوت من
شعر عبد الله بن قيس الرقيات:

لو كان حولي بنو أمية لم * تنطق رجال أراهم نطقوا

١٠ من كل قرم يحض ضرائبه * عن منكيه القميص ينفق

قال: فنظر الى مفضبا، وقال: عليك وعلى بني أمية لعنة الله، ويلك! أقلت
لك سرتي أو سوتي؟ ألم يكن لك وقت تذكر فيه بني أمية إلا هذا الوقت
تمرض بي؟ فتجلدت عليه وعلمت أني قد أخطأت، فقلت: أتلومني على أن أذكر
بني أمية! هذا مولاكم زرياب عندهم يركب في مائتي غلام مملوك له، ويملك
ثلاثة ألف دينار [وهيها له سوى الخيل والضياع والرقى^(١)]: وأنا عندكم أموت
جوعا، فقال: أو لم يكن لك شيء تذكرني به نفسك غير هذا؟ فقلت: هكذا
حضرني حين ذكركم، فقال: أعرض وتبه على إرادتي وغن فأنساني الله كل شيء.
أحسبه إلا هذا الصوت:

الحين ساق الى دمشق وما * كانت دمشق لأهلنا بلدا

٢٠ فادتك نفسك فاستقدت لها * وأرتك أمر غواية رَشدا

فرماني بالقدح فاخطأني وانكسر القدح ، وقال : قم الى لعنة الله وحز سقر !
فركب ؛ وكانت تلك الحال آخر عهدي به حتى مرض ومات بعد ذلك بقليل .

ومثل ذلك ما حكى في قتلة المتوكل ، وذلك أنه جلس يوم الأربعاء لأيام خلون
من شوال سنة تسع وأربعين ومائتين ، وقال للفتح بن خاقان : أحب أن نصطبح ؛
فأحضر المغنين وفيهم أحمد بن أبي الملاء فقال له : غنّ ، فغنى :

يا عاذلي من الملام دعاني * إن البليّة فوق ما تصفان
زعمت بُنيّة أن فرقنا غدا * لا مرحبا بغير فقد أبكاني

فطير المتوكل منه ، وقال : أحمد ، كيف وقع لك أن تغنى بهذا الشعر ! قال :
فشغل قلب ابن أبي الملاء لما أنكر عليه ، ثم ذهب ليغنى غيره ، فعناه ثانية ، فقال
المتوكل : نسأل الله خير هذا اليوم ، وصرف المغنين وقام لصلاة الظهر ، فلما فرغ
قال له الفصح : يا سيدي أتمم يومك ، فدعا بالشراب وقال : أين ابن أبي الملاء ؟
فأحضر فقال له : غنّ ، فاعمى عليه فأعاد البيتين فاعتم المتوكل غاية الغم ، وقتل
في الليلة الآتية من ذلك اليوم .

قال القاضي أبو علي الجويني : حضرت بين يدي سيف الدولة أبي الحسن
صدّقه بن منصور بن دُبَيْس ، وابنه أبو المكارم محمد إذ ذاك مريض مرضه الذي
مات فيه ، وقد أتى بديوان أبي نصر بن نباته فتصفّحه فوقع بيده : وقال يعزّي
سيف الدولة أبا الحسن ويرثي ابنه أبا المكارم محمداً ، فأخذت المجلد وأطبقته فعاد
فتصفّحه فخرج ذلك ، ومن القصيدة التي عناها قوله :

فإن بيمًا فارقين حُفيرة * تركنا عليها ناظر الجلود داما
تضمنها أيدي فتى تكلت به * غداة قوى أماننا والأمانيا
ولما عدنا الصبر بعد محمد * أتينا أباه نستفيد التمازيا

وحكى أبا الشمقمق شخص مع خالد بن يزيد بن مزيد وقد تقلد الموصل ،
فلما أراد الدخول إليها أتدق لوائه في أول درب منها ، فتطير من ذلك وعظم عليه ،
فقال أبو الشمقمق :

ما كان مندق اللواء لريّة * تُحشى ولا أمر يكون مبدلاً

• لكن هذا الرمح ضَعَف منته * صغرُ الولاية فاستقل الموصل

فُرمي عن خالد . وكتب صاحبُ البريد بذلك الى المأمون ، فزاده ديار ربيعة
وكتب اليه : هذا التضعيف الموصل من رمحك . فأعطى خالد أبا الشمقمق عشرة
آلاف درهم .

وقيل : لما توجه المسترشد للقاء السلطان مسعود بن محمد بن ملکشاه
السلجوقي ، وقع على الشمسية التي تُرفع على رأسه طائرٌ من الجوارح وألح ، كلما نُقِر
١٠ عاد ، فتعامل الناس له بذلك وسُرّوه به ، فقال إنسان يُعرف بملكدار : هذا جارح
ومتقبض الكف وليس فيه بُشرى بل ضلّها ، وأقبل السلطان في جيشه فكانت
الكسرة وقُبض على المسترشد وقُتل من بعد .

خرج بعضُ ملوك الفرس الى الصيد ، فكان أول من استقبله أعورٌ فامر بضربه
وحبسه ، ثم خرج وتصيد صيداً كبيراً ، فلما عاد استدعى الأعور وأمر له بصلّة ،
١٥ فقال الأعور : لا حاجة لي في صلتك ، ولكن أئذن لي في الكلام ، فقال : تكلم ! قال :
لقيتني فضربتني وحبستني ، ولقيتك فصدت وسليت فأينا أشأم ؟ فضحك وخلاه .

الفراصة والذكاء

يقولون : عظم الجبين يدل على البَلّة ، وعرضُه يدل على قلة العقل ، وصغره على
٢٠ لُطف الحركة ، والحاجبان اذا اتصلا على استقامة دلّا على تخميت وأسترخاء ، واذا

ترتجما نحو الشدغين دلاً على طَيْرٍ ^(١) وأستزاء؛ والعين اذا كانت صغيرة الموق دلت على سوء دِخْلَةٍ ونُجْبَت شمائل، واذا وقع الحاحب على العين دلّ على الحسد؛ والعين المتوسطة في حجمها دليل فطنة وحسن خُلق ومروءة، والثالثة على آختلاط عقل، والطائرة على حِدَّة، والتي يطول تحديقها على حَقَّة وحقّ، والتي تكسر طرفها على خَفَّة وطيّش؛ والشعر على الأذن يدلّ على جودة السمع؛ والأذن الكبيرة المتعصبه تدلّ على حق وهَذْيَان.

وحكى أن أبا موسى الأشعري وجه السائب بن الأقرع في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى مَهْرَجاً فَقَدَقَ ففتحها ودخل دار المُرْمَرَانِ بمسد أن جمع السبي والغنائم، ورأى في بعض مجالس الدار تصاوير فيها مثال ظيّر وهو مشير بإحدى يديه الى الأرض، فقال السائب: لأمرٍ ما صُوِّرَ هذا الظيّر هكذا، إن له لشأناً، فأمر بحفر الموضع الذى الإشارة اليه فأفضى الى موضع فيه حوض من رخام، فيه سَقَطُ جوهر فأخذه السائب وخرج به الى عمر رضى الله عنه.

وقيل: كان المعتضد يوماً جالساً في بيت بُنِيَ له وهو يشاهد الصنّاع فرأى في جماعتهم عبداً أسود منكر الخلق، شديد المرح، يصعد على السلالم مرقّاتين مرقّاتين ويحمل ضعيف ما يحمل غيره، فأنكر أمره، وأحضره وسأله عن سبب ذلك، فجلج فقال لوزيره: قد تخمّنتُ في هذا تخميناً ما أحسبه باطلاً، إنا أن يكون معه دنانير قد ظفر بها من غير وجهها، أو ليصا يتسوّر بالعمل، ثم قال: على بالأسود فأحضره وضربه، وحلف إن لم يصدقه ليضرب عنقه، فقال الأسود: ولى الإيمان يا أمير المؤمنين، قال: نعم! إلا ما كان من حدّ، فظن أنه قد أقنعه، فقال: كنت أحمل في أتون الآجر، منذ سنين فأنا منذ شهور جالس إذ مرّ بي رجل في وسطه

(١) الطير: السحرة. (٢) كورة ذات مدن وقرى عن يمين القامد من حلوان العراق الى هذان.

- كيس فتبعته وهو لا يعرف مكانى، فحلّ الهميان وأخرج منه ديناراً ففأكلته فإذا كله دنانير، فكشفته وسدّت فاه وأخذت الهميان وحملته على كتفى وطرحته فى التنوير وطلبت عليه؛ فلما كانت بعد أيام أخرجت عظامه وطرحتها فى دجلة، والدنانير مى تقوى قلبى، قال : فأرسل المعتضد من أحضر الدنانير، وإذا على الكيس :
 ٥ لفلان بن فلان، فنادى فى المدينة، فحضرت أمراته وقالت : هذا زوجى وقد ترك طفلاً صغيراً، خرج فى وقت كذا ومعه كيس فيه ألف دينار، فغاب الى الآن، فسلم الدنانير إليها وأمرها أن تمتد، وضرب عنق الأسود وأمر أن يوضع فى الأتون .
- وقيل : جلس المنصور فى إحدى قباب المدينة فرأى رجلاً ملهوفاً مهموماً يحول فى الطرقات، فأرسل من أتاه به فسأله عن حاله فأخبره أنه خرج فى تجارة فأفاد مالا ورجع الى منزله به، فدفعه الى أمراته، فذكرت المرأة أن المال سُرق ولم يرتقباً ولا تسلفاً، فقال له المنصور : منذ كم تزوجتاه ؟ قال : منذ سنة، قال : فبكراً أو ثيباً ؟ قال : ثيباً، قال : فلها ولد من سواك ؟ قال : لا، قال : شابة أم مسنة ؟ قال : شابة، فدعا المنصور بقارورة طيب، وقال : تطيب بهذا، فهو يذهب هك ، فأخذها وأقلب الى أهله، ثم قال المنصور لأربعة من ثقاته : أقموا على أبواب المدينة، فمن مرّ بكم وعليه شيء من هذا الطيب فأتوني به، وأشمهم من ذلك الطيب، ١٥ ومضى الرجل بالطيب، فدفعه الى أمراته وقال : وهبه لى أمير المؤمنين، فلما شتمته بعثت به الى رجل كانت تحبه وقد كانت دفعت اليه المال فتطيب به، ومرّ بجنازة ببعض الأبواب، فأخذ وأتى به الى المنصور، فقال له : من أين آستفدت هذا الطيب ؟ فلجلج لسانه، فسأله الى صاحب شرطته وقال : إن أحضر الدنانير وإلا فأضربه ألف سوط، فإ هو إلا أن جرد وهُدّد، فأحضر الدنانير على حالتها فأعلم ٢٠ المنصور بذلك، فدعا صاحب الدنانير وقال : أرايتك إن رددت عليك متاعك بعينه أمحكى فى أمراك ؟ قال : نعم ! قال : خذ دنانيرك وقد طلقت أمراتك وخبره الخبر .

ودخل شريك بن عبد الله القاضي على المهدي فأراد أن يعفوه فقال لخادم : ائت القاضي بعود ، فذهب بخاء بالعود الذي يُلهى به ، فوضعه في حجر شريك ، فقال شريك : ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : عود أخذه صاحبُ العسس البارحة فاحبنا أن يكون كسره على يد القاضي ، فقال شريك : جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين ، ثم ضرب به الأرض فكسره ثم أفاضوا في حديث آخر حتى نسي الأمر ، ثم قال المهدي لشريك : ما تقول فيمن أمر ويكلا له أن يأتي بشيء بخاء ينيره فتلف ذلك الشيء ؟ فقال : يضمن يا أمير المؤمنين ، فقال لخادم : آخذ من ما تلف .

الباب الرابع

من القسم الثاني من القرن الثاني

في الكفايات والتعريض

والكفايات لها مواضع ؛ فأحسنها المدول عن الكلام القبيح الى ما يدل على معناه في لفظ أبهى منه . ومن ذلك أن يُعظم الرجل فلا يدعى باسمه ويُكنى بكنيته ، أو يكتفى بأسم أبنه صيانة لأسمه ، وقد ورد في ذلك كثير من آي القرآن فمنها قوله تعالى ﴿ قَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا ﴾ أي كنياه . وقد كنى رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه : بأبي تراب ؛ وقال البحري : يتشاعرن ^(١) بالفرير المسمى * من تصابيح دون الجليل المكنى

(١) كذا في ديوان البحري طبع الأمانة سنة ١٣٠٠ هـ (ص ٢٣١ ج ١) . وفي الأصول :

يتشاعرن بالصغر المسمى * موضعات وبالكبير المكنى

وهذا يدل على أن المراد بالكنية التبجيل، وقول ابن الرومي :

بكت شجوها الدنيا فلما تينّت * مكانك منها استبشرت وتنبّت
وكان ضيلا شغفها فطاوالت * وكانت تسمى ذلة فتصكّنت

وقال أبو مخنف المدني :

أبى القلب الإحْبَهُ عامرية * لها كنية عمرو وليس لها عمرو

ومن عادة العرب وشأنهم، استعمال الكنايات في الأشياء التي يستحبها من ذكرها، قصدا للتعقّف باللسان، كما يتعقّف بسائر الجوارح، قال الله عز وجل تاديبا للعبادة: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَفْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ فقرن عفة البصر بعفة الفرج، وفي القرآن كُنَايَاتٌ عُدِلَ بها عن التصريح تنزيها عن اللفظ المستهجن، كقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْتُمْ﴾ وقال أبو عبيد: هو كناية، شبه النساء بالحَرْث، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لِبُلُودِهِمْ لَمْ يَشْهَدْتُمْ طَبِئًا﴾، قيل: هو كناية عن الفروج، وفي موضع آخر: ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءَهَا شَهِدَتْ عَلَيْهِمْ سَمْعَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ وَجَلُّودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّقْتُ إِلَى نِسَابِكُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَا كَلَّاَنِ الطَّعَامَ﴾ قال المفسرون: هذا تنبيه بأكل الطعام على عاقبة ما يصير إليه، وهو الحَدَث، لأن من أكل الطعام فلا بد أن يحدث، ثم قال: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ﴾ وهذا من اللفظ الكناية، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ فالغائط: المطمئن من الأرض، وكانوا يأتونه لحاجتهم ويستترون به عن الأماكن المرتفعة. ومن لم ير الوضوء من لمس النساء جعل الملابس هاتنا كناية عن الفعل.

(١) هذان البيتان لم يردا في ديوانه المطبوع في الأمانة والأجزاء المطبوعة منه في مصر ولا في النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية.

ومن الكنايات في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم — وهو وإن كان قد ورد في الأمثال
أشبه بالنخاية — منها قوله صلى الله عليه وسلم: "إياكم وخضراء الدمن" يريد بها المرأة
الحسنة في المنبت السوء، وتفسير ذلك: أن الرجح تجمع الدمن؛ وهو البعر في البقعة
من الأرض فإذا أصابه المطر نبت نباتا غضا يتر وتحت الدمن الخبيث، يقول:
فلا تتكحوا هذه المرأة الحسنة لجمالها، ومنيتها خبيث كالدمن؛ فإن أعراق السوء
تترع أولادها. وقال زفر بن الحارث:

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى ٥ وتبقى حرازات النفوس كما هيا

وقوله صلى الله عليه وسلم: "حَيِّ الوطيس" قاله لما جال المسامون يوم حنين،
والوطيس: حفرة تحتفر في الأرض شبيهة بالتور. وقال الحسن: لبث أيوب عليه
السلام على المزلة سبع سنين، وما على الأرض يومئذ خلق أكرم على الله منه، فما سأل
الله العافية إلا تعريضا في قوله: (إِنِّي مَسْنِي الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) والعرب
تكثي عن الفضلة المستفردة بالفاظ كلها كنايات؛ منها: الرجيع والتجو والبراز والفائط
والعذرة والحش، فبعض هذه الألفاظ يراد بها نفس الحديث، وبعضها يراد بها
المواضع التي يأتي إليها الحديث؛ وكذلك استعملوا في إتيان النساء: المجاعة، والمواقعة،
والماضعة، والمباشرة، والملامسة، والمماس، والخلوة، والإفضاء، والغشيان،
والغشي، وكل هذه الألفاظ مذكورة في القرآن.

وحكى: أن رجلا من بني العنبر كان أسيرا في بكر بن وائل، وعزموا على غزوه
قومه، فمالهم رسولوا إلى قومهم، فقالوا: لا ترسل إلا بحضرتنا لئلا تذرهم، ووجه
بعيد أسود، فقال له: أتتعقل؟ قال: نعم إني لعاقل، قال: ما أراك عاقلا! ثم
أشار يده إلى الليل، فقال: ما هذا؟ قال: الليل! قال: أراك عاقلا. ثم ملا
كفيه من الرمل فقال: كم هذا؟ قال: لا أدري وإنه لكثير، قال: أيما أكثر،

- التجوم أم النيران؟ قال : كلٌ كثير ، فقال : أبلغ قومي الصحة ، وقل لهم : ليكرموا فلانا -
يعنى أسيرا كان فى أبيهم من بكر - فإن قومه لى مكرمون وقل لهم : إن المريح قد
أدبى ، وشكّت النساء ، وأمرهم أن يُعروا ناقتى الحمراء ، فقد أطلوا ركوبها ، وأن
يركبوا جملى الأصهب بآية ما أكلتُ معكم حنيساً ، وأسألو عن خبرى أنى الحارث ؛
فلما أدّى العبد الرسالة اليوم قالوا : قد جئنا الأعور ، والله ما نعرف له ناقة حمراء ،
ولا جملاً أصهب ، ثم سرحوا العبد ودعوا الحارث فقصوا عليه القصة ، فقال :
قد أنذركم ، أما قوله : قد أدبى المريح ، فإنه يريد : أن الرجال قد استلأموا ولبسوا
السلاح ، وقوله : وشكّت النساء ، أى اتخذن الشكاء للسفر ، وقوله : الناقة الحمراء ،
أى أرتحلوا عن الدخاء ، وأركبوا الصبيان وهو الجمل الأصهب ، وقوله : بآية ما أكلت
معكم حنيساً ، أى أخلاطاً من الناس قد غزروكم ، لأن الحنيس يجمع الترو والسمن والإقط ؛
فأستلأموا ما قال ، وعرفوا الحن كلامه .

- وحكى أبو الفرج الأصفهاني بسنده الى مجالد بن سعيد عن عبد الملك بن
عُمير قال : قدم علينا عمر بن هبيرة الكوفة ، فأرسل الى عشرة أنا أحدهم من
وجوه أهل الكوفة ، فسمروا عنده . ثم قال : ليحدثنى كل رجل منكم أحدوثة .
وأبدأ أنت يا أبا عمرو ، فقلت : أصلى الله الأمير ، أحدث الحق أم حديث
الباطل ؟ قال : بل حديث الحق ، قلت : إن امرأ القيس آلى آية
الآيتروج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة واثنين ، بفعل يخطب النساء فإذا
سألن عن هذا ، قلن أربعة عشر ، فبينا هو يسير فى جوف الليل اذا هو برجل يحمل
ابنة له صغيرة ، كأنها البدر لته ، فأعجبته فسألها : يا جارية ! ما ثمانية وأربعة وأثنان ؟
ف قالت : أما ثمانية فأطباء الكلبة ، وأما أربعة فأخلاق الناقة ، وأما اثنان
(١) فى الأغاني : « يا أبا عمر » .

فتديا المرأة؛ فخطبها الى أبيها ، فزوجه إياها وشرطت عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث إحصائٍ ، بفعل لها ذلك ، على أن يسوق إليها مائة من الإبل ، وعشرة أعيد ، وعشر وصائف ، وثلاثة أفراس ؛ ففعل ذلك ، ثم إنه بعث عبدا له الى المرأة ، وأهدى لها نعيماً من سمن ، ونعيماً من عسل ، وحلة من قصب ، فقتل العبد على بعض المياه ، فنشرا الحلة فلبسها فتعلقت بسرة فانشقت ، وفتح النحى فاطعم أهل الماء منهما فتصفا ، ثم قدم على حمة المرأة وهم خلوف فسالها عن أبيها وأميها وأخيها ، ودفع اليها هديتها ، فقالت له : أعلم مولاك أن أبى ذهب يقرب بيديا ، ويبعد قريبا ، وأن أمى ذهبت تشق النفس نفسين ، وأن أمى ذهب يراعى الشمس ، وأن سماءكم أنشقت ، وأن وعاءكم نضبا ، فقدم الغلام على مولاه ناخبره ، فقال : أما قولها : أن أبى ذهب يقرب بيديا ويبعد قريبا : فإن أباهما ذهب يحالف قوما على قومه ، وأما قولها : ذهبت أمى تشق النفس نفسين : فإن أمها ذهبت تقبل أمرأة نفساء ؛ وأما قولها : ذهب أمى يراعى الشمس : فإن أخاها فى سرج له يراعى ، فهو ينظر وجوب الشمس ليروح به ، وقولها : أن سماءكم أنشقت : فإن البعد الذى بعثت به انشق ، وأما قولها : أن وعاءكم نضبا : فإن النحى قصفا ، فأصدقنى ؛ فقال : يا مولاي ! إنى نزلت بماء من مياه العرب ، فسألونى عن نسبي ، فأخبرتهم أنى أبى عمك ، ونشرت الحلة فلبسها وتجلت بها ، فتألفت بسرة فانشقت ، وفتح النحى فاطعمت منهما أهل الماء . فقال : أولى لك ؛ ثم ساق مائة من الإبل ، وخرج ومعه الغلام ليسقى الإبل ، فعجز ، فأعانه أمرؤ القيس فرمى به الغلام فى البئر ، وخرج حتى أتى المرأة بالإبل فأخبرهم أنه زوجها ، فقيل لها : قد جاء زوجك ! فقالت : والله ما أدرى أزوجى هو أم لا ؟ ولكن أنحروا له جزورا وأطعموه من كرشها وذنبها ، ففعلوا ؛ فأكل ما أطعموه ، قالت : أسقوه ليئا حازرا (وموالخاض) فسقوه فشرب ،

٥

١٠

١٥

٢٠

- فقالت : أفرشوا له عند الفَرثِ والدم ، ففرشوا له ؛ فنام . فلما أصبحت أرسلت إليه : أريد أن أسألك عن ثلاث ، قال : سئلي عما بدا لك ، فقالت : لم تختلج شفتاك ؟ قال : من تقبيل إياك ! قالت : لم تختلج نَفْذاك ؟ قال : لتوركي إياك ! قالت : فلم يختلج كَشْحاك ؟ قال : لالتزامي إياك ! قالت : عليكم العبد ! فشدوا أيديكم به ؛ ففعلوا . قال : ومرة قوم فاستخرجوا أمراً القيس من البئر ، فرجع الى حيه وأستاق مائة من الابل وأقبل الى أسرته . فقيل لها : قد جاء زوجك ! فقالت : والله ما أدرى أزوجى هو أم لا ؟ ولكن آنحروا له جزورا وأطعموه من كرشها وذنبها ، ففعلوا ؛ فلما أنه بذلك ، قال : وأين الكبد والسَّنام ^(١) والمَلْهَاء ؟ فأبى أن يأكل ، فقالت : آسقوه لبنا حازرا ، فأبى أن يشربه وقال : أين الصَّريف ^(٢) والرَيْثَةُ ^(٣) ؟ فقالت : أفرشوا له عند الفَرثِ والدم ، ففرشوا له ؛ فأبى أن يتام وقال : أفرشوا لي فوق التلعة الحمراء وأضربوا عليها خباء ، ثم أرسلت إليه : هل من شريطتي عليك في المسائل الثلاث ، فأرسل اليها : سئلي عما شئت ، فقالت : لم تختلج شفتاك ؟ قال : لشرب المشمشعات ؛ قالت : فلم يختلج كَشْحاك ؟ قال : للبس الحبرات ؛ قالت : فلم يختلج نَفْذاك ؟ قال : لركض المطهَّمات ؛ قالت : هذا زوجى لعمري ! فمليكم به ، وأقتلوا العبد فقتلوه ، ودخل أمرؤ القيس بالجارية ؛ قال ابن هُبَيْرَة : حسبكم ! فلا خير في الحديث في سائر الليلة بعد حديثك يا أبا عمرو ولن يأتينا أحداً بأعجب منه ، فقمنا فانصرفنا وأمر لي بجائزة .

وقيل : بعث بَشَامَة بن الأعور العبدي الى أهله بثلاثين شاة ونحى صغير فيه

سمن ، فسرق الرسول شاة ، وأخذ من رأس النحى شيئا ، فقال لهم الرسول : ألكم

(٤٦)

(١) المَلْهَاء : لحم في الصلب من الكاهل الى العجز من البعير .

(٢) الصَّريف : اللبن ساعة الحلب .

(٣) الرَيْثَةُ : اللبن الحامض يخلط بالخلو ليحتر .

حاجة أخبره بها؟ فقالت أمراءه : أخبره أن الشهر محاق، وأن جدينا الذي كان يطالنا وجدناه مرثوما، فارتجع منه الشاة والسمن .

وقيل : أسرت طيًّا غلاما، فقدم أبوه ليغديه، فأشتطوا عليه . فقال أبوه : لا والذي جعل الفرقدین يمسيان ويصبحان على جبلٍ طيٍّ ! ما عندي غير ما بذلته، ثم أنصرف وقال : لقد أعطيته كلاما إن كان فيه خيرٌ فهمه كأنه قال : الزم الفرقدین على جبلٍ طيٍّ، ففهم الأبن تعريضه وطرده إبلا لم من ليلته ونجا .

ومن التخلص المتوصل إليه بالكناية ما روى عن عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي، أنه قال يوما في حق الوليد بن عقبة بن أبي معيط : ألا تعجبون لهذا؟ أشعر بركا يولي مثل هذا المصر، والله ما يحسن أن يقضى في تمرتين . فبلغ ذلك الوليد فقال على المنبر : أنشد الله رجلا سماني أشعر بركا إلا قام، فقام عدي بن حاتم فقال : أيها الأمير، إن الذي يقوم فيقول : أنا سميتك أشعر بركا لجرى^١، فقال له : أجلس يا أبا طريف ! فقد برأك الله منها، بفلس وهو يقول : ما برأى الله منها .

وقيل : كان شريح عند زياد بن أبيه وهو مريض، فلما خرج من عنده أرسل إليه مسروق رسولا وقال : كيف تركت الأمير؟ فقال : تركته يأمر وينهى، قال مسروق : إنه صاحب تعريض^(٢)، فارجع إليه وأسأله ما يأمر وينهى، قال : يأمر بالوصية وينهى عن النوح .

خطب رجل إلى قوم بجاءوا إلى الشعبي يسألونه عنه، وكان به عارفا، فقال : هو والله ما علمت نافذ الطعنة، وركن الجلسة، فزوجه فاذا هو خياط فاتوه فقالوا : غررنا فقال : ما فعلت وإنه لكما وصفت .

(١) أشعر بركا، لأنه كان أشعر الصدر .

(٢) كذا في العقد الفريد . وفي الأصول : « عرس » ولها : « عريس » .

وخطب باقلاقي الى قوم وذكر أن الشعبي يعرفه فسأله عنه فقال : إنه لعظيم الزماد، كثير الفاشية .

قيل : أخذ العسس رجلين فقال لهما : من أنتم؟ فقال أحدهما :
أنا ابن الذي لا يزل الدهر قدُّه * وإن نزلت يوما فسوف تعود
تري الناس أفواجا إلى ضوء ناره * فنهض قياماً حولاً وقعوداً .
وقال الآخر :

أنا ابن من تخضع الرقاب له * ما بين مغزومها وهاشمها
تاتيه بالنذل وهي صاغرة * يأخذ من مالها ومن دمها
ففلنوهما من أولاد الأكابر، فلما أصبح سأل عنهما ؛ فاذا الأول ابن طباخ
والثاني ابن حجام .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للأحنف : أى الطعام أحب اليك ؟
قال : الرُّبْدُ والكجَّةُ . فقال : ما هما بأحب الطعام اليه ، ولكنه يحب الخصب
للسامين .

وقال لقمان لأبنته : كُلْ أطيب الطعام، وتم على أوطأ الفرش . كفى عن إختار
الصيام وإطالة القيام .

ومن جيد التورية وغريبها مع توتى الصدق فى موطن الخوف : قولُ أبي بكر
الصدِّيق رضى الله عنه ، وقد أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رديفه عام
الهجرة ، فقيل له : من هذا يا أبا بكر؟ فقال : رجل يهْدِي السبيل .

ورُفِعَ الى عبيد الله بن الحسن قاضى البصرة وصيةٌ لرجل بمال أمر أن يُتَّخَذَ به
حصون . فقال : اشترؤا به خيلاً للسبيل ، أما سمعتم قول النخعي .
ولقد علمت على تجنِّي الردى * أن الحصون الخيلُ لا مدرُّ القُرى

قيل كان البراء بن قبيصة صاحب شراب ؛ فدخل على الوليد بن عبد الملك ، وبوجه أثر ، فقال : ما هذا ؟ قال فرس لي أشقر ، ركبت فكبأ بي ، فقال : لوركت الأثيبَ لَمَّا بكأ بك ، يريد الماء .

قال عبد الملك بن مروان لثابت بن الزير : ما ثابت من الأسماء ! ليس باسم رجل ولا امرأة . قال : يا أمير المؤمنين لا ذنب لي لو كان اسمي إلى لَسِمْتُ نفسي زينب ، يُرَضُّ به ؛ فانه كان يعشق زينب بنت عبد الرحمن بن هشام فخطبها ؛ فقالت : لا أوتخ نفسي بأبي الدَّيَّان ^(١) .

قال مُيمِرَى لفقعمسى : إني أريد إتيانك فأجد على بابك نُحْرًا ، فقال له الفقعمسى : اطرح عليه ترابا وادخل ؛ أراد الميمري قول الشاعر :

ينام الفقعمسى وما يُصَلِّي * ويخروا فوق قارعة الطريق

وأراد الفقعمسى قول الآخر :

ولو وَطِئْتُ نساءَ بني نمير * على تَرْبٍ نَحْبَتِ الترابا

قال عبد الله بن الزبير لأمرأة عبد الله بن حازم السلمى : أخرجني المال الذي وضعته تحت آسيتك ، فقالت : ما ظننت أن أحدا يُل شيئا من أمور المسلمين يتكلم بهذا ! فقال بعض من حضر : أما ترون الخلع الخفي الذي أشارت إليه ؟ فلما أخذ الحجاج أم عبد الرحمن بن الأشعث تحجب ما عيب على ابن الزبير فكفى عن المعنى فقال لها : عمدت إلى مال الله فوضعته تحت ذلك .

ماتت للهنذلى أم وليد فامر المنصورُ الربيعَ بأن يعزَّيه ويقول له : إن أمير المؤمنين يوجه اليك بجمارية نفيسة لها أدبٌ وظرفٌ تُسليكَ عنها ، وأمر لك بفرس

(١) كنية كان يكنى بها عبد الملك بن مروان لبخره .

وكسوة وصلة؛ فلم يزل المذنب يتوقفها ونسيها المنصور، ثم حجّ ومعه المذنب فقال له وهو بالمدينة : أحب أن أطوف الليلة في المدينة ، وأطلب من يطوف بي، فقال : أنا لها يا أمير المؤمنين؛ فطاف به حتى وصل إلى بيت عائكة فقال : يا أمير المؤمنين ! وهذا بيت عائكة الذي يقول فيه الأحوص :

• يا بيتَ عائكة الذي أتَعَزَّلُ •

فانكر المنصور ذكر بيت عائكة من غير أن يسأله عنه؛ فلما رجع أمر القصيدة على خاطره فاذا فيها :

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم • مذق الحديث يقول مالا يفعل

فتذكر الموعد وأنجزه واعتذر إليه .

- ١٠ اجتمع الشعراء باباب أمير من أمراء العرب ، فترجل بياز فقال رجل من بني تميم لآخر من بني نمير : هذا البازي ! فقال النخيري : إنه يصيد القطا ؛ عرض الأثول بقول جرير :

أنا البازي المطل على نمير • أتيج من السماء لها انصبابا

وأراد الآخر قول الطرّاح :

- ١٥ تميم بطرق اللؤم أهدي من القطا • ولو سلكت طرق المكارم ضلت

قال عمر بن هبيرة الفزاري لأبيوب بن غلبان النخيري وهو يسايره : غص من بفلتك ! فقال : إنها مكتوبة ، أراد ابن هبيرة قول جرير :

فغص الطرف إنك من نمير • فلا كعبا بلفت ولا كلابا

وأراد النخيري قول ابن دادة :

- ٢٠ لا تأمنن فزاراً خلوت به • على قلوبك واكتبها بأسيار

وقيل : كان العزيز بن المعز العبيدي أحد الخلفاء بمصر يلعب بالحمام ، فتسابق هو وخدام له فسبق طائر الخادم طائر الخليفة ؛ فبعث الى وزيره ابن كلث اليهودي يستعلمه عن ذلك فاستحيا أن يقول : إن طائر الخليفة سبق ، فكتب إليه :
يا ابن الذي طاعته عصمة * وجبه مفترض واجب
طائرک السابق لکنته * جاء وفي خدمته حاجب

جاءت امرأة الى عمر رضى الله عنه فقالت : أشكو اليك زوجي ، خير أهل الأرض إلا رجلا سبقه لعمل ، أو عمل مثل عمله ، يقوم الليل حتى يصبح ، ويصوم النهار حتى يمسي ، ثم أخذها الحياء فقالت : أقتني يا أمير المؤمنين ، فقال : جزاك الله خيرا ! فقد أحسنت الثناء ؛ فلما قالت قال كعب بن سور : يا أمير المؤمنين لقد أبلغت اليك في الشكوى ، فإنها كنت بذلك عن عدم المباشرة .

الباب الخامس

من القسم الثاني من الفن الثاني

في الألفاظ والأحاجي

قالوا : واشتقاق الألف من الفز الربوع ولغز ، إذا حفر لنفسه مستقيا ، ثم أخذ يمينه ويسره ليورى بذلك ويعنى على طالبه . ولغز أسماء ، فنها : المعاينة ، والعويص ، والرمز ، والمحاجة ، وأبيات المعاني ، والملاحن ، والرموس ، والتأويل ، والكتابة ، والتعريض ، والإشارة ، والتوجيه ، والمعنى ، والممثل ؛ ومعنى الجميع واحد ،

(١) كنا في أحد الأصولين الفتوغرافيين والقاموس والمشتبه في أسماء الرجال للذهبي . وفي باقي

الأصول : «شور» بالثين وهو تحريف :

وأختلافها بحسب اختلاف وجوه اعتباراته، فانك إذا اعتبرته من حيث إن واضعه كأنه يعاينك، أى يُظهر إعياءك وهو التعب، سَمِيَتْه : معاياة؛ وإذا اعتبرته من حيث صعوبة فهمه وأعتياص استخراجه، سَمِيَتْه عَوِيصاً ؛ وإذا اعتبرته من حيث إنه قد عمل على وجوه وأبواب، سَمِيَتْه : لُغْزاً وفعلك له : إلغازاً ؛ وإذا اعتبرته من حيث إن واضعه لم يفصح عنه قلت : رمز، وقرب منه الإشارة؛ وإذا اعتبرته من حيث إن غيرك حاجاك أى استخرج مقدار عقلك، سَمِيَتْه : بحاجة؛ وإذا اعتبرته من حيث إنه استخرج كثرة معانيه سَمِيَتْه : أبيات المعاني؛ وإذا اعتبرته من حيث إن قائله قد يوهمك شيئاً ويريد غيره، سَمِيَتْه : لحناً وسَمِيَتْ فعلك : الملاحن؛ وإذا اعتبرته من حيث إنه ستر عنك ورؤس فهو : المرموس، والرأس القبر؛ وإذا اعتبرته من أن معناه يؤول إليك، سَمِيَتْه : مسؤولاً، وسَمِيَتْ فعلك : تأويلاً؛ وإذا اعتبرته من حيث إن صاحبه لم يصرح بفرضه، سَمِيَتْه : تعريضاً وكأية؛ وإذا اعتبرته من حيث إنه ذو وجوه، سَمِيَتْه : الموجّه، وسَمِيَتْ فعلك : التوجيه؛ وإذا اعتبرته من حيث إنه مغطى عليك، سَمِيَتْه : مُعَمَّى .

قال الحكيم أمين الدولة المعروف بابن التاميز في الميزان :

- ١٥ ما واحد مختلف الأسماء * يعدل في الأرض وفي السماء
يحكم بالقسط بلا رياء * أعمى يرى الرشاد كل رائي
أحرص لا من علّة وداء * يُفنى عن التصريح بالإيماء
يجيب إن ناداه ذو أمراء * بالرفع وانخفض عن النداء
* يفصح إن علّق في الهواء *

(١٨)

- ٢ (١) في أحد الأصول : « أمير » . وهو تحريف . واسمه : « أبو الحسن بن ساعدة ابن الله الطيب » راجع الإيجاز في فنون الألفاظ لخطير .

قوله : مختلف الأسماء . يعني ميزان الشمس والأصطرلاب ، وسائر آلات الرصد ، وهو معنى قوله : يحكم في السماء . وميزان الكلام النحو . وميزان الشعر : العروض . وميزان المعاني : المنطق . وهذه الميزان^(١) ، والنزاع والمكيال .
وقال آخر فيه :

• ما تقولون ؟ : فيما نزل من السماء ، وعلّق في الهواء ، له عين عمياء ، وكفّ شلاً ، ليس له إن عدل ثواب ، ولا عليه إن جار عقاب ، خلّق من ثلاثة أجناس ، تضمضه الأنفاس ، جسمه عارٍ من غير لباس ، أحرّس اللسان ، في أذنه حُرّصان ، مكر الذكر في القرآن ، ينطوى إذا نام كالصّل ، وفعله المستقبل معتل ، وله في الآخرة أكبر محل .
وقال أبو نصر الكاتب في الخاتم :

• وتنكّج إذا ملكته كفّ * وليس يكون في هذا مرأ^(٢)
له عينٌ تَحْلِلُها ضياءُ * فإن تَحَلَّتْ فبالميلِ المَاءُ
يظَلُّ طليعةً للوصلِ هونا * ولجاني بزورته آحتاءُ
وقد أَوْضَعْتُهُ وأبْنَتْ عنه * ففَصَّرَهُ فقد بَرِحَ الخفاءُ
أراد بقوله : تَحْلِلُها ضياءُ أي أنها مفتوحة ، وتَحْلِلُها بالإصبع ، وقد يبعث المحبوب بخاتمه علامة للزيارة أو وهنا عليها ، وهو أمانٌ للجاني .
•

وقال ابن الرومي في قبلة السراج :
ما حَبِطَ في رأسها دُرّة * تسبح في بحر قليل المَدَى
إن قُبِيتَ كان المعى حاضرا * وإن بدت للاح طريق الهدى

(١) كذا في الأصول ، وهو غير ظاهر المعنى .

(٢) كذا في أحد الأصول وفي كتاب الإنجاز في فنون الألفاظ . وفي باقي الأصول : « قليل » .

وقال السري الرفاء في شبكة الصياد :

وكثيرة الأحداق إلا أنها * عيباء ما لم تنفمس في ماء
وإذا هي انتمست أفادت ربها * ما لا يُنال بأعين البصراء

وقال آخر في النوم :

وحامل يملئني * وماله شخص يرى
إذا حصلت فوقه * وهو لذيد المتعطى
سريت لا أدري أفي * أرض سريت أم بها

وقال أبو العلاء المعري في ركابي السرج :

خيلان نيطاً في جوانب مجلس * جداراه قدام له ووراء
متى يضع الرجلين ماش عليهما * يزُل عنه في وشك حقاً وحفاه

قوله : خيلان لتشابههما، والمجلس : السرج، وجداراه : قريوسه ورادفته،
والحفا مقصور : وجع الرجل، وممدود : من مشى الرجل حافياً بغير نعل .

وقال أبو القاسم عبد الصمد بن بابك^(١) في القفل :

جُماعٌ يَعْقِدُ عَقْدَ الكَلْبَةِ * إن رامه غيرك جز نكبة
ينام كالأمرد لا كالفحبة * حتى إذا شكَّ القمْدُ جنبه
وطال الحذبة بعد الحذبة * وأتحلَّ بالحفنة لا بالشرية
التي جنتنا تقهه العزبة * ثم إذا عاد إليه أشبه
بعض حروف المعجم المنكبة * يفيض وهو صادق المحبة
يعتقد السلم وينوى حربة * وهو على ذاك طويل الصبحة

(١) كذا في أحد الأصول وكتاب الإيجاز في فنون الألفاظ وريثمة الدهر ووفيات الأعيان
لا بن خلكان - وفي باقي الأصول : « ناقل » وهو تحريف .

شَبَّهَ بالمجامع : لدخول القَرَّاش في بطنه ، وقوله : يعقد عقد الكلبة : في عُسْر المفاخرة ، وإن فَتَحَه غيرك جَرَّ نَكْبَةً عليك لسرقة ما [أَقْفَلْتُ عَلَيْهِ] ، ينام كالأمرد لأنكبا به . والقَمْدُ : الذكر وهو المفتاح ، والجَين : القَرَّاش ، وإذا عاد إليه أشبه حرف الكاف .

وقال في اسم سعيد :

يسم عن أول اسمه جَيَّ * ثم بشان حروفه يسبي
ثم بحر فين لو بدا بهما * أسدى بدا صورة اسمها ثني
أربعة نصفها بأكملها * في العدد لم تنقص ولم تربي
هذا وفيه اسم يوم آتفت * مفاخر المِجْم فيه والعُرب
فاعمل الفصكر في تأمله * واركب به كل مركب صعب

شَبَّهَ السين بالثغر ، وثانيه العين وهي تبي القلوب ، والحرفان ، يد وهو أربعة
في العدد وستة في الصورة ، وإذا أخذت السين والعين فهي أربعة وهي جملة
العدد ، وفيه عيد وهو يوم التفاخر بالزينة والملبوس .

وقال ابن أبي البخل الكاتب في القلم :

أصم من المنادى لا يجيب * به تحبو وتشتمل الخطوب
ضائل الجسم أعلم ليس تحنى * عليه غيوب ما تحنى القلوب
تراه واجلاً لا رُوحَ فيه * ويحييه وينطقه الزكوب
بين لسانه ما كان سوداً * مفارقة ويحرسه المشيب

(١) التصحيح عن كتاب الإيجاز في فنون الألفاظ . وفي الأصل : « ما فيه » .

(٢) هو أحمد بن محمد بن يحيى ، كان أميراً على فارس لدى العباس سنة ٨٣٠٠ ؛ شاعر مشهور .

(٣) أنظر رسالة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي ص ٤٠ طبع لندن .

(٤) كما في كتاب الإيجاز . وفي الأصل : « ما كن سودا » مبارزة وهو تحريف .

يَقَسِّمُ فِي الْوَرَى يُؤْسَى وَنُصَى * وَيَحْكُمُ وَالْقَضَاءُ لَهُ حُجُبُ
عَجِبَتْ لِسْطُوةً فِيهِ وَضَعَفَ * وَكَلَّ أُمُورَهُ عَجْبٌ عَجِبُ
أَرَادَ بِقَوْلِهِ «أَعْلَمُ» مَشْقُوقَ الشَّغْفَةِ .

وَقَالَ أَبُو الْعَلَاءِ الْمُعْزَى فِي الْمَلْعُ :

وَبَيْضَاءُ مِنْ سَرِّ الْمَلَّاحِ مَلَكُوتُهَا * فَلَمَّا قَضَتْ إِرْبَى حَبُوتُهَا صَحْبِي
فَبَاتُوا بِهَا مُسْتَمْتَعِينَ وَلَمْ تَزَلْ * تَحْتَمُّهُمْ بَعْدَ الطَّعَامِ عَلَى الشَّرْبِ
قَوْلُهُ : سَرِّ أَيْ خَالِصَةِ ، وَالْمَلَّاحُ جَمْعُ مَلْعُ ، وَالْإِرْبُ : الْحَاجَةُ .

وَقَالَ آخَرُ فِي عَوْدَى الْفَنَاءِ وَالْبُخُورِ :

وَمَا شَيْئَانِ اسْمَهُمَا سَوَاءٌ * وَأَصْلُهُمَا مَعًا عِنْدَ أَنْتَابِ
إِذَا حَضَرَكَ بَتْ قَرِيرِ عَيْنٍ * بَلَا طَعْمَ يَلْدُ وَلَا شَرَابِ
وَمَا إِنْ يَوْجِدَانِ النِّفْعَ إِلَّا * بِضَرْبٍ أَوْ ضَرْبٍ مِنْ عَذَابِ
مَعْنَى اسْمَهُمَا سَوَاءٌ ظَاهِرٌ ، وَأَصْلُهُمَا خَشَبٌ ، وَالضَّرْبُ الْأَوَّلُ : ضَرْبُ الْعُودِ ،
وَالثَّانِي : مِنَ الْمَذَابِ وَهُوَ الْإِحْرَاقُ .

وَقَالَ آخَرُ فِي الْحَرْبِ :

مَا ذَاتَ شَوْكٍ لَهَا جَنَاحُ * يَخْتَلِفُ النَّاسُ عَنْ قَرِيبِ
وَهِيَ عَقِيمٌ تَرَى بَنِيهَا * مَا يَنْ مَرْئِدٍ وَبَيْنَ شَيْبِ
يَأْكُلُ بَعْضُ الْبَيْنِ بَعْضًا * طُلُوعَ شَمْسٍ إِلَى غُرُوبِ
تَصْغِيْفُهَا الدَّاءَ غَيْرَ شَكِ * قَدْ يُخَمُّ الدَّاءُ بِالطَّيِّبِ
وَالدَّاءُ مَعْكَوسُهُ مَكَانُ * يَصْلُحُ لِلطَّائِرِ النَّجِيبِ
بِعَرَفِهَا مَنْ يَكُونُ طَبَا * بِالشَّعْرِ وَالنَّحْوِ وَالْفَرِيبِ

هذا لفرغم معنى في الحرب ، وشوكها : السلاح ، وجناحها : جانبها ، وعقيم :
لأنها لا تلد ، وبنوها : رجالها ، وأكلهم : قتلهم ، وتصحيفها : الحرب ،
وعكسه : برج .

وقال آخر في الثدى :

وما أخوان مشتهران جيداً * كما أشبه الغراب والغراب
يضمهما على مرّ الليالي * وما أجمعا ولا أفرقا إهاب
لذلك وذا دموع هاملات * ولكن كلّ دمهما شراب
يصونهما عن الأبصار دين * ويضرب دون نيلهما حجاب
هما ثدي المرأة ، ويضمهما إهاب وهو الجلد .

وقال آخر في الفخ :

وما ميت كفتته ودفته * قام إلى حيّ صحيح فأوثقه

وقال آخر وهو لفرز :

حلف الحبيب على لا سميته * فكنته ولطفته خوف تفاضيه
ظلي إذا ما زارني حلّ أسمه * قلبي وذلك من عجب عجائبه
ويكون إن رتمته وتزمت * وقلبت ما تشتهي من صاحبه
ويكون إن صفت مبداء الذي * أصبحت تهواه لعين مراقبه
وتراه بعد الجزم إن ميزت في التصحيف مقلوبا أشدّ معاينه
وحروفها فالنصف منها جذرها * وحساب ذلك غير متعب حاسبه
فاطلبه سادس سادس ثانيه نا * نيه وثالثه كذلك لاطالبه
وتمامه من بعد مثل حروفه * في البيت صحّ أسم الحبيب لقاليه

هو لفزق فرحة ، والترخيم : حذف الآخر ، والحرم : حذف الاقوال ، فاذا رخم ونرم وقلب بقى : جرح ، واذا قلبت الفاء قافا بقى : قرحة لعين المراقب ، واذا صحفته مقلوبا ، وجزمت آخره صار : هجر ، والنصف من حروفه آتان ، وهما جذر جميع حروفه ، وقوله : فأطلبه سادس سادس : يعنى البيت السادس .

وقال آخر فى سلمى :

سَلِّ مَاهِرًا بِالْقَرِيضِ وَالْأَدَبِ * مَا أَسْمَ فِتَاةٍ قَعِيدَةِ الدَّسِيبِ
قَدْ صَرَّحَ الشَّعْرُ بِأَسْمَها فَنَحْنُ * فَكُرَّتْ فِيهَا ظَفَرَتَ بِالْعَجَبِ
الاسم سلمى ، وهو ظاهر فى أول البيت .

وقال آخر فى الحكة :

ومضروبة نحيما إذا ما ضربتها * وإن تَرَكْتَ مِنْ شِدَّةِ الضَّرْبِ مَاتَ
وقال أبو عبد الله بن المُغَلِّسِ فى السَّراج :

وداع الى نفسه فى الظلام * وما سمعتُ أَذْنُهُ صَوْتَهُ
إذا هو بَيْضُ وَجْهِ الطَّرِيقِ سَوْدٌ فى وَقْتِهِ يَنْتَهُ

وقال آخر فى الصَّدى :

وساكني يسكن فى الفلاة * ليس من الوحش ولا النبات
ولا من الجنِّ ولا الحياتِ * ولا الخيامِ الشَّعْر والأبياتِ
ولا بذى جسم ولا حياة * كَلَّا ولا يدرك بالصفاتِ
بلى له صوت من الأصواتِ * يُسْمَعُ فى الأحيان والأوقاتِ

وقال ابن المغلس فى النخلة :

وقائمة أبدا لا تنام * وما قصدت قط مذقائتِ
تعيث إذا غسلوا أرجلها * وإن حلقوا رأسها ماتت

وقال آخر :

مايقول سيدنا الشيخ : في شيء نزل من السماء ، وركض في الهواء ، وخيم
في البيداء ، نطق على نفسه فأفصح ، وتكلم فيمن وأوضح ، أفرواغى ، وأمات وأحيا ،
له شوارق من غير غضب ، ورقصات على غير طرب ؛ يسبق الفرس السريع ، ويسبقه
الطفل الرضيع ، مختلف الألوان ، يوجد في كل زمان ، ما أكثر لغاته ، وأعم في البشر
ذكر صفاته ! وهو خفيف ثقيل ، كثير قليل ، كبير صغير ، طويل قصير ، غال رخيص ،
قوى ضعيف ، سريع بطيء ، بارد حار ، نافع ضار ، أبيض أسود أزرق ، قريب
بعيد ، قديم جديد ، متحرك ساكن ، ظاهر باطن ، يتجسر ويتكسر ، ويتعوج
ويتدور ، سلطانه في الشمال وبه يذل ، وضعفه في الجنوب وبه يمز ، نحيل يخفى
جثة الفيل في طيه وعطفه ، ويتخل جفن العين الرمد برفقه ولطفه ؛ يمشى على
الحدق فلا يؤلمها ، ويطا القلوب فلا يكتمها ؛ على أنه يقطع الطريق ، ويخيف
الفرق ؛ كم أهلك من قوم وما أراق ولا سفك ! يحمل ألف قنطار ، ويعجز عن حمل
دينار ؛ وهو ليل نهارى ، عربى عجمى ، برى بحرى ، مهمل جيسل ، رومى نوبى ،
هندي حبشى صيفى ، جاهل إسلامى ، كان مع آدم في الجنة ، وصحب نوحا في السفينة ،
وتوسط النار مع إبراهيم ، كم له مع موسى من خبر ! ولموسى فيه من آية وأثر ! حمل
المسيح على غير ظهره ، وما سار في بر ولا بحر ؛ أخرجه النبي صلى الله عليه وسلم من
جسده ، وفزقه على صحابته ؛ اسم هذا إذا نطقت به كان بعض أسم أحد خلفاء
بنى العباس السبعة وهو ١٤٣١

وقال آخر :

ما شئ وجهه قر ، وقلبه حجر ؛ إن علقته ضاع ، وإن أدخلته السوق أبى أن
يساع ؛ وإن فككته دعا لك ، وإن ركبت نصفه هالك ، وربما كثر أموالك ؛ وإن

حذفت آخره، وشدّدت ثانيه، أوردتك الالم عند الفجر، والضجر عند العصر؟ هو
الدمليج الفضة .



ومما يتصل بهذا الباب مسائل العويص

- فمن ذلك - أمر أنان ألقنا برجلين قالتا لهما : مرحبا بابنينا وزوجينا وأبني زوجينا ؛
وذلك أن كل واحد منهما تزوج بأم الآخر، فهما أبناهما وزوجاهما وابنا زوجيهما .
رجلان كل واحد منهما عم الآخر وأبن أخيه ؛ وذلك : أن كل واحد من
أبويهما تزوج بأم الآخر، فرزق كل واحد منهما ولدا ؛ فكل من الولدين عم الآخر
وأبن أخيه .
- ١٠ • رجلان كل واحد منهما خال الآخر وأبن أخته ؛ وذلك : أن كل واحد من
أبويهما تزوج بأبنة الآخر، فرزق كل واحد منهما ولدا ، فكل من ولديهما خال الآخر
وأبن أخته .
- رجل وأمرأتان هو خال إحداهما وهي خالته ، وعم الأخرى وهي عمته ؛
وذلك : أن جدته أم أبيه تزوجت بأخيه لأمه ، وأخته لأبيه تزوجت بأب أمه ،
فولدتا بنتين فبنت أخته خالته وهو خالها ، وبنت جدته عمته وهو عمها ، وهذا أصل
الآبيات المنظومة في ذلك :
- ولي خالة وأنا خالها • ولي عمّة وأنا عمها
- رجلان كل واحد منهما ابن خال الآخر وأبن عمته ؛ وذلك : أن كل واحد
من أبويهما تزوج بأخت الآخر، فرزق كل منهما ولدا ، فكل من ولديهما ابن خال
الآخر وأبن عمته .

رجلان كل واحد منهما عم والد الآخر؛ وذلك : أن كل واحد من أبيهما تزوج بأم أب الآخر، فكل من أولادهما عم أب الآخر
رجلان كل واحد منهما عم أم الآخر؛ وذلك : أن كل واحد من أبيهما تزوج بأبنة ابن الآخر، فكل من أولادهما عم أم الآخر .

• رجلان كل واحد منهما خال أم الآخر؛ وذلك : أن كل واحد من أبيهما تزوج بأبنة بنت الآخر، فكل من أولادهما خال أم الآخر .

رجلان أحدهما عم الآخر والآخر خاله؛ وذلك : أن رجلين تزوج أحدهما امرأة وتزوج الآخر أبنة أبيها، فولد لكل منهما ولد فأبن الأب عم ابن الابن، وابن الابن من أم امرأة الأب؛ هو أخوها وخال أبيها .

١٠ رجلان أحدهما عم الآخر وخاله، والآخر ابن أخيه وابن اخته؛ وذلك : أن رجلاً له أخ لأب وأخت لأم فزوج أخاه لأبيه بأخته لأمه فأولدها ولدا فهما كذلك .

القسم الثالث من الفن الثاني

في المدح، والهجو، والمجون، والفكاهات، والملح، والخر، والمعاقرة،

والتدمان، والقيان، ووصف آلات الطرب

وفيه خمسة أبواب

الباب الأول

من هذا القسم

في المدح، وفيه ثلاثة عشر فصلاً

حقيقة المدح وما قيل فيه، ما قيل في الجود والكرم وأخبار الكرام، ما قيل

في الإعطاء قبل السؤال، ما قيل في الشجاعة والصبر والإقدام، ما قيل في وفور

العقل، ما قيل في الصدق، ما قيل في الوفاء والمحافظة، ما قيل في التواضع، ما قيل

في القناعة والتزاهدة، ما قيل في الشكر والثناء، ما قيل في الوعد والإنجاز، ما قيل

في الشفاعة، ما قيل في الاعتذار والاستعطاف .

فأما حقيقة المدح، فقد عبر عنها المحدثون في "غاية الاختصار والإيجاز" بقوله

حقيقة المدح : وصف الموصوف بأخلاق يُحمد صاحبها عليها، ويكون نعتاً حميداً .

قال الله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ

الْفُتُورِ مُعْرِضُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ وقال

عمر بن الخطاب : ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِغُونَ أَلْرَّاكُونَ السَّاجِدُونَ أَلْأَمْرُونَ

بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . وروى

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » .
وقد أؤثروا الخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا رأيتم المداحين
فأحنوا في وجوههم التراب » قال العُتبي : هو المدح الباطل والكذب . وأما مدح
الرجل بما هو فيه فلا بأس به ، ومما يعضد هذا أن العباس بن عبد المطلب وكعب
ابن زهير ، وحسان بن ثابت ، وغيرهم مدحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد
أنه حنأ في وجه أحد منهم ترابا . وقيل في حنو التراب معنيان : أحدهما التخليط
في الرد عليه ، والثاني يقال له : بفيك التراب .

وللشعراء عادة في تجاوز قدر المدوح فوق ما يستحقه حتى إن ذلك أفضى
بكثير منهم إلى الكفر والخروج عن الحد أعادنا الله من ذلك . وقال أبو شروان :
من أثنى عليك بما لم توله فخير بعيد أن يذقك بما لم تجنيه . وقال وهب بن منبه :
من مدحك بما ليس فيك فلا تأمن أن يذقك بما ليس فيك .

وأشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه قول زهير بن أبي سلمى في هيرم بن سنان :
دع ذا وعد القول في هيرم * خير الكهول وسيد الحضر
لو كنت من شيء سوى بشر * كنت المنور ليلة القدر
ولأنت أوصل من سمعت به * لنوائل الأرحام والصبر
ولنم حشو الدرع أنت اذا * دُعيت تزال ولج في الدُعر
فقال عمر رضي الله عنه : ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما حضر أبا بكر الصديق رضي الله عنه الوفاة قالت عائشة رضي الله عنها
وهو يُقَمِّصُ :

وأبيض يُستسقى النائم بوجهه * ثمَّال اليتامى عصمة للأرامل

(١) في ديوان زهير : « خير البداة » أي خير أهل البدر . (٢) في ديوانه : « ليلة البدر » .

فنظر إليها وقال : ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال آخر :

ولو كنت أرضاً كنت ميثاء سهلة * ولو كنت ليلاً كنت صاحبة البدر

ولو كنت ماءً كنت ماء غمامة * ولو كنت يوماً كنت تمريرة الفجر

وقال محمد بن هاني :

أغير الذي قد خط في اللوح أبتنى * مديحاً له إني إذا لعنود

وما يستوى وحى من الله منزل * وقافية في الفارين شروء

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمتهم بن نورية : صف لي أخاك فأني أراك

تمدحه فقال : كان يركب الجمل الثقيل في الليلة الباردة ، يرتجى لأهله بين المزدتين

المضرجين ، عليه الشملة القلوت ، يقود الفرس الحرون ثم يصبح ضاحكاً .

وسأل عبد الله بن عباس صمصة بن صوحان العبدي عن إخوته فقال :

أما زيد فكان قال أخو غني :^(٢)

فني لا يبال أن يكون بوجهه * إذا نال خلان الكرام شوب

ثم قال : كان والله يأبى عباس ، عظيم المروءة ، شريف الأبهة ، جليل القدر ،

بعيد الشر ، كيمش العروة ، زين الندوة ، سليم جوائع الصدر ، قليل وساوس الفكر ،

(١) هذه جارة الألفي ج ١٤ ص ٦٩ غير أنه ورد فيها لفظة الحرون محركة إلى الجزور ويصح

محركة أن يصح . وبجاءة الأصل : « كان أخى يحبس المزد بين الصوحين في الليلة القرة منتقلاً لفرح الخطل

عليه الشملة القلوب يقود الفرس الحرون فيصبح ضاحكاً مستبشراً . الخطل : الطويل المضطرب .

والقلوب : التي لا تنفخ على الرجل لقصرها » . والشعر يف فيها واضح فلا يحل هنا ذكر الصوحين وهما

جانبا الوادي ولأنه يحبس المزد بينهما ، وكذلك القلوب محركة عن القلوب وهو من الكد . ألا يضم طرفاه

من صفه أو ضيقه فهو يتخلت عنه كل ساعة ، والرجل محركة عن الرجل .

(٢) كذا في الأصلين القنوغرافين . وفي النسخة الراجية : « أخو عبس » .

(٣) في أحد الأصلين : « بعيد الأثر » .

ذاكراً لله تعالى طرَفَ التَّهَارِ وزَلَمًا من الليل ! الجوع والشَّبع عنده سَيَّان، لا منافس في الدنيا، ولا غافل عن الآخرة؛ يطيل السكوت، ويدبم الفكر، ويكثر الاعتبار، ويقول الحق، ويلهج الصدق؛ ليس في قلبه غير ربه، ولا يهيمه غير نفسه . فقال ابن عباس : ما ظنك برجل سبقه عضو منه الى الجنة ؟ رحم الله زيدا ! فأين كان عبد الله منه ؟ فقال : كان عبد الله سيِّدا شجاعا، شيخاً مُطاعاً؛ خيره وسَّاع، وشره دَفَّاع ؛ أَيْبُ النَّحِيْزَةِ، أَحْوَذَى النَّرِيْزَةِ، لَا يُنْهِنُهُ مُنْهِنُهُ عَمَّا أَرَادَ، وَلَا يَرْكَبُ إِلَّا مَا أَحْتَادَ؛ سَيِّمَ الْعَدَى، قِيَّضَ النَّدَى؛ صَعِبَ الْمَقَادَةُ، جَزَلَ الرَّقَادَةُ؛ أَخُو إِخْوَانٍ، وَقِي قِيَّانٍ؛ ثُمَّ أُنْسِدَ شِعْرُ حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ :

إذا قال لم يترك مقالاً لقائل * بِلُتْقَطَاتٍ لَا تَرَى بَيْنَهَا فِصْلًا

قضى فشنى ما في النفوس فلم يدع * لَذَى إِرَابَةٍ فِي الْقَوْلِ جَدًّا وَلَا هَزْلًا

ودخل ضَرَّارُ بْنُ حَمْرَةَ الْكُفَّانِيَّ عَلَى معاوية بن أبي سفيان فقال له : صف لي علياً، فقال له : أو تعفيني ؟ فقال : لا أعفيك، قال : أما إذا لا بدَّ، فإنه كان بعيد المدى، شديد القوى؛ يقول فصلاً، ويحكم عدلاً؛ يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه؛ يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل وظلمته؛ كان والله غزير العبرة، طويل الفكرة؛ يقلب كفيه، ويخاطب نفسه؛ يعجبه من اللباس ما قُصِرَ، ومن الطعام ما خُشِّنَ؛ كان والله [فيما] كأحدنا، يدنينا إذا أتينا، ويبجنا إذا سأناء؛ وكان مع تقربه إلينا وقربه منا لا نكلمه هيبة له، [ولا] نبتدئه اعظمته، فان تبسم فنن مثل لؤلؤ منظوم، يُعْظَمُ أَهْلُ الدِّينِ، ويحب المساكين؛ لا يطعم القوى في باطله، ولا يئأس الضعيف من عدله .

- ٢٠ (١) كذا في القمد الفريد (ج ١ ص ٢١٤) وعيون الأخبار طبع دار الكتب المصرية (ج ٢ ص ١٧٠) .
وفي الأصل : « القوم » . (٢) الزيادة عن الأمالي طبع دار الكتب (ج ٢ ص ١٤٧) .
(٣) وقد ورد هذا الوصف لسيدنا علي في الأمالي بزيادة عما هنا فراجع .

وذكر عمرو بن معد يكرب بن سلم فقال: بارك الله على حم بن سليم، ما أصدق في المبيء لقاءها! وأثبت في النوازل بلاءها! وأجزل في الثابتات عطائها! والله لقد فالتهم فما أجبتهم، وما جيتهم فما أغمتم، وسالتهم فما أملتهم .
وقال بعض العرب: فلان حشف الأقران غداة النزال، وربع الضيقان عشيّة النزول .

وقال آخر: فلان لَيْثٌ إذا غدا، وبدر إذا بدا، ونجم إذا هدى، وسُم إذا أُردي .
ودخل النابغة على النعمان بن المنذر بن أمّير القيس بن عمرو بن عدى النخعي غيابة بحجة المملوك، ثم قال: إيفانرك ذو فائس وأنت سائس العرب، وغمرة الحسب؛ واللات، لأنسك أين من يومه، وأمبلك أكرم من قومه، ولقفلك أحسن من وجهه، وليسارك أجود من يمينه، ولظنك أصدق من يقينه، ولوعدك أثلب من رفته، ونخالك أشرف من جدّه . ولتفشك^(١) أمتع من جُنده، وليومك أزهر من دهره، ولتفرك أبسط من شبره؛ ثم قال:

أخلاقٌ بمدك جَلَّتْ ما لها خطر * في البأس والجود بين الحلم والخفير^(٢)
متّوج بالمعال فوق مفسرقة * وفي الوغى ضيغم في صورة القمر
إذا دجا الخطب جلاه بصارمه * كما يحلّ زمانُ المحل بالمطر

فقتل وجه النعمان سروراً، ثم أمر أن يُحشى فوه دزاً، وكُتِبَ أنواب الرضا، وكانت جباً أطواقها الذهب بقمص الزرّد . ثم قال النعمان: هكذا فليمدح المملوك .
وذو فائس: هو سلامة بن يزيد بن سلامة من ولد يثعصب بن مالك وكان النابغة

(١) يقال: بِلْ أو غمّ نقش: ترى ليلاً بلا راح - وفي الأصول: «لنفسك» وهو تحريف .
(٢) الخفير بالتحريك: شقة الحياء . والذي في كتاب (التوضيح والبيان في شرايفه بن ذبيان):
«بين العلم والخبر» .

مُتصلاً به قبل اتصاله بالتَّان، وله فيه مدائح كثيرة فأقتصر الله تعالى من التَّان بن
المنذر بعد ذلك لما حُكي أنه دخل حسان بن ثابت على الحارث الجفني فقال : أنتم
صباحا أيها الملك ! السماء غطَاؤُك، والأرض وطَاؤُك، ووالدى وولدى فداؤُك ؛
أنى ينافسك ابن المنذر ! فوالله لقدالك أحسن من وجهه، ولأتمك خير من أبيه،
ولذلك خير من شخصه، ولصمتك أبلغ من كلامه، ولشمالك خير من يمينه ؛ ثم قال :

فذلك أحسن من وجهه * وأتمك خير من المنذر

ويُسرَى يدك إذا أعسرت * كيمنى يديه فلا تمسّر

أخذ المعنى الحسن بن هاني فقال :

بأى أنت من غزال غرير * بدّ حسن الوجوه حسن قفاكا

ونظر بعض الشعراء الى هذا المعنى فقال يمدح زُبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر
المنصور أم الأمين :

أزبيدة بنت جعفر * طوبى لزارك المثاب

تعطين من رجليك ما * تعطى الأكف من الرقاب

فلما أنشد ذلك تبادر العبيد ليقعوا به، فقالت زبيدة : كفوا عنه فلم يرد إلا خيراً،
ومن أراد خيراً فإخطأ خير ممن أراد شراً فأصاب، إنه سمع الناس يقولون : قفاك
أحسن من وجه غيرك، وشمالك أئدى من يمين سواك، ففكر أن هذا مثل ذاك،
أعطوه ما أمّلت، وعرفوه ما جهل . ومثله : مدح شاعر أميراً فقال :

أنت الهام ابن الهما * م الواسع ابن الواسعة

فقال له : من أين عرفتها؟ قال : قد جربتها، فقال : أسوأ من شعرك ما أتيت
به من عنرك !

قال دخل خالد بن عبد الله القسري على عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة فقال : يا أمير المؤمنين من تكن الخلافة قد زانته فأنت قد زيتها ، ومن يكن شرفه فقد شرفها ، وأنت كما قال الشاعر :

وإذا الذر زان حسنَ وجوه * كان للذهر حسنُ وجهك زينا

- فقال عمر بن عبد العزيز : أُعْطِيَ صاحبكم مَقُولاً ، ولم يُعْطَ معقولاً . ولما دخل عبد الله المأمون بغدادَ تلقاه وجوه أهلها فقال له رجل منهم : يا أمير المؤمنين ، بارك الله لنا في مُقَدِّمك ، وزادك في نعمتك ، وشكرك على رِعيتك ، تقدَّمت من قبلك ، وأتعت من بعدك ، وأيامت أن نُعاين مثلك ، أما فيمن مضى فلا نعرفه ، وأما فيمن بقى فلا نرجوه ؛ فنحن جميعاً ندعوك ، ونُثْنِي عليك ؛ خَصِّبْ لنا جانبك ، وعُدِّبْ شرباك ، وحَسُنْ نُصرتك ، وَكُرِّمْتُ مقدرتك ؛ جبرتَ الفقير ، وفككتَ الأسير ؛ فانت — يا أمير المؤمنين — كما قال الشاعر :

ما زلت في البذل للنوال وإط * للاق لعان يجرمه غلَقِي

حتى تمنى البراء أنهم * عندك أمساوا في القَدِّ والحَلَقِي

- وقال رجل للحسن بن سهل : لقد صرت لا أَسْتَكْثِر كثيرَكَ ، وإن قليلَكَ أَكْثَرُ من كثير غيركَ . وقال الرشيد لبعض الشعراء : هل أحدثتَ فينا شيئاً ؟ قال : يا أمير المؤمنين ؛ المديح كلُّه دون قدرِكَ ، والشَّعرُ فِيكَ فوق قدرِي ، ولكنني أَسْتَحْسِنُ قولَ العَتَّابِي :

ماذا عسى مَدحُ بئِي عليك وقد * ناداك في الوحي تَقْدِيسٌ وتَظْهِيرُ

فَتِ المَداحُ إلا أن السُّنَا * مستنطقات بما تخفى الضمائرُ

وقال رجل في خالد بن صفوان : قريع المنطق ، جزل الألفاظ ، عربى اللسان ، قليل الحركات ، حسن الإشارات ، حلو الشئائل ، كثير الطلاوة صموتا قولا^(١) ، يهنا الجرب ، ويدأوى الدبر ، ويقطع^(٢) المحز ، ويطبق المقيص ، لم يكن الزمر في مروته ، ولا بالهذر في منطق ، متبوعا غير تابع ، كأنه علم في رأسه نار .

وقيل لبعض الخلفاء : إن شبيب بن شيبه يستعمل الكلام ليستعد به ، فلو أمرت به أن يصعد المنبر بجأفة لا تنضح ، قال : فأمر من أخذ بيده فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : إن لأمر المؤمنين أشباها أربعة ، فمنها : الأسد الخادر ، والبحر الزاهر ، والقمر الباهر ، والربيع الناضر ، فأما الأسد الخادر ، فأشبهه منه صوته ومضاءه ، وأما البحر الزاهر ، فأشبهه منه جوده وعطاءه ، وأما القمر الباهر ، فأشبهه منه نوره وضياؤه ، وأما الربيع الناضر ، فأشبهه منه حسنه وجهاه ، ثم نزل .

وقيل دخل رجل على المنصور فقال له تكلم بحاجتك ، فقال : يبيك الله تعالى يا أمير المؤمنين ، قال : تكلم بحاجتك ، فإنك لا تقدر على مثل هذا المقام في كل حين ، قال : والله يا أمير المؤمنين ، ما استقصر أجلك ، ولا أخاف بخلك ، ولا أغتم مالك ، وإن عطائك لشرف ، وإق سؤالك لزين ، وما بأمرئ بذل اليك وجهه نقص ولا شين ، فأحسن جائته وأكرمه .

(١) يهنا الجرب ، الهنا : القطران أى أنه لا يتكلم ، لا فيما يجب الكلام ، مثل الطال الرفيق الذى يضع الهنا . موضع الجرب .

(٢) يقطع المحز ويطبق المقيص أى يقطع الكلام ويصيب المعاني ، شبه بالجزار الرفيق يقطع براجم ويصيب مفاصله . وهذه أمثال تضرب في البلاغة - راجع عين الأخبار طبع دار الكتب (ج ٢ ص ١٦٩) والسعد الفريد طبع بولاق (ج ١ ص ٢١٤) .

وقال محمد بن مالك القرطبي من رسالة: ما رأيت وجهها اسمح، ولا حلما أروح، ولا سحبة أصحح، ولا بشرا أبدى، ولا كفاً أندى، ولا غرة أجمل، ولا فضيلة أكل، ولا خلقة أصفى، ولا وعدا أوفى، ولا نوباً أطهر، ولا تيمناً أوفر، ولا أصلاً أطيب، ولا رأياً أصوب، ولا لفظاً أعذب، ولا عريضاً أنقى، ولا بناءً أبقي، مما خص الله به ثالث القمرين، وسراج الخافقين، وعماد الثقلين، المتعمم بالله .

وقال بعض الكتاب: إن من النعمة على المؤمن عليك ألا يخاف الإفراط، ولا يأمن التقصير، ولا يحذر أن تلحقه نقيصة الكذب، ولا ينتهي به المدح إلى غاية إلا وجد في فضلك عوناً على تجاوزها، ومن سعادة جَدُّكَ أن الداعي لك لا يعدم كثرة المشايين له، والمؤمنين معه .

وقال آخر: إني فيما أتأمل من مدحك كالخبر عن ضوء النهار الباهر، والقمر الزاهر الذي لا يخفى على كل ناظر؛ وأيقنت أني حيث آتيتي في القول إلى العجز مقصراً عن الغاية، فانصرفت عن التناء عليك إلى الدعاء لك؛ وولكت الإخبار عنك إلى علم الناس بك .

وقال أبو عبد الله محمد بن الخياط من رقعة طويلة في المظفر قال في أولها: حجب الله عن الحاجب المظفر أعين الثائبات، وقبض دونه أيدي الحادثات؛ فإنه مذ كان أنور من الشمس ضياءً، وأكل من البدر بهاءً؛ وأندى من الغيث كفاً، وأحمى من الليث أنفاً؛ وأسخى من البحر بناهاً، وأمضى من النصل لساناً؛ وأنجبه المنصور بغري على سننه، وأدبه فأخذ بسننه؛ وكانت الرياسة عليه موقوفة، والسياسة إليه مصروفة؛ قصرت الأوهام عن كنه فضله، وعجزت الأقلام عن وصف مثله؛ غير أن الفضائل لا بد من نشرها، والمكام لا عذر في ترك شكرها .

فهذه نبذة كافية مما ورد في المنشور فلنذكر ما ورد من المنظوم في ذلك .

قال أبو هلال السكري : سمعتُ أبا أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد يقول :
 أمدح بيت قاله العرب قول النابغة الذبياني يمدح النعمان بن المنذر :
 ألم تر أن الله أعطاك سورة * ترى كل ملكٍ دونها يتذبذبُ
 بأنك شمس والملك كواكب * إذا طلعت لم يبدُ منها كوكبُ

وهو مأخوذ من قول بعض شعراء كندة يمدح عمرو بن هند :
 تكاد تميد الأرض بالناس أن رأوا * لعمر بن هند غصبة وهو عائبُ
 هو الشمس وافت يوم سعيداً فضلت * عل كل ضوء والملك كواكبُ
 وقال نصيب :

هو البدر والناس الكواكب حوله * وهل يشبه البدر المضيء كواكبُ

وقالوا : أبداع بيت قيل في المديح قول النابغة :
 فإنك كالليل الذي هو مدركي * وإن خلت أن المتأى منك واسعُ
 وقوله : "أخلاقُ محمدك" - الأبيات وقد تحدثت - وقد تداول الناس معنى قول
 النابغة :

* فإنك كالليل الذي هو مدركي *

فقال الفرزدق :
 فلو حملتني الريحُ ثم طلبتني * لكنتُ كشيءٍ أدركته مقاديرُ
 وقول النابغة أبلغ ، لأن الليل أهم من الريح ، والريح يمتنع منها بأشياء ، والليل
 لا يمتنع منه بشيء . وأخذ سلم الخاسر قول الفرزدق فقال :

(١) كما في الأصول . وفي ديوان المعاني لأبي هلال السكري نسخة خطية محفوظة بدار الكتب

المصرية تحت رقم (١٨٧٤ أدب) : « سعد » . ٢٠

فانت كالدهر مبتوتا جباله * والدهر لا ملجا منه ولا هرب
ولو ملكت عنان الریح أصرفه * في كل ناحية ما فانت الطلب

وقالوا : أجدو شيء قيل في الحسن مع الشجاعة من شعر المتقدمين والمحدثين

قول أبي العتاهية يمدح الرشيد بن المهدي وولده :

• بنو المصطفى هارون حول سريره * نغير قيام حوله وقعود
تقلب الحافظ المهابة بينهم * عيون ظباء في قلوب أسود
وقالوا : أمدح بيت قاله العرب قول أبي الطمّحان القيني :

أضاعت لهم أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ناقبه
نجوم سماء كلما أقتضى كوكب * بدا كوكب تأوى إليه كواكبه
وما زال منهم حيث كان مسود * تسير المنايا حيث سارت كتابه

وهذه الأبيات من قصيدة مدح بها بجمير بن أوس بن حارثة بن لأيم الطائي ، وكان
أسيرا في يده ، فلما مدحه بها أطلقه بعد أن جزأ نصيبه ، وأول القصيدة :

إذا قيل أى الناس خير قبيلة * وأصبر يوما لا توارى كواكبه
فإن بنى لأيم بن عمرو أرومة * علت فوق صعب لا تنال مراتبه

أضاعت لهم أحسابهم الايات .

(١) كذا في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري . وفي الأصول : « مبتوتا » .

(٢) في ديوان المعاني : « بين » .

(٣) كذا في الأصول والأغانى والكامل للبرد وديوان المعاني . وقد ذكرت هذه الأبيات في الشعر
والشعراء لابن قتيبة في ترجمة لقيط بن زارة حيث قال : « وبعض الزواة يخل هذا لشعر أبا الطمّحان
القيني وليس كذلك إنما هو لقيط » .

(٤) الجزع (فتح الجيم وسكون الزاي) : انظر في المعاني والصينى ، وهو الذى فيه بياض وسواد .

(٥) كذا في أحد الأصول والأغانى وشرح القاموس . وفي باقي الأصول والمشتبه في أسماء الرجال
للذهبي « بجمير » ففتح الباء وبالحاء المهملة .

ومثله قول ابن أبي السَّمْط :

قَتِي لَا يَسَالِي الْمَدْبُحُونَ بِنُورِهِ * إِلَى بَابِهِ أَلَا تَضِيءُ الْحُكَاكِبُ
لَهُ حَاجِبٌ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ يَسِينُهُ * وَلَيْسَ لَهُ عَنْ طَالِبِ الْعُرْفِ حَاجِبٌ
ومثله قول الحُطَيْيَةِ :

تَمَشَّى عَلَى ضَوْءِ أَحْسَابِ أَضْأَنْ لَنَا * كَمَا أَضَامَتْ نَجُومُ اللَّيْلِ لِلْسَارَى
ومثله قول الآخر :

وَجُوهٌ لَوْ أَنَّ الْمَدْبُحِينَ أَعْتَشَوْا بِهَا * صَدَعْنَ الدُّجَى حَتَّى يَرَى اللَّيْلُ يُغْبِلُ
وقال عيسى بن أوس يمدح الجُنَيْدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ :

إِلَى مُسْتَبِيرِ الْوَجْهِ طَالٍ بِسُؤْدِيدٍ * تَقَاصَّرَ عَنْهُ الشَّاهِقُ الْمَتَاوُلُ
مَدْحَتِكَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ * وَمِنْ مَدَجِ الْأَقْوَامِ حَقٌّ وَبَاطِلُ
يَعِيشُ النَّدَى مَادَمَتْ حَيًّا فَإِنْ تَمَتَّ * فَلَيْسَ لِحَيٍّ بَعْدَ مَوْتِكَ طَائِلُ
وَمَا لِأَمْرِي عِنْدِي تَحِيلَةٌ نَعْمَةً * سَوَاكَ وَقَدْ جَادَتْ عَلَى تَحَايِلِ
وقالوا : أَمَدَحَ بَيْتَ قَالَتِ الْمَرْبُ قَوْلَ الْأَعْمَى :

قَتِي لَوْ يُنَادِي الشَّمْسُ أَلْقَتْ قِنَاعَهَا * أَوْ الْقَمَرَ السَّارَى لَأَقْنَى الْمَقَالِدَا
وهذا من الغلو وهو مذموم عند بعضهم .

ومثله فِي الْغُرُ قَوْلُ طَرْيَجِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ :

لَوْ قَلَّتِ اللَّيْلُ دَعِ طَرِيقَكَ وَالْجُحُوجُ عَلَيْهِ كَالْمَضْطَبِّ يَتَلَجُّ
لَا تَرْتَدُّ أَوْ سَاخٌ أَوْ لَكَائِفٌ لَهُ * فِي جَانِبِ الْأَرْضِ عَنْكَ مَنَرَجُ

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ وَدِهْرَانَ الْمَعَانِي . فِي كِتَابِ الشُّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ : « فِي سَائِرِ الْأَرْضِ » .

ومن القول قول أبي تمام في المعتمم بالله :

يُمَيِّنُ أبا إِسْحَاقَ طَالَتْ يَدُ الْعِلَّا * وَقَامَتْ قَنَاةُ الدِّينِ وَاشْتَدَّ كَاهِلُهُ
هو البحر من أى النواحي أتيت * فَلَجَّهَ الْمَعْرُوفُ وَالْجُودُ سَاحِلُهُ
تَمُودُ بِسَطِّ الْكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ * أَرَادَ أَنْقِياضًا لَمْ تُطْعَمْ أَنْامِلُهُ
ولو لم يكن في كفه غير نفسه * لَجَادَ بِهَا فَلْيَتَّقِ اللَّهَ سَائِلُهُ

وقال العسكري :

وكيف يَبِيتُ الْجَارُ مِنْكَ عَلَى صَدَى * وَكَفَّكَ بِحُرْلَةِ الْجُودِ سَاحِلُهُ^(١)

وقال أبو هلال العسكري يرفعه الى الأصمعي قال : سمعت أعرابياً يقول :
إنكم معاشر أهل الحضرة تخطئون المعنى ، إن أحدكم ليصف الرجل بالشجاعة فيقول :

كأنه الأسد ، ويصف المرأة بالحسن فيقول : كأنها الشمس ، ولم لا يجعلون
هذه الأشياء بهم أشبه ؟ ثم قال : والله لأنشدك شعرا يكون لك إماما ،
ثم أنشدني :

إذا سالتَ الوردى عن كُلِّ مَكْرَمَةٍ * لَمْ تُلَفِّ نِسْبَتَهَا إِلَّا إِلَى الْحَوِيلِ
قَيَّ جُودِ أَطَارِ النَّيْلِ نَائِلُهُ * فَالنَّيْلُ يَشْكُرُ مِنْهُ كَثْرَةُ النَّيْلِ
وَالْمَوْتُ يَرَهَّبُ أَنْ يَلْقَى مَيِّتَهُ * فِي شِدَّةٍ عِنْدَ لَفِّ الْخَيْلِ بِالْخَيْلِ
لَوْ عَارَضَ الشَّمْسُ آتَى الشَّمْسِ مَظْلَمَةً * أَوْ زَاغَ الْعَمُّ أَبْجَاحًا إِلَى الْمَيْلِ
أَوْ بَارَزَ اللَّيْلَ غَطَّتْهُ قَوَادِمُهُ * دُونَ الْخَوَافِ كَتَلِ اللَّيْلُ فِي اللَّيْلِ
أَمْضَى مِنَ النِّجْمِ إِنْ نَابَتْهُ نَائِبَةٌ * وَعِنْدَ أَعْدَائِهِ أَجْرَى مِنَ السَّيْلِ

(١) في ديوانه طبع مصر : « غداة الملك » .

(٢) كذا في الأصول وديوان المعاني . وفي ديوانه : « شاعها لقبض الخ » .

(٣) في ديوان المعاني : « بلة البحر » .

ومثله قول الآخر :

علمَ الغيثَ الندى حتى اذا * ما حكاه علمُ البأسِ الأسدُ
فله الغيث مقررٌ بالندى * وله الليث مقررٌ بالجلدُ

وقال أمية بن أبي الصلت في عبد الله بن جُدعان :

أذكر حاجتي أم قد كفاني * حياؤك ، إن شمتك الحياءُ^(١)
صكريم لا يغيره صباحُ * عن الخلق الكريم ولا مساءُ^(٢)
وأرضك أرضٌ مكرمة بنها * بنو تيم وأنت لها سماءُ^(٣)

ونحوه قوله :

لكل قبيلة شرفٌ وعِزٌّ * وأنت الرأسُ تقدمُ كلَّ هادٍ

وقال ابن الرومي :

قوم يحلون من مجيد ومن شريف * ومن غناء محلّ البيض واليَلَبِ
حلّوا محلّهما من كلِّ بجمجمة * نفعا ودفعاً وإطلالاً على الرتبِ
قوم هم الرأسُ إذ حسّاهم ذنبٌ * ومن يمثّلُ بين الرأس والذنبِ

وقال أبو هلال العسكري :

فأبشر فإنك رأس والعلا جَسَدٌ * والمجد وجهٌ وأنت السمع والبصرُ
لولاك لم تلك للأيام مَقْبَةُ * تسمو إليها ولا للدهر مفتخرُ

- (١) كذا في الأصلين وأكثر الكتب المطبوعة . وفي النسخة الراحية : « حياؤك ... الجباء » .
(٢) في شرح ديوان الحماسة طبع مدينة بن وشراف النصرية : « خليل ... » عن الخلق الجليل
(٣) في شرح الديوان المتقدم : « وأرضك كل مكرمة ... الخ » .
(٤) كذا في الأصول وديوان ابن الرومي . وفي ديوان المعاني لأبي هلال العسكري : « نعماء ورضا » .

وقال علي بن جبلة :

- لولا أبو ذؤلف لم تحي عارفة * ولم ينشؤ نوء مأمول بآمال
يابن الأكارم من عدنان قد علموا * وتالد المجد بين العم والحال
ونافل الناس من عذم الى جدية * وصارف الدهر من حال الى حال
أنت الذي تنزل الأيام مترها * وتمسك الأرض عن خسف وزلال
وما مددت مدى طرف الى أحد * إلا قضيت بآمال وآجال
تزور سخطا فتمسى البيض راضية * وتستهل فبكي أوجه المال

وقالوا : أمدح بيت قائله العرب قول زهير :

تراه اذا ما جتته منهلا * كأنك تعطيه الذي أنت سائلة

- وعاب بعضهم هذا البيت وقال : جعل المدوح يفرح بعرض يناله ، وليس هذا
صفة كبير الهمة ، والجيد قول أبي نوفل عمرو بن محمد التقني :
ولئن فرحت بما يُبذلُ لانه * بما يُبذلُ من نداء أفوح
ما زال يهطى ناطقا أو ساكنا * حتى ظننت أبا عقيل يمزح

ومثله قول أبي تمام :

- أسائل نصير لا تسله فإنه * أحن الى الإفراد منك الى الرقد

وقالوا أمدح بيت قائله العرب قول الحطيئة :

مقى تأته تعشوا الى ضوء ناره * تجد خير ناره عندها خير موقد

وقال القاسم بن حنبل :

٥٥

- من البيض الوجوه بنى سنان * لو أنك قستضي بهم أضاءوا
لهم شمس النهار اذا استقلت * ونور لا يقيبه العماء

هم حلُّوا من الشرف المعلّى * ومن حسب العشيرة حيث شاءوا
فلو أن السماء دنت لمجد * ومكرمة دنت لهم السماء

وقالوا أيضا أمدح بيت قيل قول الأول :

قومٌ سينانٌ أبوهم حين تفسيم * طابوا وطالب من الأولاد أولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قومٌ بعزمٍ أو مجدهم قعدوا
مُحسدون على ما كان من نعم * لا يترع الله عنهم ماله حسدوا

وقالوا : أمدح بيت قاله محدث ، قول مروان بن أبي حفصة في معن بن زائدة :

بنو مطير يوم اللقاء كأنهم * أسودُّ لها في غيل خفان أشبل^(١)
هم المانعون الجار حتى كأنما * لجارهم بين السماكين منزل
باليئل في الإسلام سادوا ولم يكن * كأولهم في الجاهلية أول
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دُعوا * أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا

وقال العسكري : وأنشد بعض أهل الأدب قول ابن أبي طاهر وقال : لو استعمل

الإنصاف لكان هذا أحسن مدح قاله متقدم ومتأخر ، وهو :

إذا أبو أحمد جادت لنا يده * لم يُحمّد الأجودان البحر والمطر
وإن أصامت لنا أنسوارُ غرته * تضاهل النيران الشمس والقمر
وإن مضى رأيه أوجد عزيمته * تأثر الماضيان السيف والقتل
من لم يكن حذرا من حدّ صولته * لم يدرك المزعجان الخوف والحذر
حلُّوا إذا أنت لم تبعث مرادته * فإن أمرت فخلو عند الصبر
سهل الخلاق إلا أنه خشن * لين المهيضة إلا أنه مجسر

لَا حَيَّةٌ ذَكَرْتُ فِي مِثْلِ صَوْلَتِهِ * إِنَّ صَالِ يَوْمًا وَلَا الصَّمْعَامَةَ أَلْذَكَرُ
 إِذَا الرِّجَالُ طَفَّتْ آرَأَوْهُمْ وَعَمَّوْا * بِالْأَمْرِ رُدَّ إِلَيْهِ الرَّأْيُ وَالنَّظَرُ
 الْجُودُ مِنْهُ عَيْنٌ لَا أَرْتِيَابَ بِهِ * إِذْ جُودَ كُلِّ جَوَادٍ عِنْدَهُ خَيْرُ
 وَقَالَ : وَمَنِ الْمَدِيحِ الْقَلِيلِ النَّظِيرِ قَوْلَ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَفْوَه :

أَوْتَوْا مِنَ الْمَحِيدِ وَالْعِلَاءِ فِي قُلَيْلٍ * ثُمَّ قَوَاعُدُهَا الْبَاسُ وَالْجُودُ
 سُبُطُ اللِّقَاءِ إِذَا شِئْتَ غَالِيَهُمْ * بُلُّ اللِّقَاءِ إِذَا صِيدَ الصَّنَادِيدُ
 مُحْسَدُونَ وَمَنْ يَسْلَقُ بِجَلِيهِمْ * مِنَ الْبَرِيَّةِ يُصْبِحُ وَهُوَ مُحْسَدُ
 وَقَالُوا : أَمْدَحَ بَيْتَ قَالِهِ مَحَمَّتْ قَوْلَ عَلِيِّ بْنِ حَبَلَةَ فِي أَبِي دُلْفٍ :

إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ * بَيْنَ بَادِيَةِ وَمَحْضَرَةٍ
 فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُلْفٍ * وَلَّتِ الدُّنْيَا عَنِ أَنْسَرَةٍ
 وَهِيَ مِنَ الْقَصَائِدِ الْمَشْهُورَةِ ، وَأَوَّلُهَا :

ذَاذَ وَرَدَ النَّفَى عَنْ صَدْرَةٍ * وَأَرْعَى وَاللَّهُ مِنْ وَطَرَةٍ
 جَاءَ مِنْهَا فِي مَدَحِهِ :

يَا دَوَاءَ الْأَرْضِ إِنْ فَسَدْتُ * وَتَجَمَّرَ الْيَسْرُ مِنْ عُسْرَةٍ
 كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ * بَيْنَ بَادِيَةِ إِلَى حَضِيرَةٍ
 مَسْتَعِيرٌ مِنْهُ مَكْرَمَةٌ * يَكْتَسِبُهَا يَوْمَ مَفْتَحَرَةٍ
 إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ *

قَالَ الْمُسْكَوِي : وَمَنِ الْمَدِيحِ الْبَارِعِ قَوْلَ بَشَّار :

أَلَا أَيُّهَا الطَّالِبُ الْمَتَنِّي * نَجْمُومَ السَّمَاءِ بِسْمِي أَمَّ

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ : وَفِي دِيْوَانِ الْمَعَانِي : « مِيْدَاه » .

سمعت بمكرمة ابن العلاء * فاندأت تطلبها لست ثم
إذا عرّض المم في صدره * لها بالعطاء وضرب البهم
فقل للخليفة إن جئت * نصيحا ولا خير في المتهم
إذا أيقظتك^(١) جسام الأمور * فنبه لها عمرا ثم تم
فتي لا يبيت على عينة * ولا يشرب الماء إلا بدم
يحب العطاء وسفك الدماء * فيخسرو على نعيم أو يقيم

قال ومن المدبح القليل النظير : قول أمانة بنت الجلاح الكلية :

إذا شئت أن تلقى فتى لو وزنته * بكلّ معدي وكلّ يمانى
وفى بهم جودا وحلما وسوددا * وبأسا فهذا الأسود بن قنان
فتى كالفتاة البرى يسفر وجهه * كأن ثلاي وجهه القمران
أغرأ^(٢) أبر أبى زرار ويعرب * وأوتقهم عقدا بقول لسان
وأوفاهم عهدا وأطولهم يدا * وأعلامهم فلا بكلّ مكان
وأضرهم بالسيف من دون جاريه * وأطعنهم من دونه بسنان
كأق العطايا والمنايا بكفه * صحابان مقرونات مؤلفان

ومن المدبح البارع قول أبى تمام :

رأيت لعيّش خلائق لم تكن * لتكحل إلا فى الأبواب المهذب
له كرم لو كان فى الماء لم يفيض * وفى البرق ما شام أمرؤ برق خلب
أخو عزمايت بذله بذل محسن * أينا ولكن عذره عذر مذنب

(١) كذا فى الأصول وديوان المعاني . وفى كتاب انشعر والشعراء : * إذا أيقظتك حروب العدا *

وفى الأغاني : * إذا دهمك نظام الأمور *

(٢) فى أحد الأصلين « أغرأ » .

يهولك أن تلقاه في صدر محفل^(١) * وفي نحر أعداء وفي قلب موكب
وما ضيق أقطار البلاد أضافني * اليك ولكن مذهبي فيك مذهبي
وهذي ثياب المدح فأجرؤ ذيوها^(٢) * عليك وهذا مركب الحمد فأركب
وقد أحسن التنونى في قوله :

وفتية من حمر الظبا * بيض العطايا حين يسود الأمل
شموس مجيد في سموات علا * وأسند موت بين غابات أسل
وقالت الخنساء في أخيها محضر :

طويل النجاد رفيع العما * د ساد عشيرته أمردا
إذا القوم مذوا بأيديهم * إلى المجيد مد إليه يدا
فقال الذي فوق أيديهم * من المجد ثم مضى مضيدا
فكلفه القوم ما عالمهم * وإن كان أصغرهم مولدا
ترى الحمد يهوى إلى بيته * يرى أفضل الكسب أن يحمدا
وقال آخر :

ومضعد هضبات المجد يطلها * كأنه لسكون الجاش منحدر
ما زال يسبق حتى قال حاسده * له طريق إلى العلاء مختصر
وقال إبراهيم بن العباس :

تليح السنون بيوتهم وترى لها * عن بيت جارهم أزودار مناكب

(١) في ديوانه : يهولك أن تلقاه صدرا محفل * ونحرا لأعداء وقلبا لموكب

(٢) كذا في ديوانه وديوان المعاني : وفي الأصول : «وهلمى بنات المدح الخ» وهو تعريف .

وتراهم بسيفهم وشفارهم * مستشرقين لراغب^(١) أو راهب
حامين أوقارين حيث لقيتهم * نهب العفاة وزهدة للراغب

وقال أيضا :

إذا السَّنةُ الشَّهباءُ مدتْ سماءها * مددت سماءَ دونها فتجلتْ
وعادت بك الريح العقيم لدى الفرى * لَهَا حَا فدلَّت عن نَدَاكَ وطلَّتْ

وقال ابن الرومي :

كانت مواهبه في المحو * ل آراؤه عند ضيق الحبل
فلو كانت غيثًا لعم البلاد * ولو كان سيفًا لكان الأجل
ولو كان يُعطى على قدره * لأغنى النفوس وأفى الأمل

وقال أبو الحسن بن أبي البقل البغدادي يمدح أبا القاسم بن وهب وقد تقدّم

ذكر بعضها لأبن أبي طاهر :

إذا أبو قاسم جادت لنا يده * لم يُحمد الأجودان البحر والمطر^(٢)
وإن أضاعت لنا أنوار غمرته * تضائل النيران الشمس والقمر
وإن بدا رأيه أوجد عزيمته * تانر الماضيان السيف والقدور
ينال بالظن ما كان اليقين به * والشاهدات عليه العين والأثر
كأنه وزمام الدهر في يده * يدرى عواقب ما يأتي وما يذر

وقال ذو الرقة :

يطيب ثراب الأرض أن يتزلوا بها * وتختال أن تصلو عليها المنابر

(١) كذا في الأصول . وفي الأغاني ج ٩ ص ٣٣ طبع بولاق : « نهزة » أى فرصة » يقال :

هو نهزة المختلس أى سبيل لكل أحد .

(٢) القى تقدم : « إذا أبو أحمد » .

وما زلت تسمو للمآلى وتجتنى • جنى المجد مذ شئت عليك المآزرُ
الى أن بلغت الأربعين فألقيت • اليك جماهير الأمور الأكابرُ
فأحكمتها لا أنت في الحكم عاجز • ولا أنت فيها عن هدى الحق جائزُ^(١)
وقال الشريف الرضى :

• يا تحرس الدهر عن مقاله • كل زمان عليك منهم
شخصك في وجه كل داجية • صحنى وفي كل مجهل علم
وقال أبو الحسن السلمي :

إذا زرتَه لم تلق من دون بابه • حجابا ولم تدخل إليه بشافع
كما الفرات الجم أعرض ورده • لكل أناس فهو سهل الشرائع
• تراه إذا ما جتته متللا • تهلّل أبكار الفيث الهوامع^(٢)
وقال محمد بن الحسين الأرمدي :

• من القوم لما استغرب المجد غيرهم • من الناس أمسوا فيه فوق الغرائب^(٣)
إذا سالموا كانوا ممدور مراتب • وإن حاربوا كانوا قلوب مواكب
جواد متى ما رامت الريح شأوه • كبت دون مرمى خطوه المتقارب
• وبمرندى لو زاره البحر حدثت • عجائبه عن فعله بالمجائب^(٤)
وقال الأحمسي : كنتُ بالبادية فرأيتُ امرأة على قبر تبنى وتقول :
فن للسؤال ومن للنوال • ومن للقال ومن للقطب
ومن للهيئة ومن للكافة • إذا ما الكافة جثوا للركب

(١) كذا في النسخة الراغية . وفي الأصلين التتوغرافيين : « حائر » .

(٢) في النسخة الراغية : « الأمدى » .

(٣) في النسخة الراغية : « مه » .

إذا قيل مات أبو مالك * ففى المكلمات قرع العرب
[فقد مات عز بن آدم * وقد ظهر التكذيب بعد الطرب ^(١)]
قال : قلتُ إليها ، وسألتها عنه ، فقالت : فديتُك ! هذا أبو مالك المجام ، ختن
أبى منصور الحائك . [قلت : عليك لعنة الله ^(١)] فاطننتُ إلا أنه من سادات العرب .

وقال العباد الأصهباني :

حيون يُخفون إحسانهم * ويعتذرون كأن قد أساءوا
إذا ظلم الدهر أعدوا عليه * وإن أظلم الخطب يوم أضاءوا
بمثلكم قد أقر الرجال * فثلكم لم تلده النساء
وللناس من حسن أيامكم * بدولتكم كل يوم هناء

وقال أيضا :

قلأ طوين على أغر محجل * عرض الفلاة الى أغر محجب
ليث الوغى غوث الورى غيث الندى * بدر الندى نعم وصدر الموكب
وإذا استوى فى دسسته مالت له * أعناق كل متزوج ومُعصِب
وميت رأتته حُقودُ عُداته * وتَحَلَّ هَيْئُهُ عَقودُ الحُتَي
إن الممالك ما تزال برأيه * فى صائب ويموده فى صيب
يحبوك معتذرا اليك فى آله * من محسن تعروه نجمة مُذنب
يُرمى بأصيل فى العلاء تحمى * شرفا وفرج بالكرام مطيب

وقال أحمد بن محمد النامى :

له سورة فى البشر تُقرأ فى العلا * وتُتَبَّتُ فى مُحَافِ العطاء وتُكْتَبُ
إذا ما على أمطرتك سماؤه * رأيت العلا أنوارها تَحَلَّبُ

(١) الزيادة عن أمال القالى ج ١ ص ٦٢

وأزهر يَبْقَى الندى منه في الرضا * وتحترق أطراف القناحين يفضُّ
أمير الندى ما للندى عنك مذهب * ولا عنك يوماً للرجائب مرغب

وقال أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكي :

سَيِّدٌ شادت علاه له * في العلا آباؤه النجب
وله بيتٌ بُنيت له * فوق مجرى الأنجم الطنب
حسبه بالمصطفى شرقاً * وعلى حين ينسب
رتبةً في العرش شامخة * قصرت عن مثلها الرتب

(٥٧)

وقال ابن نباتة السعدي :

يَرَى الشمسَ أُمًّا والكواكبَ إخوة * وينظرُ مَنْ بدو السماء إلى رتب
غُيِبَتْ عن الآمال حين رأيته * وأصبح من بين الورى كلهم حسبي
فلم أطلب المعروف من غير كفه * وهل تطلب الأمطار إلا من السحب

وقال أبو حامد أحمد الأنطاكي :

لو تيسل بالمجد في العلياء منزلة * لنال بالمجد أعنان السموات
يرى الخطوب رأيي يُستضاء به * اذا دجا الرأي من أهل البصيرات
فليس يلقاه إلا عند عارفة * أو واقفا في صدور السمهرات

وقال أبو طالب المأموني :

قد وجدنا خطأ الكلام فإساحاً * فجعلنا النسيب فيك أمتداحاً
وأفصنا ما في الصدور ففاض الـ * حذح قبل النسيب فيك أنفساحاً
وعمدنا إلى علاك فصفتنا * لصدور القريض منها وشاحاً
وصدعنا في أوجه الشعير من يـ * يض مساعيك بالندى أوضاحاً

كم كسير جبرته وفقير * مستمع رددته مُستماحا
وأمان نُريس بسطت لها في ال * بقول حتى أعدتهن فصاحا
وبلايد جوايح رُضتها بال * عزم حتى أنسيتها الجمحا
شهرت منك آل سامان عضا * يُصحح السعى غربه إنجما
لا يذوق الإغفاء إلا رجاء * أن يرى طيف مستمع رواحا

وقال أحمد بن محمد النامي :

أمير العلا إن العوالي كواسب * علامك في الدنيا وفي جنة الخلد
يمر عليك الحول سيفك في الطلأ * وطرفك ما بين الشكيمة واللبد
ويعضى عليك الدهر فمك للعلا * وقولك للتقوى وكفك للرفد

وقال أيضا :

فنى قسم الأيام بين سيوفه * وبين طريفات المكارم والتبد
فسود يوما بالعجاج وبالردى * وببض يوما بالفضائل والمجد

وقال صاحب بن عباد :

أيها الآملون خطوا سرى ما * برفيع العباد وارى الزناد
فهو إن جاد فتم حاتم طيء * وهو إن قال فل قس إيايد
وإذا ما أرئى فإين زياد * من علاه وأين آل زياد

وقال أبو طالب المأمون من قصيدة :

فنى ملئت برداه عُلّا * ونُبلا وفضلا ومجدا وخيرا
إذا ختمه الدست ألفتته * صحابا مطيرا وبدرا منيرا

وإن أبرزته ونعى ختته * حاسما بتورا وليتا هصورا
 فطورا مفيدا وطورا مبيدا * وطورا مجيرا وطورا مبيرا^(١)
 ترى في ذراه لسان المنى * طويلا وباع الليالي قصيرا
 تضم الأسرة منه ذكاء * وتحمل منه المذاكي شبرا

وقال أبو الطيب المتنبي :

يمشي الكرام على آثار غيبرهم * وأنت تخلق ما تاتي وتبدع
 من كان فوق محل الشمس موضعه * فليس رفعه شيء ولا يضع

وقال أبو المعالي محمد بن مسعود الأصفهاني شاعر الخريدة :

قد حل في مدرج العلاء مرتبة * مطامح الشهب عن غاياتها تحف
 أغرى بوصف معاليه الوري شققا * لكنه والمعالي فوق ما وصفوا
 إن ناصبته العدا فالدهر معتذر * أو أنكروا فضله فالجهد معترف

وقال السلمي شاعر اليتيمة :

يزور نائلك العاني وصارمك الـ * حاصي فتحويهما أيدي وأعناق
 في كل يوم ليت المجد منك غنى * وثروة وليت المال إملاق
 كم خضت من لجة للنزع زائرة * ماء المنون بها - حاشاك - دفاق

وقال المتنبي :

أنت الجواد بلا من ولا كدير * ولا مطالي ولا وعيد ولا مذل^(٢)

(١) كذا في يتيمة الدهر - وفي الأصول : « وطورا أميرا » والمير : المهيك .

(٢) كذا في الأملين و يتيمة الدهر وديوانه . وفي النسخة الزاغية : « مل » وهو محرف .

والمذل : الفترة والصجر والقلق .

وقال أبو الفرج البغاء :

لا غَيْثُ نِهَاةٍ فِي الْوَرَى خَلَبَ الْـ * بَرَقَ وَلَا وَرْدُ جُودِهِ وَشَلَّ
جَادَ إِلَى أَنْفٍ لَمْ يُبْقِ نَاعْلَهُ * مَا لَمْ يَبْقِ لِلْوَرَى أَمْلُ

وقال محمد بن الحسن الحاتمي شاعر البيعة :

وَمَنْ عَوَّدْتُهُ الْمَكْرَمَاتُ شَمَالًا * فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ - وَلَوْ شَاءَ - نَاقِلُ
وَإِنْ رَاسِلَ الْأَعْدَاءِ فَالْجُرْدُ رُسُلُهُ * الْيَمِّ وَأَطْرَافِ الْعَوَالِي الرِّسَالُ
عَظُمَتْ فَهَذَا الدَّهْرُ دُونَكَ هَمَّةٌ * وَجُدْتَ فَهَذَا الْقَطَرُ عِنْدَكَ بَاحِلُ

وقال مؤيد الدين الطغراني :

لَوْ دَبَّ رَأْيُكَ فِي كَهْوِبِ قَنَا * مَا مَسَّهَا طَنْبٌ وَلَا خَطْلُ^(٢)
أَوْ كَانَ ضَوْؤُكَ لِلْفَزَالَةِ لَمْ * يَحْجُبْ ضِيَاءَ جَبِينِهَا الْفَطْلُ
أَوْ كَانَ لَطْفُكَ فِي الْحَيَاةِ لَمْ * طَافَتْ بِهَا الْأَسْقَامُ وَالْعَلَلُ
أَنْتَ الَّذِي لَوْلَا عِلَاقَةُ عَفَّتْ * طُرُقُ الْهَدَى وَأَسْتَبْهَمَ الْبُلُّ^(٣)
فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ رُؤْيَيْهِ * شُعْبٌ وَمِنْ آرَائِهِ شُعْلُ
يَرْتَدُّ عَنْهُ جَفْنٌ حَاسِدٍ * فَكَأَنَّهُ بِالنَّارِ يَكْتَحِلُ
وَجْهٌ كَيَوْمِ الصَّحْوِ مَبْتَسِمٌ * وَبِدُّ كَلِيلِ الدَّجَنِ تَهْمَلُ
مَسَحَتْ عَلَى الْأَنْوَاءِ رَاحَتَهُ * فَأَنْسَاقُ مِنْهَا الْعَارِضُ الْهَطْلُ
إِنْ ضَنَّ غَيْثٌ أَوْ خَبَا قَرٌّ * بِجَبِينِهِ وَيَمِينِهِ الْبَسْلُ

(١) كذا في أحد الأصلين وبيته الدهر - وفي الأصل الآخر والنسخة الراجية : « فالجود »

وهو مخريف .

(٢) الطلب : الوج .

(٣) كذا في النسخة الراجية وأحد الأصلين - وفي الأصل الآخر : « ولا خلل » .

وقال ابن الرومي :

أراؤكم ووجوهكم وسيوفكم * في الحادثات اذا دجوت نجوم
فيها معالم للهدى ومصايحج * تجلوا الدجى والأخريات رجوم

وقال أبو الطيب المتنبي :

قومٌ بلوغُ الفلام عندهم * طعنٌ نحور الكفاة لا الحلم
كانما يولد الندى معهم * لا صغرٌ عاذرٌ ولا هرم
إذا تولوا عداوة كشفوا * وإن تولوا صنيعة كنتموا
تظن من فقدك اعتدائهم * أنهم أنعموا وما علموا
إن برقوا فالتسوف حاضرة * أو نطقوا فالصواب والحكم
أو شهدوا الحرب لآلها أخذوا * من مهبج الدارين ما احتكوا
أو ركبوا الخيل غير مُسرجة * فإن أنفادهم لها حرم
تشرق أعراضهم وأوجههم * كأنها في نفوسهم شيم
أعبدكم من صروف دهركم * فإنه في الكرام منهم

وقال أيضا :

ودانت له الدنيا فأصبح جالسا * وأيامه فيما يريد قيام
وكل أناس ينتفون إمامهم * وأنت لأهل المكرام إمام

وقال أيضا :

هم المحسنون الكر في حومة الوغى * وأحسن منه كرم في المكارم
ولولا احتقار الأسد شبهتها بهم * ولكنها معدودة في البهائم

(١) كذا في ديوان المتنبي وقيمة الدهر للصائغ . والمضى : أنهم لا يعتقدون بصنيعهم وانعامهم
كانهم لم يعلموا بذلك . وفي الاصول : « تفلح من كثرة اعتذارهم ... الخ » .

وقال المشوق الشامي شاعر اليتيمة :

يروح الى كسب الثناء ويقتدى * اذا كان هم الناس كسب الدراهم
وإن جلس الأقوام عن واجب الندى * وحق المطايا كانت أول قائم
يزيد أيتها كلبا جاء قاصد * كانت به شوقا إلى كل قادم

وقال السلاحي شاعرها :

نُشِبَهِ الْمُدَّاحِ فِي الْبَاسِ وَالنَّدَى * بَيْنَ لَوْ رَأَى كَانَ أَصْغَرَ خَادِمٍ
فَقِي جَيْشِهِ نَحْمُونَ أَلْفَا كَعْتَرٍ * وَأَمْضَى وَفِي خُرَّانِهِ أَلْفُ حَاتِمٍ

وقال أبو طالب المأموني من قصيدة :

بُعِثَ بِالْمُهَنْدِي حِينَ يُسْأَلُهُ * أَسْوَدَ الْوُغَى بِالضَرْبِ فَوْقَ الْعَاهِمِ
فَلَا مُلْكَ إِلَّا مَا أَقْتِ عُرُوشَهُ * وَلَا غَيْثَ إِلَّا مَا أَفْضَتْ لِشَائِمِ
وَلَا تَاجَ إِلَّا مَا تَوَلَّيْتَ عَقْدَهُ * عَلَى جَبْهَةِ الْمَلِكِ الْمَكْنَى بِقَاسِمِ
فَرَأَيْكَ نَجْمٌ فِي دُجَى اللَّيْلِ تَاقِبُ^(١) * وَعِزُّكَ عَضْبٌ فِي طُلَى كُلِّ نَاجِمِ

وقال المشوق الشامي :

مَا زَالَ يَبْنِي كَعْبَةً لِلْعَمَلَا * وَيَجْعَلُ الْجُودَ لَهَا رَكْعَا
حَتَّى أَتَى النَّاسُ فَطَافُوا بِهَا * وَقَبِلُوا رَاحَتَهُ الْيُمْنَى

وقال المأموني من قصيدة :

هَمَامُ يَبْكِي الْمَشْرِفَةَ سَاخِطَا * وَيُضْحِكُ أَبْكَارَ الْأَمَانِي رَاضِيَا
وَلَوْ أَنَّ بَحْرًا يَسْتَطِيعُ تَرْقِيَا * إِلَيْهِ لَأَمَّ الْبَحْرُ جُدُوهَ رَاجِيَا

(١) كذا في النسخة الراجية وقيمة الدمع . وفي الأصلين القنوغرافيين : « كلا زار قاصدا » .

وفي اليتيمة أن هذه الأبيات من شعر عبد المحسن بن محمد الصوري .

(٢) في يتيمة الدمع : « اطلب » .

ذكر ما قيل في الافتخار

قالوا : أخفريت قائله العرب قول جرير :

إذا غَضِبْتَ عليك بنو تميم ^(١) * حسبت الناس كلهم غضابا

قال : دخل رجل من بنى سعد على عبد الملك بن مروان فقال له : ممن

الرجل؟ قال : من الذين قال لهم الشاعر :

إذا غضبت عليك بنو تميم * البيت .

قال : فمن أيهم أنت؟ قال : من الذين يقول فيهم القائل :

يزيد بنو سعد على عددا لخصي * وأثقل من وزن الجبال حلومها

قال : فمن أيهم أنت؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر :

تياب بن عوف طهارى تقيّة * وأوجههم عند المشاهد غمران ^(٢)

قال : فمن أيهم أنت؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر :

فلا وأبيك ما ظلمت قريع * بأن يبنوا المكارم حيث شاموا

قال : فمن أيهم أنت؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر :

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم * ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

قال : أجلس، لا جلست، والله لقد خفت أن تمخر على ! .

وقالوا : أخفريت قائله العرب قول الفرزدق :

ترى الناس ما سيرنا يسرون خلفنا * وإن نحن أوماننا الى الناس وقفوا

(١) في ديوان الحافى : « إذا غضبت على » .

(٢) في لسان العرب مادة « غمر » : « يعض المسافر ... » في إحدى روايته .

وقال عمرو بن كلثوم وهو أبلغ ما قاله جاهل في الافتخار :
ونحن الماكون إذا أطعنا * ونحن المارمون إذا عَصِينَا .
ونحن التاركون لما يَحِطُّنَا * ونحن الآخذون لما رَضِينَا
وقال إبراهيم بن العباس :

• إما ترى أمام القوم مَبْعَا * فقد أرى من وراء الخليل أَتْبَعُ
يوما أبيعُ فلا أرى على نَسَب * وأستبيعُ فلا أبقي ولا أَدْعُ
لا تسألني القوم عن حَيِّ صَبَحْتُهُمْ * ماذا صنعتُ وماذا أهله صنعوا

وقالوا : من أحسن ما مدَّح به الرجل نفسه قولُ أعشى ربيعة :
وما أنا في نفسي ولا في عشيرتي * بمهتَضِمٍ حَقٍّ ولا قَارِجٍ مِسْقِي
ولا مُسْلِمٍ مولاي عند جَنَائِي * ولا خَائِفٍ مولاي من شَرِّ مَا أَجْنِي
وابن فزّاد بن جنيّ عالمٌ * بما أبصرتُ عيني وما سمِعتُ أذني
وفضّلني في السُّمر واللبّ أني * أقول على عِلمٍ وأعلمُ ما أعنى
فأصبحتُ إذ فضلتُ مروانَ وأبنته * على الناس قد فضلتُ خير أب وأبني
وقال أبو هفان :

• لعمري لئن بُيعت في دار غُربية * ثيابي إذ ضاقت على الماكِلِ
فما أنا إلا السيف يأكل جَفَنَه * له حليّة من نفسه وهو عَاطِلُ
قال أبو هلال العسكري : ولا أعرف في الافتخار أحسن مما أنشده أبو تمام وهو :

فقل لزهير إن شتمت سَرَاتنا * فلستنا بِشَتَامِينِ لَلنُشَمِّ

٢٠ (١) كذا في جمهرة العرب . والدارم : صاحب الغرام وهو الشدة والقوة والشراسة . وفي النسخة
الراغية وشرح المخططات : « المازمون » بالزاي الممجة . وفي باقي الأصول : « الماتقون » .

ولكننا نأبى الظلام وتقتضى * بكل رقيق الشفرتين مصمم
وتجهل أيدينا ويعلم رأينا * ونقسم بالأفعال لا بالنكائم

ومن الاختصار قول السمويل بن عدياء من كلمته التي أولها :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل
• وإن هو لم يجعل على النفس ضيمها * فليس إلى حسن الثناء سييل
وقائلة ما بال أسرة عادية * تادي وفيها قلة ومحول
تسيرنا أنا قليل عديدنا * فقلت لها إن الكرام قليل
وما قل من كانت بقايا مثلاً * شباب ناسى للعلا وكهول
وما ضرنا أنا قليل وجارنا * عزيز وجار الأكثرين ذليل
• وأنا أناس لا نرى القتل سبة * إذا ما رآه عامر وسلول
يقرب حب الموت آجاننا لنا * وتكرهه آجانهم فتسلول
ودا مات منا سيد حنف أنه * ولا طل منا حيث كان قتيل
تسيل على حد الطباة نفوسنا * وليست على غير الطباة تسيل^(٣)
صفونا فلم نكدر وأخلص سرنا * إناث أطابت حملنا وخول
• علونا إلى خير الظهور وحملنا * لوقت إلى خير البطون تزول
فنحن كماء المزن ما في نصابنا * كهمام ولا فينا يعد بخيل
وتكرن شتنا على الناس قولهم * ولا ينكرون القول حين نقول
إذا سيد منا خلا قام سيد * فقول لما قال الكرام فعول

(١) الظلام : الظلم

(٢) رواية الأماي : « وأنا أقوم ما نرى ... »

(٣) رواية الأماي : « السيوف »

وما أُمُحِدتْ نَارُنَا دُونَ طَارِقٍ • وَلَا ذَمُّنَا فِي النَّازِلِينَ تَزِيلُ
وَأَيُّمُنَا مَشْهُورَةٌ فِي عَدُونَا • لَهَا غُرُورٌ مَعْلُومَةٌ وَمُجْهُولُ
وَأَسِيفُنَا فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ • بِهَا مِنْ قِرَاعِ الدَّرَاعِينَ فَلَوْلُ
مَعْرُودَةٍ إِلَّا تُسَلَّ نِصَالُهَا • فَتُغَمَدَ حَتَّى يُسْتَبَاحَ قَيْلُ
سَلَى إِنْ جَهِلَتِ النَّاسَ عَنَا وَعَنَهُمْ • وَلَيْسَ سَوَاءَ عَالَمٌ وَجَهْلُولُ
فَإِنْ بَنَى الدِّيَانَ قَطْبٌ لِقَوْمِهِمْ • تَدُورُ رَحَاهُمْ حَوْلَهُمْ وَتَجُولُ

وقال أبو هلال العسكري من قصيدة :

وما ضَاعَ مِثْلُ حَيْثُ حَلَّتْ رَكَائِي • بَلْ حَيْثُ ضَاعَ الْمَجْدُ مِثْلُ ضَائِعُ
وَمِثْلِي مُخْضَعٌ لَهُ غَيْرَ أَنَّهُ • إِذَا كَانَ مَجْهُولُ الْفَضَائِلِ خَاضِعُ
وَمِثْلِي مُتَبَوِّعٌ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ • فَإِنَّ يَنْقَلِبُ وَجْهَ الزَّمَانِ فَتَابِعُ

وقال عبد الله بن المعتز :

سَأَلْتُكَ يَا اللَّهُ هَلْ تَعْلَمَانِي • وَلَا تَكُنَا شَيْئًا فَمَعْدِكَا خُبْرِي
أَلْزَعُ نِيرَانِ الْقِرَى لَمُعَاتِهَا • وَأَصْبِرْ يَوْمَ الرُّوعِ فِي ثَغْرِ الثَّغْرِ
وَأَسْأَلُ تَيْلَا لَا يُجَادُ بِمِثْلِهِ • فَيَفْتَحُهُ بِشْرِي وَيَخْتَمُهُ عُذْرِي

ومن الاختصار قول بعض الشعراء، ويروى لحيان بن ثابت من قصيدة أولها :

أَنْسِيْمُ رِيحِيكَ أَمْ خِيَارُ الْعَنْبَرِ • يَا هَذِهِ أَمْ رِيحُ مَسِيكِ أَذْفَرِ
قَوْلِي لَطِيفُكَ أَنْ يَصُدَّ عَنِ الْحَشَى • سَطَوَاتِ نِيرَانِ الْأَمْسَى ثُمَّ أَجْهَرِ
وَأَنْهَى رُمَاتِكَ أَنْ يُصْبَنَ مَقَانِلِي • فَيُنَالَ قَوْمَكَ سَطْوَةٌ مِنْ مَعْشَرِي
إِنَّا مِنَ الثَّغْرِ الَّذِينَ جِيَادُهُمْ • طَلَعَتْ عَلَى عَادِ بَرِيحِ صَبْرِ صَبْرِ

وَسَلَبَن تاجِي مُلْك قيصَرَ بالقنا * وَأَجَرَن بَاب الدرب لَابِن الْأَصْفَرِ
 كَمْ قَدْ وَلَدْنَا مِنْ كَرِيم مَاجِد * دَامِي الْأَطَاغِرِ أَوْ ربيع مُنْطَرِ
 خَلِقتُ أَنَامِلَهُ لِقَائِمِ مُرْهَفِ * وَلِبْدَلِ مَعْكُومَةِ وَذِرْوَةِ مَنَبَرِ
 يَلْقَى الرِمَاحَ بِوَجْهِهِ وَبَصْدَرِهِ * وَيُغَيِّمُ هَامَتِهِ مَقَامِ الْمُفْقِرِ
 وَيَقُولُ لِلطَّرْفِ أَصْطَبِرْ لَشَبَا الْقَنَا * فَهَدَمْتَ رَكْنَ الْمَجِيدِ إِنْ لَمْ تَصِيرِ
 وَإِذَا تَأَمَّلَ شَخْصَ ضَيْفِ مُقْبِلِ * مُتَسَرِّيلِ سِرْبَالِ ثَوْبِ أَغْبَرِ
 أَوْ مَا إِلَى الْكُومَاءِ هَذَا طَارِقُ * نَحْرَتْنِي الْأَعْدَاءُ إِنْ لَمْ تُنْجَرِ

ذكر ما قيل في الجود والكرم وأخبار الكرام

حقيقة الجود بذل المال، قال الله عز وجل : ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا

- ١٠ ﴿يُحِبُّونَ﴾ وقال تعالى : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ
 نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :
 "إِنَّ اللَّهَ أَسْتَغْلَسَ هَذَا الدِّينَ لِنَفْسِهِ وَلَا يَصْلَحُ لَدَيْنَكُمْ إِلَّا السَّخَاءُ وَحَسَنُ الْخُلُقِ
 أَلَا فَرَيْنَا دِينَكُمْ بِهِمَا" وقال صلى الله عليه وسلم : "تَجَاوَزُوا عَنْ ذَنْبِ السَّخِي" فإن الله
 عز وجل أخذ بيده كلما عثر وفاتح له كلما أفتقر" وقال صلى الله عليه وسلم : "الجود
 من جود الله تعالى لجودوا يحمد الله عليكم" . "ألا إن السخاء شجرة في الجنة أغصانها
 ١٥ متدلية في الأرض فمن تعلق بغصن منها أدخله الجنة" . "ألا إن السخاء من الإيمان
 والإيمان في الجنة" . وقال علي بن عبد الله بن عباس : سادة الناس في الدنيا
 الأسيخاء . وقال بعض الحكماء : الجواد من جاد بماله وصان نفسه عن مال غيره .
 وقيل لعمر بن عبيد : ما الكرم؟ فقال : أن تكون بمالك متبرعا، وعن مال غيرك
 متورعا . ويقال : مراتب السخاء ثلاثة : سخاء وجود وإيسار، فالسخاء إعطاء
 ٢٠

الأقل وإمساك الأكثر، والجود إعطاء الأكثر وإمساك الأقل، والإيثار إعطاء الكل من غير إمساك لشيء، وهو أشرف درجات الكرم، وبه استحقوا شاء الله عز وجل عليهم في قوله : ﴿ وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ . ومن كلام يُنسب إلى جعفر بن محمد : لا يتم المعروف إلا بثلاثة : تمجيده ، ونصغره ، وسنّره . الجودُ زكاةُ السعادة ، والإيثار على النفس موجب لأسم الكرم ، وقال : لا يستحي من بذل القليل فإن الحرمان أقل منه . قال بعض الشعراء :

أعط القليل ولا يمنك قتله • فكل ما سدّ فقراً فهو محمود

وقال علي بن الحسين : الكريم يتبع فضله ، والاثم يفتخر بهاله .

وقال الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما : أيها الناس من جاد ساد ، ومن يحل رذل ، وإن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه . وقيل ليزيد بن معاوية : ما الجود ؟ قال : أن تُعطى المال من لا تعرف ، فإنه لا يصير إليه حتى يتخطى من تعرف .

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه : لو لم يكن في الكرم إلا أنه صفة من صفات الله تعالى تسمى بها ، فهو الكريم عز وجل . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إذا أنا كم كريم قوم فأكرموه" . وقيل لعبد الله بن جعفر : إنك قد أسرفت في بذل المال ، قال : إن الله عز وجل قد عودني عبادة أن يتفضل علي ، وعودته أن أنفضل على عباده ، وأخاف أن أقطع العبادة فيقطع عني . وقالا لأمون لمحمد بن عباد المهلب : إنك متلاف ، قال : منع الموجود ، سوء ظن بالمعبود . قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَتَقَرُّم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُحِلُّهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ . وقال أكرم بن صيغى حكيم

(١) كذا في هامش أحد الأصولين المتنوعين وكتب عليه كلمة « صواب » . وفي سائر الأصول والعقد

الفريد (ج ١ ص ٨٤) : « منع الجود » .

المسرب : ذَلَّلُوا أَخْلَاقَكُمْ لِلطَّالِبِ ، وَقَوِّدُوا إِلَى الْمُحَامِدِ ، وَعَلِّمُوا الْمَكَارِمَ ،
وَلَا تَقِيمُوا عَلَى خَلْقٍ تَكْذُبُونَهُ مِنْ غَيْرِكُمْ ، وَصَلُّوا مِنْ رِغْبِ الْيَكِّ ، وَتَحَلُّوا بِالْجُودِ يَكْسِبُكُمْ
الْحُبَّةُ ، وَلَا تَعْتَقِدُوا الْبِخْلَ تُعْجِلُوا الْفَقْرَ . أَخَذَهُ شَاعِرٌ فَقَالَ :

أَمِنْ خَوْفِ فَقْرٍ تَعَبَلْتَهُ « وَأَنْتَ إِفْطَاقٌ مَا تَجْمَعُ

فَصَرْتَ الْفَقِيرَ وَأَنْتَ الْغَنَى » وَمَا كُنْتَ تَعْدُو الَّذِي تَصْنَعُ

وكتب رجل من البخلاء إلى رجل من الأتخياء يأمره بالإففاق على نفسه ويخوفه
الفقر ، فأجابه : ﴿ اَلْشَّيْطَانُ يَمْسُدُكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَمْدُكُمْ مَغْفِرَةً
مِنْهُ وَفَضْلًا ۖ وَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَتْرِكَ أَمْرًا قَدْ وَقَعَ لِأَمْرٍ لَمْ لَهُ لَا يَقَعُ .

وكان سعيد بن العاصي يقول على المنبر : من رزقه الله رزقًا حسنًا فليتنق منه

- سرا وجهوا حتى يكون أسعد الناس به ، فإنما يترك ما يترك لأحد رجلين :
إما لمُصْلِحٍ فلا يَبْقَى عَلَيْهِ شَيْءٌ ، وإما لمُفْسِدٍ فلا يَبْقَى لَهُ شَيْءٌ . أخذ بعض الشعراء
هذا المعنى فقال :

أَسْعَدُ بِمَالِكَ فِي الْحَيَاةِ فَإِنَّمَا « يَبْقَى خِلَافُكَ مُصْلِحٌ أَوْ مُفْسِدٌ

فَإِذَا جَمَعْتَ لِمُفْسِدٍ لَمْ يُغْنِهِ » وَأَخُو الصَّلَاحِ قَلِيلُهُ يَتَرَدَّدُ

- وقال أبو ذر رضي الله عنه : لك في مالك شريكان : الحَدَثَانِ ، والوَارِثُ ، فإن
أَسْتَطَعْتَ أَلَّا تَكُونَ أَبْجَسَ الشُّرَكَاءِ حَطًّا فَأَقْبَلْ . وقال بَرْزُوجِيهِمُ الْفَارِسِيُّ : إِذَا
أَقْبَلْتُ عَلَيْكَ الدُّنْيَا فَأَتَفَقَّ مِنْهَا ، فَانْهَاجَ لَا تَفْنَى ، وَإِذَا أَدْبَرْتُ عَلَيْكَ فَأَتَفَقَّ مِنْهَا ،
فَإِنَّمَا لَا تَبْقَى . أَخَذَ الشَّاعِرُ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ :

(١) كذا في العقد الفريد وفي الأصول : « ولا تقيموها » .

(٢) كذا في النسخة الراجية - وفي الأصلين المتوغرافيين والعقد الفريد : « يلبسكم » .

(٣) في أحد الأصلين والعقد الفريد والنسخة الراجية : « لا تبين » .

لا تَحْتَلَنَ بُدْنِيَا وهى مَقِيلَةٌ * فليس ينقصها التبذير والسرف
وإن تولت فأحرى أن تجود بها * فالحمد منها إذا ما أدبرت خلف

وكان كسرى يقول : عليكم بأهل السخاء والشجاعة، فإنهم أهل حسن ظن بالله؛
ولو أن أهل البخل لم يدخل عليهم من ضرر بخلهم ، ومذمة الناس لهم ، وإطباق
القلوب على بنفسهم إلا سوء ظنهم بربهم فى الخلف، لكان عظيما. أخذه محمود
الوزاق فقال :

من ظن بالله خيرا جاد مبتدئا * والبخل من سوء ظن المرء بالله

وقيل لأبى عقيل البايغ العراقى : كيف رأيت مروان بن الحكم عند طلب
الحاجة إليه ؟ قال : رأيت رغبته فى الإنعام فوق رغبته فى الشكر، وحاجته الى
قضاء الحاجة أشد من حاجة صاحبا . ١٠

وقال زياد : كفى بالبخیل عارا أن اسمه لم يقع فى حمد قط ، وكفى بالجوّد
جدا أن اسمه لم يقع فى ذم قط .

وقال أسماء بن خارجة : ما أحب أن أرى أحدا عن حاجة طلبها، لأنه لا يخلو
أن يكون كريما فأصون له عِرْضَه، أو لثيما فأصون عِرْضى منه .

وقال إبراهيم بن المهدي : قلت لرجل من أهل الكوفة من وجوه أهلها كان
لا يحفظ بيده قلم، ولا يستريح قلبه، ولا تسكن حركته فى طلب حوائج الرجال ،
وإدخال المرافق على الضعفاء : أخبرنى عن الحالة التى خففت عنك النصب ،
وهونت عليك التعب فى القيام بحوائج الناس ، ما هى ؟ قال : قد والله سمعتُ
تفريد الطير بالأصهار، فى فروع الأشجار، وسمعتُ حَقَق أوتار العيذان وترجيع
أصوات القيان، فما طربتُ من صوت قط، طربتُ من شأه حسن، بلسان حسن، ٢٠

على رجل قد أحسن، ومن سُكَّر من لميم حر، ومن شفاعة محتسب، لطالب شاكر؛
قال إبراهيم : فقلت ، لله أبوك ! لقد حشيت كرما .

وكان طلحة بن عبد الله بن عوف الزهرى من أجود قریش في زمانه، فقالت
له امرأته : ما رأيت قوما ألام من إخوانك ! فقال لها : له ؟ وأنى قلت ذلك ؟
فقالت : أراهم إذا أيسرت أتوك، وإذا أصرت تركوك ، قال : هذا والله من
كرمهم ، يأتوننا في حال القوة عليهم ، ويتركوننا في حال العجز عنهم .

وحكى أن رجلا شيخا أتى سعيد بن سالم، وكنهه في حاجة وماشاه، فوضع الشيخ
زُجَّ عصاه التي يتوكأ عليها، على رجل سعيد حتى أدماها، فما تأوه لذلك، وما نهاه؛
فلما فارقه، قيل له : كيف صبرت على هذا منه ؟ فقال : خفت أن يعلم جنايته،
فيقطع عن ذكر حاجته .

١٠

ذكر من انتهى اليهم الجود في الجاهلية

وذكر شيء من أخبارهم

﴿١﴾

والذى انتهى اليهم الجود في الجاهلية : حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي، وهريم
ابن سنان المُرِّي، وكمب بن مامة الإيادي، وضرب المثل بحاتم وكمب، والمشهور
حاتم . وكمب هذا : هو الذى جاد بنفسه، وأثر رفيقه بالماء في المغازاة، ولم يشهر
له خبر غير هذا . وأما حاتم فأخباره مشهورة

١٥

منها : أنه كان إذا اشتد البرد، أمر غلامه يسارا، فاوقد نارا في يفاع من
الأرض، لينظر إليها من ضل عن الطريق [أيلا]، وفي ذلك يقول :

أوقد فإن الليل ليلٌ قرٌّ ۝ والريح يا واقد ريحٌ صرٌّ
عسى يرى نارك من يمرُّ ۝ إن جلبت ضيفا فانت حرٌّ

٢٠

(١) الزيادة عن المقدم الفريد .

قالوا : ولم يك حاتم يُمسك غير سلاحه وفرسه ، ثم جاد بفرسه في سنة أزمة .
 قالت النوار امرأة حاتم : أصابتنا سنة أقشعرت لها الأرض ، وأغبر أفق السماء ،
 وضئت المرايض عن أولادها ، لا تبيض بقطرة ، وأيقنا بالهلاك ، فوالله ، إنني لفي ليلة
 صبرة ، بعيدة ما بين الطرفين ، إذ تضاعى صبيتنا جوعا ؛ عبد الله ، وعدى ، وسقانة ؛
 فقام حاتم الى الصبيين ، وقلت الى الصبية ؛ فوالله ما مكثوا إلا بعد هذه من الليل ؛
 وأقبل يطلني ، فعرفت ما يريد ، فتناومت ؛ فلما تهورت النجوم ، إذ ابشيت قد رفع كسر
 البيت ، فقلت : من هذا ؟ فوثق ، ثم عاد آخر الليل ، فقال من هذا ؟ فقالت : جارتك
 فلانة ، أتيتك من عند صبية يتعاونون عواء الذئب ، فما وجدت موعلا إلا هليك
 أبا عدى ، فقال : أعجلهم ، فقد أشبعك الله وإياهم ؛ فاقبلت المرأة تحمل آئين .
 ويمشي بجانبها أربعة كأنها نعامه حولها رثاء ؛ فقام الى فرسه ، فوجأ لبته بمذبة ،
 نفخ ، ثم كسّط عن جلده ، ودفع المذبة الى المرأة ، وقال : شأنك ؛ فأجته منا على اللحم
 نُسوي ونأكل ثم جعل [يمشي في الحى] يأتهم بيتا بيتا ، فيقول : هبوا ، عليكم
 بالنار ، وألتفّع بشوبه ناجية ينظر اليها ، لا والله إن ذاق منه مضغة ، وإنه لأحوج اليه
 منا ! فأصبحنا وما في الأرض إلا عظم أو حافر .

وقيل : كان مبدأ الأمر لحاتم في الجلود ، أنه لما ترعرع ، جعل يُخرج طعامه
 فإن وجد من يأكله معه أكله ، وإن لم يجد طرحه ؛ فلما رأى أبوه أنه يهلك
 طعامه ، قال له : اَلْحَقْ بِالْإِبِل ، نفرج إليها ، فوهب له جارية وفرسا وقلوها .

(١) ليلة صبرة أى شديدة البرد .

(٢) تضاعى الصبيان : تضودوا من الجوع .

(٣) تهورت النجوم : أدبرت .

(٤) وجأ لبته أى ضربه في منخره .

(٥) الزيادة عن العقد الفريد .

- وقيل : بل هلك أبو حاتم وهو صغير ، وهذه القصة كانت مع جده سعد بن الحنشرج ، فلما أتى حاتم الإبل طفق يبتغي الناس فلا يجدهم ، و يأتي الطريق فلا يجد عليه أحداً ، فينأى هو كذلك ، إذ بصر بركب على الطريق فأتاهم ، فقالوا : يافتي ، هل من قرى ؟ فقال : تسألونني عن القرى وقد ترون الإبل ! وكان الذي بصر بهم : عبيد ابن الأبرص وبشر بن أبي خازم والتابسة الذبياني وكانوا يريدون النعمان ، فحرمهم ثلاثة من الإبل ، فقال عبيد : إنما أردنا اللبن ، وكانت تكفينا بكرة إن كنت لا بد متكلفاً لنا شيئاً ، فقال حاتم : قد عرفت ، ولكني رأيت وجوها مختلفة وألواناً متفرقة ، فظننت أن البلدان غير واحدة ، فأردت أن يذكر كل واحد منكم ما رأى إذا أتى قومه ، فقالوا أشعاراً آمندحوه بها وذكروا فضله ؛ فقال حاتم : أردت أن أحسن إليكم ، فصار لكم الفضل على ، وإني أطمع الله أن
- أضرب عراقيب إبل عن آخرها أو تقوموا إليها فتقتسموها ، ففعلوا ، فأصاب كل واحد تسعة وثلاثين سيرا ، ومضوا على سفرهم إلى النعمان ، وإن أبا حاتم أو جده سمع بما فعل ، فقال : أين الإبل ؟ فقال : يا أبت طوقتُك بها طوق الحمامة مجداً وكراً ، لا يزال الرجل يحمل يت شمرأثنى به علينا عوصاً من إبلك ، فلما سمع أبوه ذلك ، قال : أبلأى فعلت ذلك ؟ قال : نعم ، قال : والله لا أسألك أبداً ، نفرج
- أبوه بأهله ، وترك حاتماً ومعه جاريته وفرسه وفلأوها . قال : فبينما حاتم يوماً نائم إذ أنتبه وحوله نحو مائتي بعير تجول ويحطلم بعضها بعضاً ، فساقها إلى قومه ، فقالوا : يا حاتم ، أبقى على نفسك فقد رزقت مالا ، ولا تعودت إلى ما كنت فيه من الإسراف ، قال : فلأنها نهيت^(١) بينكم ، فاتميت . ثم أقبل ركب من بني أسد ومن قيس يريدون النعمان ، فلحقوا حاتماً فقالوا له : إنا تركنا قومنا يفتنون عليك خيراً ، وقد

أرسلوا اليك برسالة، قال : وما هي ؟ فأنشده الأسدَيون شعرا لعييد، وأنشده القيسيون شعرا للنايفة، ثم قالوا : إنا لنسجعي أن نسألك شيئا وإن لنا حاجة، قال : وما هي ؟ قالوا : صاحب لنا راجل، فقال حاتم : خذوا فرسي هذه، فاحملوا عليها صاحبكم، فأخذوها، وربطت الجارية فلوها بثوبها، فأفلت فأتبعته الجارية لترده، فقال حاتم : ما لحقكم من شيء فهو لكم، فذهبوا بالفرس والفلو والجارية .

وأما هريم بن سنان، فن أخباره : أنه آلى على نفسه أنه لا يسلم عليه زهير إلا أعطاه فقل مال هريم، وكان زهير يمز بالنادى وفيه هريم فيقول : أنعموا صباحا ما خلا هريما، وخير القوم تركت .

قالوا : وكان عبد الله بن جُدعان، حين كبر، أخذت بنو تميم على يده، ومنعوه أن يعطى شيئا من ماله، فكان الرجل إذا أتاه يطلب منه قال له : آذن منى . فإذا دنا منه لطمه، ثم قال : أنهب فأطلب لطمتك أو ترضى، فترضيه بنو تميم من ماله، وفيه يقول الشاعر :

والذى إن أشار نحوك لعلما • تبع اللطم نائل وعطاء

ومن أخبار الكرام : ما حكى أن خالد بن عبد الله القسرى أمير العراق كان يكثر الجلوس ثم يدعو باليد ويقول : إنما هذه الأموال ودائع لا بد من تفرقتها، فقال : ذلك مرة، وقد وفد عليه أخوه أسد بن عبد الله من خراسان، فقام فقال : أيها الأمير إن الودائع تجمع لا تفرق، فقال : ويحك ! إنما ودائع المكارم، وأيدينا وكلاؤها، فإذا أتانا المُلِق فأغنيناه، والظلمان فأروينا، فقد أدبنا فيها الأمانة .

ومرّ يزيد بن المهلب بأعرابية في هروبه من مجن عمر بن عبد العزيز وهو يريد البصرة، فقدمت له عتراً قبلها، ثم قال لابنه معاوية : ما معك من النفقة ؟ قال ثمانمائة دينار، قال : أدفعها إليها ! فقال له أبته : إنك تريد الرجال، ولا تكون الرجال إلا بالمال، وهذه يرضيها اليسير، وهي بعدُ لا تعرفك، فقال : إن كانت ترضى باليسير، فاني لا أرضى إلا بالكثير، وإن كانت لا تعرفني، فانا أعرف نفسي، أدفعها إليها، فدفعها إليها .

قال الأحنف: كثرت على الديّات بالبصرة، لما قُتل مسعود، فلم أجدها في حاضرة تميم، فخرجت نحو يثرب، فسألت : من المقصود هناك ؟ فأرسلت إلى قبة، فانا شيخ جالس يفنأها، مؤزر بشملة، مُحْتَبٍ بجبل، فسلمت عليه، وأنسبت له، فقال : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : نُؤَقُّ، قال : فما فعل عمر بن الخطاب الذي كان يحفظ العرب ويحوطها ؟ قلت : مات، قال : فأخبرني في حاضرتمك بعدها ؟ قال : فذكرت الديّات التي لزمنا للأزد وربيعة، قال : أتم، فإذا راج قد أراح عليه بألف بعير، فقال : خذها، ثم أراح عليه آخر بمثلها، فقال : خذها، قلت : لا أحتاج إليها، فانصرفت بالألف، والله ما أدري من هو إلى الساعة .

وروى عن معن بن زائدة، قال : لما هربت من المنصور، خرجت من باب حرب، ^(١) بعد أن أقمت في الشمس أياماً، وخففتُ الحِجْبي وعارضني، ولبست جبةً صوف غليظة، ^(٢) وركبت جملاً، وخرجت عليه لأمضي إلى البادية، قال : فبغني

(١) باب حرب : أحد أبواب بغداد (ويُسب لحرب بن عبد الملك) أحد قواد أبي جعفر المنصور،

وعنده مقبرة ضمت كثيراً من أعلام المسلمين منهم : الامام الحليل أحمد بن حنبل وبشر الحافي رضي عنهما . راجع باقوت .

(٢) كذا في أحد الأصلين والثلاثة الراضية : وفي الأصل الآخر : «عريضة» .

أسود متقلد سيفاً ، حتى إذا غبت عن الحرس ، قبض على خطام الجمل فأناخه ، وقبض علىّ ، فقلت : ما شأنك ؟ فقال : أنت بغية أمير المؤمنين ، فقلت له : ومن أنا حتى يطلبني أمير المؤمنين ؟ فقال معن بن زائدة ، فقلت : يا هذا اتقى الله ! وأين أنا من معن ؟ فقال : دع هذا عنك ، فأنا والله أعرف بك ، فقلت له : فإن كانت القصة كما تقول فهذا جوهر حملته معي بأضعاف ما بذله المنصور لمن جاءه بي ، فخذته ولا تسفك دمي ، فقال : هاته ، فأخرجته إليه ، فنظر إليه ساعة ، وقال : صدقت في قيمته ، لستُ قابله حتى أسألك عن شيء ، فإن صدقتني أطلقتك ، فقلت : قل ، فقال : إن الناس قد وصفوك بالخود ، فأخبرني هل وهبت قط ما لك كله ؟ قلت : لا ، قال : فنصفه ؟ قلت : لا ، قال : فثلثه ؟ قلت : لا ، حتى بلغ العشر فاستحييت وقلت : إني أظن قد فعلت هذا ، فقال : ما ذاك بعظيم ، أنا والله راجل ، ورزق كل شهر عشرون درهماً ، وهذا الجوهر قيمته ألف دينار ، وقد وهبته لك ووهبتك لنفسك ، بلودك المأثور بين الناس ؛ ولتعلم أن في الدنيا من هو أجود منك ، ولا تعجبك نفسك ؛ وتُحقّر بعد هذا كل شيء تفعله ولا تتوقف عن مكرمة ؛ ثم رمى بالمقد إلىّ : وخلى خطام الجمل وانصرف ، فقلت : يا هذا قد والله فضحتني ! ولسفك دمي أهون عليّ مما فعلت ، فخذ ما دفعته إليك ، فإني عنه في غنى ، فضحك ، ثم قال : أردت أن تكذبني في مقامى هذا ، فوالله لا أخذه ، ولا أخذه لمعروف ثمناً أبداً ، ومضى . فوالله لقد طلبته بعد أن أمنت ، وبذلت لمن جاءني به ما شاء ، فما عرفت له خيراً ، وكانت الأرض آبلتته . وكان سبب غضب المنصور على معن بن زائدة أنه خرج مع عمرو بن يزيد بن عمر بن هبيرة وأبلى في حربه بلاء حسناً .



ويقال : إن شاعرا أتى وهب بن وهب ، وكان جوادا ، فدسّه فهِشَ له وبشّ ،
وثنى له الإسادة وأضافه ورفده وحمله ؛ فلما أراد الرجل الرحلة لم يخدمه أحد من
غُلمان وهب ، فأنكر الرجل ذلك مع جميل فعله ، فعاتب بعضهم ، فقال له
الغلام : إنا إنما نُعين النازل على الإقامة ولا نُعين الراحل على الفراق .

- وكان الحارث بن هشام المخزومي في وقعة اليرموك ، وبها أصيب فأنثنته الجراح ،
فاستسقى ماء ، فأُتي به ، فلما تناوله ، نظر الى عِكرمة بن أبي جهل صريعا في مثل
حاله ، فردّ الإناء على الساق ، وقال : آمض الى عِكرمة بن أبي جهل ، فضى اليه ،
فأبى أن يشرب قبله ، فرجع الى الحارث ، فوجده ميتا ، فرجع الى عِكرمة ، فوجده
قد مات ، فلم يشرب واحد منهما .

- ١٠ • وقد وصف الناس أهل الجود والكرم بمدائح ، سنذكر ما أستجودناه منها .
فمن ذلك ما حكى عن أبي العباس أحمد بن يحيى المعروف بشطب ، قال : كان
ببغداد قتي يُجنّ سنة أشهر ، فاستقبلته ببعض السكك ذات يوم ، فقال : شطب ؟
قلت : نعم ، قال : فأنشدني فأنشدته :

وإذا مررت بقبـره فاعـقـر به • كُومَ الهـجـانِ وكلّ طـرفٍ سـابـج

- ١٥ • وأنضج جوانب قبره بدمائها • فاقـد يـكـون أخا دم وذبايح

فتضاحك ، ثم سكت ساعة ، وقال : ألا قال :

أذهبـا بـي إن لم يـكن لكـا عـقـر • رُ على رُـب قبره فاعـقـراي

وأنضجـا من دمـي علـيه قـد كا • ر دمـي من نـداه لو تعلبان

ثم رأى يوما بعد ذلك فتألمني ، وقال : شطب ! قلت : نعم ، قال : أنشدني

- ٢٠ فأنشدته :

أعار الجَوْدَ نَائِلَه * إذا ما مَالَه نَقِداً

وإن لَيْتاً شَكَا جُبناً * أعار قَوَادَه الأَسداً

فضحك، وقال : ألا قال :

عَلِمَ الجَوْدَ النَّدى حَتَّى إذا * ما حَكَاه عِلْمُ البَاسِ الأَسَدَ

فله الجَوْدُ مِقْرٌ بالنَدَى * وله اللَّيْثُ مِقْرٌ بالجَحْدَ

وقال مسلم بن الوليد وهو مما يجوز إيرادُه في الشجاعة والكرم :

يَجُودُ بالنَفْسِ إن ضَرَّ الجَوَادُ بها * والجُودُ بالنَفْسِ أَفْصَى غَايَةِ الجُودِ

وأول من أتى بهذا المعنى علقمة بن عبدة حيث قال :

تَجُودُ بِنَفْسٍ لَا يُجَادُ بِمِثْلِهَا * فَأَنْتَ بها يَوْمَ اللِّقَاءِ خَصِيبُ

وهذا مثل قول يزيد بن أبي يزيد الشيباني : من جاد بنفسه عند اللقاء، وبماله عند

المطاء، فقد جاد بنفسيه كليهما .

قالوا : وأجود ما قيل في ذلك قول أبي العتاهية يمدح العباس بن محمد :

لَوْ قِيلَ لِلْعَبَّاسِ يَا بَنَ مُحَمَّدٍ * قُلْ لَا وَأَنْتَ مَحْضِدٌ مَا قَامَهُ

إِنَّ السَّامِعَةَ لَمْ تَزَلْ مَعْقُولَةً * حَتَّى حَلَّتْ بِرَاحَتِكَ عَقَامَهُ

وإذا الملوك تسارعت في بلدة * كانوا كواكبها وكنَّتْ هِلَالَهُ^(٢١)

فلم يُلِّه العباس، فقال :

هَزَزْتُكَ هِزَّةَ السِّيفِ المَحْلَى^(٢٢) * فَلَمَّا أَنْ ضَرَبْتَ بِكَ أَتْنَيْتُ

فَهَبَهَا مِدْحَةً ذَهَبَتْ ضُيَاعاً * كَذَّبْتُ عَلَيْكَ فِيهَا وَأَفْتَرْتُ

(١) سري المضاف عن الأغاني أن هذه الأبيات لربيعة الرق .

(٢) كذا في الأغاني . وفي الأصول « وأنت » . وفيه مخالفة لروى الشعر ولما يأتي بعده .

(٣) سبذكر المؤلف في ص ٢١٣ هذا البيت برواية أخرى قلنا عن الأغاني .

فلما سمع العباس الأبيات غضب ، وقال : والله لأجهدن في حقه . قال : فتر
أبو العتاهية بإسحاق بن العباس ، وقال له إسحاق : أنشدني شيئاً من شرك فأنشده

ألا أيها الطالبُ المستغيثُ • بمن لا يُقيدُ ولا يَرِفدُ

ألا تسأل الله من فضله • فإنَّ عطاياه لا تَنفَدُ

إذا جئتَ أفضلهم للسؤا • ل ردِّ وأحشاؤه تُرْعَدُ

كأنك من خشية السؤا • ل في عينه الحياة الأسود

فبتر إلى الله من لؤمهم • فإنِّي أرى الناس قد أصلدوا

وإنِّي أرى الناس قد أبرقوا • بلؤم الفعّال وقد أرعدوا

ثم مضى ، ففيل لإسحاق : إن هذا الشعر له في أبيك ، فقال إسحاق : أولى له ،

لم عرض نفسه وأحوج أبا العتاهية إلى مثل هذا مع ملكه وقدرته !

وقد أورد أبو الفرج الأصفهاني خبر هذه الأبيات ، فقال : امتدح ربعة الرقي

العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بقصيدة لم يُسبق إليها حسناً ، وهي

طويلة يقول فيها :

لو قيل للعباس يا بن محمد • قل لا وأنت مخلّد ما قالها

ما إن أهد من المكارم خصلة • إلا وجدتك عمها أو خالها

وإذا الملوك تسارت في بلدة • كانوا كواكبها وكنّت هلالها

إن المكارم لم تزل معقولة • حتى حلت براحتك عقابها

قال : فبعث إليه بدينارين ، وكان يقدر فيه ألفين ، فلما نظر إلى الدينارين ،

كاد أن يُجنَّ غضباً ، وقال للرسول : خذ الدينارين فهما لك على أن تردّ إلى الرقعة ،

من حيث لا يدري العباس ، ففعل الرسول ذلك ، فأخذها ربعة ، وأمر من كتب

في ظهرها :

مدحتك مِذْحَة السيف المَحْلُ * لتَجْرِي في الكرام كما جَرِيتُ
فهيها مِذْحَة ذهبت ضاياها * كذبت عليك فيها وأقتريتُ
فانت المرء ليس له وفاء * كأني إذ مدحتك قد زَنتُ

(٦٤)

ثم دفعها الى الرسول وقال : ضعها في الموضع الذي أخذتها منه . ففعل ، فلما كان
من الغد أخذها العباس فنظر فيها ، فلما قرأ الأبيات غضب ، وقام من وقته ،
فركب الى الرشيد ، وكان أثيرا عنده يحمله ويقدمه ، وكان قد هم أن يخطب اليه
أبنته ، فرأى الرشيد الكراهة في وجهه ، فقال ما شأنك ؟ قال : هجاني ربعة الرق ،
فأحضره الرشيد ، وقال له : يا ماص كذا وكذا من أمته ! أنهجو عمي ، وأثر خلق الله
عندي ! لقد هممت أن أضرب عتقك ! فقال : يا أمير المؤمنين ، والله لقد أمتدحتة
بقصيدة ما قال أحد مثلها من الشعراء في أحد من الخلفاء ، ولقد بالفت في الثناء ،
وأكثر الوصف ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بإحضارها فعل ، فلما سمع
الرشيد ذلك ، سكن غضبه ، وأحب أن ينظر في القصيدة ، فأمر العباس بإحضارها
فتلأ عليه ، فقال له الرشيد : سألتك بحق أمير المؤمنين ، إلا أمرت بإحضارها ؟
فأحضرت ، فإذا فيها القصيدة بعينها ، فاستحسنها واستجادها وأعجب بها ، وقال :
والله ما قال أحد من الشعراء في أحد من الخلفاء مثلها ! ولقد صدق ربعة فبر ،
ثم قال للعباس : كم أثبتة عليها ؟ فسكت العباس ، وتقر لونه ، وجرى بريقه ، فقال
ربعة : أتابني عنها يا أمير المؤمنين دينارين ، فتوهم الرشيد أنه قال ذلك من الموجدة
عليه ، فقال : بجياني يا رقي كم أتابك ؟ فقال : وحياتك يا أمير المؤمنين ما أتابني

(١) كذا في الأغاني . وفي الأصول : « لتجري في الكرام قاجريت » -

(٢) كذا في الأغاني والأصلين . وجرى بريقه أى ابتله بمجهد على هم وجرى . وفي النسخة الراجية :

« وخص بريقه »

إلا بدينارين؛ فغضب الرشيد غضبا شديدا ، ونظر في وجه العباس ، وقال : سوء لك ! أيُّه حال قدمت بك عن إتابته ! أقله مال ؟ فواقه لقد تؤلُّك جهدى ، أم انقطاع ^(١) المادة عنك ؟ فواقه ما أقطعُ بك ، أم أصلُك ؟ فهو الأصل الذى لا يدانيه شيء ، أم نفسك ؟ فلا ذنب لى ، بل نفسك والله فعلت بك ذلك ، حتى فضحت أباطك وأجدادك وفضحتنى ، وفضحت نفسك ؛ فنكس العباس رأسه ، ولم ينطق ؛ فقال الرشيد : يا غلام ، أعط ربيعة ثلاثين ألف درهم ، وخِلمة ، وأحمله على بقله ، ثم قال له : بىأتى لا تذكره فى شيء من شعرك تعريضا ولا تصريحاً ، وقر الرشيد عما كان قد هم به من أن يتزوج إليه ، وأظهر له بعد ذلك جفاء وأطراحا .

وقال محمد بن هانى :

- ١٠ الواهب الألف إلا أنها يدُر • والطاعنُ الألف إلا أنها تسُق
تأتى عطاياه شئى غير واحدة • كما تدافع موج البحر بصطْفُق

وقال الرضى الموسوى :

ريان والأيام ظمآنه • من الندى تشوان بالهش
لا يمسك العذلُ يديه ولا • تأخذُ منه تشوة الخمر

- ١١ وقال أيضا :

ذخائره المرف في أهله • وتزأف أمواله السائلونا

وقال أمية بن أبى الصلت الثقفى - يمدح عبدا لله بن جدعان :

أذكر حاجتى أم قد كفانى • حياؤك إن شيتك الحياء
وعلمك بالأمور وأنت قَرْم • لك الحسبُ المهذبُ والسناء

- ٢٠ (١) كذا فى الأغاني - وفى الأصول : « أم انقطاع المال » .

كريمٌ لا يغيره صباحٌ • عن الخلق السقي ولا مساءً

إذا أثنى عليك المرءُ يوما • كفاه من تعرضه النساءُ

وقال الشماخ^(١) بن ضَرَّار :

تَرَوْهُ أَمْراً يُعْطَى عَلَى الْحَمْدِ مَالَهُ • وَمَنْ يُعْطِ أَثْمَانَ الْحَمِيدِ يُجْتَدِ

وَأَنْتَ أَمْراً مَنْ تُعْطِيهِ الْيَوْمَ نَائِلاً • بِكَفْكَ لَا يَمْتَنِعُكَ مِنْ نَائِلِ الْغَدِ

تَرَى الْجُودَ لَا يَدْنِي مِنَ الْمَرْءِ حَتْفَهُ • كَمَا الْبَخْلَ وَالْإِمْسَاكَ لَيْسَ بِجُحْدِ

مُفِيدٌ وَيَتَلَأَّفُ إِذَا مَا سَأَلْتَهُ • نَهْلًا وَاهْتَرَأَ هَتَّازَ الْمُهْنِدِ

مَتَى تَأْتِيهِ تَشْوَالِي ضَوْءِ نَارِهِ • تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدِ

قال : ولما سمع عمر رضى الله عنه هذا البيت ، قال : كَذَبَ ، تلك نار موسى عليه

السلام . ١٠

وقال السري الرفاء :

كَالْفَيْثِ وَاللَيْثِ وَالْهَلَالِ إِذَا • أَقْسَرُ بَأْسًا وَبِهَجَّةً وَبَدَى

نَاسٍ مِنَ الْجُودِ مَا يَجُودُ بِهِ • وَذَاكَ كَرُّهُ مِنْهُ كَلْبًا وَعَدَا

وقال أبو الفرج الوأواء :

مَنْ قَاسَ جَدْوَاكَ بِالْغَنَامِ لَمَّا • أَنْصَفَ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ

أَنْتَ إِذَا جَدْتَ ضَاحِكًا أَبَدًا • وَهُوَ إِذَا جَادَ بِأَيِّ الْعَيْنِ

وقال ابن نباتة السعدي من قصيدة :

لَمْ يُبْقِ جُودُكَ لِي شَيْئًا أَزُقُّلَهُ • تَرَكْنِي أَحْصَبَ الدُّنْيَا بِلَا أَمَلِ

(١) كذا في الأصول . وفي زهر الآداب لأبي اسحاق المصري القيرواني طبع (مصر) ج ٤ ص ٥٠ .

٢٠ ونزاة الآداب للبغدادى (ج ٣ ص ٦٦٢) : أن الشعر الخطيئة .

(٢) الذى فى زهر الآداب ونزاة الآداب :

يرى البخل لا يبق على المرء ماله • ويسلم أن الشح غير مخلد

ذكر ما قيل في الإعطاء قبل السؤال

- قال سميد بن العاصي : قبح الله المعروف ، اذا لم يكن ابتداءً من غير مسألة ،
 فالعروف عوضٌ من مسألة الرجل ، اذا بذل وجهه ، فقلبه خائفٌ ، وفرائصه تُرعد ،
 وجبينه يرنح ، لا يدري أيرجع بفتح الطلب ، أم بسوء المتقلب ؛ قد بات ليلته
 يتأمل على فراشه ، يعاقب بين شقيقه ، مرة هكذا ، ومرة هكذا ؛ مَنْ حاجته ؟
 ففطرتُ بالله أنا وغيري ، ففشل أراجهم في نفسه ، وأقربهم من حاجته ؛ ثم عزم
 على ، وترك غيري ، قد انتقم لوثني ، وذهب دم وجهه ؛ فلو خرجتُ له مما أملك
 لم أكافئه ، وهو على آمنٌ متى عليه ؛ اللهم فإن كانت الدنيا لها عندى حظ فلا تجعل
 لي حظاً في الآخرة .

(١٥)

- وقال أكرم بن صيغى : كل سؤال وإن قل أكثر من كل نوال وإن جل .
 وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه لأصحابه : من كانت له إلى منكم حاجة
 فليرفعها في كتاب ، لأصون وجوهكم عن المسألة .
 وقال عبد العزيز بن مروان : ما تأملتُ رجل قط إلا سألتُه عن حاجته ،
 ثم كنت من وراثتها .

- وقال حبيب :
 عطاؤك لا يفتى ويستغرق المني ٥ وتبقى وجوه الراغبين بمائها
 وقال أيضاً :

ما ماء كفك إن جادت وإن بخلت * من ماء وجهي إذا أفيتته عوض

(١) كذا في العقد الفريد (ج ١ ص ٨٨) وهو الأنسب . وفي الأصول : « فالعروف » .

وقالوا : مَنْ بَذَلَ إِلَيْكَ وَجْهَهُ فَقَدْ وَقَّكَ حَقٌّ نَعْمَتِكَ .

وقال معاوية لَصَبْعَصَةَ بْنِ صُوحَانَ : ما الجود؟ فقال : التبرع بالمال ،
والعطاء قبل السؤال .

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه :

كَرِيمٌ عَلَى الْمَلَاتِ بَزَلُ عَطَاؤِهِ * يُنِيلُ وَإِنْ لَمْ يُعْتَمَدْ لِنَوَالِ
وما الجود مَنْ يُعْطَى إِذَا مَا سَأَلَتْهُ * وَلَكِنْ مَنْ يُعْطَى بِغَيْرِ سَأَالِ
وقال حبيب الطائي :

لَنْ يَحْدُثَكَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ كَرَمٍ * إِنْ لَمْ يَلُؤْمِ أَمْضَى مِنْكَ فِي الْكِرَمِ
أَنْتَى أَبْتَسُّمُكَ وَالْأَكْوَانُ كَاسِفَةٌ * تَبَسُّمُ الصَّبْحِ فِي دَاخِلِ مَنْ الظُّلَمِ
رَدَدْتَ رَوْقِي وَجْهِي فِي صَهْفَتِهِ * رَدَّ الصَّقَالِ صَفَاءَ الصَّارِمِ الْغُلَمِ
وما أبالي وخيرُ القولِ أصدقه * حَقَنْتَ لِي مَاءَ وَجْهِي أَمْ حَقَنْتَ دِي

ذكر ما قيل في الشجاعة والصبر والإقدام

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الشجاعة غريزة يضعها الله
فيمن شاء من عباده إِنْ الله يحب الشجاع ولو على قتل حية » .

وقالوا : حَدَّ الشَّجَاعَةُ سَعَةَ الصَّدْرِ بِالْإِقْدَامِ عَلَى الْأُمُورِ الْمُتَلَفَّةِ .

(١) في ديوان أبي تمام : « من حسن » . وفي النقد الفريد : « من نعم » .

(٢) في ديوان أبي تمام : « أحظى » .

(٣) في ديوان أبي تمام : « أسمى » .

(٤) هكذا في ديوان أبي تمام والنقد الفريد وفي الأصول : « صهفه » .

(٥) الخلام : السيف القاطع .

وسئل بعضهم عن الشجاعة فقال : حيلةٌ نفس آيةٌ ، قيل له : فما النجدة ؟
قال : ثقة النفس عند أسترها إلى الموت ، حتى يحمي بفعلها دون خوف .

وقيل لبعضهم : ما الشجاعة ؟ فقال : صبر ساعة . وقال بعض أهل التجارب :
الرجال ثلاثة : فارس ، وشجاع ، وبطل ؛ فالفارس : الذي يَشُدُّ إذا شَدَّوا ، والشجاع :
الداعى إلى البراز والمحيب داعيةً ، والبطل : الحامى لظهور القوم إذا ولَّوا .

قال يعقوب بن السكيت في كُتُب الألفاظ : العرب تجعل الشجاعة في أربع
طبقات ، تقول : رجلٌ شجاعٌ ، فإذا كان فوق ذلك ، قالوا : بطلٌ ، فإذا كان فوق
ذلك ، قالوا : بهيمةٌ ، فإذا كان فوق ذلك ، قالوا : أليس .

وقال بعض الحكماء : جسمُ الحرب : الشجاعة ، وقلبيها : التدبير ، ولسانها :
المكيده ، وجَنَاحُها : الطاعة ، وقائدها : الرفق ، وسائقها : النصر .

قالوا : لما ظفر المهلب بن أبي صفرة بالخوارج ، وَجَّهَ كعب بن معدان إلى
الاحتجاج ، فسأله عن بني المهلب ؛ فقال : المغيرةُ فارسهم وسيدهم ، وكفى يزيد
فارساً شجاعاً ، وجوادهم ومخيمهم : قبيصةٌ ، ولا يستحي الشجاع أن يفتر من
مدرك ، وعبدُ الملك : سمٌّ نافعٌ ، وحبيبٌ : موتٌ زعافٌ ، ومحمدٌ : لبثٌ غايٍ ،
وكفالك بالمفضل تجدةٌ ؛ قال : فكيف خلقت جماعة الناس ؟ قال : خلقتهم بخير ،
قد أدركوا ما أكلوا ، وأمنوا ما خافوا ؛ قال : فكيف كان بنو المهلب فيهم ؟ قال :

(١) البهية : الفارس الذي لا يدري من أين يؤتى له من شدة بأسه . والأليس : الشجاع الذي
لا يبالى هو لا .

(٢) ورد هذا الخبر في الكامل للبرد طائفاً لما هنا في نسق الجمل وترتيباً اللهم إلا زيادة بعض
ضمرات رأينا ضرورة إثباتها فأضفناها ونبتنا عليها . وورد أيضاً في الجزء الثاني من تذكرة الصدى المحفوظة
بدار الكتب تحت رقم ٤٢٠ أدب : باطناب في كثير من المواضع مع تقديم وتأخير عما هنا .

كانوا حُماة السَّرجِ نهاراً، فإذا أَلْيَلُوا فُرسانَ اللياتِ؛ قال : فأَيُّهم كان أنجَدُ ؟ قال :
كانوا كالحلقة المفرغة، لا يُدري أين طَرَفُها ؛ قال : فكيف كنتم أنتم وعدوكم ؟
قال : كما إذا أخذنا عَفونا ، [وإذا أخذوا يَلْسُننا منهم] وإذا أَجْتهدوا وأَجْتهدنا ،
[طمعنا] فيهم ؛ فقال الجُحَّاج : إِنَّ أَلَمَّاقَةَ لِلْمُتَّقِينَ .

وقالوا : أُنْجِحُ بيتَ قائله العرب قول العباس بن مِرْداس السُّلَمي :

أَشُدُّ على الكُتبية لا أبالي • أحتنى كان فيها أم سواها

وقد مدح الشعراءُ الشجاعةَ وأهلها، وأوسعوا في ذلك، فن ذلك قول المتنبي :
شجاعٌ كانَ الحربَ عاشقَةً له • إذا زارها فذَّته بالخليل والرجل
وقال أيضاً :

وكم رجالٍ بلا أرضٍ لكثرتهم • تركتَ جمهمُ أرضاً بلا رجلٍ
ما زالَ طَرَفُكَ يجرى في دمايهم • حتى مَشَى بك مَشَى الشاربِ التَّيْلِ

وقال العياد الإصفهاني :

قوم إذا لَيسوا الحديداً إلى الوغى • ليس الحِدادُ عدوهم في المهربِ
المُصدِّرونَ الدُّنمَ عن وِردِ الوغى • شُقراً مُجَلَّلٌ بالعِجاجِ الأنهبِ

وقال أبو الفرج البهاء :

واليومُ من غَسَقِ السَّجاجةِ ليلَةٌ • والكُرُيخُ يَغرِقُ بِحَبَقِها المَدودا
وعلى الصَّفاحِ مِنَ الكِفَاجِ وِصدقه • رَدَعُ أحوالِ بياضِها تَوديدا

(١) الزيادة من الكامل للبرد .

(٢) الردع : أثر الدم

والظعنُ بقتصبُ الجيادَ شَبَاتِهَا ^(١١) • والضربُ يقدح في التريك ^(١٢) وقودا
وعلى النفوس من الحِمامِ طلائعُ • والخوفُ يَنشدُ صبرها المفقودا
وقد استحال البرُّ بحراً والضحا ^(١٣) • لبلا ومنخرقُ القضاء حديدا
وأجل ما عند الفوارس حُثْها • في طاعة الحربِ الجيادَ القودا
حتى إذا ما فارق الرأى المسوى • وغدا اليقينُ على الظنون شهيدا
لم يُغْنِ غير أبي شجاعٍ والعلا • عنه تُنابِى النصرَ والتأييدا
وقال أيضا ورؤى للبحترى ^(١٤) :

مِن كُلِّ مَنِيْعِ الْأَخْلَاقِ مَنِيْعٍ • لَلطَّبِيبِ إِن ضَافَتْ الْأَخْلَاقُ وَالْحِيلُ
يَسْعَى بِهِ الْبَرْقُ إِلَّا أَنَّهُ قَرَسٌ • فِي صَوْرَةِ الْمَوْتِ إِلَّا أَنَّهُ رَجُلٌ
يَلْقَى الرَّمَاحَ بِمَصْدِرٍ مِنْهُ لَيْسَ لَهُ • ظَهْرٌ وَهَادِي جَوَادٍ مَا لَهُ كَمَلٌ
وقال البحترى :

مَعشَرُ أَسْكَتَ حُلُومَهُمُ الْأَر • صَ وَكَادَتْ لَوْلَاهُمْ أَنْ تَمِيدَا
فَإِذَا الْجَلْدُ جَاءَ كَانُوا غِيَوَا • وَإِذَا النِّقْعُ نَارَ تَارُوا أَسْوَدَا
وَكَأَنَّ الْإِلَهَ قَالَ لَهُمْ فِي الْ • حَرْبِ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حديدَا

(١) في أحد الأصلين : « شياتها »

(٢) كذا في نسخة الدهر . والتريك جمع لترك وهي بيضة الحديد . وفي الأصول : « التليل » وهو العتق .

(٣) كذا في الأصلين و يتيمة الدهر . ولم يوجد هذا البيت في باقي الأصول .

(٤) نسبت هذه الأبيات في يتيمة الدهر لأبي الفرج البغدادى . ولم توجد في ديوان البحترى طبع
الأسنانة ولا في ترجمته في الأغاني .

(٥) في ديوان البحترى : « وكادت من عزهم ... الخ » .

(٦) رواية الديوان : « فإذا الهل جاء جاعوا سبولا ... الخ » .

(٧) رواية الديوان : « ... قال لنا ... الخ » .

وقال مُسْلِم :

لَوْ أَنَّ قَوْمًا يَحْطِقُونَ مَنِيَّةً * مِنْ بَأْسِهِمْ كَانُوا بَنِي جَبْرِيلَا
قَوْمٌ إِذَا حَمَى الْوُطَيْسُ لَدَيْهِمْ * جَعَلُوا الْجَاهِجَ لِلسَّيْفِ مَقِيلَا^(١)

وقال آخر :

عَقِبَانُ رَوْعٍ وَالسَّرُوجُ وَكُورِهَا * وَلِيُوْتُ حَرْبٍ وَالْقَنَا أَجَامُ
وَبَدُورَتَمْ وَالشَّوَالِكُ فِي الْوَعَى * هَالَاثُهَا وَالسَّابِرَى^(٢) غَمَامُ
جَادُوا بِمَنْعُوقِ التَّلَادِ وَجُودُوا * ضَرِبَا تُحَدُّ بِهِ الْعُلَا وَالْهَامُ
وَتَجَاوَرَتْ أَسْيَافُهُمْ وَجِيَادُهُمْ * فَالْأَرْضُ تُعْطَرُ وَالسَّمَاءُ تُفَامُ

وقال آخر :

قَوْمٌ شَرَابُ سَيُوفِهِمْ وَرِمَاحِهِمْ * فِي كُلِّ مَعْتَرِكٍ دُمُ الْأَشْرَافِ
رَجَعَتْ إِلَيْهِمْ خِيْلُهُمْ بِمَعَاثِيرِ * كُلُّ لِكَلٍّ جَسِيمٍ أَمِيرٍ كَاثِفِ
يَحْتَنُونُ إِلَى لِقَاءِ عَدُوِّهِمْ * كَتَحَنَنُ الْأُلَافِ لِلْأُلَافِ
وَيَاشَرُونَ قُلُوبًا السَّيُوفِ بِأَنْفُسِ * أَمْضَى وَأَقْطَعُ مِنْ قُلُوبِ الْأَسْيَافِ

وقال ابن حيَّوس :

إِنْ تُرِدْ خُبَرَ حَالِمٍ عَنْ قَرِيبِ * فَأَتَيْتُهُمْ يَوْمَ نَائِلٍ أَوْ نَزَالِ
تَلَقَّ بِيضَ الْوُجُوهِ سَوْدَ مَنَارِ السَّنَقِ خُضْرَ الْأَكْثَافِ حُمْرَ النَّصَالِ^(٣)

(١) رواية ديوان مسلم بن الوليد طبع مصر ص ٩١ : « قوم اذا حامي الهجير من الوعى ... الخ » .

(٢) السابري : الدروع السابرية المنسوبة الى سابور .

(٣) رواية ديوان ابن حيوس (نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩١٠٩١ : أدب) :

« ... علم حالم عن يقين » فالتهم في مكارم أو قتال .

(٤) في ديوانه : « ... بيض الاعراض ... الخ » .

ومما قيل في الصبر والإقدام :

قال الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاغْلُظْوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تَحْتَنُوا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُوا اللَّهَ عَافِيَةً إِذَا لَقِيتَهُمْ فَأَنْتُمْ أَوْفَى » (١) وأكثروا من ذكر الله وإن جَلَبُوا وَهَجُوا فليكن بالصمت » .

ومن كلام علي بن أبي طالب رضى الله عنه : ربِّ حياة سبِّها التَّعَرُّضُ لِلْمَوْتِ ، وربِّ مَنِيَّةٍ سبِّها طَلَبُ الْحَيَاةِ .

وقالوا : أجمع كلمة قيلت في الصبر قول بعضهم : الصبر مطيعة النصر .

وقال آخر : الصبر مطيعة لا تكبو وإن صَفَّ عليه الزمان .

وقال آخر : الصبر شريعة تَمْوَرُّ أَرِيَّةً (٢) .

وقيل للهلب بن أبي صفرة : إنك تُلْقَى نفسك في المهالك ، فقال : إن لم آت الموت مسترسلا أتاني مستعجلا ، إني لست آتِي الموت من حُبِّه ، وإنما آتِيه من بغضه ، وتمثَّل بقول الحُصَيْن بن الحُثَّام :

تَأْتَرْتُ أَسْتَبِقَ الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ • لِنَفْسِي حَيَاةٌ مِثْلَ أَنْ أَتَقَدِّمًا

وهي قصيدة مشهورة منها :

فلنسا على الأعقابِ تَدْمِي كُلُّوْمَنَا • ولكن على أقدامنا تَهْطَرُ الدُّمَّا

تَقْلُقُ هَامًا مِنْ كَرَامِ أَعْرَءِ (٣) • علينا وهم كانوا أعق وأظلم

(١) ورد هذا الحديث في صحيح البخارى ومسلم برواية تختلف عما هنا في شطره الأخير .

(٢) الشريعة : المختلطة . (٣) الأرية : الضل .

(٤) في تذكرة الصنفى والشعر والشعراء لابن قتيبة وشرح ديوان حساسة أبي تمام : « من رجال ... » .

ولما رأينا الصبر قد حيلَ دونه * وإن كان يوماً ناكوا كبَ مُظلمِنا
صبرنا وكان الصبرُ منا بحجة * بأسيفنا يقطعن كفاً ومِعصما
ولما رأيتُ الوُدَّ ليس بِنافى * عمدتُ إلى الأمر الذي كانَ أحزماً
فلستُ بمبتاع الحياة بُسْية * ولا مرتقٍ من خشية الموتِ سُلماً

• وقالت العرب : الشجاعة وقاية ، والجبنُ مَقْتلة . وكذلك : إن مَنْ يُقتل مدبراً
أكثر من يقتل مقبلاً .

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لخالد بن الوليد : أحرِضْ علم الموت ،
توهبَ لك الحياة .

وقالت الحكماء : استقبال الموت خير من استدباره .

وقال العلوي :

١٠

محترمة أكفأُ خيلَ على القنا * ودائمةً لبائهاً ومُحورُها
حرامٌ على أرمائنا طعنٌ مدرٍ * وتندقُّ منها في الصدور صدورها
وقال أبو تمام :

١٥
قلُّوا ولصكَّتهم طابوا فأنجدهم * جيشٌ من الصبر لا يُحصى له عددُ
إذا رأوا للناس عارضاً ليسوا * من اليقين دروعاً ما لها زرد
ناؤاً عن المُصير^(١) الأذى فليس لهم * إلا السيفُ على أعدائهم مددُ
وما زالت العرب يتماذحون الموتَ قَمْعاً ، ويتسايون بالموت على الفراش ،
ويقولون فيه : مات فلانٌ حتفَ أخيه ، وأول من قال ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

٢٠
ومدح أعرابيٍّ قوماً فقال : يقتحمون الحربَ كما بما يَقونها بنفوس أعدائهم .

(١) كذا في ديوان أبي تمام . وفي الأصول : « عن المرح » بالخاء المهملة وهو تحريف .

وقال عبد الله بن الزبير لما بلغه قتل أخيه مُصْعَب : إن يُقتل فقد قُتل أخوه وأبوه وعمه ، إنا والله لا نموت حتفًا^(١) ولكن قَعَصًا بأطراف الرماح ، وموتًا تحت ظلال السيوف .

وقال السموهلي بن عدياء :

وما مات منا سيد في فراشه^(٢) * ولا طُلّ منا حيث كان قتيلاً
تسيل على حدّ الظُّبَاة نفوسنا * وليست على غير الظُّبَاة تسيلُ

وقال آخر :

وإنا لتستحل المنايا نفوسنا * وتترك أخرى مُرَّةً ما ندقوها

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم صُفِّين ، وقد قيل له : أقتاتل أهل الشام بالفسدة ، وتظهر بالعشي في إزار ورداء ؟ : أبالموت تحسوفوني ! فوالله ما أبالي ، أسقطت على الموت ، أم سقط الموت علي . وقال لأبنته الحسن : لا تدعوني أحدا إلى المبارزة ، وإن دحيت إليها فأجب ، فإن الداعي إليها باغ ، وللباغى مصرع .
وقال رضي الله عنه : بقية السيف أنمي عددا [وأطيب ولدا]^(٣) يريد أن السيف إذا أسرع في أهل بيت كثر عددهم ونمي [ولدهم] .

⑦

وقال ابن عباس رضي الله عنه : حُقِّمت النساء أن تأتي بمنزل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، لَمَهْدِي به يوم صُفِّين ، وعلى رأسه عمامة بيضاء ، وهو يقف على

(١) في عيون الأخبار طبع دار الكتب (ص ٢٤٠) من المجلد الثاني : « إنا والله ما نموت حبيبا ولا نموت الا قتلا قصا ... الخ » والحج : أن يأكل البعير لحاء العرغ فيرم بطنه سمنا وربما قتله ذلك . وفي لسان العرب بعد أن ذكر كلام ابن الزبير : « يمرض بين مروان لكثرة آكلهم وإسراخهم في ملاذ الدنيا وأنهم يموتون بالنعمة » وقصه . (من باب قطع) : قتله مكانه .

(٢) الرواية المشهورة : « وما مات منا سيد حتف آفه » .

(٣) الزيادة من المقد القرطبي لأن عبد ربه (ج ١ ص ٣٨) .

شِرْذِمَةٌ شَرِذْمَةٌ مِنَ النَّاسِ ، يَحْضَهُمْ عَلَى الْقَتْلِ ، حَتَّى آتَيْهِ إِلَى ، وَأَنَا فِي كَيْفٍ
 مِنَ النَّاسِ ، وَفِي أَغْيَامَةٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، تَجَلَّبَا
 السَّكِينَةَ ، وَأَكْمَلُوا الْأَلَمَةَ ، وَأَقْلَقُوا السُّيُوفَ فِي الْأَغْمَادِ ، وَكَافُوا بِالظُّلْمِ ، وَصَلُوا السُّيُوفَ
 بِالْخَطِّ ، فَإِنَّكُمْ بَيْنَ اللَّهِ ، وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَاوَدُوا الْكُرْ ،
 وَاسْتَحْيَا مِنَ الْفَرْ ، فَإِنَّهُ عَارٍ فِي الْأَعْقَابِ ، وَنَارٍ فِي الْحَسَابِ ، وَطَيُّوا عَلَى الْحَيَاةِ
 أَنْفُسًا ، وَسِيرُوا إِلَى الْمَوْتِ سِيرًا مُجْبَأً ، وَدُونَكُمْ هَذَا الرِّوْقُ الْأَعْظَمُ ، فَاصْبِرُوا ، فَإِنَّ
 الشَّيْطَانَ رَاكِبَ صَعْدَتِهِ ، قَدَّمُوا لِلْوَبَةِ رِجْلًا ، وَأَنَحُوا لِلنَّكَوْصِ أُخْرَى ، فَصَحَّدَا
 صَحْدًا ، حَتَّى يَبْلُغَ الْحَقُّ أَجَلَهُ ، وَاللَّهُ مَعَكُمْ ، وَلَنْ يَزِيْرَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ، ثُمَّ صَدَرَ عَنَّا ، وَهُوَ يَقْرَأُ :
 ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾ .
 وَكَانَ مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ يَمَثَلُ يَوْمَ صَفِّينَ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ :

أَبَتْ لِي شَيْئِي وَأَبَى بِلَاقِي * وَأَخَذَنِي الْحَمْدَ بِالثَّنِّ الرَّبِيعِ
 وَإِقْدَامِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي * وَضُرْبِي هَامَةَ الْبَطْلِ الْمُشِيعِ
 وَقَوْلِي كَلْبًا جَشَأَتْ لِنَفْسِي * مَكَانَكَ تُحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيعِي
 لِأَدْفَعُ عَنْ مَآثِرِ صَالِحَاتِي * وَأُحِىَّ بَعْدَ عَنِ عَرِضِ صَحِيعِ

(١) وَرَدَتْ هَذِهِ الْخُطْبَةُ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ لِسَيِّدِنَا عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خُجِعَ بِرُورَتٍ مَعَ بَعْضِ الْإِخْتِلَافِ :
 بِزِيَادَةِ أَوْ تَغْيِيرِ فِي بَعْضِ الْكَلِمَاتِ .

(٢) الْأَلَمَةُ : الدَّرْعُ ، وَإِكْمَالُهَا أَنْ يَزَادَ عَلَيْهَا الْبَيْضَةُ وَالسَّوَادُ .

(٣) السَّجْعُ بِضَمِّتَيْنِ : الْقَيْنُ السَّهْلُ .

(٤) كَذَا فِي الْأَصُولِ . وَفِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ : « فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَاْمِنٌ فِي كِسْرِهِ » .

(٥) الرَّأْيَةُ الْمَشْهُورَةُ : « وَقَوْلِي كَلْبًا جَشَأَتْ وَجَاشَتْ » كَمَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ وَبِإِثْبَاتِ الْأَخْبَارِ الْمَجْلِدِ

الثَّانِي ص ١٩٣

وقال قطري بن الفُجاءة أمير الخوارج :

وقولي كتبنا جنات لنفسي * من الأبطال ويحك لا تراعي
فإنك لو سألت بقاة يوم * على الأجل الذي لك لم تطاعي
فصبرا في مجال الموت صبرا * فأتيل الخلود بمسطاع
سبيل الموت غاية كل شيء * وداعيه لأهل الأرض داعي

وقال عبد الله بن رواحة الأنصاري :

يا نفس إن لم تُقتل تموتى * إن تسلى اليوم فلا تفوتى
أو تُبخل فطالما عوفيت * هذى حياض الموت قد صليت
وما تمتيت فقد لقيت * إن تفعل فعلهما هديت
* وإن توليت فقد شقيت *

يريد بقوله :

* إن تفعل فعلهما هديت *

فعل زيد بن حارثة ، وجمفر بن أبي طالب رضى الله عنهما ، وكانا قُتلا في ذلك
اليوم بمؤتة .

١٥ وكان علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، يخرج كل يوم بصفيين حتى يقف
بين الصفيين ويُنشد :

من أى يومى من الموت أفر * أبوم لا يُقدر أم يوم قُدر
فيوم لا يُقدر لا أرهبه * ثم من المقدور لا ينجوا الحذر

(١) روى هذا المصراع في حاشية أبي تمام وتذكرة الصفدى هكذا :

أقول لها وقد طارت شعاعا * من الأبطال ... الخ

(٢) في المقد الفريد : « ... حياة ... سوى الأجل ... الخ » .

ومثله قول جرير من قصيدة أولها :

• هاجَّ الفراق لقلبك المهتاج ^(١١) •

منها :

قل للبيان إذا تأخر سرجه • ما أنت من شرك المنية ناج

وقالت امرأة من عبد القيس :

أبوا أن يفرّوا والقنا في نحورهم • ولم يفتوا من خشية الموت سلما
ولو أنهم فرّوا لكانوا أعزّة • ولكن رأوا صبرا على الموت أكرما

وقال حبيب بن أوس الطائي :

فأثبتت في مستنقع الموت رجله • وقال لها من تحت أنحمصك الحشر
وقد كان فوئ الموت سهلا فردّه • طيه الحفاظ المروءات لحلق الوعر
غدا غدوة والحمد نسج رداثه • فلم ينصرف إلا وأكفائه الأجر
تردى ثياب الموت حمرا فأتى ^(١٢) • لها الليل إلا وهي من سندس خضر

وقال :

قوم إذا لبسوا الحديد حسبتهم ^(١٣) • لم يحسبوا أن المنية تحلق
أنظر بحيث ترى السيوف لوامعا • أبدا وفوق رؤوسهم نثار

وقال البقاء :

يسمى الى الموت والقنا قصدا • وخيله بالرهوس تتمل
كانه واثق بأن له • عمرا مقيا وما له أجل

(١) رواية الشعر والشراء لابن قتيبة : « هاج الهوى بفؤادك ... الخ » .

(٢) كذا في الأصول وفي ديوان أبي تمام : « فادجى » .

(٣) في العقد الفريد وفي ديوان أبي تمام : « به اذا ... الخ » .

وقال كعب بن مالك :

نصل السيوف اذا قصرن بخطونا * قدما وتلحقها اذا لم تلحق
ومثله لبعض بني قيس بن ثعلبة :

لو كان في الألف منا واحد فدعوا * من فارس خالهم إياه يعتونا
إذا الكفة تحوا أن يصيبهم * حد الطباء وصلناها بأيدينا
ومثله قول الآخر :

إذا قصرت أسياقنا كان وصلها * خطانا الى أعدائنا فقارب^(١)

ومثله قول ودّك بن عيميل المازني :

مقاديم وصالون في الرّوع خطوهم * بكل رقيق الشّفرتين يمانى
إذا استعجلوا لم يسألوا من دعاهم * لأية حرب أم باى مكان

وقال أبو تمام في سعة الخطو :

خطو ترى الصّارم الهندى متصرا * به من المازن الخطى متصفا^(٢)
وقال آخر :

كان سيوفه صيفت عقودا * تجول على التراب والنحور
وسمر رماحه جملت هموما * فلا يخطرون إلا في ضمير

وأجود ما قاله محدث في الصبر قول ابن الرومي :

أرى الصبر محمودا وفيه مذاهب^(٣) * فكيف اذا مالم يكن عنه مذهب
هناك يحق الصبر والصبر واجب * وما كان منه كالضرورة أوجب

(١) في تذكرة الصدقى : « فضا رب » بالضاد المعجمة .

(٢) رواية ديوان أبي تمام : « خطروا ... » فيه من المازن الخ .

(٣) كذا في ديوان الحافظ لأبي حلال السكري وديوان ابن الرومي . وفي الأصول : « عنه » .

فشدَّ امرؤ بالصبر كفاً فانه • له عصمةٌ أسبابها لا تقضبُ
هو المهرَّبُ المتجى لمن أهدت به • مكارهٌ دهر ليس عنقٌ مَهْرَبُ^(١)
لبوس جمال جنةٌ من شماتة • شفاء أسي يُثَقِّ به ويُثَوِّبُ
فيا عجباً للشيء هذى خللاً • وتارك ما فيه من الحظ أعجبُ
وقد يتظنَّى الناس أن أسأهم • وصبرهم فيهم طباغٌ مرَّكَبُ
فإنما ليسا كثنى، مُصْرِف • يصرفه ذو نكة حين يُنْكَبُ
فإن شاء أن يَأْسَى أطاع له الأسي • وإن شاء صبرا جاءه الصبر يُجَلِّبُ
وليسا كما ظنوهما بل كلاهما • لكلِّ لبيب مستطاعٌ مسَبِّبُ
يصرفه المختارُ منا فتارة • يُراد فيأتى، أو يُدَاد فيذهبُ
إذا احتجَّ محتجٌّ على النفس لم تكده • على قدر يُكْنَى لها تَمَتُّبُ^(٢)
ومساعدتها الصبرُ الجليلُ فأقبلت • إليها له طوعاً جنائِبُ تُجْتَبُ
وإن هو ماها الأباطيل لم تزل • تقاتل بالعتب القضاء وتُغَلِّبُ
تَضْحِي جزوا إن أصابت مصيبةٌ • وتمسى هلوعاً إن تعذر مطلبُ
فلا يعذرَن التاركُ الصبرَ نَسَهُ • بأن قيل إن الصبر لا يُتَكَسَّبُ

ذكر ما قيل في وفور العقل

قال الله تعالى : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)
قال المفسرون : عبر عن العقل بالقلب ، لأنه محلُّه وسكنه ، وقال تعالى : (وَلَيْدٌ مُرِّكَرٌ)

(١) هكذا في ديوان المعاني والأصول . وفي ديوان ابن الرومي : « منق » .

(٢) هكذا في ديوان ابن الرومي . وفي الأصول وديوان المعاني : « ... لم يكده » على قدر ما ينبغي

أَوَّلُ الْأَلْيَابِ)، وقال تعالى : (وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَوَّلُ الْأَلْيَابِ) . وقال تعالى : (هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ) .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْعَقْلَ قَالَ لَهُ أَقْبَلْ فَأَقْبَلَ ثُمَّ قَالَ لَهُ أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ ثُمَّ قَالَ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي مَا خَلَقْتُ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَىٰ مِنْكَ بِكَ أَخَذَ بِكَ أَعْطَىٰ بِكَ أَمِيبَ بِكَ أَعَاقَبَ" .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ قَسَمَ الْعَقْلَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ فَمَنْ كُنَّ فِيهِ كُلُّ عَقْلِهِ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ جُزْءٌ مِنْهَا فَلَا عَقْلَ لَهُ" ، قيل : يا رسول الله ، ما أجزاء العقل ؟ قال : "حسن المعرفة بالله وحسن الطاعة لله وحسن الصبر على أمر الله" . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : "ما آكَنَسِبَ رَجُلٌ مِثْلَ فَضِيلِ عَقْلٍ يَهْدِي صَاحِبَهُ إِلَى هُدًى وَيُرْذِيهِ عَنْ رَذًى وَمَا تَمَّ إِيمَانُ عَبْدٍ وَلَا اسْتِقَامَ دِينُهُ حَتَّى يَكُلَّ عَقْلُهُ" .

وعن عمرو بن لُحَيْمٍ أنه قال لَتَمِيمِ الْبَارِي : ما السُّؤْدُ فَيَكُم ؟ قال : العقل ، قال : صدقت ، سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كما سألتُكَ ، فقال كما قلت ، ثم قال : "سألت جبريل ما السُّؤْدُ فقال العقل" .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله ، بأي شيء يَتَفَاوَضُ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا؟ قال : "بِالْعَقْلِ" قلت : وفي الآخرة؟ قال : "بِالْعَقْلِ" قلت : أليس إنما يُعْزَوْنَ بِأَعْمَالِهِمْ ! فقال : "يا عائشة وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم الله تعالى من العقل ، فيقدر ما أُعْطُوا من العقل كانت أَعْمَالُهُمْ وبقدر ما عملوا يُعْزَوْنَ" .

وعن سعيد بن المسيَّب : أن عمر وأبى بن كعب وأبا هريرة دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا رسول الله ، مَنْ أعلم الناس ؟ قال : "الْعَاقِلُ" قالوا : ٢٠

فمن أعبد الناس ؟ قال : " العاقل " قالوا : فمن أفضّل الناس ؟ قال : " العاقل " قالوا : أليس العاقل من تمت مروءته ^(١) ، وظهّرت فصاحته ، وجادت كفه ، وعظمت منزلته ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ . إن العاقل هو التقي وإن كان في الدنيا خسيسا دنيسا .

وورد في الأثر : « أن الله تعالى أنزل على آدم عليه السلام العقل والدين والحياة فاختار العقل ، فقيل للدين والحياة أرتفعما ، قالوا : لا ، قال : أفصّيتما أمر ربكما ؟ قالوا : ما عصمتا أمر ربنا ولكنا أمرنا أن نتبع العقل حيث كان » .

وقال لقمان لابنه : إن غاية الشرف والسؤدد في الدنيا والآخرة حسن العقل ، لأن العبد إذا حسن عقله غطى ذلك عيوبه ، وأصلح مساوئيه ، ورضى عنه خالقه ، وكفى بالمرء عقلا أن يسلم الناس من شره .

وقيل : مكتوب في حكمة آل داود عليه السلام : على العاقل أن يكون عالما بأهل زمانه ، مالكا للسان ، مقبلا على شأنه .

وقال بعض الحكماء : كلّ شيء يميز إذا قل ، والعقل كلما كان أكثر كان أعز وأعلى ، ولو بيع لما اشتراه إلا العاقل لمعرفته بفضله ، وأول شرف العقل أنه لا يشتري بالمال .

قال أبو عطاء السندی :

فإن العقل ليس له إذا ما • تذكرت الفضائل من كفاء

(١) كذا في تذكرة الصغدي والإحياء للقرائي . وفي الأصول : « طهرت » .

وقالوا : العلم قائد ، والعقل سائق ، والنفس بينهما حرون ، ^(١) فاذا كان قائداً بلا سائق هلكت ، وإن كان سائق بلا قائد أخذت يمينا وشملا ، فاذا اجتمعا ^(٢) أجابت طوعا أو كرها .

ذكر ما قيل في حد العقل وماهيته وما وصف به

- وقد اختلف الحكماء في حد العقل ، ف قيل : حده الوقوف عند مقادير الأشياء قولاً وفعلًا . وقيل : النظر في المواقب . وقال المتكلمون : هو آسم لعلوم اذا حصلت للإنسان مع تكليفه . وقيل : العاقل من له رقيب على شهواته . وقيل : هو من عقل نفسه عن المحارم . وقال عمرو بن العاص : أن يعرف خير الخيرين ، وشر الشرين .
- قال أبو هلال : ومن العجب أن العرب تمثلت في جميع الخصال ، بأقوام جملوهم أعلاما فيها ، ف ضربوا بها المثل اذا أرادوا المبالغة ، فقالوا : أحلم من الأحنف ، ومن قيس بن عاصم ، وأجود من حاتم ومن كعب بن مامة ، وأشجع من إسظام ، وأبين من سحبان ، وأرعى من ابن يقين ، وأعلم من دغفل ، ولم يقولوا : أعقل من فلان ، فلمعلم لم يستكلوا عقل أحد ، على حسب ما قال الأعرابي ، وقد قيل له : حد لنا العقل ، فقال : كيف أحده ولم أره كاملا في أحد قط ؟ ! .
- وقيل لحكيم : ما جماع العقل ؟ فقال : ما رأيته مجتمعا في أحد فأصقه ، وما لا يوجد كاملا فلا حد له .
- وقالوا : لكل شيء غاية وحد ، والعقل لا غاية له ولا حد ، ولكن الناس يتفاوتون فيه كتفاوت الأزهار في الرائحة والطيب .

٢٠ (١) في القند الفريد (ج ١ ص ١٩٨) : «نود» .
(٢) في القند الفريد : «أجابت» .

وَأَخْتَلَفُوا فِي ماهِيَةِ الْعَقْلِ ، كَمَا اخْتَلَفُوا فِي حَدِّهِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : هُوَ نَوْرُ وَضَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى طَبْعًا وَغَرِيزَةً فِي الْقَلْبِ ، كَالنَّوْرِ فِي الْعَيْنِ وَهُوَ الْبَصَرُ ، فَالْعَقْلُ نَوْرٌ فِي الْقَلْبِ ، وَالْبَصَرُ نَوْرٌ فِي الْعَيْنِ ، وَهُوَ يَنْقُصُ وَيَزِيدُ ، وَيَذْهَبُ وَيَعُودُ ، وَكَمَا يُدْرِكُ بِالْبَصَرِ شَوَاهِدُ الْأُمُورِ ، كَذَلِكَ يُدْرِكُ بِالْعَقْلِ كَثِيرٌ مِنَ الْمَحْجُوبِ وَالْمُسْتَوْرِ ، وَعَمَى الْقَلْبُ كَعَمَى الْبَصَرِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ .
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ليس الأعمى من عمى بصره ولكن من عميت بصيرته " .

وقال عبد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عُثْبَةَ المعروف بالعنبي : العقل عقلان : عقلٌ تَفَرَّدَ اللَّهُ تَعَالَى بِصَنْعِهِ ، وَهُوَ الْأَصْلُ ، وَعَقْلٌ يَسْتَفِيدُهُ الْمَرْءُ بِأَدَبِهِ وَهُوَ الْفَرْعُ ، فَإِذَا اجْتَمَعَا قَوِيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ ، تَقْوِيَةُ النَّارِ فِي الظُّلُمَةِ لِلْبَصَرِ .
نظم بعض الشعراء هذا اللفظ فقال — ويروي لعل بن أبي طالب رضى الله عنه — :

رَأَيْتُ الْعَقْلَ عَقْلَيْنِ * لَمَطُوعٌ وَمَسْمُوعٌ
وَلَا يَنْفَعُ مَسْمُوعٌ * إِذَا لَمْ يَكْ مَطْبُوعٌ
كَأَنَّ لَا تَنْفَعُ الشَّمْسُ * وَضَوْؤُ الْعَيْنِ مَمْنُوعٌ

وَأَكْثَرُ النَّاسِ عَلَى أَنَّ الْعَقْلَ فِي الْقَلْبِ ، وَدَلِيلُهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَنْظُرُوا كَيْفَ يَخْلُقُ اللَّهُ لَكُمْ قُلُوبًا يَخْتَلِفُونَ بِهَا أَوْ أَذَانًا يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " العقل في القلب يفرق به بين الحق والباطل " .

وقال بعضهم : هو في الدماغ ، وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه .

وأما ما وُصف به، فقيل : العقلُ وزير رشيد، وظهير سعيد؛ من عصاه
أرداه، ومن أطاعه أنجاه .

- وقال سَعيد بن جُبَيْر : لم تر عيناى أَجَلَ من فضيل عَقِل يتردَّى به الرجلُ، إن
أنكسر جَبَره، وإن تصدَّع أنسَه، وإن ذَلَّ أعزَّه، وإن أحوَجَ أقامه، وإن مَرَّ
أقاله، وإن افتقر أخناه، وإن عَرى كساه، وإن غَوَى أرشده، وإن خاف أقمه،
وإن حزن أفرحه، وإن تكلم صدقه، وإن أقام بين أظهر قومٍ أعتبطوا به، وإن
غاب عنهم أسفوا عليه، وإن بسط يده قالوا : جوادٌ، وإن قبضها قالوا : مقتصدٌ،
وإن أشار قالوا : عالم، وإن صام قالوا : مجتهد، وإن أفطر قالوا : معذور . قال
بعض الشعراء :

- يُعَدُّ رَفِيعُ القومِ من كان عاقلا * وإن لم يكن في قومه بحسب
وإن حلَّ أرضا طاش فيها بقله * وما طاقَلُ في بلدةٍ بنسب
وقال بعض الحكماء : إذا ظَلَبَ العقلُ الهوى ، صرف المساوى الى المحاسن ،
يُفْلِحُ البِلَادَةَ حِلْمًا، والحِدَّةَ ذِكَاةً، والمَكْرَ فِطْنَةً، والهُدْرَ بِلَاغَةً، واليُسْرَ صِحْمَةً، والِدَّةً وَبَّةً
أدبا، والجُبْنَ حَلْدًا، والإِسْرَافَ جُبُونًا .

- وقيل : لو صَوَّرَ العقلُ لأضواء معه الليلُ، ولو صَوَّرَ الجهلُ لأظلم معه النهارُ .
قال المتنبي :

لولا العقولُ لكان أدنى ضيغم * أدنى الى شرفٍ من الإنسان
وقد تُدَبِّبُ الى محبة العقلاء .

- قال الزُّهْرِيُّ : إذا أنكرتَ عقلَكَ، فأقدحْه بماقِل . وقال ابن زُرَّارَةَ : جالس
العقلاء أعداء كانوا أم أصدقاء، فإنَّ العقلَ يقع على العقل . قال بعض الشعراء :
عدوك ذو العقل أبغى عليك * وأبغى من الوامقِ الأحسق

وقال آخر :

فه دُرُّ العقل من راشِد • وصاحب في اليسر واليسر
وحاكم يقضى على غائب • قضية الشاهد للأمر
وإن شيئاً بعض أحواله • أن يفصل الخير من الشر
له قُوَى قد خضعه ربه • بخالص التقديس والطهر

وقال آخر :

إذا لم يكن للمرء عقل فإنه • وإن كان ذا قدر على الناس — حين
وإن كان ذا عقل أجل لعقله • وأفضل عقل من يتبين

وقال آخر :

العقل حُلَّةٌ نفير من تسربلها • كانت له نَسَباً يفتن عن النسب
والعقل أفضل ما في الناس كليم • بالعقل ينجو الفقى من حومة المطب

وقال ابن دريد :

وأفضل قسم الله للمرء عقله • فليس من الخيرات شيء يقاربه
فزين الفقى في الناس صحة عقله • وإن كان محظورا عليه مكاسبه
ويُزرى به في الناس قلة عقله • وإن كُرمَت أعرافه ومَناسبه
إذا أكل الرحمنُ للره عقله • فقد كُلتُ أخلاقه ومآربه

(١) كذا في أحد الأصول القنوغرافين . وفي الأصل الآخر : « ... تشبا يفتن عن النسب » .

وفي الراجية : « ... تشبا يفتن عن النسب » .

(٢) كذا في الأصول . وفي أدب الدنيا والدين لأبي الحسن البصري ص : طبع بولاق : أن هذه

الآيات من شعر إبراهيم بن حسان ، مع اختلاف يسير في بعض كلماتها .

وقال آخر :

ما وهب الله لأمرئ هبة * أشرف من عقله ومن أدبه
 مما جال الفقى فإن عُدماً * فإن فقد الحياة أنفع به

وقال آخر :

- ولم أر مثل الفقر أوضع للفقى • ولم أر مثل المال أرفع للنذل
- ولم أر من عُدِمَ أضُرَّ على الفقى • إذا عاش بين الناس من عُدِمَ العقل

ذكر ما قيل فى الصدق

قال الله عز وجل مبشراً للصادقين : ﴿ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ .

١٠

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "تَحَرُّوا الصَّدَقَ فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَالْبِرُّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَرْءَ لَيَتَحَرَّى الصَّدَقَ حَتَّى يَكْتَبَ صِدْقًا" .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله ، ما عَمَلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ قال : "الصدق إذا صدق العبد بَرًا وَإِذَا بَرًا أَمِينَ وَإِذَا آمِينَ دَخَلَ الْجَنَّةَ" . قال : يا رسول الله ، ما عَمَلُ أَهْلِ النَّارِ ؟ قال : "الكذب إذا كَذَبَ الْعَبْدُ بَغْرًا وَإِذَا بَغْرًا كَفَرَ وَإِذَا كَفَرَ دَخَلَ النَّارَ" .

١٠

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بِمَ يُعْرَفُ الْمُؤْمِنُ ؟ قال : "بِقَوَارِهِ وَلِينِ كَلَامِهِ وَصِدْقِ حَدِيثِهِ" . ومن كلام علي

(١) فى الإحياء للقرائى : « ... وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدَقُ حَتَّى يَكْتُبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا » .

رضى الله عنه : [علامة] الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك، على الكذب حيث ينفعك .

وقال بعض الحكماء : الصدق أزين حلية، والمعروف أربح تجارة، والشكر أودوم نعمة . وقال بعضهم : رأيت أرسطاطاليس في المنام، فقلت : أى الكلام أحسن؟ فقال : ما صدق قائله، قلت : ثم ما ذا؟ قال : ما استحسنته سامعه، قلت : ثم ما ذا؟ قال : كل كلام جاوز هذا فهو ونهيق الحمار بمثله .

وقال الأحنف لابنه : يا بني، يكفيك من شرف الصدق، أن الصادق يُقبل قوله في عدوه، ومن دناءة الكذب أن الكاذب لا يُقبل قوله في صديقه ولا عدوه؛ لكل شيء حلية، وحلية المنطق الصدق . الصدق يدل على اعتدال وزن العقل .

قال عامر بن الظرب العدواني في وصيته : إني وجدتُ صدق الحديث طرفاً من الغيب فأصدّقوا . من لزم الصدق وعوّده لسانه، فلا يكاد يتكلم بشيء يظنّه، إلا جاء على ظنه .

وقالوا : ما السيف الصارم في كف الشجاع بأعز من الصدق .

وقيل : مرّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه، بمجوز تبيع اللبن [في سوق الليل] ، فقال لها : يا عجوز، لا تَفْتِى المسلمين، ولا تشوبى لبنك بالماء، قالت : نعم يا أمير المؤمنين؟ ثم مرّ بها بعد ذلك، فقال : يا عجوز، ألم أعهد إليك ألا تشوبى لبنك بالماء؟ فقالت : والله ما فعلتُ يا أمير المؤمنين، فتكلمتُ بنتُ لها من داخل الخباء، فقالت : يا أمّاه، إغشأ وحيثما جمعتِ على نفسك ! فسمعها عمر

فأعجبته، فقال لولده : أيكم يزوجها ؟ فملل الله أن يخرج منها نسمة طيبة ، فقال
أبنه طاصم : أنا أتزوجها يا أمير المؤمنين، فزوجها منه، فأولدها أم طاصم، تزوجها
عبد العزيز مروان فأولدها عمر بن عبد العزيز .

وروى أن يلالا لم يكذب منذ أسلم، فبلغ ذلك بعض من يصده [فأراد أن
يسته] ^(١)، فقال : اليوم أكذب، فسايره فقال له : يا بلال ما سن فرسك ؟ قال : عظم ،
قال : فاجريه ؟ قال : يُحضر ما استطاع ، قال : فأين تزل ؟ قال : حيث أضع
قدمي ، قال : أين من أنت ؟ قال : أين أبي وأمي ، قال : فكم أتى عليك ؟ قال :
ليال وأيام ، الله أعلم بعددها ، قال : هيات ، أعيت فيك حيلتي ، ما أتعت ^(٢) بعد
اليوم أبدا .

(٧٧)

١٠ ذكر ما قيل في الوفاء والمحافظة والأمانة

قال الله عز وجل : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ . وقال تعالى :
﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ
إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ .

وروى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر الصديق رضي الله عنه :

١٠ "عليك بصدق الحديث ووفاء العهد وحفظ الأمانة فإنها وصية الأنبياء" .

كان أبو العاص بن الربيع بن صبد العزري بن عبد شمس ، حَقَنَ رسول الله
صلى الله عليه وسلم على أخته زينب تاجرا تضاربه قريش بأموالهم ، فخرج إلى الشام

(١) زيادة عن تذكرة الصفدي تناسب المقام .

(٢) كذا في تذكرة الصفدي . وفي الأصول : « ما أتيت ... » وهو تحريف .

٢٠ (٣) الخنن : الصبر أو كل من كان من قبل المرأة كالأب والأخ .

سنة الهجرة، فلما قَدِمَ عَرَضَ له المسلمون فأسروه، وأخذوا ما معه، وقدموا به
المدينة ليلاً، فلما وصلوا الفجر، قامت زينب على باب المسجد، فقالت :
يا رسول الله، قد أجرتُ أبا العاص وما معه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
”قد أجرتنا من أجرت“ ودفع إليه ما أخذوه منه، وعرض عليه الإسلام، فأبى، ونخرج
إلى مكة، ودعا قريشاً، فأطعمهم، ثم دفع إليهم أموالهم، ثم قال : هل وقيتُ ؟
قالوا : نعم، قد أديت الأمانة ووقيت، قال : أشهدوا جميعاً أنى أشهد أن لا إله
إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وما معنى أن أسلم إلا أن تقولوا : أخذ أموالنا، ثم
هاجس، فأنزه رسول الله صلى الله عليه وسلم على النكاح، وتوفي في سنة اثنتي عشرة .

وقيل لما قوى أمرُ بني المباس وظهر قال مروان بن محمد لعبد الحميد بن يحيى
كتبه : إنا نجد في الكتب، أن هذا الأمرَ زائل عنا لاهالة، وسيظهر اليك هؤلاء
القوم، يعني ولد المباس، فصّر إليهم، فأبى لأرجو أن تمكّن منهم، فتغنى في مخفى
وفي كثير من أمورى، فقال : وكيف لي بعلم الناس جميعاً أن هذا من رأيك، وكلهم
يقول : إني غدرت بك، وصرت إلى عدوك ؟ وأنشد :

أَسْرَ وفاءٌ ثم أظهرُ قُدْرَةً * فنّ لي بغيرِ يوسع الناس ظاهِرُهُ

ثم قال :

ولومٌ ظاهرٌ لا شكَّ فيه * للآئمة وعذرى بالمغيب

فلما سمع مروان ذلك، علم أنه لا يفعل، ثم قال له عبد الحميد : إن الذي
أمرتني به، لأنتفع الأمرين لك وأقبحهما بي، ولك على الصبر معك، إلى أن
يفتح الله عليك، أو أقتل معك .

والعرب تضرب المثل في الوفاء بالسموط بن عادية الأزدى، وقيل : إنه من
ولد الكاهن بن هارون بن عمران، وكان من خبره، أن أصراً القيس بن مجمر أودعه

أدراعا مائة، فأناه الحارث بن ظالم، ويقال الحارث بن أبي شمر النسائي، لياخذها منه، فتحصن منه السموم، فأخذ أبنا له غلاما وناداه : إما أن أسلمت إلى الأدرع، وإما أن قتلْتُ أبنك، فأبى أن يسلمها، فقتل أبنه بالسيف، ففى ذلك يقول :

وَقَيْتُ بِأَدْرُعِ الْيَكْنِدِيِّ إِنْى * إِذَا مَا الْقَوْمُ قَدْ غَدَرُوا وَقَيْتُ

وَأَوْصَى عَادِيَا يَوْمَا بِأَلَا * تَهْتَدُمُ يَاسْمُومُ مَا بَنَيْتُ

وفيه يقول الأعشى :

كُنْ كَالسُمُومِ إِذْ طَافَ الْمُهَاجِرُ بِهِ * فِى بَحْفَلٍ كَسَوَادِ اللَّيْلِ بَرَارِ

الْأَبْلَقِ الْفَرْدِ مِنْ تَيْمَاءٍ مِثْلُهُ * حِصْنِ حَصِينٍ وَجَارٍ غَيْرِ غَدَارِ

قَدْ سَامَهُ خُطْقَى خَسِيفٍ فَقَالَ لَهُ * قُلْ مَا بَدَأَ لَكَ إِنْى سَامِعُ حَارِ

فَقَالَ ثُكُلٌ وَغَدَرَ أَنْتَ بَيْنَهُمَا * فَأَخْتَرَ وَمَا فِيهِمَا حِفْظٌ لِمُخْتَارِ

فَشَكَ غَيْرَ طُيُوسٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ * اقْتُلْ أَمِيرَكَ إِنْى مَانِعُ جَارِ

ومن وفاء العرب ما فعله هاني بن مسعود الشيباني، حتى جرّ ذلك يوم ذى قار؛

وكان من خبره : أن النعمان بن المنذر لما خاف كسرى، وعلم أنه لا منجى منه

ولا ملجأ، رأى أن يضع يده في يده، فأودع ماله وأهله عند هاني، ثم أتى كسرى

فقتله، وأرسل إلى هاني يطالبه بوديعة النعمان، وقال له : إن النعمان كان عاملاً،

فأبعث إلى بديعته، وإلا بعثت إليك بيجنود تقتل المقاتلة وتسي الذرية، فبعثت إليه

هاني : إن الذى بلغك باطل، وإن يكن الأمر كما قيل، فأنا أحد رجلين : إما رجل

(١) فى الكامل المبرد ص ٣٤١ طبع ليزيج : « إذا ناهدت أقواما ... الخ » . وفى المحاسن

والأضداد لم يلاحظ والمحاسن والمسماوى للبيروني : « إذا ما خان أقوم ... الخ » . وفى تذكرة الصفدى :

« إذا ما ذم أقوام ... الخ » .

(٢) فى الشعر والشعراء لابن قتيبة : « خيره ... الخ » .

(٣) كذا فى الشعر والشعراء . وفى جميع الأصول : « فكثر ... الخ » .

استودع أمانة، فهو حقيق أن يردها على من استودعه إياها، ولن يسلم الخز أمانته؛
أو رجل مكذوب عليه، وليس ينبغي للالك أن يأخذه بقول عدو؛ فبعث كسرى إليه
الجنود، وعقد لإياس بن قبيصة على جميع العرب، وبعث معه الكتيبة الشهباء
والأساورة، فلما ألتقوا، قام هاني بن مسعود، وحرص قومه على القتال، وجرى
بينهم حروب كثيرة ليس هذا موضع ذكرها، وسند كرها إن شاء الله في وقائع العرب،
فانتصر هاني، وأنهزمت الفرس، وكانت وقعة مشهورة .

(٧٧)

قيل : وكان مرداس في محن عبيد الله بن زياد بن أبيه ، فقال له السجّان :
أنا أحب أن أوليك حسنة ، فإن أذنتُ لك في الانصراف الى دارك أفتدب على ؟
قال : نعم ، فكان يفعل ذلك به ؛ فلما كان ذات يوم ، قتل بعض الخوارج صاحب
شرطة ابن زياد ، فأمر أن يقتل من في السجن من الخوارج ، وكان مرداس
إذ ذاك خارجا ، فقال له أهله : آتق الله في نفسك ، فإنك مقتول إن رجعت ،
فقال : ما كنت لألقى الله غادرا ، وهذا جبار ، ولا آمن أن يقتل السجّان ؛ فرجع
وقال للسجّان : قد بلغني ما عزم صاحبك عليه من قتل أصحابنا ، فبادرت لئلا
يلحقك منه مكروه ؛ فقال له السجّان : خذ أي طريق شئت ، فانيج بنفسك .

١٠

خرج سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن المهلب الى بعض جبايين الشام، وإذا
بامرأة جالسة عند قبر تبتكي ، بغاء سليمان ينظر اليها . فقال لها يزيد ، وقد عجب
سليمان من حسنها : يا أمة الله، هل لك في أمير المؤمنين؟ فنظرت إليهما، ثم نظرت
الى القبر، وقالت :

١٥

(١) الأساورة جمع اسوار بالضم والكسر : وهوقائد الفرس . وفي تذكرة الصفدى : «ومعه كتيبة

الشهباء والدوسر» . والفوسر : كتيبة النعمان .

٢٠

فإن تسألني عن هوائى فإنه * يحوماء هذا القبر يا فتى
وإني لأستحيه والتربُّ بيننا * كما كنتُ أستحيه وهو يراني

ومن أحسن الوفاء ما حكى عن نائلة بنت الفرافصة زوج عثمان بن عفان رضى الله عنه : أن معاوية خطبها فردته، وقالت : ما يُعجب الرجال مني؟ قالوا : شياك، فكسرت شاياها، وبعثت بها الى معاوية، فكان ذلك مما رغب فريشا في نكاح نساء كلب . وأمارة هذبة لما قيل زوجها قُطعت أنفها وشفتيها، وكانت جميلة الوجه، لئلا يرغب فيها .

وحيث ذكرنا الوفاء والمحافظة فلنذكر بيعة خليفة ويمين، ذكرها بعض أهل الأدب في تصنيفه، وهي : تُبايع عبادة الإمام أمير المؤمنين، بيعة طوع وإيثار، ورضا واختيار، واعتقاد وإضمار، وإعلان وإسرار، وإخلاص من طوبيتك، وصدق من نيتك، وأنشراح من صدرك، وصحة من عزيمتك، طائفاً غير مُكره، ومنقاداً غير مُجبر، مقراً بفضلها، مُدعياً بحقها، ومعتزفاً ببركتها، ومُعتدّاً بحسن عاقبتها، وعالماً بما فيها، وفي توكيدها من صلاح الكافة، واجتماع كلمة الخاصة والعامة، ولم الشعث، وأمن العواقب، وسكون الذمائم، وعز الأولياء، وقمع الأعداء، على أن فلانا عبد الله وخليفته المفترض عليك طاعته، الواجبة على الأمة إمامته وولايته، اللازم لهم القيام بحقه والوفاء به، لا تسك فيه، ولا ترتاب به، ولا تُداهن من أمره، ولا تميل إلى غيره^(١)، ولكلك ولى أوليائه . وعدو أعدائه، من خاص وعام، وقريب وبعيد، وحاضر وغائب، متمسك في بيعته بوفاء العهد، وذمة العقد، سريرتك مثل علانيتك، وضيرك فيه وفق ظاهرك، على أن إعطائك هذه البيعة من نفسك، وتوكيدك إيادها في عتقك، لفلان أمير المؤمنين، على سلامة من قلبك، واستقامة من عزمك،

(١) الكلمة من تذكرة الصفدى .

وأستقرار من هواك ورأيك ؛ على ألا تنازل عليه فيها ، ولا تسعى في نقض شيء منها ، ولا تقعد عن نصرته له في الرخاء والشدة ، ولا تدع النصح له في كل حال راحنة وحادثه ؛ حتى تلقى الله مؤيها بها ، مؤديا للأمانة فيها ، إذ كان الذين يبيعون ولادة الأمر وخلفاء الله في الأرض ﴿ إِنَّمَا يَبِيعُونَ اللَّهَ بِدُّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ لَنْ نَنْكُثَ فَاثِمًا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ . عليك بهذه البيعة التي طوقتها عنك ، وبسطت لها يدك ، وأعطيت ما شرط عليك فيها : من وفاء ونصح وموالة ومشايعة ، وطاعة وموافقة ، واجتهاد ومبالغة ؛ عهد الله إن عهده كان مستولا ، وما أخذ الله حل أنبيائه ورسله عليهم السلام ، وعلى من أخذ من عبادته من مؤكدات موائيقه ، ومُحكَّات عهوده ، وعلى أن لنمكس بها فلا تُبدل ، وتستقيم فلا تميل . وإن نكثت هذه البيعة ، وبذلت شرطاً من شروطها ، أو عقيت رسماً من رسومها ، أو غيرت حكماً من أحكامها ، معلناً أو مسراً ، محتالاً أو متاولاً ، أو زُغت عن السبيل التي يسلكها من لا يَخْفِرُ الأمانة ^(٢) ، ولا يستحل الغدر والخيانة ، ولا يستجيز حلّ العقود ^(٣) [ختر] اليهود ، فكل ما تملكه من عين أو ورق ، أو آنية أو عقار ، أو سائمة أو زرع أو ضرع أو غير ذلك من صنوف الأملاك المتقدمة ، والأموال المنخرة ، صدقة على المساكين ، يحزم عليك أن ترجع شيئاً من ذلك إلى مالك بحيلة من الحيل على وجه من الوجوه ، أو سبب من الأسباب ، أو مخرج من خارج الإيمان ؛ فكل ما تفيدُه عمرك من مال يقل خطره أو يحل قتلك سبيله إلى أن تتوفك [منيتك] ، أو يأتيسك

(١) كذا في تذكرة الصفدي . وفي الأصول : « من وكدات » .

(٢) كذا في تذكرة الصفدي . وفي الأصول : « من لا يخفر الأمانة » وهو خطأ .

(٣) زيادة عن تذكرة الصفدي .

(٤) الكلام الذي يحذف بهذا المربع ينتهي في صحيفة ٢٥٠ بمرج مثله هو ساقط بالأصل الفلوجغرافي

و يقع في صهيقي (٧٣ و ٧٤) وقد نقلناه من النسخة الراجية والأصل الفلوجغرافي الآخر .

فإن تسألني عن هوائٍ فإنه • يحوماء هذا القبر يا قيان
وإني لأستحييه والتربُّ بيننا • كما كنتُ أستحييه وهو يرآني

ومن أحسن الوفاء ما حكى عن نائلة بنت الفرافصة زوج عثمان بن عفان رضى
الله عنه : أن معاوية خطبها فردته ، وقالت : ما يُعجب الرجال مني ؟ قالوا : ثيابك ،
فكسرت ثيابها ، وبعثت بها الى معاوية ، فكان ذلك مما رغب قريشا في نكاح نساء
كاتب • وأمرأة هذبة لما قُبل زوجها قَطعت أنفها وشفتيها ، وكانت جميلة
الوجه ، لثلا يُرغب فيها •

وحيث ذكرنا الوفاء والمحافظة فلنذكر بيعة خليفة ويمين ، ذكرها بعض أهل
الأدب في تصنيفه ، وهى : تُباع عبدالله الإمام أمير المؤمنين ، بيعة طوع وإيثار ، ورضا
واختيار ، واعتقاد وإضمار ، وإعلان وإسرار ، وإخلاص من طويتك ، وصدق من
نيتك ، وأنشراح من صدرك ، وصحة من عزيمتك ، طائفا غير مُكروه ، ومنقادا غير مُجبر ،
مقرا بفضلها ، مُدعنا بحقيها ، ومعتزفا بركتها ، ومُعتدّا بحسن عائدتها ، وعالما بما فيها ،
وفى توكيدها من صلاح الكافة ، واجتماع كلمة الخاصة والعامة ، ولم الشعث ، وأمن
المواقب ، وسكون الذمماء ، وعزّ الأولياء ، وقمع الأعداء ، على أن فلانا عبد الله
وخليفته المقرض عليك طاعته ، الواجبة على الأمة لإمامته وولايته ، اللازم لهم القيام
بحقه والوفاء بهمه ، لا تُشك فيه ، ولا ترتاب به ، ولا تُداهن من أمره ، ولا تميل
إلى غيره ^(١) ، ولشكك ولّى أوليائه ، وعدوّ أعدائه ، من خاص وعام ، وقريب وبعيد ،
وحاضر وغائب ، متمسك في بيعته بوفاء العهد ، وذقة العقد ، سريرتك مثل علانيتك ،
وضميرك فيه وفق ظاهره ، على أن إعطائك هذه البيعة من نفسك ، وتوكيدك إيادها
في عنقك ، لفلان أمير المؤمنين ، على سلامة من قلبك ، واستقامة من عزمك ،

(١) الكلمة من تذكرة الصفي .

وأستمرار من هواك ورأيك ؛ على ألا تناول عليه فيها ، ولا تسمى في نقض شيء منها ، ولا تقعد عن نصرته له في الرضاء والشدة ، ولا تدع النصيح له في كل حال راهنة وحادثه ؛ حتى تلقى الله مؤفيا بها ، مؤديا للأمانة فيها ، إذ كان الذين يبايعون ولاة الأمر وخلفاء الله في الأرض (**إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَاِمَّا يَنْكَثُ عَلَى نَفْسِهِ**) . عليك بهذه البيعة التي طوقتها عتقك ، وبسطت لها يدك ، وأعطيت ما شرط عليك فيها : من وفاء ونصح وموالة ومشايعة ، وطاعة وموافقة ، واجتهاد ومبالغة ؛ عهد الله إن عهده كان مسؤلا ، وما أخذ الله على أنبيائه ورسله عليهم السلام ، وعلى من أخذ من عبادته من مؤكدات موافيقه ، ومُحْكَمَاتِ عهوده ، وعلى أن تُمسك بها فلا تُبدل ، وتستقيم فلا تميل . وإن نكثت هذه البيعة ، وبذلت شرطا من شروطها ، أو عقيت رسما من رسومها ، أو غيرت حكما من أحكامها ، معلنا أو مسررا ، محتالا أو متاولا ، أو زُغْتَ عن السبيل التي يسلكها من لا يخيف الأمانة ، ولا يستحيل القدر والخيابة ، ولا يستجيز حل العقود [ختر] المهسود ، فكل ما تملكه من عين أو ورق ، أو آنية أو عقار ، أو سائمة أو زرع أو مزرع أو غير ذلك من صنوف الأملاك المعتقدة ، والأموال المدخرة ، صدقة على المساكين ، يحزم عليك أن ترجع شيئا من ذلك الى مالك بحيلة من الحيل على وجه من الوجوه ، أو سبب من الأسباب ، أو مخرج من مخارج الإيمان ؛ فكل ما تفيدته عمرك من مال يقل خطره أو يميل فلك سبيله الى أن تتوفاك [موتك] ، أو يأتيك

(١) كذا في تذكرة الصفدى . وفي الأصول : « من وكالات » .

(٢) كذا في تذكرة الصفدى . وفي الأصول : « من لا يحقر الأمانة » وهو خطأ .

(٣) زيادة عن تذكرة الصفدى .

(٤) الكلام الذى يتلى بهذا المربع ينتهى في صحيفة ٢٥٠ برقع مثله هو ساقط بالأسل المتوغرأفي

وبقع في صحيفتى (٧٣ و ٧٤) وقد قلناه من النسخة الراغبة والأصل المتوغرأفي الآخر .

أجلك ؛ وكل مملوك لك اليوم من ذكر أو أنثى أو تملكه إلى آخر أيامك ، أحرار مائثون لوجه الله تعالى ، ونساؤك يوم يلزمك الحنث ^(١١) ومن تزوج بعدهن مدة بقائك طوالق ثلاثا ، طلاق الحرج والسنة لا مشنوية فيها ولا رجعة ؛ عليك المشى إلى بيت الله الحرام ، ثلاثين حجة حافيا راجلا ، لا يرضى الله منك إلا بالوفاء بها ، ولا يقبل الله صرفا ولا عدلا ، وخذ لك يوم تحتاج إليه ، وبرأك من حوله وقوته ، وأهلك إلى حولك وقوتك ، والله عز وجل بذلك شهيد . وكفى بالله شهيدا ، والله على ما نقول وكيل .

ذكر ما قيل في التواضع

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . وقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . وقال قتادة في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْفِيِّينَ ﴾ قال : هم المتواضعون . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل
١٠ على الأرض تواضعا .

وقال أنس بن مالك : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض ويتبع الجنازة ويحيب دعوة المملوك ويركب الحمار ، ولقد رأيته يوم حنين على حمار خطامه ليف . وقال صلى الله عليه وسلم : " إن العفو لا يزيد العبد إلا عزّا فاعفوا يعزكم الله وإن التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرضكم الله وإن الصدقة
١٥ لا تزيد المال إلا نماء فتصدقوا يذككم الله " . وقال عمرو بن الزبير : التواضع أحد مصابيد الشرف ، وفي لفظ : التواضع سلم الشرف . وقال جعفر بن محمد :

(١) كذا في تذكرة الصفدى . وفي الأصول : « ما تزوج » .

(٢) كذا في الأصول . وفي تذكرة الصفدى : « قال عمرو بن الزبير ... الخ » . وفي المعارف

رأس الخير التواضع، فقيل له : وما التواضع ؟ فقال : أن ترضى من المجلس بدون شرفك، وأن تُسَلِّمَ على من لَقِيتَ، وأن تترك المِرَاءَ وإن كنت مُحِقًّا . وقد روى عن علي رضي الله تعالى عنه ولم يذكر المِرَاءَ فيه، وزاد فيه : وتكره الرياء والسمعة . وقيل : ثمرة القناعة الراحة ، وثمره التواضع المحبة . وقيل : التواضع نعمة لا يظن لها الحاسد . وقيل : التواضع كالوَهْدَةِ يجتمع فيها قَطْرُهَا وقَطَرُ غَيْرِهَا . وقال عبد الله بن المعتز : متواضع العلماء أكثرهم علما . كما أن المكان المنخفض أكثر الأماكن ماء . وكان يحيى بن خالد يقول : لست أرى أحدا تواضع في إمارة إلا وهو في نفسه أكبر مما نال من سلطانه .

ومن التواضع الماثور ما روى : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مرَّ ويَدُّه على المَعْلَى بن الجارود، فلقيه امرأة من قريش، فقالت له : يا عمر، فوقف لها، فقالت له : كما تعرفك مرةً نَحْمِيْرًا ثم صرْتَ بعد نَحْمِيْرٍ عُمَرُوًّا ثم صرْتَ بعد عُمَرُوٍّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فأتى الله يابنَ الخطاب، وأنظر في أمور الناس، فإنه من خاف الوعيد، قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشي الفوت، فقال لها المَعْلَى : لَيْهَا ! إِلَيْكَ يَا أُمَّةَ اللَّهِ لقد أَبَكَيْتِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! فقال له عمر : أتدري مَنْ هذه ؟ ويحك ! هذه خَوْلَةُ بنت حكيم التي سمع الله قولها من سمائه، فعمَّرَ أخرى أن يسمع قولها ويقتدى به .

وقال عدى بن أرطاة لإياس بن معاوية : إنك لسريع المشية ؛ قال : ذلك أبعد من الكبر وأسرع إلى الحاجة .

وقال عمر رضى الله عنه .— وقد قيل له مثل هذا — : هو أنصح للحاجة وأبعد من الكبر، أما سمعت قوله عز وجل : ﴿ وَأَقْبِصْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ﴾ .
قد مدح الشعراء أهل التواضع، فمن ذلك قول أبي تمام حبيب :
مَبْدَلٌ فِي الْقَوْمِ وَهُوَ مُبْجَلٌ * متواضع في الحَيِّ وَهُوَ مُعْظَمٌ

- أجلك ؛ وكل مملوك لك اليوم من ذكر أو أنثى أو تملكه إلى آخر أيامك ؛ أحرار سائبون لوجه الله تعالى ، ونساؤك يوم يلزمك الحنث ^(١) ومن تفرق بعد من مدة بقائك طوالق ثلاثا ، طلاق الحرج والسنة لا مشنوية فيها ولا رجعة ؛ وعليك المشى إلى بيت الله الحرام ، ثلاثين حجة حافيا راجلا ، لا يرضى الله منك إلا بالوفاء بها ، ولا يقبل الله صرفا ولا عدلا ، وخذ لك يوم تحتاج إليه ، وبرأك من حوله وقوته ، وأجلك إلى حولك وقوتك ؛ والله عز وجل بذلك شهيد . وكفى بالله شديداً ، والله على ما نقول وكيل .

ذكر ما قيل في التواضع

- قال الله تبارك وتعالى : ﴿ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . وقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . وقال قتادة في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخَضَّبِينَ ﴾ قال : هم المتواضعون . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل على الأرض تواضعا .

- وقال أنس بن مالك : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض ويتبع الجنائز ويحيب دعوة المملوك ويركب الحمار ، ولقد رأيته يوم حُتِنَ على حمار خطامه ليف . وقال صلى الله عليه وسلم : ^٢ « إن العفو لا يزيد العبد إلا عزاً فاعفوا بعزكم الله وإن التواضع لا يزيد العبد إلا رقة فتواضعوا يرفعكم الله وإن الصدقة لا تزيد المال إلا نغماً فتصدقوا يزدكم الله » . وقال عمرو بن الزبير ^(٢) : التواضع أحد مصابيد الشرف ، وفي لفظ : التواضع سلم الشرف . وقال جعفر بن محمد :

(١) كذا في تذكرة الصفدى . وفي الأصول : « ما تفرق » .

(٢) كذا في الأصول . وفي تذكرة الصفدى : « قال عمرو بن الزبير ... الخ » . وفي المصنف

لأبن قتيبة : أن عمرو وعمرا كلاهما من ولد الزبير .

رأس الخليل التواضع، فقيل له : وما التواضع ؟ فقال : أن ترضى من المجلس بدون شرفك، وأن تُسَلِّم على من لقيت، وأن تترك المراء وإن كنت مُحِقًّا . وقد روى عن علي رضي الله تعالى عنه ولم يذكر المراء فيه، وزاد فيه : وتكره الرياء والسمعة . وقيل : ثمرة القناعة الراحة ، وثمره التواضع المحبة . وقيل : التواضع نعمة لا يفتن لها الحاسد . وقيل : التواضع كالوعدة يجتمع فيها قطرها وقطر غيرها . وقال عبد الله بن المعتز : متواضع العلماء أكثرهم علما . كما أن المكان المنخفض أكثر الأماكن ماء . وكان يحيى بن خالد يقول : لست أرى أحدا تواضع في إماراة إلا وهو في نفسه أكبر مما نال من سلطانه .

ومن التواضع المأثور ما روى : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرَّ ويده على المُلَيِّ بن الحارود، فلقبته امرأة من قريش، فقالت له : يا عمر، فوقف لها، فقالت له : كنا نعرفك مرةً ثمَّ نأثم صرت بعد محمدٍ ثمَّ صرت بعد عمرٍ أمير المؤمنين، فائق الله يابن الخطاب، وأنظر في أمور الناس، فإنه من خاف الوعيد، قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشي الفوت، فقال لها المُلَيِّ : إياها ! إليك يا أمة الله لقد أبكى أمير المؤمنين ! فقال له عمر : أتدري من هذه ؟ ويحك ! هذه خولة بنت حكيم التي سمع الله قولها من سمائه، فعمرُ أخرى أن يسمع قولها ويقنّدي به .

وقال عدى بن أرطاة لإياس بن معاوية : إنك لسريع المشية ؛ قال : ذلك أبعد من الكبر وأسرع إلى الحاجة .

وقال عمر رضي الله عنه — وقد قيل له مثل هذا — هو أنجح للحاجة وأبعد من الكبر، أما سمعت قوله عز وجل : (وَأَقِصْ فِي سَبِيلِكَ وَاعْصُصْ مِنْ صَوْتِكَ) .
قد مدح الشعراء أهل التواضع، فن ذلك قول أبي تمام حبيب :
مَبْدُلٌ فِي الْقَوْمِ وَهُوَ مُبْجَلٌ * متواضع في الحَيِّ وَهُوَ مُعْظَمٌ

وقال آخر :

متواضع والنبل يحرس قدره * وأخو النباهة بالنباهة ينبل

وقال البحتري :

دنوت تواضعا وعلوت مجدا * فشاك أحمدار وأريفاع

كذلك الشمس تبعد أن تسمى * ويدنو الضوء منها والشعاع

وقال أبو محمد اليماني :

تواضع لما زاده الله رقة * وكل رفيع قدره متواضع

وقال آخر :

دنوت تواضعا وعلوت قدرا * ففبك تواضع وطو شان

ذكر ما قيل في القناعة والزهادة

١٠

جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْفَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ أن المراد بالحياة الطيبة : القناعة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « القناعة مأل لا ينفد » . وقال عليه السلام : « ما عَالَ مِنْ أَقْتَصَد » .

١٥

ومن كلام علي رضي الله عنه : كفى بالقناعة ملكا ، وبحسن الخلق نعيما .

وقال جعفر بن محمد : ثمرة القناعة الراحة .

وقال علي بن موسى : القناعة تجمع إلى صيانة النفس وعز القدرة ، طرَحَ مؤن الاستكثار والتعبد لأهل الدنيا ، ولا يسلك طريق القناعة إلا رجلان : إما متقلل يريد أجر الآخرة ، أو كريم يتزه عن آثام الدنيا .

٢٠

(١) كذا في تذكرة الصفي وهو الأنسب بالمقام : وفي الأصول : « ولا ملك » .

(٢) في تذكرة المعقدي : « عن لثام » .

(١) وقال : الراضى القانع يعيش آمناً مطمئناً مستريحاً مريحاً ، والثَّيرُ [الحريص] لا يعيش إلا تَيْباً نَصَباً فى خوف وأذى .

وقال بعض الحكماء : عزَّ التزاهة أحبَّ الى من فرح الفائدة ، والصبر على الصرة أحبَّ الى من احتمال الميتة . وقال أبو ذؤيب الهذلي :
والنفس رغبة إذا رغبها * وإذا نُزِدَ الى قليل تَقَنُّعُ
وقال سالم بن وابصة :^(٢)

غنى النفس ما يكفيك في سدِّ فاقة * فإن زاد شبيطاً عاد ذاك الغنى فقراً
وقال أبو هلال العسكري :

ألا إنَّ القناعة خيرُ مالٍ * لذي كرم يروح بغير مالٍ
وإن يصبر فإن الصبر أولى * بمن صرَّت به نوبُ الليالي
تَجْمَلُ إن بليت بسوء حالٍ * فإن من التجميل حسن حالٍ

ذكر ما قيل فى الشكر والثناء

قال الله تبارك وتعالى : (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) فالشكر مما
يوجب الزيادة .

وقال علي بن أبى طالب رضى الله عنه : لا يُزهدك فى المعروف من لا يشرك
عليه ، فقد يشركك عليه من لا يستمتع بشيء منه ، وقد يدرك من شكر الشاكر
أكثر مما أضاع الكافر ، والله يحبُّ الْمُحْسِنِينَ .

(١) الزيادة عن تذكرة الصفدى .

(٢) كذا فى شرح القاموس وتهذيب التهذيب وتذكرة الصفدى . وفى الأصول : « واصله » وهو

ومما تَمَزُّوه الفرس الى إسفنديار : الشكر أفضل من النعمة ، لأنه يبقى وتلك تنفَى .

وقال موسى بن جعفر : المعروف لا يَفُكُّه إلا المكافأة أو الشكر . وقال : قلَّةُ الشكر تُرَهِّدُ في أصطناع المعروف .

- وقيل : إذا قُصِرَت يدك عن المكافأة فليَطْلُ لسانك بالشكر . وقيل : للشكر ثلاث منازل : ضمير القلب ، ونشر اللسان ، ومكافأة اليد . قال الشاعر :
- أفادتكُمُ النِّعماءُ مِنِّي ثلاثة * يدي ولساني والضميرُ المحجَّبَا

وقال يحيى بن زياد الحارثي بن كعب :

- حلفتُ ربِّ العِيسِ تهوى برَّكِها * الى حَرَمٍ ما عنه للناسِ متعِدِلٌ
لَمَّا يَبْلُغُ الإنصامُ في النفعِ غايَةً * على المرءِ ألا مبلِغُ الشكرِ أَفْضَلُ
ولا بلفتُ أيدى المُنيلين بَسْطَةً * من الطُّولِ إلا بسطَةُ الشكرِ أطولُ
ولا ثقلتُ في الوزنِ أعباءُ مِنَّةٍ * على المرءِ إلا مِنَّةُ الشكرِ أنْقَلُ
فَمَنْ شَكَرَ المعروفَ يوما فقد أتى * أخا العرفِ من حُسْنِ المكافأةِ مِنْ عُلُ
وقال رجل من غطفان :

- الشكرُ أَفْضَلُ ما حاولتُ مَلْتِمَسًا * به الزيادةُ عند الله والناسِ

وقال أبو نُحَيْلَةَ ^(١) :

شكرتُكَ إنَّ الشكرَ حَبْلٌ من الثَّقَى * وما كَلَّ من أوليتِهِ نِعمةٌ يَفْضَى
ونَهتَ لي ذِكْرِي وما كانَ خامِلاً * ولكنَّ بعضَ الذِّكْرِ أُنْبَهَى مِنْ بَعْضِ

(١) كذا في الأغاني طبع بولاق (ج ١٨ ص ١٤٠) والقاموس . وفي الأصول : « أبو بجيلة »

باليا . والجيم . وهو تعريف .

وقال آخر :

ساشكر عسراً ما تراخت ميثقي * أبايدي لم تُمْنَنَ وإن هي جَلَّتْ
فَقِيْ غَيْرُ عَجُوبِ الْغِنَى عَنْ صَدِيقِهِ * وَلَا مَظْهَرُ الشُّكْرِ إِذَا التَّمَلُّ زَلَّتْ
رَأَى خَلَّتِيْ مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُهَا * فَكَانَتْ قَدْنَى عَيْنِهِ حَتَّى تَجَلَّتْ

وقال أبو تمام :

تَمَّ نِعْمَةٍ مِنْكَ تَسْرِبَتْهَا * كَانَهَا طُورَةٌ بُرْدٍ قَشِيبٍ
مِنَ اللِّوَاتِيْ إِنْ وَفَى شَاكِرٌ * قَامَتْ لِمُسْنِدِهَا مَقَامَ الْخَطِيبِ

وقال أبو عبيدة بن محمد بن أبي عينة المهلبي :

يَا ذَا الْيَمِينِ قَدْ أَوْلَيْتَنِي مَنًّا * تَتَرَى هِيَ النَّايَةُ الْقُصُوى مِنَ الْمَنِّ
وَلَسْتُ أَطِيعُ مِنْ شُكْرِ أَحِبُّهُ بِهِ * إِلَّا أَتَطَاعَةُ ذِي يَحْشُمِ وَذِي بَدِنِ
لَوْ كُنْتُ أَعْرِفُ فَوْقَ الشُّكْرِ مِثْلَهُ * أَوْفَى مِنَ الشُّكْرِ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْفَقْرِ
أَخْلَصْتُهَا لَكَ مِنْ قَلْبِيْ مُهَذَّبَةً * حَذَوْنَا عَلَى مِثْلِ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ
قَالُوا : وَأَجُودُ مَا قَبِلَ فِي عِظَمِ النِّعْمَةِ وَقُصُورِ الشُّكْرِ مِنْ قَدِيمِ الشُّعْرِ ، قَوْلُ طَرِيحٍ

ابن إسماعيل :

سَعِيْتُ أَبْتِغَاءَ الشُّكْرِ فَمَا صَنَعْتَ لِيْ * فَقَصُرْتُ مَغْضُوبًا وَإِنِّي لَشَاكِرٌ
لَأَنْتَكَ تُوَلِّينِي الْجَمِيلَ بَذَاهَةً * وَأَنْتَ لِمَا أَتَكَثَّرْتُ مِنْ ذَاكَ حَاقِرٌ
فَارْجِعْ مُقْبُوطًا وَتَرْجِعْ بَالِي * لِمَا أَوَّلُ فِي الْمَكْرَمَاتِ وَأَتَعَرُّ

وقال دجيل :

هَجَرْتُكَ لَا عَنْ جَفْوَةٍ وَمَلَالَةٍ * وَلَا لِقَلِّ أَطْلَأْتُ عَنْكَ أَبَا بَكْرٍ

(١) في ديوان المهدي لأبي ملال العسكري : * فقي غير مقراح إذا الخير منه *

(٢) كذا في الشعر والشعراء لابن قتيبة والاعاني (ج ٥ ص ٩) طبع بولاق . وفي الأصول : « عتبة » .

ولعنتى لما أتيتك راغباً * فافرطت في برى تجزئت عن الشكر
فَلَانٌ لَا آتِيكَ إِلَّا تَعْدُوًا * أزووك في الشهرين يوما وفي الشهر
فان زدت في برى تزايدت جفوة * فلا نلتقى حتى القيامة والحثير
وقال البحرى :

- هاتيك أخلاقى إسماعيل في نصيب * من المَلَا والمَلَا منهن في تَعِيب
أَدَابَتُ شُكْرِى فَأَمْسَى مِنْكَ فِي نَصِيبٍ * أَقْصَرُ فَالَى فِي جَدْوَاكَ مِنْ أَرْبٍ
لَا أَقْبِلُ الدَّهْرَ نَيْلًا لَا يَقُومُ لَهُ * شُكْرِى وَلَوْ كَانَ يُسَدِّدُهُ إِلَى أَبِي
لَمَا سَأَلْتُكَ وَافَانِي نَدَاكَ عَل * أَضْعَافِ شُكْرِى فَلَمْ أَنْظُرْ وَلَمْ أَحِيبْ^(٤)
وقال أيضا :

- ١٠ إلى همرتك إذ همرتك وحشة * لا العود يُنْجِئُهَا وَلَا الْإِبْدَاءُ
أَحْجَلْتَنِي بِنَدَى يَدَيْكَ فَسَوَدَتْ * مَا بَيْنَنَا تِلْكَ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ
وَقَطَعْتَنِي بِالْحُودِ حَتَّى إِنِّي * مُتَخَوِّفٌ إِلَّا يَكُونُ لِقَاءُ
صِلَةٍ غَدَتِ لِلنَّاسِ وَهِيَ أَقْطَعِيَّةٌ * عَجَبًا وَرُوحًا وَهُوَ جَفَاءُ
لِيَوَاصِلَنَّكَ رُكْبُ شِعْرِ سَائِرٍ * يَرُويهِ فَيْكَ لِحْسَهُ الْأَعْدَاءُ
١٥ حَتَّى يَمِيزَ لَكَ التَّنَاءَ مُحْمِلًا * أَبْدَا كَمَا تَمَّتْ لَكَ التَّسْمَاءُ
فَنَظَلَ مُحْسِنُكَ الْمُلُوكُ الصَّبِيْبِي * وَتَنَظَّلُ مُحْسِنِي بَكَ الشُّعْرَاءُ

(٧٥)

(١) فَلَانٌ، أى من الآن .

(٢) في ديوان البحرى (ج ٢ ص ٦٤) طبع الاسائة : « أتمبت »

(٣) في ديوان البحرى : « فاذهب ... الخ » .

(٤) في ديوان البحرى : « ... ظنى فلم أنطق ... الخ » .

(٥) في ديوان البحرى : « لى » .

وقال الحسن بن هاني :

قد قلت للعباس معتذراً * من ضَعِيفٍ شكريهِ ومعتريَفاً
أنت أمرؤ جَلَّتْني نَمّا * أوهت قُوى شكري فقد ضَعُفاً
لا تُسبِدَنَّ إلى عارِفَةٍ * حتّى أقومَ بِشُكر ما سَلَفَا

وقال الحسين بن الضحاك للواتق من أبيات :

إذا كنتُ من جدّواك في كلّ نعمة * فلا كنتُ إن لم أفني عُمرى بِشُكرِكا

وقال البحتري :

إذا أنا لم أشكر لنُعمك جَاهِداً * فلا نلتُ نَعْمى بعدها تُوجب الشُكرا

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

إني لَشَاكِرُ أَمِيهِ وولِيهِ * في يومه ومُؤمِلٌ فيه غداً^(٢)

وقال آخر :

وكيف أنساك لأنعمك واحدة * عندي ولا بالذي أوليت من قَدَم

وقال عبد الأعلى بن حماد : دخلتُ على المتوكل ، فقال لي : قد هممتُ أن نصِلَّكَ ،

فندفعتُ الأمور ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد بلغني عن جعفر بن محمد الصادق أنه

قال : من لم يشكر للهمة ، لم يشكر للنعمة ، وأنشدته قول الباهل :

لأشكرُكَ معروفاً هممتَ به * إن اهتَمَّكَ بالمعروفِ معروفٌ

ولا ألومك إن لم يُمِضْهُ قَدَرٌ * قالشيءُ بالقَدَرِ المحتومِ مصروفٌ

(١) كذا في ديوان المعاني ، وفي الأصل : « من ظلم ... » وهو غير المناسب .

(٢) في الأصول : « عه » .

وقال ابن الرومي :

كم من يد بيضاء قد أسديتها • تثنى إليك عنان كل وداد
شكر الإله صائغا أوليتها • سُلِّكت مع الأرواح في الأجساد

وقال آخر :

وأحسن ما قال أمرؤفك مدحة • تلاقى عليها منة وقبول
وشكر كان الشمس تثنى بنشره • ففى كل أرض تحب رسول

ومن كلام الحسن بن وهب : من شكر لك على درجة رفعتك إليها ، أو ثروة أفدته إليها ، فإن شكرى لك على مهجة أحيتها ، وحشاشة أبقيتها ، ورمق أسكته وقت بين التلف وبينه ، ولكل نعمة من نعم الدنيا حد ينتهى إليه ، ومدى يوقف عليه ، وغاية من الشكر يسمو إليها الطرف ، خلا هذه النعمة التى فأت الوصف ، وطالب الشكر ، وتجاوزت كل قدر ، وأنت من وراء كل غاية ، وردت عنا كيد العدو ، وأرغمت أنف الحسود ؛ نلجأ منها الى ظل ظليل ، وتكيف كريم ، فكيف يشكر الشاكر ، وأين يبلغ جهد المجهود !

وقال الشريف الرضى :

ألبستى نِعَمًا على نعيم • ورفعت لى عَلا على علم
وعلوت بى حتى شئت على • بسط من الأعناق والقِقيم
فلا شكرنْ نذاك ما شكرت • خضر الرِّياض صنائع الدِّيم
فالحمد يثنى ذكرك كل قفى • ويبين قدرَ مواقعِ الكرم
والشكر مهر للصنعة إن • طليت مهرور عقائل النعم

وقال أبو الحسن الكاتب المغربي :

سا شكر نعماك التى أنبسطت بها • يدى ولسانى فهو بالحميد ينطق

وَأُنْجِيَ بِمَا أَوْلَيْتَنِي مِنْ صِلِيَةٍ • وَمِنْ مَنِيَّةٍ تَفْسُدُ عَلَى وَتَطْرُقُ
وَكُلُّ أَمْرِي يَرْجُو نَدَاكَ مُوَفَّقٌ • وَكُلُّ أَمْرِي يُتْنِي عَلَيْكَ مُصَدَّقٌ

وقال ابن رشيقي القديرواني :

خُذْ ثَنَاءً عَلَيْكَ غَيْبُ الْإِيَادِي • كَثَنَاءُ الرِّبَا عَلَى الْأَمْطَارِ

سَقَطَ الشُّكْرُ وَهُوَ مُوجِبٌ ثَمًّا • لَكَ سُقُوطُ الْأَنْوَاءِ بِالْأَمْثَارِ

ومن المُنْتَعِمِينَ مَنْ رَأَى أَنَّ الشُّكْرَ بِإِظْهَارِ النِّعْمَةِ أَبْغَى مِنْهُ بِاللِّسَانِ ،
وَعَاقَبَ عَلَى ذَلِكَ بِالْحَرَمَانِ .

فمن ذلك ما رواه أبو هلال العسكري - بسنده إلى القتيبي^(١) قال : أراد جعفر بن يحيى حاجة كان طريقه إليها على باب الأَصْمِيّ ، فدفع إلى خادم له كيسا فيه ألف دينار وقال : إني سأزِلُ في رَجْعِي إلى الأَصْمِيّ ، ثم سبَحْتَنِي وَبُضَحَكْتَنِي ، فإذا ضَحِكْتُ ، فضع الكيسَ بين يَدَيْهِ ، فلما رَجِعَ ودخل إليه ، رأى حَبًّا مَكْسُورَ الرَّأْسِ ، وَجَرَّةً مَكْسُورَةَ الْعُنُقِ ، وَقَصْعَةً مَشْعَبَةً ، وَجَفَّةً أَعْشَارًا ، وَرَأَى عَلَى مُصَلٍّ بِالٍ ، وَعَلَيْهِ بَرَنْكَانٌ أَجْرُدٌ ، ففمز غلامه أَلَا يَضَعُ الكيسَ بين يَدَيْهِ ، فلم يَدِيعِ الأَصْمِيّ شيئاَ ، فبُضِحَكَ الْفُكْلَانِ وَالغَضْبَانِ إِلَّا أوردته عليه فلم يَتَهَمَسْ ، ثم خرج ، فقال لرجل يسيره : من أَسْتَرَعَى الذُّبَّ ظَلَمَ ، وَمَنْ زَرَعَ سِبْخَةً حَصَدَ الْفَقْرَ ، إني والله لَأَعْلَمُ أَنَّ هَذَا يَكْتُمُ الْمَعْرُوفَ بِالْفِعْلِ ، مَا حَفَلْتُ بِشَرِّهِ لَهُ بِاللِّسَانِ ،

(١) كذا في الأصل . وفي ديوان المصنف لأبي هلال العسكري : «أخبرنا أبو جعفر بن القتيبي عن

القتبي قال : أراد جعفر بن يحيى ... الخ» .

(٢) الحب : البجرة الضخمة .

(٣) البرنكان على وزن زعفران : ضرب من الأكسية ويقال له أيضا بركان .

وَأَيْنَ يَقَعُ مَدِيحُ اللِّسَانِ مِنْ آثَارِ الْبَيَانِ ! إِنْ اللِّسَانَ قَدْ يَكْذِبُ وَالْحَالَ لَا تَكْذِبُ ،
وَلَهُ دَرُّ نَصِيبٍ حَيْثُ يَقُولُ :

فَاجُوبُوا قَاتِلُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ * وَلَوْ سَكَنُوا أَنْتَ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ

ثم قال : أعلمت أن ناووس أبروز، أمدح لأبروز، من [شعر] ^(٢١) زُهَيْر لآلِ مِسَّان !

• وقالت الحكمة : لسان الحال أصدق من لسان الشكوى . وقد أجاد ابن

(٢١)

الرومي في هذا المعنى فقال :

حَالِي تَبُوحٌ بِمَا أَوَّلَيْتَ مِنْ حَسَنٍ * فَكُلُّ مَا تَدْعِيهِ غَيْرُ مُرْدُودٍ ^(٢٢)

كَلَى هَجَاءٌ وَقَتْلٌ لَا يَحِلُّ لَكُمْ * فَايْدَاوِيكُمْ مَنِّي سِوَى الْجُودِ

وقالوا : شهادات الأحوال أعدل من شهادات الرجال .

ذكر ما قيل في الوعد والإنجاز

١٠

رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : "وَعْدُ الْمُؤْمِنِ كَأَخِيذِ
بَالِدٍ" . وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما : الوعد مرض في الجود، والإنجاز
دواؤه . ومن كلامه : الْمُسْتَوَلُ حُرْحَقٌ يَمِيدُ ، وَمُسْتَرْقٌ بِالْوَعْدِ حَتَّى يُجْزَى . وقال
الزُّهْرِيُّ : حَقِيقٌ عَلَى مَنْ أَزْهَرَ بِالْوَعْدِ أَنْ يُجْزَى بِالْفِعْلِ ^(٢٣) .

١٥ وقال مسلم بن الوليد عن أبيه قال : سألت الفضل بن سهل حاجة، فقال :
أشرفك اليوم بالوعد، وأحبوك غدا بالإنجاز، فإني سمعتُ يحيى بن خالد يقول :

(١) الناووس والناموس : مقبرة التنازلي مربوب ، ويطلق على الجبر المتفوق بحمل فيه جنة الميت .

(٢) الحكمة من ديوان الحافظ لأبي هلال العسكري .

(٣) في ديوان ابن الرومي : « حال تصيح بما أوليت ملحة »

٢٠ (٤) في العقد الفريد : « حل من أوردك بوعد ... الخ »

المواعيد شبكة من شباك الكرام، يصيدون بها محامد الأحرار؛ ولو كان المغطى لا يبد لأرتفعت مفاتيح إنجاز الوعد، وتقص فضل صديق المقال .

وقال الأبرش الكلي لمشام بن عبد الملك : يا أمير المؤمنين ، لا تصنع إلى معروفا حتى يمدني ، فإنه لم يأتني منك سبب على غير وعد إلا هان على قدره ، وقل منى شكره ، فقال له هشام : لئن قلت ذلك لقد قال سيّد أهيك أبو مسلم الخولاني : أجمع المعروف في القلوب وأبرئه على الأجداد معروف منتظر بوعده لا يتكدر بالمطل . وكان يحيى بن خالد لا يقضى حاجة إلا بوعده .

وقالت امرأة لرجل : مالك تعطى ولا تمد ؟ فقال : مالك والوعد ؟ قالت ينفذ به البصر ، وينشر فيه الأمل ، وتطيب بذكره النفس ، ويرتجى به العيش ، وترجى أنت به المدح بالوفاء .

قبل : كلم منصور بن زياد يحيى بن خالد في حاجة لرجل فقال : عده عني قضاءها ، قال : وما يدعوك أعزك الله إلى العدة مع وجود القدرة ؟ فقال يحيى : هذا قول من لا يعرف موضع الصنائع من القلوب ؛ إن الحاجة إن لم تستقدمها بوعده ينتظر به نجحها ، لم تنجذب الأنفس بسرورها ، ولم تتلذذ بتأملها ؛ وإن الوعد تطعم ، والإنجاز طعام ، وليس من فاجأ طعام ، كن وجد رائحته ، وتمطّق له وتطعمه ، ثم طعمه ، فدع الحاجة تختير بالوعد ، ليكون لها عند المصطّلح إليه حسن موقع ، ولطف محل .

وقال عيسى بن ماهان : إني أحب أن آهب بلا وعد ، وأحب أن أمد ، لأخرج من جملة الخلفين ، وأدخل في عدد الوافين ، ويؤثر عني كرم المنجزين ؛ فإن من سبق قملُه وعده وُصف بكرم فرد ، وسقط عنه جميع ما ذكرت .

قال: ذكر العباسُ المأمونَ فقال: إنه القَحَّ معروفه عندى بالوعد، ونتجّه بالنجح،
وأرضعه بالزيادة، وشبّه بالتمهد، وهرمه باستقامه من جهاته، وهناه بترك
الامتنان به.

وشكا رجلٌ جعفرَ بنَ يحيى لأبيه: أنه وعده وعدا ومطله به؛ فوقع: يا بني، أتم
معائل الأحرار ومطالب المعادين الشكوى، فكونوا سواءً في الأقوال
والأفعال؛ فإن الحرَّ يتخروعد الحر ويعتقه وينفقه قبل ملكته، فإن أخفق
أمله كان سببا لذمه وأتاهم وسوء ظنه، حتى يوارى قبح ذلك حُسن يقينه؛ فأنجز
الوعد، وإلا فأقصِر القول، فإنه أعذر، والسلام.

قال: كُلُّ المأمون في الحسين بن الضحّاك الخليل أن يرّد عليه رزقه؛ فقال:
أليس هو القائل في الأمين:

١٠

فلا فَرَحَ المأمونُ بالملك بعده * ولا زال في الدنيا طَرِيداً مشرداً

فما زالوا يَطْلِفونَ معه في القول، إلى أن أذن له أن يُنشدَه فأنشده:

أَيُّ لِي فُلَانِي قَدْ ظَلِمْتُ إِلَى الْوَعْدِ * مَتَى تُجِيزُ الْوَعْدَ الْمُؤَكَّدَ بِالْمَهْدِ
أُعِيدُكَ مِنْ صَدِّ الْمُلُوكِ وَقَدْ تَرَى * تَقْطَعُ أَنْفَاسِي عَلَيْكَ مِنَ الْوَجْدِ
فَمَا لِي شَفِيعٌ عِنْدَ حَسَنِكَ غَيْرِهِ * وَلَا سَبَبٌ إِلَّا التَّمَسُّكُ بِالْوَدِّ
أَيَحْتَلُّ فَرْدُ الْحُسَيْنِ فَرْدُ صِفَاتِهِ * عَلَيَّ وَقَدْ أَفْرَدْتُهُ يَهْوَى فَرْدِ
رَأَى اللَّهُ عَبْدَ اللَّهِ خَيْرَ عِبَادِهِ * فَلْيَكُنْ وَاهِبٌ أَعْلَمُ بِالْعَبْدِ

١٥

(١) هذه: طلاه بأخاه، وهو الطحطان.

(٢) رواية الأغانى طبع بولاق (ج ٦ ص ١٨٠): «أجرنى ... الخ».

(٣) في الأغانى: «من خلف الملوك وقد بدا».

(٤) كذا في الأغانى. وفي الأصلين: «يهوى وحدي».

٢٠

فقال له المأمون : هذه بتلك ، وقد عفونا عنك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، فاتبع عفوك إحسانك ، فأمر برد أرزاقه عليه ، وكانت في كل شهر تحسبائة دينار . فقال المأمون : لولا أني نويتُ عفوا عنه ، وجعلت ذلك وعدا له من قبل ، ما فعلته ، وإنما ذُكر الوعد في تشبيهه يذكركه .

• وقال بعض ملوك المعجم : البخل بعد الوعد ، يُضِعِفُ قبحه على البخل قبله ، فما قولك في أمر ، البخل أحسن منه ؟

وقال بعض الشعراء :

ولى منك مَوْعِدٌ طَلِبْتُ نَجَاحَهُ • وَأَنْتَ امْرُؤٌ لَا تُخْلِفُ الدَّهْرَ مَوْعِدًا

وَعَوْدَتِي أَلَا تَرَأَى تُظِلُّنِي • يَدُّ مِنْكَ قَدْ قَدِمْتَ مِنْ قَبْلِهَا يَدًا

فلو أن مجدا أو ندى أو فضيلة • تَحْلُدُ شَيْثًا كُنْتَ أَنْتَ الْخُلْدَا

وقال بشار :

وعد العسكرم يَحْتُ نَائِلَهُ • كَالْفَيْثِ يَسْبِقُ رَعْدُهُ عَطَرَهُ

وقال ابن الرومي :

يَقْطَعُ الْعِدَاتِ عَمْدًا إِلَى الْبَدِّ • لِ كَسَحِ الْحَيَا بِلَا إِيمَاضِ

ذكر ما قيل في الشفاعة

قال الله عز وجل : ﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا ﴾ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله تعالى يسأل العبد عن جاهه كما يسأله عن عمره فيقول له جعلتُ لك جاها فهل نصرت به مظلوما أو قمت به ظالما أو أعنت به مكروبا " . وقال صلى الله عليه وسلم : " أفضل الصدقة أن تعين

يجاهلك من لا جاء له " وقال : " الخلق عيال الله فأحبهم اليه أنفعهم لعياله " .
وقال : " الشفيعُ جناحُ الطالب " .

وقيل : قصد ابن السكّ الواعظ رجلا في حاجةٍ لرجلٍ سأله الشفاعة فيها ،
فقال ابن السكّ : إني أتيتك في حاجةٍ ، وإن الطالب والمطلوب اليه عزيران إن
قُضيت الحاجةُ ، وذليلان إن لم تُقَضَّ ؛ فاختر لنفسك عزَّ البذل على ذلِّ المنع ،
وأختر لي عزَّ الشجح على ذلِّ الردِّ ؛ ف قضى حاجته .
قال أبو تمام :

وإذا أمرؤ أصدى اليك صنعة * من جاهد فكأنها من ماله
وقال رجل لبعض الملوك : إن الناس يتوسلون اليك بغيرك ، يسألون معروفك
ويشكرون غيرك ؛ وأنا أتوسل اليك بك . ليكون شكرك لك لا لغيرك . قال بعض
الشعراء :

إذا أنت لم تعطفك إلا شفاءً * فلا خير في ود يكون بشافع

ذكر ما قيل في الاعتذار والاستعطاف

رأيت جماعة من أهل الأدب قد أحقوا الاعتذار والاستعطاف بالمدح ،
كالحدوثي في تذكرته ، وغيره ؛ فلذلك أضفته اليه ، وجعلته من فصوله . قال الله
عز وجل : ﴿ وَلَيَعْمُرُوا وَلَيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَتَغَفَّرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ .
وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من اعتذر اليه أخوه
المسلم فلم يقبل لم يرد على الخوض " .

(١) في الجامع الصغير : « الخلق كلهم » ... الى الله ... الخ » .

وقال علي رضي الله عنه : أَوَّلَى النَّاسِ بِالْعَفْوِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى الْعُقُوبَةِ . وقال :
المعفو زكاة الظفر . وقال : إذا قَدَّرْتَ عَلَى عَدُوِّكَ فَاجْعَلْ عَفْوَكَ عَنْهُ شُكْرَ الْمَقْدَرَةِ
عَلَيْهِ .

وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما : لَا تُعَاجِلِ الذَّنْبَ بِالْعُقُوبَةِ ، وَاجْعَلْ
بَيْنَهُمَا لِلْإِعْتِذَارِ طَرِيقًا . وقال : أَوْسَعُ مَا يَكُونُ الْكَرَمُ بِالْمَغْفِرَةِ ، إِذَا ضَاقَتْ بِالذَّنْبِ
الْمَعْذِرَةُ .

وقال جعفر بن محمد الصادق : شَفِيعُ الْمَذْنِبِ إِقْرَارُهُ ، وَتُوبَةُ الْمَجْرَمِ الْإِعْتِذَارُ .
وقالوا : مَا أَذْنِبَ مِنْ أَعْتَرٍ ، وَلَا أُسِيءَ مِنْ أَسْتَفِيرَ .

وأوصى بعض الحكماء ولده فقال : يَا بُنَيَّ لَا يَتَذَكَّرُ إِلَيْكَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ ، كَلَّمَا
مِنْ كَانَ ، فِي أَى جَرَمٍ كَانَ ، صَادِقًا كَانَ أَوْ كَاذِبًا ، إِلَّا قَبِلَتْ عِزَّهُ ، فَكُفَّاكَ
بِالْإِعْتِذَارِ بِرَأْسِ مَنْ صَدِيقِكَ ، وَذَلًّا مِنْ عَدُوِّكَ .

قال بعض الشعراء :

فَإِنْ كُنْتَ تَرْجُو فِي الْعُقُوبَةِ رَاحَةً • فَلَا تَزْهَدَنَّ عِنْدَ التَّجَاوُزِ فِي الْأَجْرِ
وقال أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل المسكيني : الْإِعْتِذَارُ ذِلَّةٌ ، وَلَا بَدْءُ
مِنْهُ ، لِأَنَّ الْإِصْرَارَ عَلَى الذَّنْبِ ، فِيمَا يَنْبَغُ وَيَنْبَغُ خَالَقُكَ هَلَكَةً ، وَفِيمَا يَنْبَغُ وَيَنْبَغُ
صَدِيقُكَ فُرْقَةً ، وَعِنْدَ سَائِرِ النَّاسِ مِثْلَبَةٌ وَهَيْئَةٌ ، فَعَلَيْكَ بِهِ إِذَا وَقَعْتَ الذَّنْبَ
وَقَارَفْتَ الْجُرْمَ ، وَلَا تَسْتَكْفُفْ مِنْ خُضُوعِكَ وَتَذَلُّكَ فِيهِ ، فَرُبَّمَا أَسْتَتِيرَ الْعِزُّ مِنْ
تَحْتَ الذِّلَّةِ ، وَأَجْتَنَى الشَّرْفُ مِنَ الشَّجَرَةِ النَّثْلَةَ ، وَرَبَّ مَحْبُوبٍ فِي مَكْرُوهٍ ، وَالْمُجْدُّ شَهْدٌ
يُحْتَنَى مِنْ حَنْظَلٍ .

قال : وَمِمَّا خُصَّ بِهِ الْإِعْتِذَارُ أَنَّ الْحَقَّ لَا يَنْبَغُ لِباطِلِهِ ، وَالْحَقِيقَةَ لَا تَقُومُ
مَعَ تَحْيِيلِهِ وَتَعْوِيهِ ، وَأَنَّ رَدَّهُ لَا يَسْعُ مَعَ الْكُذْبِ الْإِلَافُ فِي صَفْعَاتِهِ .

وقالوا : لا عذر في ردِّ الاعتذار ، والمعتذر من الذنب كن لا ذنب له . وهذه
خَصْلَةٌ لا يَشْرَكُ فِيهَا غَيْرُهُ .

(١١) قال بعضهم : كنت بحضرة عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، فوردت عليه رقعة من جعفر
أَبْنِ ثَوَابَةَ ، نسختها : قد فتحت للظلم بآبِكَ ، ورفعت عنه حجابك ، فانا أحاكم
الأيام الى عدلك ، وأشكو صروفها الى عطفك ، وأستجير من لؤم غَلَبَتِها بكرم
قدرتك وحسن ملكك ، فإنها تؤخرني اذا قَدَمْتُ ، وتَحْرِمُنِي اذا قَسَمْتُ ، فإن
أعطت أعطت يسيرا ، وإن أَرْتَجَعْتُ أَرْتَجَعْتُ كثيرا ، ولم أشكها الى أحد قبلك ،
ولا أعددت للإنصاف منها إلا فضلك ، ولى مع ذمام المسألة لك ، وحق الظلامة
إليك ، حق تأمليك ، وقدمُ صديقي طاعتك . والذي يملأ من النَصْفَةِ يدى ، ويُفْرِغُ
الحقَّ علَى ، حتى تكونَ لى محسنا وأكونَ بك الى الأيام مقربا ، أن تخيطنى بخواص
خدمك الذين قتلهم من حال الفراغ الى الشغل ، ومن انحول الى النباهة والذُّكْر .
فإن رأيت أن تعيدى فقد استعديتُ إليك ، وتضررتى فقد عذت بك ، وتوسع لى
كفك فقد أويتُ إليه ، وتيسرتى بإحسانك فقد عولت عليه ، وتستعمل يدى ولسانى
فيا يصلحان له من خدمتك ، فقد درستُ كتبَ أسلافك وهم القدوة فى البيان ،
وأستضأتُ بآرائهم ، وأقفيتُ آثارهم أقتفاءً جعلنى بين وحشى الكلام وأنيسه ،
ووقفنى منه على جاذبة متوسطة ، يرجع اليها العالى ، ويسمو نحوها المقتصر التالى ،
فعلت إن شاء الله . فجعل عبيد الله يرددها ويستحسنها ، ثم قال : هذا أحق بديوان
الرسائل .

(١) وردت هذه الرقعة فى معجم الأدباء . لياقوت (ج ٢ ص ٤١٧) لجعفر بن محمد بن خالد بن ثوابة ،
وهو يختلف يسيرا فى بعض كتاباتها عما فى الاصول ، وقد أثبتنا منها هنا ما يناسب المقام مع تعريب كلمة
« ثوابة » بالثناء الملتصق التى وردت فى الاصول : « ثوابة » بالثناء محوطة .

ومن الاستعطاف : ما حكى أن محمد بن الحنفية، جرى بينه وبين أخيه الحسين كلام أقرقا بسببه متناحبين، فلما وصل محمد الى مقره، كتب الى الحسين رقعة فيها :
بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد، فإن لك شرفا لا أبلغه، وفضلا لا أدركه، أبونا علي،
لا أفضلك فيه ولا تفضلني، وأمي امرأة من بنى حنيفة، وأهلك فاطمة بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو كان ملء الأرض نساء مثل أمي ما وقين بأهلك .
فاذا قرأت رقتي هذه فابلس ردائك وتعلك وتمال لتترضاني، وإياك أن أسبقك
الى هذا الفضل الذي أنت أولى به مني، والسلام . فلبس الحسين رداءه وتعلبه وجاء
الى محمد وترضاه .

وقيل : وقع جعفر بن يحيى في رقعة معتذر : قد تقدمت طاعتك ونصيحتك،
فإن تبت منك هفوة فلن تغلب سيئة حسنتين .

وقال شاعر :

ارض للسائل الخضوع وللقا * رف ذنبا مثلة الاعتذار

قال أبو هلال العسكري : لم يرو عن أحد قبل النابغة الذبياني في الاعتذار شعر،
فمن أجود ما روى له فيه، قوله حين سعى به المنخل الشكرى الى النعمان، وزعم أنه
غشي المنجودة حظية النعمان، وذلك حين وصفها النابغة في شعره فقال :

وإذا لمست أمت أخت^(١) جامعا * متعبرا^(٢) بمكانه ملء اليد

وإذا طمنت طمنت في مستهدف * رابى المحبسة بالبير مفرمد

وإذا تزعت تزعت من مستحصف * نزع الحزور بالرشاء المحصد

(١) كذا في اللسان في إحدى روايتيه مادة «ختم» . وفي الاصول ردديوان النابغة الذبياني طبع باريس
واللسان في روايته الاخرى مادة «جثم» : «أجثم» .

(٢) كذا في الاصلين الفتيوغرافين واللسان في إحدى روايتيه مادة «حبر» وديوان المصانف
لاي هلال العسكري . وفي النسخة الراغية وديوان النابغة المتقدم واللسان في روايته الاخرى مادة
«ختم» : «متعبرا» .

فقال المنخل للنعمان : هذا وصف من ذاقها ، فوقر ذلك في نفس النعمان ، ثم ودد عليه رهط من بنى سعد بن زيد مناة من بنى قريع ، فأبلغوه أن النابغة ما يزال يذكرها ويصف منها ، فأجمع النعمان على الإيقاع بالنابغة ، فعرّفه بذلك عصام حاجب النعمان ، وهو الذي قيل فيه :

* نفس عصام سودت عصاما *

فانطلق النابغة الى آل غسان وكانوا قتلوا المنذر والد النعمان ، فزادهم لحاق النابغة بهم حشمة ، ثم اتصلت بالنعمان كثرة مدايح النابغة لهم ، فخدمه عليه وأمنه وراسله في المصير اليه ، فأناه وجعل يمتدح بما قُرِفَ به ومن مدحه لآل غسان ، فقال :

حلفتُ فلم أترك لنفسك رِيَّةً * وليس وراء الله للرء مذهبُ
لئن كنتَ قد بُلِّغْتَ عني جنايةً * لَعَبْلُكُ الواشي أغشُ وأكذبُ
ولستَ بمسْتَبْقِي أَخًا لَا تَدُّهُ * على سَمِعَتِ أئى الرجال المهذبُ
فإنَّ أكَ مَظْلُومًا فَعَبْدُ ظَلَمَتِهِ * وإن تك ذا عُنِي فنلك يُعْتَبُ

يقول : مثلك يعفو ويحسن وإن كان عاتبا ، وفي كرمك ما يفعل ذلك ، ولك العني^(١) والرجوع الى ما تحب . ومنه قوله أيضا للنعمان :

أنايَ أَيْتَ الأعرَبِ أنك لَأُنْسَى * وتلك التي تستكُ منها المسامعُ
مقالةً أن قد قلتَ سوف أناه * وذلك من تلقاء مثلك رافعُ
فبتُ كأني ساورتني ضبيلةٌ * من الرقيش في أنيابها السمُّ نافعُ
لكلفني ذنبُ امرئٍ وترحكتَه * كدَى المرءِ يُكوى غيره وهو رافعُ

(١) كذا في ديوان الحادي . وقرف : اتهم . وفي الأصل : « بما ظف به » .

(٢) في ديوان النابغة وديوان الحادي : « خيانة » .

(٣) كذا في الاصول . ولعلها أولك ... الخ .

الى أن قال :

فإن كنتُ لا ذوالصفتن عني مكذبٌ • ولا حلفي على البراءة نافع
ولا أنا مامون بشيء أقوله • وأنت بأمرٍ لا محالة واقعٌ
فإنك كالليل الذي هو مدركي • وإن خلتُ أن المتأى عنك واسعٌ

وقال أيضا :

أنبت أن أبا قابوس أوعدني • ولا قرار على زارٍ من الأسد
مهلاً فداءً لك الأقوام كلهم • وما أئتمر من ماٍ ومن ولدٍ
لا تقذفتي بركن لا كفاء به • وإن تأففك الأعداء بالرقيد
ما قلت من سيئ مما أتيت به • إذا فلا رفعت سوطي إلى يدي
قال : نفلح عليه النمان خلع الرضا، وكن حبرائ خضرا مطرقة بالجوهر •

قال العسكري : ولم يسلك أحد طريقته فأحسن فيها كإحسان البحري، فن
اعتذاراته قوله في قصيدته التي أولها :

• لوت بالسلام بنانا خضيبا •

قال منها :

فدينك من أي خطيب عري • وناتية أوشكت أن تبوا
وإن كان رأيك قد خال في • وأوليتي بعد بشر قطوبا

(٧٩)

(١) تأفوه : تكفوه، أي لا ترمي منك بركن لا مثل له وإن اجتمع حولك الأعداء متأذين متألين
علي • والرفد : جمع رفدة يكسر الراء •

(٢) قد تقدم في صفحة (١٧٢) من هذا الجزء : «وكسى أبواب الرضا وكانت جبابا أطواقها الذهب
بقصب الزمرد» •

(٣) كذا في ديوان البحري طبع الاسنائة (ج ١ ص ٨٠) والنسخة الراضية • وفي أحد الاصلين
الفتوغرافين وديوان الحافى لابي هلال العسكري : «قد جال» بإلحيم • وفي الاصل الآخر الفتوغرافي :
«قد خال» بانحاء المعجمة وكلاهما تحريف •

يرئى الشيء تأتى به • وأكبرُ قدرك أن أسترياً
وأصكره أن أتمادى على • سبيل اعتياد فالتى شعوياً
أكذب نفسى بأن قد سخطت^(١) • وما كنتُ أعهد ظفى كذوباً
ولو لم تكن ساخطاً لم أكن • أذم الزمان وأشكو الخطوباً
أصبح وزدى^(٢) فى ساحتي • لك طرقاً ومرعاً محلاً جدياً
وما كان سخطك إلا الفراق • أفاض المومع وأجنى القلوباً
ولو كنتُ أعرف ذنباً لما كا^(٣) • ن خالفتى الشك فى أن أتوباً
ساصبر حتى الاق رضا • ك إما بعيداً وإما قريباً
أراقب رأبك حتى يصح • وأنظر عطفك حتى يشوباً

وقوله

عذري من الأيام رقت مشربى • ولقيتني نحسا من الطير أشاماً
وألبستني سخط أمرى بث مؤدا • أرى سخطه ليلاً مع الصبح مظالمها
تبلج عن بعض الرضا وأنطوى على • بقية عتب شارفت أن تصرماً
إذا قلت يوماً قد تجاوز حدّها • ظبت فى أعقابها وتلوّما
وأصيد إن نازعته الطرف رده • كليلاً وإن راجعته القول جمجماً
شاء البدا عني فأصبح مريضاً • ووممه الواشون حتى تومها

(١) كذا فى ديوان البحرى • وفى الأصول وديوان المعاني : « بأن قد جيت » .

(٢) كذا فى ديوان البحرى والنسخة الراجية وديوان المعاني والورد : الماء الذى يورد . وفى الأصلين

الفوغرافين : « ودى » وهو تحريف .

(٣) الطرق : الماء الذى خوصته الإبل ويؤلف فيه .

(٤) كذا فى الديوان • وفى الأصول وديوان المعاني لأب هلال المسكى : لما « تخالفتى » .

(٥) كذا فى الأصول وديوان المعاني • وفى ديوان البحرى : « أ كسبتى » .

وقد كان سهلا وانحما فتوَعَّرت * رَبَّاهُ وَطَلَّقَا ضاحكا فجعهما
 امْتَدَّ عَندي الإِسَاءَةُ محسنٌ * ومستمع مني آمروا كان مُتعا
 ومكتسبٌ في الملامَةِ ماجد * يرى الحمد غنما والملامة مفرا
 يخوفني من سوء رأيك معشر * ولا خوف إلا أن تجور وتظلم
 أعينك أن أخشاك من غير حادث * تَبَيَّنَ أو جُرم إليك تقدما
 ألسْتُ الموالى فيكَ نظمٌ قصائد * هي الأنجم أفتادت مع الليل أنجما
 أَعِدْ نظرا فيما تسخطت هل ترى * مقالا دنيئا أو قَمَلا مذهباً
 وكان رجائي أن أؤوب مملُكا * فصار رجائي أن أؤوب مسلماً
 حياء فلم يذهب بي النُّيُ مذهباً * بعيداً ولم أركب من الأمر مُعظماً
 ولم أعرف الذنب الذي سُوِّخِلَه * فأقتل نفسي حسرةً وتندما
 ولو كان ما خُبرته أو ظننته * لما كان غروا أن ألوم وتكرماً
 أذكرك العهد الذي ليس سؤددا * تناسيه والود الصحيح المسلما
 وما حمل الرِّكبان شرقاً ومغرباً * وأنجد في أعل البلاد وأنهما
 أقر بما لم أجنه متصلاً * إليك على أنى إخالك ألوما
 لي الذنب معروف فإن كنت جاهلاً * به فلك العتي على وأتيسراً
 ومثلك إن أبدى القَعَال أعاده * وإن صنع المعروف زاد وتما
 وقال سعيد بن حميد :

لم آت ذنباً فإن زعمت بأن * أتيت ذنباً فغير معتيد
 قد تطرَّف الكُفَّ عين صاحبها * فلا يرى قطعها من الرشد

(١) كذا في ديوان البحرى وأحد الأصلين الفتوغرافيين وديوان الهامى . وفي الأصل الآخر والنسخة

وقال آخر :

وكنْتُ اذا ما جئتُ أدنيتَ مجلسي * ووجهك من ماء البشاشة يقطرُ
فمن لي بالعين التي كنتَ مرّةً * الى بها في سالف الدهر تنظرُ
وقال آخر :

اغفر زلتى تُعزز فضل الـ * حفو عني ولا يفوتك أجرى
لا تكفني الى التوسل بالمذـ * ر لعلّ ألا أقوم بعذرى

وقال بعض فضلاء الأندلس :

إلى جنتُ ولم يزل أهلُ النهى * يهبون للجائنين ما يمنونه
ولقد جمعتُ من الذنوب فنونها * فاجمع من الصبغ الجميل فنوته
من كان يرجو عفو من هو فوقه * فليعف عن ذنب الذى هو دونه

الباب الثانى

من القسم الثالث من الفن الثانى

فى الهجاء وفيه أربعة عشر فصلا

ما قيل فى الهجاء ومن يستحقّه .

ما قيل فى الحسد .

ما قيل فى السعاية والبنى .

ما قيل فى النيبة والنيمة .

ما قيل فى البخل واللؤم وأخبار البخل وأحتجاجهم .

ما قيل في التطفيل ويتصل به أخبار الأكلة والمواكلة .

ما قيل في الجبن والفرار .

ما قيل في الحق والجهل .

ما قيل في الكذب .

ما قيل في الغدر والخيانة .

ما قيل في الكبر والعجب .

ما قيل في الحرص والطمع .

ما قيل في الوعد والمطل .

ما قيل في العى والحصار .

ذكر ما قيل في الهجاء ومن يستحقه

١٠

قال الله تعالى : ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَأْوُونَ أَلمِ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ . فهذه رخصة لمن ظلم في الانتصار .

وقال حسان بن ثابت الأنصاري يرد على أبي سفيان بن الحارث :

١٠

ألا أبلغ أبا سفيان عني * مغفلة فقد برح الخلفاء
هجوت محمدا فاجبت عنه * وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء * فشركا لخيركا الفداء
لنا في كل يوم من معدن * سياب أو قتال أو هجاء

(٨٥)

(١) يقال رسالة مغفلة : أى محولة من بلد الى بلد .

لساني صارم لا عيب فيه * وبحري لا تكذره الدلاء

فات أبي والدي وعرضي * لمرض محمد متعكم وقاه

ويستحق المجاعة من أتصف بسوء الخصال، وأتسم باخلاق الأزدال والأثذال،
وجعل المؤمن جلبابه وشعاره، واليخل وطاه ودياره. وسأذ كرجاع ما أتصفوا به من
سوء الفعل، وأتسوا بنيانهم عليه من قبح الخلال .

قال بعض الحكماء : أربعة من علامات المؤمن : إفشاء السر، واعتقاد الغدر،
وغيبة الأحرار، وإساءة الجوار .

وسأل عبد الملك بن مروان المجاج بن يوسف عن خلقه، فتلكا عليه وأبي أن
يخبره، فأقسم عليه . فقال : حسود، كنود، حقود، فقال عبد الملك : ما في إبليس
شر من هذه الخلال ، فبلغ ذلك خالد بن صفوان فقال : لقد اتحل الشر بجزايره ،
ومرق من جميع خلال الخير، وتأنق في ذم نفسه، وتجوذ في الدلالة على لوم طبعه ،
وأفرط في إقامة الحجّة على كفره، وخرج من الخلال الموجبة رضا ربه .

قال أبو تمام :

تأنست بذي الفيل طلعتُه * تأنس المقلّة الرمداء بالظلم

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ^(١) " أربعة من كن فيه فهو منافق
من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا عاهد غدر واذا أؤتمن خان " .

وقالوا : اللئيم كذوب الوعد، خؤون العهد، قليل الرقد . وقالوا : اللئيم
اذا استغنى بطره، واذا أفقر قنطه ، واذا قال أحسن، واذا سئل يُجِل، وإن سأل

(١) ورد هذا الحديث في الجامع الصغير بصيغة مختلف عما هنا ونصها : " أربع من كن فيه كان منافقا

خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا حدث كذب واذا وعد أخلف
واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر " .

أخ، وإن أُسِديَ إليه صَنِيعَ أخفاه، وإن آسَكْتُمْ سرّاً أَفْشَاهُ؛ فَصَدِيقُهُ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ، وَصَدُوقُهُ مِنْهُ عَلَى غَرَرٍ .

وإنَّ لِلشَّعْرَاءِ وَالْبُلْفَاءِ فِي الدَّمِّ وَالْهَجَاءِ نَفْلاً وَتَرّاً سَنُورِدُ مِنْهُ طَرَفًا ، وَنُشْرِحُ مَا يَحْمِلُ ضَوْءَ النَّهَارِ عَلَى الْمَقُولِ فِيهِ سَدَفًا .

فمن ذلك ما قاله أحمد بن يوسف الكاتب في بنى سعيد بن مسلم بن قتيبة :
محاسنهم مساوى السَّفل ، ومساوئهم فضائح الأئم ، وألسنتهم معسودة بالي ،
وأيديهم معقولة بالبخل ، وأعراضهم أعراض الذم ، فهم كما قيل :
لا يَكْتُمُونَ وإن طالت حياتهم * ولا تَيْسِدُ محازبهم وإن بادوا
وذم أعرابي قوما فقال :

هم أقل الناس ذنوبا الى أعدائهم ، وأكثرهم تجرما على أصدقائهم ، يصومون
عن المعروف ، ويُفْطِرُونَ عَلَى الْفَحْشَاءِ .

وذم أعرابي قوما فقال : قوم سُلِخَتْ أَقْفَاؤُهُمْ بِالْهَجَاءِ ، وَدُبِغَتْ جُلُودُهُمْ
بِاللُّؤْمِ ، فَلَبَّاسُهُمْ فِي الدُّنْيَا الْمَلَامَةُ ، وَفِي الْآخِرَةِ النَّدَامَةُ .

وكان عيسى بن فرخان شاه يتبعه على أبي العيناء حال وزارته ، فلما صُيرِفَ عَنْ
الوزارة لقي أبا العيناء في بعض السكك فسلم عليه سلاما خفيفا ، فقال أبو العيناء
لغايكه : من هذا ؟ قال : أبو موسى ، فدنا منه حتّى أَخَذَ بَعْتَانِ بَنْتَهُ وَقَالَ : لقد
كنت أفنع بياضك دون بَنَاتِكَ ، وبلحظك دون لَفْظِكَ ؛ الحمد لله على ما آلت إليه
حالك ، فلئن كانت أخطأت فيك النعمة ، لقد أصابت فيك النِّقْمَةُ ؛ ولئن كانت

(١) الفرر : التعرض للهلكة . (٢) السدف : الخلة . (٣) في النسخة الراجية :
« تجرما » . (٤) في القيد الفريد (ج ٢ ص ١٠٩) : « دبغت وجوههم » .
(٥) كذا في الأصول . وفي القيد الفريد : « وزادهم في الآخرة ... الخ » .

الدنيا أبدت صفحاتها بالإقبال عليك، لقد أظهرت محاسنها بالإدبار عنك؛ والله المنة إذ أغنانا عن الكذب عليك، ونزهنا عن قول الزور فيك؛ فقد واثقه أسأت حمل النعمة، وما شكرت حق المنعم؛ ثم أطلق يده من عثائه، ورجع الى مكانه. فقيل له: يا أبا عبد الله! لقد بالغت في السب، فما كان الذنب؟ قال: سألته في حاجة أقل من قيمته، فزدني عنها بأقبح من خلقته.

قال بعض الأعراب: تزلت بذلك الوأدى، فإذا ثياب أحرار على أجسام عبيد، إقبال حظهم إدبار حظ الكرام. ألم بهذا المعنى شاعر فقال:

أرى حُللاً تُصَانُ على رجال * وأعراضاً تُدَالُ ولا تُصَانُ
يقولون الزمانُ به فسادٌ * وهم فسدوا وما قَسَدَ الزمانُ

وسئل بعضُ البلغاء عن رجل فقال: هو صغير القدر، صغير الشبر، ضيق الصدر، ثيم النجر، عظيم الكبر، كثير الفخر.

وذم أعرابي رجل فقال: هو عبد البدن، حر الثياب، عظيم الزواق، صغير الأخلاق، الدهر يرفسه، ونفسه تَصْمُهُ.

وقال آخر: فلان غث في دينه، قدير في دنياه، رث في مروءته، سمج في هيئته، منقطع الى نفسه، راض عن عقله، بخيل بما أنعم الله عليه، كتم لما آتاه الله من فضله، حلاف بلجج، إن سأل ألحف، وإن وعد أخلف؛ لا يَنْصِفُ الأصاغر، ولا يعرف حق الأكابر.

(١) في المقد الفريد (ج ٢ ص ١١٠) «قال أعرابي دخلت البصرة... الخ».

(٢) النجر: الأصل.

(٣) في المقد الفريد: «عبد الفعال حر المقال عظيم الزواق ذفر الأخلاق... الخ».

- وترجم الفتح بن عبد الله القنسى صاحب قلائد البقيان في كتابه عن أبي بكر بن
 ماجه المعروف بأبن الصائغ فقال : هو رمد جفن الدين ، وكند نفوس المهتدين ؛
 أشهر سحفا وجنونا ، وهجر مفروضا ومستونا ؛ لما يتشرع ، ولا يأخذ في غير الأضاليل
 ولا يشرع ، ناهيك به من رجل مات ظهر من جنابة ، ولا أظهر تحيلة إنايه ؛ ولا استنحي
 من حدث ، ولا أنحى فؤاده مؤاري في جدث ؛ ولا أقر ياربه ومصوره ، ولا فرعن
 تباريه في ميدان تهوره ؛ الإسماء إليه أجدى من الإحسان ، والبهيمة أهدى عنه
 من الإنسان ؛ نظري تلك التعاليم ، وفكر في أبحار الأفلاك وحلود الأقاليم ، ورفض
 كتاب الله الحكيم العليم ؛ ونبذه وراء ظهره ثاني عطفه ، وأراد إبطال مالا يأتيه
 الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؛ واقتصر على الهيئة ، وأنكر أن يكون له عند الله
 تبارك وتعالى فينة ؛ وحكم للكواكب بالتدبير ، وأجترم على الله اللطيف الخبير ؛
 واجترا عند سماع النهى والإبعاد ، واستهزا بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ
 الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ ؛ فهو يستفد أن الزمان دور ، وأن الإنسان نبات له نور
 حياه تسمه ، واختلافه فطامه ؛ قد عي الإيمان من قلبه لما له فيه رسم ، ونسي
 الرحمن لسانه لما يتره عليه اسم ؛ وأتمت نفسه للضلال وأنتبت ، وقت يوما
 تجزى فيه كل نفس بما كسبت ؛ فقصر عمره على طرب وهو ، واستشعر كل كبر
 وزهو ؛ وهو يكتف على سماع التلاحين ، ويقف عليها كل حين ؛ يطن بذلك
 الاعتقاد ، ولا يؤمن بشيء قادنا الى الله في أسلس مقاد ؛ مع منشا وخيم ، ولؤيم أصل
 وخيم ؛ وصورة شوها الله وقبحها ، وطلمة لو رآها كلب لنبحها ؛ وقذارة يوفي
- (١) كذا في قلائد البقيان للفتح بن حاقان طبع بولاق (ص ٣٠٠) وفي الأصول : « ولا أجي... الخ »
 بالسين المهملة . (٢) في قلائد البقيان : « واعتصاه اعتصاه » .
 (٣) الخيم : السجبة .
 (٤) يوفي : يكرهها الربا . وفي قلائد البقيان : « يوفى البلاد... الخ » .

البلاد نَقَمَهَا، ووضارَةً يَحْكِي الحَدَادُ دَنَسَهَا، وَقَتْدَ لَا يَمُرُّ إِلَّا كَنَفَهُ، وَلَدِي لَا يُقَوِّمُ
إِلَّا الصَّفَادُ جَنَفَهُ ^(٢).

وكتب أحمد بن يوسف : أما بعد، فإني لا أعرف للمعروف طريقاً أوصى من
طريقه إليك؛ لأنه يحصل منك بين حسب دنيء، ولسان بذيء، وجهل قد ملك
عليك طباعك، فالمعروف لديك ضائع، والشكر عندك مهجور، وإنما غايتك في المعروف
أن تُحْرِزَهُ، وفي وَلِيَّهِ أَنْ تَكْفُرَهُ ^(٣).



ومما قيل في الهجاء من النظم

من ذلك قول جرير وهو أعمى بيت قائله العرب :

فَقُصَّ الطَّرْفُ إِنَّكَ مِنْ مُبْمِرٍ * فَلَا تَقْبَسْ بِلَفْتٍ وَلَا كَلَابَا
وَلَوْ وَضَعْتَ فِقَاحُ بَنَى مُنْمِرٍ * عَلَى خَبَثِ الحَدِيدِ إِذَا لَدَابَا

وقال عبد الملك بن مروان يوماً لجلسائه : هل تعاملون أهل بيت قيل فيهم
شعراً ودوا أنهم أفتنوا منه بأموالهم، وشعر لم يسرهم به حُرُّ النعم؟ فقال أسماء بن
خارجة : نحن يا أمير المؤمنين؛ قال : وما قيل فيكم؟ قال : قول الحارث بن ظالم :

وما قومي بشعلبة بن سعد * ولا بفزارة الشُّعَيْرِ الرُّقَابَا ^(٤)

فوالله يا أمير المؤمنين ! إني لَأَلْبَسُ الْعِمَامَةَ الصَّفِيْقَةَ فَيُخَيَّلُ إِلَى أَنْ شَعْرَ قَفَايَ قَدْ
بَدَا مِنْهَا، وقول قيس بن الخطيم :

هَمَمْنَا بِالْإِقَامَةِ يَوْمَ سَرْنَا * مَسِيرَ حَذِيْقَةِ الْخَيْرِ بْنِ بَدْرِ

(١) الحداد : ثياب سود تلبس في المآتم . (٢) الجف : الميل . (٣) في الأصول :
«بحزوره» وفي النقد التريد (ج ٢ ص ٢٤٠) : «بحفره» وكلامها محرف عما أشتبه وقد رويت هذه الحكاية
في الأمال ج ٢ ص ١٩٢ طبع دار الكتب بعض مخالفة عما هنا وضبت إلى محمد بن مكرم كتب بها
إلى أبي العباس . (٤) الشعر الرقاب : يريد الشعر رقاباً، فلما أدخل الألف واللام نصب على
التشبيه بالضارب الرجل (راجع شرح الحماسة للبيروني طبع مدينة بن ص ٢٧٣) .

فأيسرنا أن لنا بها أو به حمر النعم . فقال هاني بن قبيصة النعمري : أولئك نحن يا أمير المؤمنين ، قال : ما قيل فيكم ؟ قال قول جرير :

• فَنُصَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ •

والله لو ددنا أننا أفنديناه بأملاكنا ، وقول زياد الأعجم :

لعمرك ما يماح بني نُمَيْرٍ • بطائشة الصدور ولا قصار

فوالله ما يسرنا به حمر النعم .

قال العسكري : وَذِكْرُ أَنْ جَرِيرًا لَمَّا قَالَ :

وَالْتَلَيْتُ إِذَا تَخَنَعَ لِلْقَرَى • حَكَ أَسْتَهُ وَتَمَثَّلَ الْأَمْتَالَا

قال : قلت فيهم بيتا لو طعن أحدكم في أسنانه لم يحكمها . وقالوا : مرت امرأة

بني نُمَيْرٍ فضاخروا إليها ، فقالت : يا بني نُمَيْرٍ ، لم تعملوا بقول الله ولا يقول الشاعر ،

يقول الله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَفْقَهُوا مِنْ آبَائِهِمْ ﴾ ويقول الشاعر :

• فَنُصَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ •

نفعلوا . وكان النُمَيْرِيُّ إِذَا قِيلَ لَهُ : ممن أنت ؟ قال : من نُمَيْرٍ ، فصار يقول :

من بني عامر بن صعصعة .

قال العسكري : ولو قيل إن أُمَيٍّ بنت قائلته العرب قول الفرزدق لم يبعد ، وهو :

وَلَوْ تَرَى يُؤْثِمُ بَنِي كُليبٍ • تُجُومُ اللَّيْلُ مَا وَصَحَتْ لِسَارِي

وَلَوْ تَرَى بُلُومُهُمْ نَهَارٍ • لَدَسَ لَوْمُهُمْ وَصَحَّ النَّهَارُ

وَمَا يَفْدُو عَزِيزُ بَنِي كُليبٍ • لِيَطْلُبَ حَاجَةً إِلَّا يَجَارُ

(١) هكذا في الأصول وديوان الحادي لابي هلال العسكري . وفي الفاض طبع لدين ص ٢٢٣ :

«ولو ليس النهار بنو كليب»

ومثله قول الآخر :

وَلَوْ أَنَّ عَبْدَ الْقَيْسِ رَئَى بِلُؤْمَهَا * عَلَى اللَّيْلِ لَمْ تَبْدُ النُّجُومُ لَمْ يَسِرْ

وقالوا : أهجى بيت قالته العرب قول الأعشى :

يَتَيَتُونَ فِي الْمَشَقِّ مِلَاءً بَطُونَكُمْ * وَجَارَاتُكُمْ غَرَّتْ يَتَيْنِ تَحَاتُّصَا

- وهذا البيت من أبيات، ولها سبب نذكره الآن في هذا الموضع وإن كان خارجا عن مكانه، وذلك : أن عامر بن الطفيل بن مالك وعلقمة بن علاثة تنازعا الزمامة، فقال عامر : أنا أفضل منك، وهى لمتى ولم يمت، وعمه عامر بن مالك بن جعفر ابن كلاب وكان قد أهرق وسقط، وقال علقمة : أنا أفضل منك، أنا عفيف وأنت عامر، وأنا وفي وأنت غادر، وأنا ولود وأنت عاقر، وأنا أدنى الى ربيعة، فتداعيا الى هريم بن قُعْبَةَ ليحكم بينهما، فرحلا اليه ومع كل واحد منهما ثلثائة من الإبل : مائة يطعمها من تبعه، ومائة يُطْعِمُهَا لَهَا كَمْ، ومائة تُعْقَرُ إِذَا حَكَمَ، فأبى هريم بن قُعْبَةَ أن يحكم بينهما خوفاً للشر، وأبى أن يرتحلا، فخلا هريم بملقمة وقال له : أترجو أن ينفرك رجل من العرب على عامر فارس مُضَر، أندى الناس كفاً، وأشبههم لقاءً! لَيْسَانُ رَحِ عَامِرُ أَذْكَرُ فِي الْعَرَبِ مِنَ الْأَحْوَصِ، وعمه مُلَاعِبُ الْأَيْسَةِ، وأمه كُبَشَةُ بِنْتُ حُرُوفَةِ الرِّحَالِ، وَجَدَّتْهُ أُمُّ الْبَيْتِ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَامِرِ فَارِسِ الضُّحْيَاءِ، وأُمُّكَ مِنَ النَّخَعِ، وكانت أُمُّ مَهْيَرَةَ، وأمُّ علاثة أخيدة من النَّخَعِ، ثم خلا بعامر فقال له : أعلی علقمة تَهْجُرُ! أنت تتساوئه! أعلی ابن عوف بن الأحوص أعف بن عامر وأمنهم نقيبة، وأحلمهم وأسودهم، وأنت أعور عاقر مشوم! أما كان لك رأى يَزَعُكَ

(١) هكذا في الأغاني وديوان المهدي والقاموس والمعارف لابن قتيبة . وفي الأصول : « هريم بن

قطنة » بالنون وهو بحر يرف .

(٢) قرطبه : قضى له بالنقبة عليه .

عن هذا ! أَكُنْتَ تظنُّ أن أحدا من العرب يُنْفِرُك عليه ! فلما اجتمعوا وحضر الناس للقضاء قال : أتيا كركيتي الجمل قراجما راضيين .

قال المسكوي : والمصحيح أنه توارى عنهما ولم يقل شيئا فيهما، ولو قال : أتيا كركيتي الجمل لقال كل واحد منهما : أنا البئسي، فكان الشرُّ حاضرا — قال : وسأله عمر ابن الخطاب رضى الله عنه بعد ذلك بمicin : لمن كنتَ حاكما لو حكمت ؟ فقال : أعفني يا أمير المؤمنين ! فلو قلتها لمادت جَذَمَةٌ . فقال عمر : صدقت ! مثلكَ قَلِيلٌ حَكَمٌ — قال : فارتحلوا عن هريم لما أعياهم نحو عكاظ، فلقبهم الأعشى متحذرا من اليمن — وكان لما أرادها قال لعلقمة : أعقد لي حبلًا، فقال : أعقد لك من بنى عامر ؟ قال : لا يضيئ عني، قال : فمن قيس ؟ قال : لا، قال : فما أنا بزانك، فأقى عامر بن الطفيل فأجار من أهل السماء والأرض، فقبيل له : كيف تهيجه من أهل السماء ؟ قال : إن مات ودَيْتُهُ — فقال الأعشى ل عامر : أظهِرْ أنكَ حَكَمٌ بِي ففعل — فقام الأعشى فرفع عَقِيرَتَهُ (أى صوته) في الناس فقال :

حَكَمُوه قَقْضَى بَيْنَكُمْ * أبلغ مثل القَمَرِ الزاهِرِ
لا يأخذ الرُّشوة في حُكْمِهِ * ولا يبالى خُسْرَ الخَاسِرِ
عَلِمَ ما أَنْتَ إلى عامرِ السَّناقُضِ الأوتارِ^(١) والوَاتِرِ
واللَّيْسِ الخليلِ بَخِيلِ إذا * نَارَ عَجَاجِ الكِبَايَةِ^(٢) النَّائِرِ
إِنْ تَسِيدُ^(٣) الخوصَ فلم تَعُدْهُمْ * وعَامِرٌ سَادَ بَنِي عَامِرِ
سَادَ وَأَتَى رَهْطَهُ سَادَةً * وكأبرأ سادوك عن كَابِرِ

- (١) كذا في الأغاني طبع بولاق (ج ١٥ ص ٥٢) وفي الأصول : « لست ... الخ » .
(٢) كذا في الأصول . وفي الأغاني وديوان المعاني : « النقص » بالصاد المهملة .
(٣) في ديوان المعاني : « واللاس الخليل ... الخ » .
(٤) الكبة : الجملة في الحرب، يقال كانت لهم كبة في الحرب أى صرعة .

قال : وشدّ القوم في أعراض الإبل المائة فقروها وقالوا : ففر عامر، وذهبت بها الفؤاء، وجهده علقمة أن يردها فلم يقدر على ذلك، فجعل يتهدّد الأعشى، فقال :

أتاني وعيد الحوص من آل عامر * فيا عبد عمرو لو نهيت الأحوصا
فأذنبنا إن جاش بحر آبن عمك * وبحرك ساچ لا يوارى الدعامصا^(١)
كلا أبويكم كانت قرع دعامية^(٢) * ولكنهم زادوا وأصبحت ناقصا
تيتون في المشتى ملاء بطونكم * وجاراتكم غرقى يتنن تبامصا
يراقبن من جوع خلل مخافة * نجوم العشاء العائمات القوامصا
رمى بك في أنهرهم تركك النسي^(٣) * وفضل أقواما عليك مراهمصا
فعض حديد الأرض إن كنت ساخطا * بفيك وأحجار الكلاب الزوامصا

قال فبكي علقمة لما بلغه هذا الشعر، وكان بكائه زيادة عليه في العار، والمرب ١٠
تسير بالبكاء، قال مهلهل^(٤) :

يبيّ علينا ولا نبكي على أحد * لنحن أنظف أجسادا من الإبل

وقال جرير :

بكي دؤبل لا يرقى الله تمعه * ألا إنما يبكي من الدل دؤبل

قال عبد الملك بن مروان لأمية^(٥) : مالك وللشاعر^(٦) إذ يقول :

إذا هتف المصفور طار فزأده * وليت حديد الناب عند التراث

(١) الدامص : جمع دمحوص وهي دوية صغيرة في مستنقع الماء، وقيل نفوس فيه .

(٢) كذا في شعراء الصراية . وفي الأصول : « كان فرحا ... الخ » .

(٣) في اللسان مادة « رمص » : « ... العلا » . وفضل أقوام ... الخ » . والمرامص : الدرج

٢٠ (٤) كذا في الأصول، وفي حيون الأخبار (مجلد ثان ص ١٩٢) : أن هذا البيت من قول الهبل .

(٥) في الأمالي طبع دار الكتب المصرية (ج ٢ ص ١٥٧) : أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد .

(٦) هو حمران بن عمرو كما في الأمالي . وقد ورد فيه هذا الخبر كما هنا مع اختلاف في بعض الكلمات .

قَالَ : أَصَابَهُ حَدٌّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ فَأَلَمَتْهُ عَلَيْهِ ؛ قَالَ : فَهَلَّا دَرَأَتْهُ عَنْهُ بِالشُّبُهَاتِ ؟
قَالَ : كَانَ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْطِلَ حَدًّا مِنْ حُدُودِ اللَّهِ ؛ فَقَالَ : يَا بَنِي أُمِيَّة ! أَحْسَابُكُمْ
أَحْسَابُكُمْ ، أَنْسَابُكُمْ أَنْسَابُكُمْ ، لَا تَرْضَوْا [هَا] لِلْفَصْحَاءِ ، فَإِنَّ لِلشَّعْرِ مَوَاسِمَ لَا يَزِيدُهَا اللَّيْلُ
وَالنَّهَارُ إِلَّا جِدَّةً ، وَاللَّهُ مَا يَسْرِى أَىْ هُجِيتَ بَيْتَ الْأَعْشَى حَيْثُ يَقُولُ : تَيْتُونِ
فِي الْمَشْقَى الْخَلْ وَلَى الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا نَجَّحَ مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا كَانَ قَدْ أَخَذَ
عِوَضًا لِقَوْلِ ابْنِ حُرَّانَ :

عَلْ مَكْتَرِبِهِمْ حَقٌّ مِنْ يَمْتَرِبِهِمْ ^(١١) * وَعِنْدَ الْمُقْلِينَ السَّاحَةُ وَالْبُذْلُ

وَهَذَا الْبَيْتُ لَزَهْرٍ .

وَقَالُوا : أَهْمَى بَيْتَ قَاتِلِهِ الْعَرَبِ قَوْلُ الْحَطِيطَةِ فِي الزَّبْرِقَانِ بْنِ بَدْرٍ :

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا * وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

وَلِهَذَا الشَّعْرُ حِكَايَةٌ تَذَكُّرُهَا فِي أَخْبَارِ الْحَطِيطَةِ فِي الْبَهْلَاءِ . وَقِيلَ : أَنْفَقَ جَمَاعَةٌ

مِنَ الشَّعْرَاءِ عَلَى أَنَّ أَهْمَى بَيْتَ قَاتِلِهِ الْعَرَبِ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ فِي جَرِيرٍ :

أَنْتُمْ قَرَارَةٌ كُلِّ مَعْدِنٍ مَوْنَةٌ ^(١٢) * وَلِكُلِّ سَائِلَةٍ تَسِيلُ قَرَارُ

أَخْذَهُ أَبُو تَمَامٍ فَقَالَ :

وَكَانَتْ زَفْرَةٌ تَمِمْ أَطْمَانَتِ ^(١٣) * كَذَاكَ لِكُلِّ سَائِلَةٍ قَرَارُ

وَقَالُوا : أَهْمَى بَيْتَ قَاتِلِهِ الْعَرَبِ قَوْلُ الْأَخْطَلِ لِحَرِيرٍ :

مَا زَالَ فِينَا رِبَاطُ أَنْخِيلٍ مَعْلَمَةٍ * وَفِي كَلِيبٍ رِبَاطُ الْوُجُومِ وَالْعَارِ

قَوْمٌ إِذَا اسْتَبْجَحَ الْأَضْيَافُ كَلْبَهُمْ * قَالُوا لِأَمِهِمْ بُولَى عَلَى النَّارِ

(١) فِي الْأَعْيَانِ طَبِيعُ بُولَانٍ (ج ٩ ص ١٥٤) فِي تَرْجُمَةِ زَهْرٍ إِلَى الْأَسَالِ : (... رَزَقَ ... الْخِ » .

(٢) رَوَايَةٌ قَاتِلِ جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ ص ٨٧٠ قَصِيدَةٌ وَفِي ٩٣ : « .. كُلِّ مَدْفَعٍ ... » وَلِكُلِّ
دَافِعَةٍ تَسِيلُ الْخِ » .

(٣) فِي دِيَرَانَ أَبِي تَمَامٍ طَبِيعُ مِصْرَ ص ٧٠ : « وَكَانَتْ لَوْحَةً ... الْخِ » .

قالت بنو تميم : ما هُيئنا بشيء هو أشد علينا من هذا البيت ، وهو يتضمن
وجوها شتى من اللِّم : جعلهم بخلاء بالقرى ، وجعل أمهم خادمهم ، يأمرونها
بكشف قُرْحها ، وجعلهم يخلون بالماء أن يطفئوا به النار ، وجعل نازهم من قاتِها
تطفأ ببولة ، وأغرى بينهم وبين المحوس ، لتعظيم المحوس النار ، وإهاتهم لها إلى
غير ذلك .

وقالوا : أهى بيت قاتله العرب قول الطِّرِتاح :
تميمٌ يطرُق اللؤم أهدى من القَطَا * ولو سلكتُ طُرُق المكارم ضَلَّيتُ

وقيل : أهى بيت قاتله العرب قول الأعرابي :

اللؤمُ أكرمُ من وَبَرٍ والديه * واللؤمُ أكرمُ من وَبَرٍ وما وَلَدَا
قوم إذا ما جَنَى جانبيهم أَمِنُوا * من لؤم أحاسيهم أن يُقتلوا قَوْدَا

وقال مسلم بن الوليد يهجو دُعَيْلًا الخِزَاعِيَّ :

أما الهَجَاءُ فَنَدَى عِرْضُكَ دُونَهُ * والمَدْحُ عَنْكَ كَمَا عَلِمْتَ جَلِيلُ
فَاذْهَبْ فَإِنَّ طَلِيقَ عِرْضِكَ إِنَّهُ * عِرْضُ عِزَّتِكَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ

وكان سبب ذلك أنه كان بخراسان عند الفضل بن سهل ، فبلغ دُعَيْلًا ما هو فيه من
الحُظُوفَةِ عنده ، فصار إلى مَرَوْ ، وكتب إلى الفضل بن سهل :

لَا تَعْبَأَنَّ بِأَبْنِ الْوَلِيدِ فَإِنَّهُ * يَرْمِيكَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ يَمَلَالِ
إِنَّ الْمَلُولَ إِذَا تَقَادَمَ عَهْدُهُ * كَانَتْ مَوَدَّتُهُ كَفَى ظِلَالِ

فدفع الفضل الرُّقعة إلى مسلم ، فلما قرأها قال : هل عرفت لقب دُعَيْل وهو
غلام أمرد يُفَسِّقُ به ؟ فقال : لا ، قال : كان يُلقَّبُ بِمَيَّاس ، وكتب إليه :

مَيَّاسُ قُلُوبِ أَيْنَ أَنْتَ مِنَ الْوَرَى * لَا أَنْتَ مَعْلُومٌ وَلَا مَجْهُولُ

أما المهاجاء الخ . ومنه أخذ إبراهيم بن العباس فقال :

فكن كيف شئت وقُلْ ما تشاء * وأبرق يمينا وأرصد شمالا
نجا بك لؤمك منجى الذباب * حته مقاذيره أن ينال

وأشد الملاحظ :

ووقفت أنك لا تلم * ب حماك لؤمك أن تسب^(١)

وقال آخر :

بذلة والديك كبيت عزا * وباللوم أجترأت على الجواب

وقال آخر :

دئمة عريضك حصن منيع * يقبك إذا ساء منك الصنيع
فقل لسدوك ما تشتهى * فانت المنيع الرفيع الوضيع

وقال أبو نواس :

ما كان لولم أهجه غالب * قام له هجوى مقام الشرف
يقول قد أسرف في هجونا * وإنما ساد بذاك السرف
غالب لا تسع لثني العلا * بلغت مجدا بهجاني فقف
قد كنت مجهولا ولكنى * توهمت بالمجهول حتى عرف

وقال أبو حلال العسكري :

أهنت هجاني يابن عروة فأتحتى * على ملام الناس في البعد والقرب
وقالوا أتهجو مثله في سقوطه * فقلت لم جربت^(٢) سيني في كاب

(١) كذا في ديوان الحافظ وفي الأصول : « أن تنالا » .

(٢) في هامش ديوان الحافظ : « جردت سيني على الخ » .

وقال آبن لَنَكَّك :

وَعَصِيَّةٌ لَّمَّا تَوَسَّطْتُهُمْ • صَارَتْ عَلَى الْأَرْضِ كَانْطَامٍ
كَانَهُمْ مِنْ سَوَاءِ أَفْهَامِهِمْ • لَمْ يَخْرُجُوا بَعْدُ إِلَى الْعَالَمِ
يَضْحَكُ إِبْلِيسُ سُرُورًا بِهِمْ • لِأَنَّهُمْ عَارُ عَلَى آدَمِ

وقالوا : أهى بيت قاله محدث قول الآخر :

قَبِضَتْ مَنَاطِرُهُمْ لَحِينَ خَبَرْتُهُمْ • حَسُنَتْ مَنَاطِرُهُمْ لَقَبِجِ الْقَبْرِ

وقال المسكوى : ولست أعرف فى المعجاء أبلغ من قول الأول :

إِنْ يَفْجُرُوا أَوْ يَفْدُرُوا • أَوْ يَفْضُلُوا لَمْ يَحْفِلُوا
وَفَدُّوا عَلَيْكَ مَرَحًا • بَيْنَ كَانَهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا

ومن أبلغ قول حسان :

أَبْنَاءُ حَارِظٍ تَلَقَى لَمْ شَيْئًا • إِلَّا الْتَبَسَ عَلَى أَكْفَانِهَا الشَّعْرُ^(١)
إِنْ نَافَرُوا نُفِرُوا أَوْ كَانُوا كَثُرُوا • أَوْ قَامَرُوا الزَّيْجَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ قُفِرُوا^(٢)
كَأَنَّ رِيحَهُمْ فِي النَّاسِ إِنْ خَرَجُوا • رِيحُ الْكَلَابِ إِذَا مَا مَسَّهَا الْمَطَرُ

(١) كذا فى الأصول وديوان الحافى . وفى نسخة الدهر (ج ٢ ص ١٢٦) : « إِذَا زَادَهُمُ الْخ »

(٢) كذا فى الراغية وأحد الأصولين القوتوغرافيين . وفى الأصل الآخر وديوان الحافى
« مرجلين » بالجمجمة .

(٣) فى ديوان حسان طبع ليدن ص ٨١ : « حَام » .

(٤) فى النسخة الراغية وأحد الأصولين وديوان الحافى : « عَلَى أَكْفَانِهَا » .

(٥) رواية الديوان :

٢٠ . ان سَابَقُوا سَبَقُوا أَوْ نَافَرُوا قُفِرُوا • أَوْ كَانُوا أَحَدًا مِنْ غَيْرِهِمْ كَثُرُوا
شَبَّهَ الْإِمَاءَ قَلَادِينَ وَلَا حَسْبَ • لَوْ قَامَرُوا الزَّيْجَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ قُفِرُوا

وقال أيضا :

أبوك أبوسوءٍ وخالك مثله * ولست بخير من أبيك وخالك
وان أحق الناس ألا تلومه * على اللوم من ألقى أباه كذلكا

وقال آخر :

سئل الله ذا المن من فضله * ولا تسألن أباء وإبنة
فما سأل الله عبدا له * تغاب ولو كان من بابه

وقال آخر :

ولو قيل للكلب يا باهلي * لأقول من قُبِح هذا النسب

وقال زياد : ما هُيئت بيت قط أشدَّ عليَّ من قول الشاعر :

فكُفِّرني ذاك إن فكرت معتبرا * هل نلت مكربةً إلا بتأخير
عاشت شميةً ما عاشت وما علمت * أن أهنأ من قريش في الجماهير

وقال إبراهيم بن العباس ^(١) :

ولما رأيتك لا فاسقا ^(٢) * تُهابُ ولا أنت بالزاهد
وليس عدوك بالمتقي ^(٣) * وليس صديقك بالحامد
أمنت بك السوق سوق الهوان ^(٤) * فتأديت هل فيك من زائد
على وجل غادر بالصديق * ككفور لنعمائه جاحد
فما جاءني رجل واحد * يزيد على درهم واحد

(١) ذكرت هذه الأبيات في العقد الفريد (ج ٢ ص ١١٠) منسوبة لأعرابي ويختلف في بعض الألفاظ عما هنا .

(٢) في العقد الفريد : « ... لا طيرا * قويا ... الخ » .

(٣) رواية العقد الفريد : « ولا أنت بالرجل المتق » . ولا أنت بالرجل العابد

(٤) كذا في الأصول . وفي العقد الفريد وديوان المعاني : « ... سوق الرقيق ... الخ » .

سوى رجلٍ حان منه الشقاء • وحلت به دسوة الوالد
فبعثك منه بلا شاهد • مخافة ردك بالشاهد
وأبث إلى منزلي سالماً • وحلّ البلاء على الناقد
وقال العسكري :

إن كان شكك غير متيقٍ • فكذا خلاك غير مؤلف
صورت من ظفٍ قد اختلفت • فانت خلاك وهي مختلفة
من عصبية شتى إذا اجتمعوا • شئت داركم بهم عرقه
فورثت من ذا قبح منظره • وورثت ذاك خناه أو صلفه
وقال الحسن بن مطران شاعر اليتيمة :

كم غصت في مدحك فكرا على • درّ قيس غير منقوب
ولم يفض رأيك يوما على • يرى ولا رأى لمكذوب
إن كان موعودك في الجودلى • أكذب من موعود عرقوب
فانت أخبارك في منحنى • أكذب من ذنب ابن يعقوب

وقال أحمد بن محمد بن حامد شاعر الحريرة :

بليت بقوم ما لم في الملايد • ولا قدم تسعى لبذل الصنائع
إذا نظرت عني اليهم تتجسست • برؤيتهم طهرتها بالمدايع

وقال المتنبّي :

إن أوحشتك المعالي • فإنها دار غريبة
أو أنسك المخازي • فإنها بك أشبه

(١) رواية العقد الفريد : ... زادني داقا • ولم أك في ذلك بالجاهل

(٢) في ديوان المتنبّي ص ٤٣٣ طبع مصر : • فإنها لك شبه

وقال أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحاجج :^(١)

ولقد عهدتكَ قسّمتي • قربي وتستدعي حضورى
وأرى الجفأ بعد الوفا • مثل الفأ بعد البخور
يا نربة العدس المصح • بيع الثور والخبز القطير
في جوف منحلّ الطيب • عة والقوى شيخ كبير
يخرأ فيخرجُ سُرْمه • شبرين من وجع الزحير
يا فسوة بعد العشا • بالبيض واللبن الكثير
ونطائر مُجَنّت بلا ال • حِلج الحريش ولا الخبير
يا تَن راية الطيب • يخ إذا تغير في القدور
يا عَش بيض الفحل فرخ في السوالف والشعور
يا بول صبايا الفطا • يم ويا نراهم في المجرور
يا بفض تدخين الجشا • في الصوم من ثمّ السحور
يا حرّقولنج البطور • ين وبرد أعصاب الظهور
يا ذلة المفلوم أصد • بيع وهو معدوم النصير
يا سوة عاقبة التمسّد عند تمشية الأمور
يا ضكل شئ مُنمب • متعقّد صعب عسير
يا حيرة الشيخ الأصمّ وحمرة الحديث الضرير
يا قعدة في دجلة • والريح تلعّب بالجسور

(١) في يتيمة الدهر (٢ ص ٢١١) : « الحسن » .

(٢) كذا في يتيمة الدهر (ج ٢ ص ٢١٦) . وفي الأصول : يا بعض تدخين المشا » .

(٣) كذا في يتيمة الدهر وفي الأصول : « ... الضقة منه تشبه الخ » .

- يا فرحة السِّل التي • هتت شراييف الصدور
يا أرساء لا تدو • ربه عَاقَاتُ الشهور^(١)
يا هتة الحيطان تُ • تَقْضُ بالمَاوِل والمُرور
يا قرحة في ناظر • غلطوا عليها بالدُّور^(٢)
• قسَلَتْ مع ما يلد • بها في الجفون من البُور
يا خيبة الأمل الذي • أَمْسَى يعلل بالنور
يا غلصة المتخذرا • ت وراء أبواب القصور
يا وحشة الموقى إذا • صاروا إلى ظلم القبور
يا خجرة المحموم بال • خدوات من ماء الشعير
١٠ يا شؤم إقبال الشتا • ة أضر بالشيخ الفقير
يا دولة الحزن التي • خَسَفَتْ بأيام السُّرور^(٣)
يا ضجة المصباح المصدع^(٤) بالتنازع والشُّور
يا عترة القلم المرشش بين أنشاء السطور
يا ليلة العريان غب عشيّة اليوم المطير
١٥ يا نومة في شمس آ • ب على التراب بلا حصير
يا لقاة المعكروه في ال • يوم العبوس القمطير
يا نهشة الكلب الرضي • ح ونكهة الليث المصور^(٥)

(١) كذا في يتيمة الدهر • وفي الأصول : « عاقات » وهو تحريف •

(٢) الدور : ما يذرف العين وعلى الجرح من الأدوية •

(٣) كذا في يتيمة الدهر • وفي الأصول : « يا دولة الحسن » •

٢٠

(٤) كذا في يتيمة • وفي الأصول : « ... الضجر المص » • تع بالتنازع ... الخ •

(٥) كذا في يتيمة • وفي الأصلين : « باحة » • وفي النسخة الراجية : « يا نهمة » •

يا عَيْشَ عَيْنٍ مَوْثِقٍ • فِي الْقَيْدِ مَقْلُوبٍ أَسِيرٍ
 يَا حِدَّةَ الرَّمْدِ الَّذِي • لَا يَسْتَفِيقُ مِنَ الْقَطُورِ
 يَا حَيْثَةَ الْكَتَّاسِ مِنْ • شَمِّ الذَّرَائِرِ وَالْعَبِيرِ^(١)
 يَا حَيْرَةَ الْمُطْشَانِ وَقَ • سَتِ الظُّهْرِ فِي وَسْطِ الْمَجِيرِ
 مَنْ لِي بِأَنْ تُلْقَاكَ خَيْرَ • كُلِّ بَنَى كَلَابِ بِلَا خَفِيرِ^(٢)
 وَأَرَى بِعَيْنِي لَحْمَكَ الشَّمْطُوبِخَ فِي نَارِ السَّعِيرِ
 فِي الْأَرْضِ مَا بَيْنَ السَّبَا • عِ وَفِي السَّمَاءِ بَيْنَ النُّسُورِ

وقال المتنبي :

يَمْشِي بِأَرْبَعَةٍ عَلَى أَعْقَابِهِ • تَحْتَ الْمُلُوجِ وَمِنْ وَرَائِهِ يُلْجَمُ
 وَجُفُونُهُ مَا تَسْتَفْتِزُ كَأَنَّمَا • مَطْرُوفَةٌ أَوْفَتْ فِيهَا حَصْرُكُمْ
 وَتَرَاهُ أَصْفَرَ مَا تَرَاهُ نَاطِقًا • وَيَكُونُ أَكْذَبَ مَا يَكُونُ وَيُفْسِمُ
 وَإِذَا أَشَارَ مَكْتُمًا فَكَأَنَّهُ • قِرْدٌ يُقَهِّقُهُ أَوْ عَجُوزٌ تَلِيطُمُ^(٣)
 يَخْلِي مُفَارِقَةً الْإِكْفَ قَدْ آلَهُ • حَتَّى يَكَادَ عَلَى يَدِهِ يَتَعَمَّمُ



وَمَا يَذَمُّ بِهِ الرَّجُلُ أَنْ يَكُونَ ثَقِيلًا . فَأُلْبِغْ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ قَوْلَ بَعْضِهِمْ :

وَتَهْيِيلِ أَشَدَّ مِنْ غُصَصِ الْمَوْتِ • تِ وَمِنْ زَفَرَةِ الْمَذَابِ الْأَلِيمِ
 لَوْ عَصَمْتَ رَبِّهَا الْجَحِيمُ لَمَا كَانَتْ • نَبْ سِرَافَةِ عَقُوبَةِ الْجَحِيمِ

(١) كذا في البتية . وفي الأصول : « في وسط المجير » .

(٢) كذا في البتية . وفي الأصول : « في حر المجير » .

(٣) كذا في ديوان المتنبي والنسخة الراجية . وفي الأصلين : « يلق » وهو تحريف .

وأبلغ ما قيل في هذا المعنى قول بشار :
ولقد قلت حينَ وتَد في الأر • ض ثقيلٌ أرْبَى على ثَهلانٍ
كيف لم تحمِل الأمانةَ أرض • سَملت فوقها أبا سَفيانٍ



ومما هجى به أهل الوقت على الإطلاق ! فمن ذلك قول أبي حلال
السكري :

١٠
حكم حاجةَ أترثها • بكرم قومٍ أو لثيمٍ
فإذا الكرمُ من اللثيم • أو اللثيمُ من الكرمِ
سبحان ربِّ قادرٍ • قد البريةَ من أديمٍ
فشرُّهم ووضيئهم • سيان في سَفاهٍ ولُؤمٍ
قد قل خيرٌ غنيهم • ففتيهم مثل المديمِ
وإذا آخبرت حبيدهم • الفتيه مثل النديمِ



ومما قيل في هجاء بعض العشيرة ومدح بعضهم : فمن ذلك

١٥
قول أبي عينة يهجو خالد بن يزيد المهلبي ويمدح أباه :
أبوك لنا غيثٌ نعيشُ بفضلِهِ • وأنت جرأٌ ليس يبقَى ولا يَدْرُ
له أثرٌ في المعكُرماتِ يَسْرَتنا • وأنت مُعفى دائباً ذلك الأثرُ
لقد قُتعت لخطانٍ خِزياً بخالِدٍ • فهل لك فيه يُحرِّك الله يا مُضرُ

(١) في الشعر والشعراء لابن قتيبة : « ... لست تبق ولا تدور »

٢٠ (٢) في الشعر والشعراء : « لقد خربت لخطان طرا الخ »

وله في قيصه بن رَوْح ، يُفَضَّل عليه ابن عمه داود بن يزيد بن حاتم :
 أقيص لست وإن جهدت بالغ • سقى ابن عمك ذي الندى داود
 شتان بينك يا قيص وبينه • إن المذم ليس كالمحمود
 داود محمود وأنت مذموم • عجباً لذاك وأنتما من عود
 ولرب عود قد يشق لمسجد • نصفاً وسائرُه لحش يسودى
 وقال حسان في ابن سفيان بن الحارث :

أبوك أب حر وأمك حرة • وقد يلد الحُران غير نجيب
 فلا تسمي الناسُ منك ومنهما • فما خبت من فضية بعجيب

ذكر ما قيل في الحسد

ومما يذم به الرجل ، أن يكون حسودا . وقد أمر الله تعالى نبيه
 عليه الصلاة والسلام ، أن يتعوذ من شر الحاسد إذا حسد .

قال ابن السكيت :

أُتزل الله تعالى سورة جعلها عوذة تلحقه من صنوف الشر ، فلما انتهى إلى
 الحسد جعله خاتمة ، إذ لم يكن بعده في الشر نهاية . والحسد أول ذنب عصى الله
 تعالى به في السماء ، وأول ذنب عصى به في الأرض ، أما في السماء . ففسد إبليس
 لأدم ، وأما في الأرض لحسد قابيل لما بيل . وذهب بعض أهل التفسير في قوله
 عز وجل إخبارا عن أهل النار : ﴿ رَبَّنَا أَرْنَا اللَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْإِنسِ وَالْإِنْسِ نَجْمَلَهُمَا ﴾
 تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين) أن المراد بالحق إبليس ، والإنس قابيل ،
 وذلك أن إبليس أول من سق الكفر ، وقابيل أول من سق القتل . وأصل ذلك
 كله الحسد .

وقال عبد الله بن مسعود : لا تُعَادُوا نِعَمَ اللَّهِ . فقيل له : ومن يُعَادِي نِعَمَ اللَّهِ ؟ قال : الذين يُحْسَدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ . يقول الله تعالى في بعض الكتب : « الْحَسُودُ عَدُوٌّ نِعْمَتِي ، مُنْسَخَطٌ لِقَضَائِي ، غَيْرُ رَاضٍ بِقِسْمَتِي » .



وقالت الحكماء : إذا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُسَاطَ عَلَى عَبْدٍ عَدُوًّا لَا يَرْحَمُهُ سَاطٌ عَلَيْهِ حَاسِدًا .

وكان يقال في الدماء على الرجل : طلبك من لا يَقْصِرُ دُونَ الظُّفْرِ . وحسدك من لا يَنَامُ دُونَ الشِّفَاءِ .

وقالوا : ما ظنك بعداوة الحاسد ، وهو يرى زوال نعمتك نعمة عليه !

قال أبو الطيب المتنبي :

سوى وجع الحساد دأوي فأنه • إذا حلَّ في قلب فليس يحول
ولا تطمئن من حاسد في مودة • وإن كنت تُبديها له وتُنبئ

وقال البيهقي :

ومن البلية أن تُدَاوِيَ حَقْدَ مَنْ • نِعَمُ الْإِلَهِ عَلَيْكَ مِنْ أَحْقَادِهِ

وقال علي رضي الله عنه : لا راحة لحسود ، ولا أخ لملول ، ولا محب لسيئ الخلق .

وقال الحسن : ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد ؛ نفس دائم ، وحرز لازم ، وغيرة لا تتفد . ثم قال : لله در الحسد ما أعدله ! يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى الحسود .

(١) كذا في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٣١) من تسخط الشيء : لم يرتد وتكرهه ، وفي الأصل : « تسخط » .

(٢) كذا في هيون الأخبار (المجلد الثاني ص ٢١٦٠) . وفي الأصل الشفاء . وهو تحريف .

(٣) كذا في ديوان المتنبي (ص ٢٧٣) . وفي الأصول : « دا » . وهو تحريف .

وقال الجاحظ : من العدل المحض والإنصاف الصحيح ، أن تحطَّ عن الحاسد
نصف عقابه ؛ لأن ألم جسمه قد كفاهك مؤونة شطُر غيظك عليه .
وقيل : الحسد أن تنتهي زوال نعمة غيرك ، والقبطة أن تنتهي مثل حال صاحبك .
وفي الحديث : " الْمُؤْمِنُ يَنْقُطُ وَالْمُنَافِقُ يَحْسُدُ " .

وقال أرسطوطاليس : الحسد حسدان : محمود ومذموم ؛ فالحمود : أن ترى
علما قستهي أن تكون مثله ، وزاهدا قستهي مثل فعله ؛ والمذموم أن ترى علما
وافاضلا قستهي أن يموتا . وقيل : الحسود غضبان على القدر ، والقدر لا يُعْتَبَرُ .
قال منصور الفقيه :

أَلَا قُلْ لِمَنْ كَانَ لِي حَاسِدًا * أَتَدْرِي عَلَى مَنْ أَسَاتَ الْأَدَبُ
أَسَاتَ عَلَى اللَّهِ فِي فَضْلِهِ * إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْضَ مَا قَدْ وَهَبَ ١٠

وقال المتنبي :

وَأَظْلَمُ أَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ بَاتِ حَاسِدًا * لِمَنْ بَاتَ فِي تَهْمَائِهِ يَتَقَلَّبُ
وَمِنْ أَخْبَارِ الْحَسَدَةِ : مَا حَكَى أَنَّهُ أَجْتَمَعَ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ مِنْهُمْ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ
لصاحبه : مَا بَلَغَ مِنْ حَسَدِكَ ؟ قَالَ : مَا أَشْتَيْتُ أَنْ أَفْعَلَ بِأَحَدٍ خَيْرًا قَطُّ ؛ فَقَالَ
الثاني : أَنْتَ رَجُلٌ صَالِحٌ ، أَنَا مَا أَشْتَيْتُ أَنْ يَفْعَلَ أَحَدٌ بِأَحَدٍ خَيْرًا قَطُّ ؛ فَقَالَ
الثالث : مَا فِي الْأَرْضِ أَفْضَلُ مِنْكَ ، أَنَا مَا أَشْتَيْتُ أَنْ يَفْعَلَ بِي أَحَدٌ خَيْرًا قَطُّ .



ومما قيل من الشعر في تفضيل المحسود ومدمحه ، وهجاء الحاسد وذمّه :

قال بعض الشعراء :

إِنِّي يَحْسُدُونِي فَإِنِّي غَيْرُ لَائِمِهِمْ * قَبِلَ مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا ٢٠
قَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمْ * وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَمًّا بِمَا يَحْسُدُ

وقال آخر :

إِنَّ الْغَرَابَ وَكَانَ يَمْشِي مَشْيَةً • فِيَا مَضَى مِنْ سَالِفِ الْأَحْوَالِ
حَسَدَ الْقَطَاةِ وَرَامَ يَمْشِي مَشْيَهَا • فَأَصَابَهُ ضَرْبٌ مِنَ الْعُقَالِ^(١)

وقال آخر :

حَسَدُوا الْقَتْلَى إِذْ لَمْ يَبَالُوا سَعْيَهُ • فَالْقَوْمُ أَعْدَاءُ لَهُ وَخُصُومُ
كَضَرَّائِ الْحَسَنَاءِ قُلْنَ لَوِجْهَهَا • حَسَدًا وَبَقِيًّا إِنَّهُ لَذِمُّ^(٢)

وقال البُخْتَرِيُّ :

لَا تَحْسُدُوهُ فَضَلَّ رُبَّتَهُ الَّتِي • أُعِيَتْ عَلَيْكُمْ وَأَفْعَلُوا كِفْعَالِهِ

وقال النُّبَيْرِيُّ الرَّقْلَهُ :

نَالَتْ يَدَاهُ أَقْصَى الْعَبْدِ الَّذِي • بَسَطَ الْحَسُودُ إِلَيْهِ بَاغَا ضَيْقًا
أَعْدُوهُ هَلْ لِلسَّمَاءِ جَبَرِيَّةٌ • فِي أَنْ دَنَوْتَ مِنَ الْحَضِيضِ وَحَلَقًا
أَمْ هَلْ لِمَنْ مَلَأَ الْيَدَيْنِ مِنَ الْعَلَا • ذَنْبٌ إِذَا مَا كُنْتَ مِنْهَا مُثْلَقًا

وقال أبو تمام الطائِي :

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَنْثُرَ فَضِيلَةٍ • يَوْمًا أَتَاهَا لِسَانُ حَسُودٍ^(٣)
لَوْلَا أَشْتَعَالَ النَّارَ فِيهَا جَاوَرَتْ • مَا كَانَ يُعْرِفُ طِيبُ عَرَفِ الْعُودِ

وقال البُخْتَرِيُّ :

وَلَنْ تَسْتَيْنَ الدَّهْرَ مَوْضِعَ نِعْمَةٍ • إِذَا أَنْتَ لَمْ تُكْذَلْ عَلَيْهَا بِحَاسِدٍ

(١) العقال : ظلم يأخذ في نوائم الدابة .

(٢) كذا في الأصول ، وهي رواية نعلب ، قال صاحب السان : وقد رد ذلك عليه ، والأصح رواية

(إله لدم) بالبدال المهملة .

(٣) أثبتنا فيها تقدم ص ٩٢ من هذا الجزء أن رواية الديوان : « طويت » .

وقال محمد بن مَنَافِر :

يَا أَيُّهَا الْعَالِي مَا بِي مِنْ • عَيْبٍ إِلَّا تَرَعَوِي وَتَرَدَّحِي
 هل لك عندي وَتَرَقُّطَلْبُهُ • أم أنتِ يَا أَيْتَ مُتَعَذِّرُ
 إن بك قَسَمُ الإِلَهِ فَضَّلِي • وَأَنْتِ صَلَدٌ مَا فِيكَ مُعْتَصِرُ
 فالحمد والشكر والثناء له • وللحسود التُّرَابُ وَالْجَحَرُ
 ماذا الذي يَحْتَنِي جَلِيسُكَ أَوْ • يَسُدُّوْهُ مِنْكَ حِينَ يَحْتَرُ
 اِقْرَأْ لَنَا سُورَةَ تَذَكُّرُنَا • فَإِنَّ خَيْرَ الْمَوَاقِعِ السُّورُ
 أَوْ صِفْ لَنَا الْحُكْمَ فِي فَرَائِضِنَا • مَا تَسْتَحِقُّ الْإِثْنُ أَوْ الذِّكْرُ
 أَوْ أَرُوْفِقَهَا تُرَوِي الْقُلُوبَ بِهِ • جَاءَ بِهِ عَنْ نَبِيِّنَا الْأَمْرِ
 أَوْ مِنْ أَحَادِيثِ جَاهِلِيَّتِنَا • فَإِنَّهَا حِكْمَةٌ وَمُفْتَخَرُ
 أَوْ أَرُوْهُنَا فَارِيسَ لَنَا مَثَلًا • فَإِنَّ أَمْثَالَهَا لَنَا عِبَرُ
 أَوْ غَنِّ صَوْتًا تُسَبِّحِي النَّفُوسَ بِهِ • وَذَنْبُ مَا قَدْ أَيْتَ مُقْتَرُ
 فَإِنْ تَكُنْ قَدْ جَهِلْتَ ذَاكَ وَذَا • فَفِيكَ لِلنَّاظِرِينَ مُعْتَبَرُ

ذكر ما قيل في السَّعَايَةِ والبَغْيِ والغِيْبَةِ والنَّمِيمَةِ

قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ) . وقال تعالى : (ثُمَّ
 بُنِيَ عَلَيْهِ لِیِئْتَرَنَّهٗ أَهٗهٗ) . وقال تعالى : (هَآئِذَا مَثَآءٍ بَيْنَیْهِمْ مَّتَآعٌ لِّغَیْرِ مُعْتَدِیْ اَیْمِیْنِ عَتَلَّ
 بَعْدَ ذَٰلِكَ رَیْبِیْمٌ) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من كان يؤمن بالله واليوم

(١) كذا في المقدم الفرید ج ١ ص ٢٣٣ ، وفي الأصل : « يا أيها العالی ... » ص ٢٣٣ .

(٢) رواية المقدم الفرید : « ... تحيا ... الخ »

(٣) رواية المقدم الفرید : « أو من أعاجيب ... ومعتبر »

الآخر فلا يرغم إلينا عورة أخيه المؤمن". وقال صلى الله عليه وسلم : "لا يُرأحُ القنات راحة الجنة". وفي لفظ : "لا يدخل الجنة قنات". والقنات : التمام .

قال بعض الشعراء :

فلا تسمع على أحد ينهى * فإك البنى مصرعه وخيم^(١)

وقال المتنبي :

بغيت فلم تقع إلا صريحا * كذاك البنى مصرع كل باغي

وسأل رجل عبد الملك بن مروان الخنوة، قتال لأصحابه : إذا شتمت قوموا . فلما تها الرجل للكلام قال له : إياك أن تمدحني فإني أعلم بنفسي منك ، أو تكذبني فإنه لا رأى لي كنوب ، أو تسعي إلى باحد ، وإن شئت أفلك ؛ قال : أفلسي .

قال : ولما ولي عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك دمشق ، ولم يكن في بني أمية ألب منه ، مع حدائنه سنه ، قال أهل دمشق : هذا غلام شاب ، ولا علم له بالأمور ، وسيسمع منا ؛ فقام إليه رجل فقال : أصلح الله الأمير ، عندى نصيحة ، فقال له : ياليت شعري ما هذه النصيحة التي أبدأتني بها من غير يد سبقتني إليك ؟ فقال : جأرتي عاص متخلف عن ثغره ؛ فقال له : ما آتيت الله ، ولا أكرمت أميرك ، ولا حفظت جوارك ؛ إن شئت نظرتنا فيما تقول ، فإن كنت صادقا لم ينفعك ذلك عندنا ، وإن كنت كاذبا عاقبتك ، وإن شئت أقتلك ؛ قال : أفلسي ؛ قال : أذهب حيث شئت ، لا صحبك الله ! ثم قال : يا أهل دمشق ، أما أعظمت ما جاء به الفاسق ! إن السعاية أحسب منه حجة . ولولا أنه لا ينبغي

(١) دخل في هذا البيت الكف وهو حلف الساجد . (٢) كذا في العقد الفريد ج ١

ص ٢٣٦ ، وفي الأصول : « إذا شتمت قداموا » . (٣) كذا في تذكرة العفدي . وفي الأصول : « في » .

للوالى أن يعاقب قبل أن يُعاتب ، كان لى فيه رأى . فلا يأتى أحد منكم يسعاية على أحد؛ فإن الصادق فيها فاسق، والكاذب بهائم .

وسعى رجل برجل إلى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، فقال : إن شئت نظرنا فى أمرك ، فإن كنت كاذبا فانت من هذه الآية : ﴿ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ ﴾ وإن كنت صادقا فانت من هذه الآية : ﴿ هَمَّازٌ مِّثْلُ بَيْمٍ ﴾ وإن شئت عفونا عنك ، قال : المغويا أمير المؤمنين ، قال : على ألا تمود .

وكتب محمد بن خالد إلى ابن الزيات أن قوما صاروا إليه مُتَنَصِّحِينَ ، فذكروا أن رؤسوما للسلطان قد عَفَّتْ ودرست ، وأنه توقف عن كشفها إلى أن يعرف موقع رايه فيها ، فوقع على رُفْعته : قرأت هذه الرقعة المذمومة ، وسوق السعاة مكبَّد عندنا ، وألستهم تَحْكُلُ فى أيامنا ، فاحمل الناس على قانونك ، وخذهم بما فى ديوانك ، فلم ترد للناحية لكشف الرسوم العافية ، ولا لِتُخَيِّ الأعلام الدائرة ، وجئتنى وتجنب قول جرير :

وكنْتَ إذا حَلَلْتَ بدار قوم ٥ رَحَلْتَ بِخَزِيَّةٍ وَرَكَتَ عَارَا

قالوا : وكان الفضل بن يحيى يكره السعاة ، فاذا أتاها ساع قال له : إن صدقتنا أبغضناك ، وإن كذبتنا عاقبناك ، وإن استقلتنا أقلتناك .

وحكى صاحب المقدال : قال التَّيِّ حَدَّثَنِى أَبُو عَنِ سَعِيدِ الْقَهْرى قال : نظر إلى عمرو بن عبَّه ورجل يشتم بين يدي رجلا ، فقال لى : وَيْلَكَ ! — وما قال لى ويملك قبلها — تَرَهُ سَمَكَ عَنْ أَسْتَمَاعِ الْخَنَاءِ ، كَمَا تَرَهُ لِسَانَكَ عَنِ الْكَلَامِ بِهِ ، فإن السامع شريك القاتل ، وإنه عمد إلى شرما فى وعائه فأفرقه فى وعائك ، ولو

رُدْتُ كَلْبُهُ جَاهِلٌ فِي فِيهِ لَسَعِدَ رَأْدُهُ ، كَمَا شَقِي قَاتِلُهُ ؛ وَقَدْ جَمَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى
شَرِيكَ الْقَاتِلِ ، فَقَالَ : ﴿ تَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَاوُنَ لِلْحَقِّ ﴾ .



وَمِمَّا قِيلَ فِي الْغَيْبَةِ وَالنَّمِيْمَةِ : رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ
قَالَ : « إِذَا قُلْتَ فِي الرَّجُلِ مَا فِيهِ فَقَدْ آغَيْتَهُ ، وَإِذَا قُلْتَ مَا لَيْسَ فِيهِ فَقَدْ بَيَّتَهُ » .
إِغْتَابَ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَ قُتَيْبَةَ بْنِ مَسْلَمٍ ، فَقَالَ لَهُ : أَمْسِكْ عَلَيْكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ ،
وَاللَّهِ لَقَدْ تَلَمَّضْتَ بِمُضْمَةٍ طَالَمَا لَفَظَتْهَا الْكَرَامُ .

وَذَكَرَ فِي مَجْلِسِهِ رَجُلٌ ، فَتَالَ مِنْهُ بَعْضُ جُلَسَائِهِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا هَذَا ، أَوْحَشْتَنَا
مِنْ نَفْسِكَ ، وَإِيَّا سَنَّا مِنْ مَوَدَّتِكَ ، وَدَلَّيْنَا عَلَى هَوَوْتِكَ .

وَأَغْتَابَ رَجُلٌ عِنْدَ بَعْضِ الْأَشْرَافِ ، فَقَالَ لَهُ : قَدْ أَسْتَدَلَّتْ عَلَى كَثْرَةِ عَيُوبِكَ
بِمَا تَذَكَّرُ مِنْ عَيْبِ النَّاسِ ؛ لِأَنَّ الطَّالِبَ لِلْعَيُوبِ إِنَّمَا يَطْلُبُهَا بِقَدْرِ مَا فِيهِ مِنْهَا ،
أَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

لَا تَتَّبِعَنَّ مِنْ مَسَاوِي النَّاسِ مَا سَتَرُوا • فَيَهْتَكَ اللَّهُ سِتْرًا مِنْ مَسَاوِيكَ
وَأَذْكُرْ مَحَاسِنَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذُكِّرُوا • وَلَا تَعِبْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَ

وَقَالَ أَبُو عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَدْرَكَ أَخَاكَ إِذَا غَابَ عَنْكَ بِمَا يُحِبُّ أَنْ
يَذْكُرَكَ بِهِ ، وَدَعِ مِنْهُ مَا يُحِبُّ أَنْ يَدَّعِيَنَّكَ .

(١) كَذَا فِي الْمَقَدِّ الْفَرِيدِ ج ١ ص ٢٣٧ ، وَفِي الْأَسْوَلِ : « عَلَيْهِ » .

(٢) فِي الْمَقَدِّ الْفَرِيدِ ج ٢ ص ١٤ وَصِيُونَ الْأَخْبَارِ ج ١ ص ٢٣٧ : « غَابَ رَجُلٌ رَجُلًا » .

(٣) فِي الْمَقَدِّ الْفَرِيدِ وَصِيُونَ الْأَخْبَارِ : « بِمَا تَذَكَّرُ » .

(٤) فِي صِيُونَ الْأَخْبَارِ (مَجْلَدُ ثَانٍ ص ١٨) : « لَا تَقْنَسْ ... • فَيُكْشَفُ ... الْخ » .

وقال بعض الملوك لولده وهو وليّ عهده : يا بُنَيَّ ، لِيَكُنْ أَبْنَصُ رَعِيَّتِكَ إِلَيْكَ أَشَدَّهُمْ كَشْفًا لِمَغَائِبِ النَّاسِ عِنْدَكَ ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَغَائِبَ وَأَنْتَ أَحَقُّ بِسِتْرِهَا ، وَإِنَّمَا تَحْكُمُ فِيهَا ظَهْرُكَ ، وَاللَّهُ يَحْكُمُ فِيهَا غَايِبُ عَنْكَ ، وَأَكْرَهَ لِلنَّاسِ مَا تَكْرَهُهُ لِنَفْسِكَ ، وَأَسْتَرُ الْعَوْرَةَ يَسْتُرُ اللَّهُ عَلَيْكَ مَا يُحِبُّ سِتْرَهُ ، وَلَا تَعْجَلْ إِلَى تَصْدِيقِ سَامِعٍ ، فَإِنَّ السَّامِعِيَّ غَاثٌ وَإِنْ قَالَ قَوْلَ نَصَحٍ .

وَوَثَى وَاشْرَجَ رَجُلٌ إِلَى الإسْكَندَرِ ، قَالَ لَهُ : أُتِّحِبُّ أَنْ يَقْبَلَ مِنْكَ مَا قُلْتَ فِيهِ ، عَلَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ مَا يَقُولُ فِيكَ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَكُفَّ عَنِ الشَّرِيكَفِ عَنْكَ . وَقَالَ ذُو الرِّيَاسَتَيْنِ ^(١) : قَبُولُ النِّيمَةِ شَرٌّ مِنَ النِّيمَةِ ، لِأَنَّ النِّيمَةَ دَلَالَةٌ ، وَالْقَبُولَ إِجَازَةٌ ، وَلَيْسَ مَنْ دَلَّ عَلَى شَيْءٍ كُنَّ قِيلَهُ وَأَجَازَهُ .

قال أبو الأسود الدؤليّ :

لَا يَقْبَلُ نِيمَةً بُلُغَتْهَا * وَتَحْفَظُنَّ مِنَ الَّذِي أَنْبَاكَهَا
إِنْ الَّذِي أَهْدَى إِلَيْكَ نِيمَةً * سَبَّيْنُ عَنْكَ بِمِثْلِهَا قَدْ حَاكَهَا ^(٢)

وقال رجل لعمرو بن عُبيد : إِنْ الْأَسْوَارِيّ لَمْ يَزَلْ يَذْكُرْكَ وَيَقُولُ : الضَّالُّ ، فَقَالَ عَمْرُو : يَا هَذَا ! وَاللَّهِ مَا رَاعَيْتَ حَقَّ مَجَالِسَتِهِ حِينَ نَقَلْتَ إِلَيْنَا حَدِيثَهُ ، وَلَا رَاعَيْتَ حَقَّ حِينَ أَبْلَغْتَنِي عَنْ أُنْحَى أَاكْرَهَةٍ ، أَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ يَعْمَنَانَا ، وَابْعَثْ يَتَحَشَّرْنَا ، وَالْقِيَامَةَ تَجْمَعُنَا ، وَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَنَا [وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ] . ^(٣)

(١) وردت هذه العبارة في عيون الأخبار المجلد الثاني ص ٢٣ بتأثير في بعض كتاباتها مع زيادة عما هنا .

(٢) رواية العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٧

إِنَّ الْقِيَامَةَ أَنْبَاكَ عَنْ نِيمَةٍ * مِيدِبُ عَنْكَ بِمِثْلِهَا قَدْ حَاكَهَا

(٣) كذا في تذكرة الصفدى وإحياء العلوم للقرائى ج ٣ ص ١١٩ ، وقد ضبطه في المتن للذهبي بضم الميمزة نسبة إلى الأساورة من تميم ، وفتحها نسبة إلى قرية بأصمان . وفي الأصول : «الأساورى» وهو مخبريف . (٤) كذا في تذكرة الصفدى وإحياء العلوم للقرائى ، وفي الأصول : «حتى» .

(٥) زيادة من الإحياء .

وقال معاوية للأحنف في شيء بلغه عنه، فأنكره الأحنف : بلغني عنك الثقة ؛ فقال الأحنف : إن الثقة لا يُبلَّغ .

قال بعض الشعراء :

لعمرك ما سبَّ الأميرَ عدوه * ولكننا سبَّ الأميرَ المبلَّغ

وقال ابن المعتز^(١) : الساعى كاذب لمن سعى إليه، خائن لمن سعى عليه .

وقالوا : النائم شرٌّ من الساحر؛ فإن النائم يُقيد في الساعة الواحدة ما لا يفيد الساحر في المدة الطويلة .

وقالوا : النجاسة من الخلال الذميمة ، تدلُّ على نفس سقيمة ، وطبيعة لثيمة ؛ مشفوفة بهتك الأستار، وإفشاء الأسرار .

وقال بعض الحكماء : الأشرار يتبعون مساوى الناس ويتركون محاسنهم ، كما يتبع الذباب المواضع الآلئة من الجسد، ويترك الصليحة .

وقالوا : لم يمش ماش، شرٌّ من واش . والساعى بالنجاسة كشاهد الزور، يهلك نفسه، ومن سعى به، ومن سعى إليه .

وقالوا : "حَسْبُكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعِهِ" . وقد لُجج الشعراء بذهم النمام، وجعلوه

من أهاجيم . قال بعض الشعراء :

من تمَّ في الناس لم تُؤمِّنْ عقاربُه * على الصديق ولم تُؤمِّنْ أفاعيه

كالسَّيلِ بالليل لا يدري به أحدٌ * من أين جاء ولا من أين يأتيه

وقال السري الرفاء :

أتمَّ بما استودعته من زُجاجة * ترى الشيء فيها ظاهراً وهو باطن

(١) في تذكرة الصفدي : «قال على كرم الله وجهه : الساعى ظالم لمن سعى به خائن لمن سعى إليه» .

وقال محمد بن شَرَف :

وَنَاصِيحٌ نَحْوُ أَفْوَاهِ الْوَرَى أَذْنًا • كَالْقَعْبِ يَلْقُطُفُهَا كُلُّ مَا سَقَطَا
يَظْلُ بِلِقْطِ الْأَخْبَارِ مَجْتَهِدًا • حَتَّى إِذَا مَا وَعَاها زَقَى مَا لَقَطَا

وقال ابن وَكَيْع :

يَنْمُ بَسْرٌ مُسْتَرْعِبُهُ لُؤْمًا • كَمَا تَمُّ الظَّلَامُ بَسْرٌ تَارِ
أَتَمُّ مِنَ النُّصُولِ عَلَى مِثْيَبٍ • وَمَنْ صَافَى الزُّجَاجَ عَلَى عُدَارِ

وقال الحسن البصري : لا غيبة في ثلاثة : فاسقي مجامير ، وإمام جائر ،

وصاحب يدعة [لم يدع بدعته] .

وكتب الكسائي إلى الرقاشي :

تَرَكْتَ الْمَسْجِدَ الْجَامِ • بَعِّ وَالْتَرَكْ لَهُ رِيَّةَ

١٠

[فَلَا نَافِلَةَ تَقْضَى • وَلَا تَقْضَى لِمَكْتُوبِهِ]

وَأَخْبَارُكَ نَائِنِيَا • عَلَى الْأَعْلَامِ مَنْصُوبِيَا

فَإِنْ زِدْتَ مِنَ الْغَيْبِ • مِثْلَ زِدْنَاكَ مِنَ الْغَيْبِ

ذكر ما قيل في البخل واللؤم

والبخل : منع الحقوق . وإليه الإشارة بقوله تعالى : (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ

١١

وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُخْرِجُنَا عَنْ أَمْصَارِهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ

فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ

تَكْتُمُونَ) ، وقال تعالى : (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ

خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " خَلْتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ الْبُخْلُ وَسُوءُ الْخُلُقِ " .

وقال بعض السلف : منع الجود سوء ظن بالمعبود، وتلا : (وَأَنْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) .

- وروى أبو بكر الخطيب في تجلّب البخلاء بإسناده عن أبي هريرة ^(١) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لما خلق الله تعالى جَنَّةَ عَدْنٍ قال لها تَرِينِي فَرِيتِ ، ثم قال لها أَظْهَرِي أَنَا بَارَكَ فَأَظْهَرْتُ عَيْنَ السَّبِيلِ وَعَيْنَ الْكَافُورِ وَعَيْنَ التَّسْلِيمِ وَنَهْرَ الْخَمْرِ وَنَهْرَ الْعَسَلِ وَنَهْرَ اللَّبَنِ ، ثم قال لها أَظْهَرِي حُورَكَ وَحُلَّكَ وَسُرُوكَ وَجَمَالَكَ ، ثم قال لها تَكَلِّمِي فَقَالَتْ طُوبَى لِمَنْ دَخَلَنِي ، فقال الله عز وجل أَنَيْتِ حَرَامَ عَلَى كُلِّ بَخِيلٍ " .

١٠

وقال سُقْرَاطُ : الْأَغْنِيَاءُ الْبِخْلَاءُ بِمَنْزِلَةِ الْبَغَالِ وَالْجَوَارِ ، تَحْمِلُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ، وَتَعْتَلِفُ التَّيْنَ وَالشَّعِيرَ .

وقالوا : الْبُخْلُ مِنْ سُوءِ الظَّنِّ ، وَنَحْمُولُ الْحِمَّةَ ، وَضَعْفُ الرُّوْيَةِ ، وَسُوءُ الْأَخْيَارِ ، وَالزُّهْدُ فِي الْخَيْرَاتِ .

- وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما : الْبُخْلُ جَامِعٌ لِلسَّوَى وَالْعُيُوبِ ، وَقَاطِعٌ لِلوَدَاتِ مِنَ الْقُلُوبِ .

(٩١)

وقالوا : حُدِّدَ الْبُخْلُ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى رِقْدِهِ .

(١) ورد هذا الحديث في إحياء العلوم للقرظي (ج ٣ ص ١٩١) مرويا عن ابن عباس ويختلف

عما هنا بزيادة بعض كلمات .

وكان أبو حنيفة لا يقبل شهادة البخيل ، ويقول عتبا لذلك : إن البخيل يعمل
بجمله على أن يأخذ فوق حقه غشاة أن يُفَنِّ ، ومن كان هكذا لا يكون مأمونا .

وقال بشر بن الحارث الخافى : لا غيبة لبخيل ، ولشريطي عيى أحب إلى من
عابد ببخيل .

وقالوا : البخيل لا يستحق اسم الحرية ، فإن ماله يملكه .

ويقال : لا مال للبخيل ، وإنما هو لماله .

وقال الحسن البصري : لم أر أشقى بماله من البخيل ؛ لأنه في الدنيا يهتم بجمعه ،
وفي الآخرة يحاسب على منعه ؛ غير آمن في الدنيا من همه ، ولا ناج في الآخرة من
إيمسه ؛ عيشه في الدنيا عيش الفقراء ، وحسابه في الآخرة حساب الأغنياء . ودخل
رحمه الله على عبد الله بن الأهمم يهودي في مرضه ، فراه يصعد بصره ويصوبه إلى

صندوق في بيته ، ثم ألقت إليه ، فقال : يا أبا سعيد ، ماتقول في مائة ألف دينار
في هذا الصندوق لم أؤد منها زكاة ولم أصِل بها رَحِمًا ؟ فقال له : تكلتك أهلك !
ولم كنت تجمعها ؟ قال : (روعة الزمان ، وجفوة السلطان ، وتكاثر العشرة . ثم مات

فشهده الحسن ؛ فلما فرغ من دفنه ، ضرب بيده على القبر ، ثم قال : انظروا إلى هذا ،
أنا شيطانه نفوذه روعة زمانه ، وجفوة سلطانه ، بما استودعه الله إياه ، وعمره فيه ،

انظروا إليه كيف نرج مذموما مدحورا ! ثم ألقت إلى ورائه ، فقال : أيها الوارث
لا تتخذ عن كما خدع صويحبك بالأمس ، أذاك هذا المال حلالا ، فلا يكون طيك
وبالآ ، أذاك عفوا صفوا ، ممن كان له جموعا منوعا ؛ من باطل جمعه ، ومن حق
منه ؛ قطع فيه بلح البحر ، ومفاوز الفقار ؛ ولم تكدح لك فيه عين ولم يترق لك

فيه جبين، إن يوم القيامة يوم ذو حَسَرَات، وإن من أعظم الحسرات غذا أن ترى مالك في ميزان غيرك، فيا لها حسرة لا تُقال، وتوبة لا تُنال ! .

ومن أخبار البشلاء : قيل : بخلاء العرب أربعة : الحطيئة، وحُميد الأرقط، وأبو الأسود الدؤلي، وخالد بن صفوان، وثقلت عنهم أمور دلت على بخلهم .

- أما الحطيئة : فقد حكى عنه : أنه مر به ابن الحمامة، وهو جالس بفناء بيته، فقال له : السلام عليكم، فقال : قلت ما لا يُنكر، فقال : إني خرجتُ من [عند] أهل بغير زاد، قال : ما صنعتُ لأهلك قِرارك، قال : أفتأذن لي أن آتي ظلّ بيتك فأنفياً به ؟ قال : دونك الجبل يقيء عليك، قال : أنا ابن الحمامة، قال : أنصرف وكن ابن أمي طارشت . قال : وأعرضه رجل وهو يرعى غنًا، فقال له : يا راعي الغنم، وكان بيد الحطيئة عصاً فرفعها، وقال : عجزاً من سلم، فقال الرجل : إنما أنا ضيف،
- ١٠ فقال : للأضياف أعددتها [فأنصرف عنه] . وكان الحطيئة أحد الحمقى، أوصى عند موته أن يُحمل على حمار، وقال : لعلّ إن حملت عليه لا أموت، فإني ما رأيت كريماً مات عليه قط . وقال : لكلّ جديد لذة، إلا جديد الموت، فإني رأيته غير لذيذ . وقيل له : أوص، فقال : أوصي أن مالي للذكور دون الإناث، قالوا : فإن الله ليس يقول كذلك، قال : لكني أقوله . وقالوا له : قل لا إله إلا الله،
- ١٠ فقال : أشهد أن الشياخ أشعرُ غطفان .

(١) زيادة من الأغاني ج ٢ ص ١٧١ طبع دار الكتب .

(٢) وردت هذه العبارة في الأغاني ج ٢ ص ١٩٧ برواية تخفف عما هنا .

(٣) رواية الأغاني : قال أبنوا أهل طائي أنه شاعر حيث يقول :

لكل جديد لذة غير أني * وأيت جديد الموت غير لذيذ

ومن أخباره : أن الزُّبرقان^(١) بن بدر بَقِيَّة في سفره ، فقال له : مَنْ أَنْتَ ؟
فقال : أَنَا حَسَبُ مَوْضُوع ، أَنَا أَبُو مُلَيْكَةَ ، فقال له الزُّبرقان : إِنِّي أُرِيدُ وَجْهًا^(٢) ،
فَصِرْ إِلَى مَتْرَى ، وَكُنْ هُنَاكَ حَتَّى أَرْجِعَ ، فَصَارَ الْحَطِيطَةُ إِلَى أَمْرَأَةِ الزُّبرقان ،
فَانزَلَتْهُ وَأَكْرَمَتْهُ ، فَخَسَدَ بَنُو عَمِّهِ ، وَهُمْ بَنُو لَآئِي ، فَقَالُوا لِلْحَطِيطَةِ : إِنْ تَحُولَتْ إِلَيْنَا ،
أَعْطَيْنَاكَ مِائَةَ نَاقَةٍ ، وَنُثَبِّدُكَ إِلَى كُلِّ طُنْبٍ مِنْ أَطْنَابِ بَيْتِكَ جِلَّةً هَجْرِيَّةً ، وَقَالُوا
لِأَمْرَأَةِ الزُّبرقان : إِنْ الزُّبرقان إِنَّمَا قَتَلَ هَذَا الشَّيْخَ لِتَرْجُوحِ بَنَتِهِ ، فَقَدَحَ ذَلِكَ
فِي نَفْسِهَا ، فَلَمَّا أَرَادَ الْقَوْمُ النَّجَّةَ تَخَلَّفَ الْحَطِيطَةُ ، فَتَغَالَفَتْ عَنْهُ أَمْرَأَةُ الزُّبرقان ،
فَاحْتَمَلَهُ الْقُرَيْبِيُّونَ وَوَفَّوْا لَهُ بِمَا قَالُوا ، فَدَحَّهُمْ وَهَبَا الزُّبرقان ، فَقَالَ :

أَزَمَعْتُ بِأَسْمِيْنَا مِنْ نَوَالِكُمْ • وَلَا يُرَى طَارِدًا لِحُزْرٍ كَالْيَاسِ
دَجَّ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلُ بُغْيَتِهَا • وَأَقْعُدُ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّائِعُ الْكَامِي
مَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ لَا يَقْدَمُ جَوَازِيَهُ • لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

فَاسْتَعْدَى الزُّبرقانُ عَلَيْهِ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَخَفَّ عَمْرُ حَسَانَ
ابْنَ ثَابِتٍ ، فَقَالَ حَسَانٌ : مَا هَاجَهُ وَلَكِنْ سَلَحَ عَلَيْهِ^(٣) ، فَخَسَّ عَمْرُ الْحَطِيطَةَ فَقَالَ
يَسْتَعْفِفُهُ :

(١) ذَكَرَ هَذَا الْتَلْبِيقُ الْأَعْيَانُ (ج ٢ ص ١٨٠) بِتَبْسُطٍ عَمَّا هُنَا .

(٢) أَيْ جِهَةً ، وَالْمُرَادُ بِهَا الْعِرَاقُ كَأَنَّهُ الْأَعْيَانُ .

(٣) كَذَا فِي الْأَعْيَانِ . وَالْجِلَّةُ : دَعَاءٌ يُتْلَى مِنَ الْخَوَاصِّ يُوضَعُ فِيهِ التَّهْنِيطُ فِيهِ . وَفِي الْأَصْلِ :
«حِلَّةٌ» تَحْوِيهِ وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) رَوَايَةُ الْأَعْيَانِ : «فَقَالَ عَمْرُ حَسَانَ : أَتَرَاهُ هَاجَهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ وَسَلَحَ عَلَيْهِ خَبْرَهُ عَمْرُ .»

ماذا تقول لأفراخ يبنى مريخ^(١) * حمير الحواصل لا ماء ولا شجر^(٢)
ألقيت كاسهم في قعر مظلبة^(٣) * فاعف عليك سلام الله يا عمر^(٤)
ما آثروك بها إذ قنموك لها * لكن لأنفسهم كانت بك الأثر^(٥)

فأخرجه عمر وجلس على كرسي، وأخذ بيده شفرة، وأوهم أنه يريد قطع لسانه،

فضج وقال : إني والله يا أمير المؤمنين قد جهوتُ أبي وأُمِّي وأسرأتي ونفسي، فبسم
عمر ثم قال : ما الذي قلت ؟ قال : قلتُ لأبي وأُمِّي :

ولقد رأيتك في النساء فسؤيتني * وأبأ ببيك فسانى في المجلس

وقلت لأبي خاصة :

فبئس الشيخ أنت لدى تميم * وبئس الشيخ أنت لدى المالئ

وقلت لأُمِّي خاصة :

تحمي وأجلسني مني بجيدا * أراح الله منك العالمينا^(٦)
أغرباً لا إذا استودعت سراً * وكأنونا^(٧) على المتحدثينا

وقلت لأمرأتي :

أطوف ما أطوف ثم آتي^(٨) * إلى بيت قعيدته لكعاج

- ١٠ (١) يرى «بذي أمر» . وذكر صاحب القاموس في مادة «مرخ» أن ذا مرخ بالتحريك :
واد بالهجاز ، وقال ياقوت : هو راد بين فلك والواشية كثير الشجر، وأورد هذا البيت ، ثم قال :
والرواية المشهورة «بذي أمر» . وذو أمر : موضع بجند من «بارضلفان» .

(٢) في الأغاني : «زغب الحواصل» .

(٣) رواية الأغاني : «لم يأثروك» .

(٤) الأثر : جمع أثره وهي المكرمة المتواردة .

(٥) الغربال : يريد به التمام .

(٦) الكانون : يريد به الثقل الوهم من الناس .

(٧) الرواية المشهورة في هذا البيت : «ثم آوى» .

وقلت لنفسى :

أَبَتْ شِفَتَايَ الْيَوْمَ إِلَّا تَكَلَّمًا ^(١) • بِسَوْءِ مَا أَدْرَى لِمَنْ أَنَا قَائِلُهُ
أَرَى لِي وَجْهًا شَوْءُ اللَّهِ خَلَقَهُ • قُبِّحَ مِنْ وَجْهِهِ وَقُبِّحَ حَامِلُهُ

نَفَلَى عَمْرِئِ سَيْلِهِ ، وَأَخَذَ عَلَيْهِ الْإِيحَى أَحَدًا ، وَجَعَلَ لَهُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ اشْتَرَى بِهَا مِنْهُ
أَعْرَاضَ الْمَسَامِينِ ، فَقَالَ يَذْكُرُنِيهِ إِيَّاهُ عَنِ الْمَجَاهِدِ وَيَتَأَسَفُ :

وَأَخَذَتْ أَطْرَافَ الْكَلَامِ فَلَمْ تَدَعْ • شَمَمًا يَضُرُّ وَلَا مِدِيحًا يَنْفَعُ
وَمَنْعَتِي عِرْضَ الْبَخِيلِ فَلَمْ يَخْفَ ^(٢) • شَمِي وَأَصْبَحَ آمِنًا لَا يَخْزَعُ

وَأَمَّا حَمِيدُ الْأَرْقُطِ : فَكَانَ هَيَّاءَ لِلضَّيْفِ ، فَحَاشَا عَلَيْهِ ، فَتَزَلُّ بِهِ ضَيْفُذَاتُ
لَيْلَةٍ ، فَقَالَ لِأَكْرَمَاتِهِ : نَزَلَ بِكَ الْبَلَاءُ ، قَوِي فَأَعِدِّي لَنَا شَيْئًا ، فَفَعَلْتُ ، فَجَعَلْتُ

الضَّيْفُ يَا كُلَّ وَيَقُولُ : مَا فَعَلَ الْجَهَّاجُ بِالنَّاسِ ؟ فَلَمَّا فَرَّغَ قَالَ حُمَيْدُ :

يَخْزَعُ عَلَى الْأَطْنَابِ مِنْ جَذَلٍ بَيْتَنَا • هَيْجَفٌ لِمُخْزَوْنِ السَّيِّئَةِ بِإِذْنِ ^(٣)
يَقُولُ وَقَدْ أَلْقَى الْمَرَامِي لِلْقَرَى • أَيْنَ لِي مَا الْجَهَّاجُ بِالنَّاسِ فَاعِلُ
فَعَلْتُ لَمْ تَمْرِي مَا لِهَذَا أَتَيْتَنَا • فَكُلُّ وَدِيعِ الْأَخْبَارِ مَا أَنْتِ آكِلُ
تَدْرِي كِفَاهَ ^(٤) وَيَحْدُرُ حَلْقُهُ • إِلَى الصَّدْرِ مَا حَازَتْ عَلَيْهِ الْأَنَامِلُ
أَنَا وَلَمْ يَفِدْ لَهُ تَحْبَانُ وَائِلِ • بَيَانًا وَعِلْقًا بِالَّذِي هُوَ قَائِلُ
فَا زَالَ عَنْهُ اللَّقْمُ حَتَّى كَانَهُ • مِنْ الْيَمِينِ لَمَّا أَنْ تَكَلَّمَ بِإِقْلُ

(١) رواية الأغانى : « بشر » .

(٢) رواية الأغانى : « وجمعتى ... القيم ... ذمى ... يخرع » .

(٣) لعله : « يجل » . والمجيب : الجفاف الثقيل .

(٤) رواية المقدم الفريد (ج ٢ ص ٣٢٧) :

« يجهز الى الزور ما ضمت ... الخ »

ونزل به أضياف، فاطعمهم تمرًا وهجاءم، وادعى عليهم أنهم يأكلونه بنواه، فقال:
 باتوا وجعلنا الصبياء حويلهم * كأن أنفجارهم فيها السكاكين
 فأصبحوا والنوى عالي ممرهم * وليس كل النوى تلقى المساكين

وأما خالد بن صفوان : فكان إذا أخذ جائزته، قال للدرهم : طالما سرت
 في البلاد ، أما والله لأطيلن حبسك ، ولأدين لبتك . وقيل له : مالك لا تنفق ،
 فإن مالك عريض ؟ فقال : الدهر أعرض منه ، قيل : كأنك تؤمل أن تعيش
 الدهر كله ، قال : ولا أخاف أن أموت في أوله .

وأما أبو الأسود الدؤلي : فعمل دكانا عاليا يجلس عليه ، فكان ربما أكل
 عليه فلا يناله المجتاز ، فزبه أعرابي على جمل فعرض عليه أن يأكل معه ، وطلق
 أنه لا يناله ، فأنافخ الأعرابي بعيره حتى وازى الدكان ، وأكل معه ، فاجلس
 بعد ذلك على الدكان . وكان يقول : لو أطمعنا المساكين في أموالنا كنا أسوأ حالا
 منهم . وقال لبنيه : لا تطعموا المساكين في أموالكم ، فإنهم لا يقنئون منكم حتى
 يروكم في مثل حالهم . ووقف عليه أعرابي وهو يتغذى ، فسلم عليه ، فردّ عليه ، ثم
 أقبل على الأكل ولم يعرض عليه ، فقال الأعرابي : أما إني قد مررت بأهلك ،
 قال : كان ذلك طريقك ، قال : وهم صالحون ، قال : كذلك فارقتهم ، قال :
 وأمرأتك حبي ، قال : كذلك كان عهدي بها ، قال : ولدت ، قال : ما كان بد لها
 أن تلد ، قال : ولدت غلامين ، قال : كذلك كانت أمها ، قال : مات أحدهما ،
 قال : ما كانت تقوى على رضاع اثنين ، قال : ثم مات الآخر ، قال : ما كان

(١) الجلة : قفة كبيرة للتمر .

(٢) كذا في العقد الفريد . وفي الأصل : « ... ملق ... أنى ... الخ » .

(٣) في العقد الفريد : « قال : لا ، ولكن أخاف ألا أموت في أوله » .

لَيْتَنِي بِسَدِّ أَخِيهِ ، قَالَ : وَمَاتَتِ الْأُمُّ ، قَالَ : جَزَّأَ عَلَى وَلَدَيْهَا ، قَالَ : مَا أَطِيبَ طَعَامَكَ ! قَالَ : ذَلِكَ جَزَائِي عَلَى أَهْلِهِ ، قَالَ : أَفْ لَكَ مَا الْأَمَكُ ! قَالَ : مِنْ شَاءِ سَبِّ صَاحِبِهِ .

ونظير هذه الحكاية : مَا حُكِيَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا مَرَّ بِاتْنَرٍ ، فَقَالَ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ يَا بَنَ عَم ؟ قَالَ : مِنَ النَّيَّةِ ، قَالَ : فَهَلْ أَتَيْتَنَا مِنْهَا بِخَبْرٍ ؟ قَالَ : سَلْ عَمَّا بَدَأَ لَكَ ، قَالَ : كَيْفَ عَلِمْتُكَ بِجِيئِي ؟ قَالَ : أَحْسَنَ الْعِلْمِ ، قَالَ : هَلْ لَكَ عِلْمٌ بِكُلِّي نَفَاعٍ ؟ قَالَ : حَارَسَ الْحَيَّ : قَالَ : فَبِأَمِّ عَثَانَ ؟ قَالَ : نَحْجُ نَحْجُ ! وَمَنْ يَمِثْلُ أُمِّ عَثَانَ ! لَا تَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ إِلَّا مَنْحَرَفَةً بِالثِّيَابِ الْمُصَفَّرَاتِ ، قَالَ : فَبِعَثَانَ ؟ قَالَ : وَأَبِيكَ فَإِنَّهُ جَرَّوُ الْأَسَدِ وَيَلْعَبُ مَعَ الصَّبِيَّانِ وَيَبِيدُهُ الْكَسْرَةُ ، قَالَ : فَبِجَمْلَانَا السَّقَاءَ ؟ قَالَ : إِنْ سَنَامَهُ لَيَخْرِجُ مِنَ الْغَيْطِ ، قَالَ : فَبِالِدَارِ ؟ قَالَ : وَأَبِيكَ ، إِنَّمَا لَخَصِيصَةُ الْجَنَابِ ، عَامِرَةُ الْفَنَاءِ ، ثُمَّ قَامَ عَنْهُ وَقَعَدَ نَاحِيَةً يَا كُلَّ فُلَا يَدْعُوهُ ، فَتَزْ كُلُّبُ فَصَاحَ بِهِ وَقَالَ : يَا بَنَ عَم ، أَيْنَ هَذَا الْكَلْبُ مِنْ نَفَاعٍ ؟ قَالَ : يَا أَسَقَا عَلَى نَفَاعٍ ! مَاتَ ، قَالَ : وَمَا أَمَاتَهُ ؟ قَالَ : أَكَلُ مِنَ لَحْمِ الْجَمَلِ السَّقَاءَ ، فَفُصَّ بِعَظِيمٍ مِنْهُ لَمَاتَ ، قَالَ : إِنَّا قَدْ مَاتَ الْجَمَلُ ! مَا أَمَاتَهُ ؟ قَالَ : عَثَرُ بِقِرْ أُمِّ عَثَانَ ، فَانْكَسَرَتْ رِجْلُهُ ، قَالَ : وَيَلْمُكَ ! أَمَاتَتْ أُمُّ عَثَانَ ؟ قَالَ : إِي وَآلَهُ ، أَمَاتَهَا الْأَسَفُ عَلَى عَثَانَ ، قَالَ : وَيَلْمُكَ ! أَمَاتَ عَثَانَ ؟ قَالَ : إِي وَعَهْدُ اللَّهِ ! سَقَطَتِ الدَّارُ عَلَيْهِ ، فَرَمَى الْأَعْرَابِيَّ بِطَعَامِهِ وَثَرَهُ وَأَقْبَلَ يَنْفَقُ لِحَيْتُمُو يَقُولُ : إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ ! فَيَقُولُ الْآخَرُ : إِلَى النَّارِ . وَأَقْبَلَ يَنْقَطُ الطَّعَامُ وَيَأْكُلُهُ وَيَهْزَأُ بِهِ وَيَضْحَكُ ، وَيَقُولُ : لَا أَرْغَمُ اللَّهَ إِلَّا أَنْفَ اللَّثَامِ .

①٧

وَكَانَ أَحْيِصَةُ بْنُ الْجُلَّاحِ مِنَ الْبُخْلَاءِ ، وَكَانَ إِذَا هَبَّتِ الصَّبَا طَلَعَ أَطْمَةً ، يَنْظُرُ إِلَى نَاحِيَةِ هَبْوِهَا فَيَقُولُ : هُبِّي هَبْوَيْكَ ، فَقَدْ أَعْدَدْتُ لَكَ تَلْجِثَانَةً وَسَتِينَ صَاعًا مِنْ

(١) فِي الْأَصُولِ : «نَاغِصٌ» وَلَمْ يَرِدْ فِي كِتَابِ التَّلَّةِ إِلَّا مَا أُتَيْنَاهُ .

نَجْوَةً، أدفع الى الوليد منها خمس تمرات ، فيرد على منها ثلاثا ، أى لصلايتها بعد جهد ما يُلوكُ منها .

والعرب تضرب المثل في اللؤم بمادِر، تقول : هو أبخل من مادِر، ويرمّون أنه بجى حوضا وسقى لبله ، فلما أصدرها سلّح في الحوض ، لئلا يَسْقَى غيره فيه .

- وكان عُمر بن يزيد الأسدي مَبْخَلًا جدًا ، فأصابه القَوْلُجُ لحفنه الطليب بذهن كبير ، فَأَخْلَ ما في بطنه ، فلما أبرزه قال للغلام : ما تصنع به ؟ قال أصبه ، قال : لا ، ولكن مَيِّزِ الدَّهْن منه وأستصبح به .

- وقال سلم بن أبي المعافى : كان أبى متنعياً عن المدينة ، وكان الى جنبه منزعة فيها قَتَاء ، وكنت صبياً بغافى صبيان أقران لى ، فكلمتُ أبى ليهب لى درهما اشتري لى به قَتَاء ، فقال لى : أنصرف حال الدرهم ؟ كان فى سَجَر فى جبل ، فَضْرِبْ بالمعاوِل ، حتى أَسْتُخْرِج ، ثم طعِن ثم ادْخِل القِدْر وصَب عليه الماء ، وجمِع بالزُبُق ، ثم صَفَى من رَق ، ثم ادْخِل النار فُسِّك ، ثم أنْجِج فَضْرِب ، وكُتِب فى أحد شِقَيْهِ : لا إله إلا الله ، وفى الآخر : محمد رسول الله ، ثم حُمِل الى أمير المؤمنين ، فأمر بإدخاله بيت ماله ، ووَكِّل به عَوَج القلائس صُهب السَّبال ، ثم وهبه لى حارية حسنة جميلة وأنت والله أقبح من قِرْد ! أو رَزَقه رجلاً مُجَاعاً وأنت والله أجبن من صُرْد ! فهل يَبْنَى لك أن تَمْسَ الدرهم إلا بشوب ! .

ومثله قول سهل بن هارون ، وقد قاله رجل : هبْنى مَالاً مَرِيئَةً طليكَ فيه ،

قال : وما ذاك ؟ قال : درهما واحداً ، قال : يَأْبَى أنى لقد هَوَّنَت الدرهم ، وهو طابع

(١) كذا فى المحاسن والأضداد لملاحظ (ص ٨٧) وجمع الأمثال للبدانى (ج ١ ص ٩٧) وفى الأصول : « الأم » .

الله في أرضه، والدرهم ويحك ! عُشر العشرة، والعشرة عشر المائة، والمائة عشر الألف ، والألف عشر دية المسلم ؛ ألا ترى يابن أنى كيف آتتهى الدرهم الذى هو تته ؟ وهل بيوت الأموال إلا درهم على درهم ؟ .

وقال سليمان بن مزاحم وقد وقع بيده درهم ، فجعل يقلبه ، ويقول : فى شق ، لا إله إلا الله محمد رسول الله ؛ وفى شق ، قل هو الله أحد ، ما يبنى لهذا إلا أن يكون تعويداً أو رقية ، ويرمى به فى الصندوق .

كان بعضهم إذا صار الدرهم فى يده يخاطبه ويقول : أبى وأمى أنت ، كم من أرض قطعت ، وكيس خرقت ، وكم من حامل رفعت ، ومن رفيع أحملت ؛ لك عندى ألا تمرى ولا تضحى ، ثم يلقه فى كبسه فيقول : أسكن على أسم الله فى مكان لا تزول عنه ، ولا تُرْفَع منه .

ومن البغلاء "مُزَيَّد" وله حكاية تذكرها ، قيل : كان بالمدينة جارية جميلة مُغْنِيَّةٌ ، يقال لها : "بَصْبَصُ" وكانت الأشراف تجتمع عند مولاه ، فاجتمع يوماً عنده محمد بن عيسى الجعفرى وعبد الله بن مُصعب الزبيرى فى جماعة من الأشراف ، فتذاكروا أمر مزيد وبخله ؛ فقالت الجارية : أنا آخذ لكم منه درهما ، فقال لها مولاه : أنت حرة إن فعلت إن لم أشارك مخنقة بمائة دينار وثوب وشى بمائة دينار ، وأجعل لك مجلساً بالمعيق أنحر فيه بدنه ، فقالت : حى به ! وأرفع [حتى] الغيرة حتى أفعل ، فقال : أنت حرة إن منعتك منه ، ولا عاوتته عليك إن حصلت منه الدرهم ، فقال عبد الله بن مُصعب : أنا آتيكم به ، قال عبد الله : فصلتُ القعدة فى المسجد ، فإذا أنا به قد أقبل ، فقلت : يا أبا إسحاق ، أما تُحِبُّ أن ترى

بصبص ؟ قال : بلى والله ، وأمرأته طالق إن لم تكن له سنة يشتهي أن يلقاها ، فقلت له : إذا صليت العصر ، فأتني هاهنا ، فقال : أمرأته طالق إن برح من هاهنا إلى العصر قال : فانصرفت في حوائجي ، فلما كان العصر جئت فوجدته فأخذت بيده وأيتهم به ، فأكل القوم وشربوا حتى صليت التمة ، ثم تساكروا وتناوموا ، فأقبلت بصبص على مزبد ، فقالت له : يا أبا إصحاق ، كأن^(١) والله في نفسك تشتهي أن أغنيك الساعة :

لقد حثوا الرجال ليهشربوا منا فلم يثلوا

فقال لها : أمرأته طالق إن لم تكوني تعلمين ما في اللوح المحفوظ ، ففتته لئلا ، ثم قالت له : كأني بك تشتهي أن أقوم من مجلسي فأجلس إلى جنبك فتدخل يدك في جلبابي ؟ فقال : أمرأته طالق إن لم تكوني تعلمين ما في الأرحام ، وما تكسب^(٢) الأنفس غداً ، قالت : فقم ، فقام وجلس إلى جانبها وغنت له ، ثم قالت : أعلم أنك تشتهي أن أغنيك :

أنا أبصرت بالليل * غلاماً حسن الدل

كفصن البان قد أصب * بح مسقياً من الطل

فقال لها : أمرأته طالق إن لم تكوني نيةً مرسلةً ، ففتته وقبلها ، ثم قالت : يا أبا إصحاق ، هل رأيت قط أنذل من هؤلاء ؟ يدعو^(٣)نك ، ويخرجونني إليك ولا يشترتون نقلاً ولا ربحاً ، كأني بك وفي جيبيك درهم وأنت تقول : الساعة أخرجه

⑤

(١) كذا في الأغاني : ج ١٣ ص ١١٧ . وفي الأصول : « كأن » .

(٢) رواية الأغاني : « كأن في حاك تشتهي أن أقوم من مجلسك فتجلس إلى جانبي » .

(٣) كذا في الأغاني : وفي الأصول : « يدعو^(٣)نك ويدعونك ... الخ » .

واعطيا لآياه، وتشترى به ماتريد؛ فقام من جنبها وقال : أخطأت أسْتُك الحُفْرَة ، وأقطع عك الوحي ، ووثب وجلس ناحية ، فأنقبه القوم وعططوا عليها وعلموا أن حيلتها لم تيم ، ونرج من عندهم ولم يعد إليهم .

وقال بعضهم : بت عند رجل من اهل الكوفة من الموسرين وله صبيان نيام، فرأيته في الليل يقوم فيقلبهم من جنب الى جنب ، فلما أصبحنا سأله عن ذلك ، فقال : هؤلاء الصبيان يأكلون وينامون على اليسار، فيمريهم الطعام ، ويصبحون جوعا ، فانا أقلبهم من اليسار الى اليمين لئلا ينضم ما أكلوه سريرا .

وكان زياد بن عبد الله الحارثي واليا على المدينة ، وكان فيه بخل وجفاء ، فأهدى إليه كاتب له سلالا فيها أطعمة ، وقد تنوق فيها ، فواقته وقد تغدّى فقال : ما هذه ؟ قالوا : غداء بعثه فلان الكاتب ، فغضب وقال : بيعت أحدهم الشيء في غير وقته ، يا خيثم بن مالك — يريد كاتب شرطته — ادع لي اهل الصفة يأكلون هذا ، فبعث خيثم الحرس يدعونهم ، فقال الرسول الذي جاء بالسلال : أصالح الله الأمير ، لو أمرت بهذه السلال تفتح وينظر ما فيها ، قال : آكشفوها ، فإذا طعام حسن من دجاج وفراخ وجداء وسمك وأخيسة وحلواء ، فقال : آرغموا هذه السلال ؛ وجاء أهل الصفة فأخبرهم ، فأمر بإحضارهم وقال : يا خيثم ! أضربهم عشرة أسواط ، فإنه بلغني أنهم يفسون في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) هذا مثل يضرب لمن أراد شيئا فم ينه .

(٢) السلطة : حكاية أصوات المتجانب اذا قالوا : عيط عيط .

(٣) وردت هذه الحكاية في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٤) والأغانى (ج ١٧ ص ١٠٢)

٢٠ باختلاف في العبارة مع اتفاق في المعنى .

(٤) تنوق : في الأمر بمجود وبالغ فيه كذبت .

ومن الخلقاء من يُنسب إلى البخل، فمنهم عبد الملك بن مروان كان يلقب برُخّ العَجْر، ولبن الطير، لبخله .

ومنهم هشام آبنه، وكان ينظر في بيع الهدايا التي تُهدى إليه . حُكي عنه أن أعرابياً أكل عنده فرفع اللقمة إلى فيه، فقال له هشام: في لقمك شُرة يا أعرابي؛ فقال: وإنتك تلاحظني ملاحظة من يرى الشُرة، والله لا أكلتُ عندك أبداً، ثم قام وأنصرف .

ومنهم أبو جعفر المنصور كان يلقب بأبي الدوانيق، لُقّب بذلك لأنه لما بنى مدينة بغداد كان يباشرها بنفسه ويحاسب الصُناع، فيقول لهذا: أنت نمت القائلة، ولهذا: لم تُبكر، ولهذا: أنصرفت قبل أن تُكمل اليوم، فيسقط لهذا داتها، ولهذا دافيقين، فلا يكاد يعطى لأحد أجرة كاملة؛ وكان يقول: يزعمون أنّي بخيل، وما أنا ببخيل، ولكن رأيتُ الناس عبيد المال، فمنعُهم عنه، ليكونوا عبيداً لي . ويحكى عنه أنه قال لطلباخه: لكم ثلاثة وعليكم اثنتان، لكم: الزهوس والأكارع والجلود، وعليكم: الحبوب والتوابل . ومن حكاياته الدالة على بخله: أن صاحبه الربيع بن يونس قال له يوما: يا أمير المؤمنين، إن الشعراء يبابك وهم كثير، وقد طالت أيامهم ونفذت نفقاتهم، فقال: اخرج إليهم وسلم عليهم، وقل: لهم من مدحتنا منكم فلا يصف الأسد فإنما هو كلب من الكلاب، ولا الحية فإنما هي دويصة منقنة تأكل التراب، ولا الجبل فإنه حجر أصم، ولا البحر فإنه عطن بضّ لحب، فمن ليس في شعره شيء من هذا فليدخل، ومن كان في شعره شيء منه فليُنعصر، فأبلغهم فانصرفوا كلهم إلا إبراهيم بن هرمة فإنه قال: أنا له ياربيع، فأدخلني عليه فأدخله، فلما مثل بين يديه، قال له: ياربيع قد علمت أنه لا يبيحك غيره، فأنشده قصيدته التي منها:

له لحظَات في حَقَاقٍ سريره * إذا كَرَّها فيها عَقَاب ونَائِلُ

فَأَمَّ الذی أَمَّنَتْ آمِنَةً الردى * وَأَمَّ الذی خَوَّفَتْ بِالْثُكُلِ ثَائِلُ ^(٢)

فرفع له السَّتر وأقبل عليه وأصغى إليه ؛ فلما فرغ من إنشاده أمر له بعشرة

آلاف درهم ، وقال له : يا إبراهيم ، لا تتلفها طمعا في نيل مثلها منا ، فاكُلْ وقت

تصل إلينا ، فقال إبراهيم : ألقاك بها يا أمير المؤمنين يوم القيامة وعليها الجُهْدُ ^(٣) .

ودخل المؤمِّل بن أميل على المهدي وكان بالرِّيِّ ، وهو إذ ذاك ولي عهد أبيه

المنصور ، فامتدحه بأبيات يقول فيها :

هو المهديُّ إلا أن فيه * مِثَالُهُ صورة القمر المنير

تَسَابَهَ ذا وإذا فُهما إذا ما * أنا را يُسْكِلَانِ على البصير

فهذا في الضياء سِرَاجٌ عدل * وهذا في الظلام سراج نُور

ولكن فَضْلُ الرَّحْمَنِ هذا * على ذا بالمنابر والسَّيرير

وبعضُ الشَّهْرِ يَحْتَقِي ذا وهذا * منير عند نقصان الشهور ^(٤)

وجاء منها :

فإن سبق الكبيرُ فَاهُلُ سَبَقِي * له فضلُ الكبير على الصغير

وإن بلغ الصغيرُ مَدَى كبير * فقد خُلِقَ الصغير من الكبير

فأعطاه عشرين ألف درهم . فكتب بذلك صاحب البريد الى المنصور وهو

ببغداد ، فكتب الى المهدي يلومه ويقول له : إنما كان ينبغي أن تمنعني الشاعر إذا

(١) في ذيل الأمل ص ٤٠ طبع دار الكتب المصرية : « من » .

(٢) رواية ذيل الأمل : « حارلت » .

(٣) الجُهْد : كاتب رسم استخراج المال وقبضه .

(٤) في الأغانى (ج ١٩ ص ١٤٨) :

وبعضُ الشَّهْرِ ينقصُ ذا وهذا * منير ... الخ وإن كان قد ورد فيه مجزئا

- أقام بياك سنة أربعة آلاف درهم ، وأمره أن يوجهه إليه ، فطلب فلم يوجد ،
وتوجه الى بغداد فكتب الى المنصور بذلك ، فأمر بإرساله فسيك ، وقيل له : أنت
بقيّة أمير المؤمنين وطلبت ، قال المؤمل : فكاد قلبي يتخلع خوفاً وقرعاً ، ثم أخذ يبدى
وأطلق بي الى الربيع ، فأدخلني على المنصور ، وقال : يا أمير المؤمنين ، هذا المؤمل
• ابن أميل قد خلفه به ، فسلمت عليه فردّ عليّ السلام ، فسكن جاشي وأطمأن قلبي
وزال روعي ، ثم قال لي : أتيت غلاماً غراً تفدعته فأفدع ، فقلت : يا أمير المؤمنين ،
إنما أتيت ملكاً جواداً كريماً ، فدعته فحملته أريحته على أن وصلني وبرتني ، فأعجبه
ذلك ، ثم قال : أنشدني ما قلت فيه ، فأنشدته ، فقال : والله لقد أحسنت ، لكن
ما يساوي عشرين ألفاً ، ياربيع خذ المال منه ، وأعطه منه أربعة آلاف درهم .
١٠ فلما ولي المهدي الخلافة ، قدم عليه المؤمل فأخبره بما كان بينه وبين أبيه ، فضحك
وردّ عليه ما أخذ منه .

وحكى ابن حمدون في كتابه المترجم بالتذكرة : أن المنصور حجّ في بعض السنين
فحدا به سالم الحادي يوماً بقول الشاعر :

أبلغ بين حاجيه نُورُهُ * إذا تغدّى رُفعت ستورُهُ

- ١٥ يزيّنه حياؤه وخيره * ومسكه يسوبه كافورُهُ

- فطرب المنصور حتى ضرب بربطه الحُمل ، ثم قال : ياربيع ، أعطه نصف
درهم ، فقال سالم : لا غير يا أمير المؤمنين ! والله لقد حدوثت بهشام بن عبد الملك
فأمر لي بثلاثين ألف درهم ، فقال المنصور : ما كان له أن يعطيك من بيت المال
ما ذكرت ، ياربيع وكلّ به من يستخرج منه هذا المال ، قال الربيع : فما زلت
أسفر بينهما حتى شرط عليه أن يحدّو به في خروجه ورجوعه بشير مؤنية . وكان سالم
٢٠

هذا يُورد الإبل ثمان ولتسع ولعشر، فيحدوها فيلها حدوه عن ورود الماء .
ومن طريف ما حكي عنه : أن عبيد الله بن زياد الحارثي، كتب إليه رقعة بليغة
يستبيحه فيها، فوقع عليها : إن الفنى والبلاغة إذا اجتمعا لرجل أبظراه ، وإن
أمير المؤمنين مشفق عليك، فاكثف بالبلاغة .

وقد ذم الشعراء البخل ونحووا من أتصف به . فمن ذلك، وهو أبلغ ما قاله محدث،
قول ابن الرومي :

[ما كنت أحسب أن الخبز فاكهة * حتى نزلت على أوفى بن منصور]
الحابس الزوئث في أعفاج بقلته ^(٢) * خوفا على الحب من لقط المصايفير
وقال العسكري : أبلغ ما قيل في البخل قول ابن الرومي :

يقتر عيسى على نفسه * وليس بباقي ولا خالد
فلو يستطيع لتقتيره * تنفس من منخر واحد
[عذناه أيام إعدامه * فما عذر ذي بخل واجد]
رضيت لتشتيت أمواله * يدي وأريت ليس بالحامد

وقال أبو تمام :

صدق أليته إن قال مجتهدا * لا والرغيف فذاك البر من قسيمة
وإن هممت به فافئك بمخبرته * فإن موقعها من لحمه ودمه
قد كان يجيئ لو أن غيرته * على جرادقه كانت على حرمة

- (١) الزيادة عن الحسن والأضداد لم يحفظ طبع لدين ص ٩٦ ، وقد نسب البيهقي لأن لم يسه
ولم يوجد هذان البيتان في ديوان ابن الرومي .
(٢) الفخج : ما يفتل إليه الطعام بعد المعدة .
(٣) الزيادة من ديوان ابن الرومي المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٩ أدب .
(٤) كذا في النقد الفريد . وفي الأصل : « لو كان » .

وقال دجبل :

إِسْتَقَى وَدَّ أَبَى الْمُقَا * تَلَجِينَ تَأْكُلُ مِنْ طَعَامِهِ
سَيَّاتٍ كَسَرُ رَغِيْفِهِ * أَوْ كَسَرُ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهِ
وَتَرَاهُ مِنْ خَوْفِ التَّزْيِدِ * لَمْ يَلْ بِهِ يَرْوَعُ فِي مَنَامِهِ

وقال أبو هلال العسكري :

خُبِرَ الْأَمِيرُ عَشِيْقُهُ * يَفْدُو عَلَيْهِ يُلَاجِعُهُ
وَإِذَا بَدَأَ بِالْجُلَيْسِ * أَفْضَى إِلَيْهِ يُعَاتِيهِ
وَتَحْوِطُهُ حُرَّاسُهُ * وَتَذُبُّ عَنْهُ كَتَائِبُهُ
أَلِ الزُّورِ يُصَفِّعُ عَنْده * وَالضَّيْفِ يُنْتَفِ شَارِبُهُ

وقال آخر :

فَتَى لِرَغِيْفِهِ قُرْطٌ وَشَنْفٌ * وَإِكْلِيلَانِ مِنْ دُرٍّ وَشَذَرٍ
إِذَا كَسَرَ الرِّغِيْفَ بِكِي عَلَيْهِ * بِكَاءِ الْخِلْسَاءِ أَذْجَلُمَتْ بِصَخْرٍ
وَدَوْنِ رَغِيْفِهِ قَلْعُ الثَّنَائِيَا * وَحَرْبٌ مِثْلُ وَقْعَةٍ يَوْمَ بَذَرٍ

وقال آخر :

إِنْ هَذَا الْفَتَى يَهْجُونَ رَغِيْفَا * مَا إِلَيْهِ لَا أَكَلِي مِنْ سَبِيلٍ
هُوَ فِي سَفَرَيْنِ مِنْ أَدَمِ الطَّا * ثَفٍ فِي سَلَتَيْنِ فِي زَنْبِيلٍ
خُجِمَتْ كُلُّ سَلَّةٍ بِرَصَائِصٍ * وَسُيُورٍ قُدْدَنَ مِنْ جُلْدِ فِيلٍ
فِي حِرَابٍ فِي جَوْفِ تَابُوتِ مُوسَى * وَالْمِفْتَاحِ عِنْدَ مِيكَائِيلِ

وقال العسكري :

قَلَّ خَيْرٌ أَبْنِ قَاسِمٍ * فِضْنَاهُ صَكْمُ مِدْمَةٍ
كَأَدَمٍ خَشْيَةُ الْفِرْعَوْنِ * يَخْتَبِي فِي حِرِّ أُمِّهِ

جازى اللؤم حده * كأييه وعمه

كاد يُعديك لؤمه * لو تسميت باسمه

وقال أيضا :

لك برمة تزعتها * من أن تكتس بالسم

بيضاء يثرق نورها * كالبدر في غسق الظلم

لو كان عِرْضُكَ مثلها * كنت الممدح في الأمم

أو كان فعلك مثل قو * لك كنت تاريخ الكرم

وقال أيضا :

ضفتُ عمرا بغفاهي برغيف * زادني أكله على الجوع جوعاً

ثم ولَّى يقول وهو كئيب * لهف نفسي على رَغِيفٍ أضيماً

كان خداعة الضيوف ولكن * ربما أصبح الخلدوع خديماً

كنتُ أنزله محلاً رفيماً * ففدا ذلك الرفيع وضيماً

عجبا منه إذ أصبح حِما * كيف لم يمنع وكان مَنِيماً

وقال آخر :

أرى ضيفك في الدار * وكرب الموت يشأه^(١)

على خبزك مكتسوب * « سيَكْرِ بِكُمْ اللهُ »

وقال بشار :

وضيف عمرو وعمرو يَسْهَران معاً * عمرو لبطيته والضيف للجوع

وقال آخر :

نوالك دونه تَرط القناد * وخبزك كالتراب في العباد

(١) في الحامض والأضداد : « الجوع » .

ولو أبصرت ضيفا في منام * لحسرت المنام الى التناد
أرى عمر الغيف يطول جدا * لديك كأنه من قوم عاد
وما أهجوك أنك كف شعري * ولكني هجوتك للحساد

وقال العسكري :

قد كلف لال ربا * فصار بالبخل عبدا
وصحف الصيف ضيفا * فراح يلطم خده

وقال أبو نؤاس في إسماعيل بن نوبخت، بعد أن نصب إسماعيل في حصن داره طارمة^(١)، وأصطحب فيها أربعين يوما ومعه جماعة، منهم أبو نؤاس، فبلغت نفقته أربعين ألف درهم، ثم قال بعد ذلك :

خبر إسماعيل كالوش * عى إذا ما شق يرفا
عجبا من أثر الصنعة فيه كيف يثقى
إن رفاك هذا * ألطف الأئمة كفا
فإذا ألصق بالنص * فممن الجردق نصفا
ألطف الصنعة حتى * ما ترى مطنن إثنى
مثل ما جاء من التث * حور ما غادر حرقا
وله في الماء أيضا * عمل أبداع علوقا
مزجه العذب بماء ال * يفركي يزداد ضفقا
فهو لا يشرب منه * مثل ما يسقيك صرقا

(١) الطارمة : بيت من خشب كالقبة، مغرب .

(٢) رواية البغد القريد :

أحكم ما يرى مفرز إثنى

والإثنى : نصف الإسكاف .

وقال فيه :

على خبز إسماعيل واقبة البُخل * فقد حلّ في دار الأمان من الأكل
وما خبزه إلا كماء مُقرب * تُصوّر في بُسط الملوك وفي المثل
يحدث عنها الناس من غير رؤية * سوى صورة ما إن تُمر ولا تُحلي
وما خبزه إلا كآوى يرى أبسه * ولم ير آوى في الحزون وفي السهل
وما خبزه إلا كليب^(١) بن وائل * ليالى يَمِي عِزّة منيت البقل
وإذ هو لا يَسْتَبْ خَصمان عنده * ولا الصوت مرفوعٌ يمد ولا هزل
فإن خبز إسماعيل حلّ به الذي * أصاب كليباً يكن ذاك عن ذلك
ولكن قضاء ليس يُسطاع رده * بجيلة ذى مكّر ولا دهرى ذى عقل

وقال ابن الرومي :

بخيل يُصوم أضياقه * ويَحْتَل عنهم بأجر الصيام
يُدسّ الفلام فيوليه^(٢)م * هو أنا فَيُشْتَم مولى الضلام
فهم مُفِطرون وهم صائمون * وما يُطعمون وهم في أفاع
فيحتال بخلاً لأن يُفِطروا * على رَقِيت القول دون الطعام

(١) كليب بن وائل يضرب به المثل في العزة فيقال « أعز من كليب بن وائل » وبلغ من عزه أنه كان يَمِي مواقع السحاب فلا تزعى ، وإذا جلس لا يترأّض أحد بين يديه إجلالاً له ، ولا يَحْتَجِي أحد في مجلسه غيره ، ولا تورد إبل أحد مع إبله ، ولا توفد نار مع ناره ، ولم يكن يكرى ولا تنظي يبحر رجلاً أو يهيرا أو يَمِي أحد إلا بأمره ، وكان هو يبحر على الدهر فلا تخفّذه . وجاءه كل هذا السلطان بعد أن قاد القبائل الزوارية لمحاربة القبائل الجينة في عدة مواقع كان النصر فيها آخر الأمر لحليفه ، فاجتمعت عليه معه كلها بالانقياد والطاعة .

(٢) في ديوان ابن الرومي : « جفا » .

وقال أحمد بن كُشَايِم :

- صديقٌ لثامن أبرج الناس في البخل * وأفضلهم فيه وليس بذى فضل
دعاني كما يدعو الصديقُ صديقه * بغت كما يأتى إلى مثله مثلي
فلما جلسنا للطعام رأيتُ * يرى أنه من بعض أعضائه أكل
ويتناظر أحيانا ويتشمَّ عبده * وأعلم أن القيظ والشم من أجل
فاقبلت استلَّ الفداء غفلةً * والحاظ عييه وقبُّ على فعل
أشدُّ بدى سراً لأتبرق لقمةً * فيلحظني شزراً فاقبْتُ بالقليل
إلى أن جئتُ كَفَى لحنى جنايةً * وذلك أن الجسوع أعدنى عقلي
بغسوت بدى لقين رجلَ دجاجةٍ * بغرَّت كما جرَّت بدى رجلها رجل
وقدَّمَ من بعد الطعام حلاوةً * فلم استطع فيها أيمراً ولا أكل
وقت لو أتى كنتُ يثُثُ نيةً * ربحْتُ ثواب الصوم مع عدم الأكل
- وقال آخر :

تراهم خشيَةَ الأضيافِ تُحرِّمًا * يُقيمون الصلاة بلا أذانٍ



- احتجاج البخلاء وتحسينهم للبخل على قبحه
- ١٥ قالت الحكماء : لكن عنايتك بحفظ ما اكتسبته كعنايتك باكتسابه .

وقال أبو الأسود الدؤلى لبنيه : لأتجاودوا الله فإنه أكرم وأجود ، ولو شاء أن
يُنْفِي الناس كلهم لفعل ، ولكنه علم أن قوما لا يُصلحهم ولا يصلح لهم إلا الفقر ،
وقوما لا يُصلحهم ولا يصلح لهم إلا الغنى .

وقال رجل من تغلب : أتيت رجلا من كندة أسأله ، فقال : يا أخا بني تغلب ،
إني لن أصلك حتى أحرّم من هو أقرب إلى منك ، [وإني والله لو مكنتُ من
داري لنقضوها طوبة طوبة] ، وإنه لم يبق من مالى وعرضى وأهلى إلا ما منعتُه
من الناس .

وقيل : إن لقمان الحكيم قال لابنه : يا بُنى ، أوصيك بأثنتين لن تزال بخير
ما تمسكتَ بهما : دِرْهَمَكَ لمعاشك ، ودينك لمعادك .

وقال أبو الأسود : إمساكُك ما تبذل ، خير من طلبك ما يبذل غيرُك ؛ وأنشد :
يلومونى فى البخل جهلاً وضلّةً * وللبخل خيرٌ من سؤال بخيل

ونظيره قول المتاميس :

وحسبُ المال أيسرُ من بقاء * وضرب فى البسلاد بغير زاد
وأصلحُ القليل يزيدُ فيه * ولا يتقى الكثيرُ مع الفسادِ

وقال الجاحظ : قلت للحراني : يا بخيل ! قال : لا أعدمنى الله هذا الاسم ، لأنه
لا يقال لى بخيل إلا وأنا ذومال ، فسلم لى المال وسمّنى بأى اسم شئت ؛ قلت :
ولا يقال لك سحى ، إلا وأنت ذومال ، فقد جمع الله لهذا الاسم المال والحمد ،
وجمع لذلك المال والذم ؛ فقال : بينهما فرق عجيب ، وبون بعيد ، إن فى قولهم :
بخيل سببا لمكث المال فى ملكى ، وفى قولهم سحى سببا لخروجه عن ملكى ، وأسم

(١) زيادة عن المقد الفريديج ٣ ص ٣٣٣

(٢) رواية القد الفريد : اسألك ما بيدك خير من طلبك ما بيد غيرك .

(٣) فى الأصل : « بقاء » والبقاء (بالفتح والمدة) : السى والطلب .

(٤) ورد هذا الخبر فى المقد الفريد (ج ٣ ص ٣٣٣) والبخل الجاحظ ص ٦٥ طبع ليدن بتبسط

البخل فيه حزم وذم، وأسم السخاء فيه تضييع وخذل، وما أقل غناء الحمد عنه إذا جاع بطنه، وعيرى ظهوره، وضاع حياله، وثبت به عدوه ! .

وقال محمد بن الجهم : من شان من استغنى عنك ألا يقيم عليك، ومن احتاج إليك ألا يزول من عندك . ومن حبك لصديقك وضك بمودته ألا تبذل له ما يفتيه عنك، وأن تتلطف له فيما يحوجه إليك . وقد قيل في مثل هذا : « أجمع كلبك يتبعك، وتتمنه يأكلك » . فمن أغنى صديقه فقد أمانه على القدر، وقطع أسباب الشكر . والمعين على البذر شريك للغادر، كما أن المزين للفجور شريك للفاجر .

وقال أبو حنيفة : لا خير فتمن لا يصون ماله ليصون به عرضة، ويصل به رحمه، ويستغنى به عن لام الناس . قال عبد الله بن المعتز :

أعاذل ليس البخل متى سجيبة • ولكن وجدت الفقر شر سبيل
لموت الفتى خير من البخل للفقى • وللبخل خير من سؤال بخيل

وكان داود بن علي يقول : لأن يترك الرجل ماله لأعدائه خير من الحاجة في حياته لأوليائه . قال الشاعر :

مَالٌ يَخْلُقُهُ الْفَقْرُ • لِلشَّامِتِينَ مِنَ الْعِدَا

خير له من قصده • إخوانه مستترِفدا

وقال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ : لأن أخلف عشرة آلاف درهم أحاسب عليها أحب إلى من أن احتاج إلى الناس . وقال : كان المال فيما مضى يكره، وأما اليوم فهو يزين المؤمن . وجاء رجل فقال له : يا أبا عبد الله، تملك هذه الدنانير ! فقال : آسكت، فلولاها لتمدنتنا هؤلاء الملوكة، ولكن من كان في يده منها شيء فليصلحه، فإنه زمان من احتاج فيه كان أول ما يبذل دينه .

وقال المنصور لمحمد بن مروان التيمي : إنك لسيد لولا جودُك فيك ؛ فقال :
يا أمير المؤمنين ، إني لأجودُ في الحق ، ولا أنوب في الباطل .

وكان محمد بن الجهم يقول : من وهب من عمله فهو أحق ، ومن وهب بعد
العزل فهو مجنون ، ومن وهب من جوائز ملوكه أو ميراثه فهو مخذول ، ومن
وهب من كسبه وما آتفاده بحيلة فهو المطبوع على قلبه ، المأخوذ ببصره وسمعه .

وسأل رجل زياد بن أبيه فأعطاه درهما ؛ فقال : صاحبُ المراقين أسأله
فيعطيني درهما ؛ فقال له زياد : مَنْ بيده خزائن السموات والأرض ربما رزق أخصى
عباده عنده وأكرمهم لديه التمرة واللقمة ، وما يكبر عندي أن أصل رجلا بمائة ألف
درهم ، ولا يصغر أن أعطى سائلا رغيفا ، أن كان رب العالمين فعل ذلك .
قال الشاعر :

يأربُّ جودَ جرَّ فقَرَّ أمرئ • فقام للناس مقامَ الدليل
فأشدُّدُ عُرَا مالِكٍ وأستقيهِ • فالبخلُ خيرُ من سؤال البخل

وقال الشريف بن المبارك :

لأصونَ درهمي • فهو لا شك صانع
لم يُعني أبْنُ والدي • وصحبي أعانني

وقال أيضا :

فه دَر دراهمي • فهُي التي أعلت مكاني
لولا الفتي عن صاحبي • لأحلي دارَ الموان

وقال آخر :

سكن بما أوتيته مُنتظما • تستدِم عيشَ القنوع المُكثني

إِنَّ نَيْلَ الْمُنَى وَشَكَ الرَّدَى * وَاجْتَنَابُ الْقَصْدِ عَيْنَ السَّرَفِ

كَدِرَاجٍ دُعْنَهُ قُوْتُ لَهُ * فَإِذَا غَرَّقَتْهُ فِيهِ طَفِي

ومن ذلك رسالة كتبها سهل بن هارون، وقد عيب عليه أمور من البخل، فأعترض عنها وأحتج فقال :

- أصلح الله أمركم، وجمع شملكم، وعلمكم الخير، وجعلكم من أهله . قال الأحنف
ابن قيس : يا بني تميم ، لا تُسرِعوا إلى الفتنة ، فإن أسرع الناس إلى القتال أقلهم
حياء من الفرار . وكانوا يقولون : إذا أردت أن ترى العيوب جمّة فتأمل عياباً ، فإنه
يعيب الناس بفضل ما فيه من العيب . ومن أعيب العيب أن تعيب ما ليس بعيب .
وقبح أن تنهى مرشداً أو تُغري بمُشَفِّقٍ . وما أريد بما قلت إلا هدايتكم وتقويمكم
وإصلاح فسادكم ، وإبقاء النعمة عليكم . ولئن أخطأنا سبيل إرشادكم فما أخطأنا سبيل
حسن النية فيما بيننا وبينكم . ثم قد تعلمون أننا ما أوصيناكم إلا بما اخترناه لأنفسنا
قبلكم ، ونُشِيرُنا به في الاتفاق دونكم ؛ ثم تقول في ذلك ما قال العبد الصالح لقومه :
(وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَى مَا أَنهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ
وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) . فما كان أحقكم في كريم حرمنا بكم
أن ترتعوا حتى قصدنا بذلك اليكم على مارعيناه من واجب حقكم ، فلا العذر الميسوط
باعتقائكم ، ولا بواجب الحرمة قتم . ولو كان ذكر العيوب راءً وغرراً رأينا في أنفسنا عن
ذلك شغلاً .

عَبْتُمُونِي بِقَوْلِي لِمَا دُمِي : أَجِيدِي الْعَجِينَ فَيَكُونُ أَطِيبَ لَطْعَمِهِ ، وَأَزِيدُ
فِي رِيحِهِ ، وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ^(٢١) « أَمْلِكُوا الْعَجِينَ فَانْهَ أَحَدُ الرَّبْعِينَ » .

- (١) وردت هذه الرسالة في المقد الفريد (ج ٣ ص ٣٣٥) والبخلا . لملاحظ (ص ١٠ طبع لندن)
وفي روايتها بعض اختلافات يسيرة عن رواية الأصل .
(٢) أملكوا : أجيدوا بعنه حتى يأخذ بعنه بعضا .

وعبتموني حين ختمت على سَلِّ عَظِيمٍ ، وفيه شيء ثمين من فاكهة تقيسة ،
ومن رطبة غريبة ، على عيدِ نهمٍ ، وصبيّ جشعٍ ، وأمة لكماء ، وزوجة مُضِيعَة ؛
وليس بين أهل الأدب ، ولا في ترتيب الحكم ، ولا في عادات القادة ، ولا في تدبير
السادة ، أن يستوى في نفيس المأكول ، وغريب المشروب ، وثمين الملبوس ، وخطير
المركوب ، التابع والمتبوع ، والسيدّ والمسود ؛ كما لا تستوى مواضعهم في المجالس ،
ومواقع أسمائهم في العنوانات . ومن شاء أطعم كلبه الدجاجة السمينة ، وعَلَفَ حماره
السَّحِيمَ الْمُقَشَّرَ !



وعبتموني بالخم ، وقد ختم بعض الأئمة على مُدَّ سَوِيْقٍ ، وختم على كيس
فارغ ، وقال : طينة خير من غلّة ، فامسكتم عن ختم على لا شيء ، وعبتم على من
ختم على شيء ! .

وعبتموني أن قلت للغلام : اذا زدت في المَرَقِ فزد في الإنضاج ، ليجتمع مع
التأذم بالهم طيبُ المَرَقِ ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " اذا طَبَخَ أَحَدُكُمْ لِمَا
فَلْيَزِدْ مِنَ الْمَاءِ فَمَنْ لَمْ يُصِبْ لِمَا أَصَابَ مَرَقًا " .

وعبتموني بخُصْفِ النمل ، وبتصدير القميص ، وحين زعمت أن المخصوصة من
النمل أبى وأقوى وأشبه بالنسك ، وأن الترقيع من الحزم ، والتفريط من التضييع ،
والاجتماع مع الحفظ ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يَخُصِفُ نَعْلَهُ ، وَيَرْقِعُ
ثَوْبَهُ ، وَيَاطْعُ أَصَابِعَهُ ، ويقول : " لو أُهْدِيَ إِلَى كِرَاعٍ لَقَبِلْتُ وَلَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ
لَأَجَبْتُ " . وقال صلى الله عليه وسلم : " مَنْ لَمْ يَسْتَجِزْ مِنَ الْحَلَالِ خَفَّتْ مَوَوتِنْتُهُ وَقَلَّ

(١) الل : الجوزة وهي سليقة مفضاة بالأدم وتكون عند المطارين .

(٢) تصدير القميص : أن يجهل لصدرة بطانة .

(٣) رواية الجامع الصغير : " لو أُهْدِيَ إِلَى كِرَاعٍ لَقَبِلْتُ وَلَوْ دُعِيتُ عَلَيْهِ لَأَجَبْتُ " .

- كِبْرُهُ». وقالت الحكمة : لا جديد لمن لم يَلَيْسَ الخَلْقُ . وبثت زياد رجلا يرتاد له مُحَدَّثًا ، واشترط عليه أن يكون عاقلا ، فأتاه به موافقا ، فقال له : أكنتَ به ذا معرفة ؟ قال : لا ، ولكنِّي رأيته في يوم قاتظ ، يلبس خَلَقًا ، ويلبس الناسُ جديدا ، فتفرست فيه العقل والأدب ، وقد علمت أن الخَلْقَ في موضعه مثل الجديد في موضعه . وقد جعل الله لكل شيء قَدْرًا ، وسمي له موضعا ؛ كما جعل لكل زمان حالًا ، ولكل مقام مقالا . وقد أحيا الله بالسَّم ، وأمات بالغدَاء ، وأغصَّ بالماء ، وقتل بالدواء . وقد زعموا أن الإصلاح أحد الكاسيتين ، كما زعموا أن قلة العيال أحد اليسارين . وقد جبر الأحنف بن قيس يد صتر ، وأمر مالك بن أنس بفرك البعر . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من أكل بيضة فقد أكل دجاجة ؛ وإليس سالم بن عبد الله جلد أحمية . وقال رجل لبعض الحكماء : أريد أن أهدى لك دجاجة ، قال : إن كان لا بد ، فاجعلها بيوضا .

- وبتموني حين قلت : من لم يعرف مواضع السرف في الموجود الرخيص لم يعرف مواضع الاقتصاد في المجتمع الغالي . وقد أتيت بماء للوضوء على مبلغ الكفاية ، وأشف^(١) من الكفاية ، فلما صرت الى تفريق أجزائه على الأعضاء ، والى التوفير عليها من وظيفة الماء ، وجدت في الأعضاء فضلا عن الماء ، فعلمت أن لو كنت سلكت^(٢) الاقتصاد في أوائله لنخرج آخره على كفاية أوله ، وكان نصيب الأول كنعيب الآخر ، فبتموني بذلك وشتموه على ؛ وقد قال الحسن — وذكر السرف — : أما إنه ليكون في الماء والكلاء ؛ فلم يرض بذكر الماء حتى أردفه بالكلاء .

(١) أشف : أقل .

(٢) كذا في القيد الفريد . وفي الأصل بالخلاء : « سكت » .

وعبتموني أن قلت : لا يتن أحد بطول عمره ، وتقويس ظهره ، ورقة عظمه ،
ووهن قوته ، وأن يرى دخله أكثر من رزقه ، فيدعوه ذلك الى إخراج ماله من يده ،
وتحويله الى ملك غيره ، أو تحكيم السرف فيه ، وتسليط الشهوات عليه ؛ فلعله
أن يكون معمرًا وهو لا يدري ، وممدودا له في السن وهو لا يشمر ؛ ولعله أن يرزق
الولد على اليأس ، وتحدث عليه آفات الكبر ما لا يخطر على باله ولا يدركه عقله ،
فيسترده ممن لا يردّه ، ويظهر الشكوى الى من لا يرحمه ، أضحف ما كان عن الطلب ،
وأقبح ما كان له أن يطلب ، فعبتموني بذلك ؛ وقال عمرو بن العاص : « اعمل
لدنياك عمل من يعيش أبدا ، واعمس لأخرك عمل من يموت غدا » .

وعبتموني بأن قلت : إن التلف والتبذير الى مال الموارث ، وأموال الملوك
[أسرع^(١)] . وإن الحفظ الى المال المكتسب ، والغنى المحتلب ، والى ما يعرض فيه
لذهاب الدين ، واحتضام العرض ، ونصب البدن ، واهتمام القلب ، أسرع . ومن لم
يحسب نفقته لم يحسب دخله ؛ ومن لم يحسب الدخل فقد أضاع المال . ومن
لم يعرف للغنى قدره فقد أذن بالفقر ، وطاب نفسا بالذل .

وعبتموني بأن زعمت أن كسب الحلال ، مضمّن بالإتفاق^(٢) في الحلال ، وأن
الخليث ينزع الى الخليث ، وأن الطيب يدعو الى الطيب ، وأن الإتفاق في الهوى
حجاب دون الحقوق ، وأن الإتفاق في الحقوق حجاب دون الهوى ؛ فبتم على هذا

(١) التكلة عن البخله لملاحظ ، وأصل الجملة فيه : « وعبتموني حين زعمت أن التبذير الى مال القهار
ومال الميراث والى مال الاتقاط وسباب الملوك أسرع » .
(٢) كذا في كتاب البخله . وفي الأصل : « بدهاب » .
(٣) في المقد التريد : « بضمن الإتفاق » .

القول ، وقد قال معاوية بن أبي سفيان : لم أر تَبْذِيراً قطَّ إلا وإلى جنبه حقٌّ مُصْبِعٌ ؛
وقال الحسن : إذا أردتم أن تعرفوا من أين أصاب الرجل ماله فانظروا في أمي شيء
ينفقه ، فإن الخبيث انما يُنْفِقُ في السرف . وقلت لكم بالشفقة عليكم ، وحسن
النظر مني إليكم ، وأنتم في دار الآفات ، والجوائح غير مأمونات ، فإن أحاطت بحال
أحدكم آفةٌ لم يرجع إلى بقية^(١) ، فاحذروا النقم باختلاف الأمكنة ، فإن البلية
لا تجري في الجميع ؛ وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، في العبد ،
والأمة ، والشاة ، والبعير : فزقوا بين المنايا ، واجعلوا الرأس رأسين . وقال ابن
سيرين [لبعض البحرين^(٢)] : كيف تصنعون بأموالكم ؟ قالوا : نفرقها في السفن ،
فإن غطب بعضُ سلم بعض ؛ ولولا أن السلامة أكثر ، ما حملنا أموالنا في البحر ؛
فقال ابن سيرين : « تحسبها خرقاء وهي صناع » .

(٣٣)

وعبتموني بأن قلت لكم عند إشتاقى عليكم : إن للفني لسكرًا ، وللال تزوةً ،
فن لم يحفظ الفنى من سكره فقد أضاعه ، ومن لم يرتبط المال بخوف الفقر فقد
أهمله ، فعبتموني بذلك ؛ وقد قال زيد بن جبلة : ليس أحدٌ أقصر عقلاً من غنى
أمن الفقر . وسكر الفنى أشد من سكر الخمر . وقد قال الشاعر في يحيى بن خالد
ابن برمك :

وَهَوْبٌ يَلَادُ الْمَالَ فَمَا يَسُوبُهُ * مَنُوعٌ إِذَا مَا مَتَّعَهُ كَانَ أَحْرَمًا

وعبتموني حين زعمتم أني أقدم المال على العلم ، لأن المال به يُقَادُ العلم ،
وبه تقوم النفس قبل أن يُعرف فضل العلم ، فهو أصل ، والأصل أحق بالفضل
من الفرع ، فقلت : كيف هذا وقد قيل لبعض الحكماء : الأغنياء أفضل أم العلماء ؟

(١) كذا في البخلاء . وفي الأصول : « نقة » . وفي المقد الفريد : « إلا إل قه » .

(٢) زيادة من كتاب البخلاء .

فقل : العلماء ؛ قيل له : فإل العلماء يأتون أبواب الأغنياء أكثر مما يأتى الأغنياء أبواب العلماء ؟ قال : ذلك لمعرفة العلماء بفضل المال ، وجهل الأغنياء بحق العلم ؟ فقلت : حالها هى القاضية بينهما ، وكيف يستوى شئ حاجة العامة إليه ، وشئ يفتى فيه بعضهم عن بعض ! وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر الأغنياء بالتخاذ الغنم ، والفقراء بالتخاذ الدجاج . وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : إني لأبغض أهل البيت ينفقون نفقة الأيام فى اليوم الواحد . وكان أبو الأسود الدؤلى يقول لولده : إذا بسط الله لك الرزق فأسط ، وإذا قبض فاقبض .

وعبثموني حين قلت : إن فضل النقي عن القوت إنما هو كفضل الآكة تكون فى البيت إن أحتيج إليها استعملت ، وإن استغنى عنها كانت عذة ، وقد قال الحصين ابن المنذر : ودئت أن لى مثل أحد ذهبا لا أنتفع منه بشئ ، قيل له : فإكنت تصنع به ؟ قال : لكثرة من كان يخمينى عليه ، لأن المال مخدوم . وقال بعض الحكماء : عليك بطاب النقي ، فلو لم يكن فيه إلا أنه عز في قلبك ، وذلل في قلب عدوك ، لكان الحظ فيه جسيما ، والنفع عظيما . ولستأ ندع سيرة الأنبياء ، وتأذب الخلفاء ، وتعلم الحكماء ، لأصحاب الهوى ، فلستم على تردون ، ولا رأيي تُفندون ؛ فقدموا النظر قبل العزم ، وأذكروا ما عليكم من قبل أن تذكروا ما لكم . والسلام .



ومن نوادر البخلاء : قال رجل لبعض البخلاء : لم لا تدعوني الى طعامك ؟ قال : لانك جيد المضع سريع البلع ، اذا أكلت لقمة حيات أخرى ؛ قال : يا ابنى أتريد اذا أكلت عندك أن أصلى ركعتين بين كل لقمتين ! .

وقال أنثربخيل : لِمَ لا تدعوني الى طعامك ؟ قال : لأني مُعَلَّقٌ ، وتُسَدَّقُ ،
وَتُحَدَّقُ . أى تحمل واحدة في يدك ، وأخرى في يديك ، وتظفر الى الأخرى
ببينك .

وقال بعض البخلاء : أنا لا أكل إلا نصف الليل ؛ قيل له : ولم ؟ قال يَبْرُدُ
الماء ، وَيَتَقَيِّمُ الذُّبَابُ ، وَأَمِنْ بَخَاةِ الدَّاحِلِ ، وَصَرَخَةُ السَّائِلِ .

وطبخ بعض البخلاء قِدْرًا وجلس يأكل مع زوجته ، فقال : ما أطيبَ هذا
الطعام ، لولا كثرة الرَّحَامِ ! فقالت : وأى زحام ، وما تم إلا أنا وأنت ؟ قال : كنت
أحبُّ أن أكون أنا والقِدْرُ .

- وقال بعض البخلاء لفلان : هاتِ الطعامَ ؛ وأغلقِ البابَ ؛ فقال : يا مولاي ،
ليس هذا بحَزْمٍ ، وأما أغلقِ البابَ ، وأَقْدِمِ الطعامَ ؛ فقال له : أنت حُرُوجُهُ الله .
وعزم بعضُ إِخْوَانِ أَشْعَبَ عليه لِيَأْكُلَ عنده ؛ فقال : إني أخاف من ثَقِيلِ
يَأْكُلُ معنا فيَنْدُصُّ لثَمَتَا ، فقال : ليس عندي إلا ما تُحِبُّ ، فضى معه ؛ فبينما هما
يأكلان إذا بالباب قد طُرقَ ؛ فقال أشعب : ما أرانا إلا صِرْنا لِمَا نَكْرَهُ ؛ فقال
صاحب المنزل : إنه صديق لي ، وفيه عشرُ خصال ، إن كرهتَ منها واحدة لم أذن
له ؛ فقال أشعب : هاتِ ، قال : أولها ، أنه لا يأكل ولا يشرب ، فقال : التسعُ
لك ودَعُهُ يدخل ، فقد أَمِنَّا منه ما نخافه .

ذكر ما قيل في التطفيل

ويتصل به أخبارُ الأكلة والمؤاكلة

- والتطفيل من اللؤم ، وهو التعرض الى الطعام من غير أن يدعى اليه . وسنذكر
تلهذا الفصل آدابَ الأكل ، والمؤاكلة ، والاقتصاد في المطامع ، والعفة عنها ،

وما يجري هذا المجرى، وإن كان خارجا عنه، وإنما الشيء يُذكر بالشيء . والعرب تقول للطفيل : الوارث، والراشئ . قيل : هو مشتق من الطفّل وهو الظلمة، لأن الفقير من العرب كان يحضر الطعام الذي لم يُدعَ إليه مستترا بالظلمة لئلا يُعرف . وقيل : سُمي بذلك لإخلام أمره على الناس، لا يدري مَنْ دعاه . وقيل : بل من الطفّل لمجومه على الناس كهجوم الليل على النهار، فيكون من الظلمة ؛ ولذلك قيل : أطفل من «ليل على نهار» . وأول من سُمي بهذا الاسم : طفيل العرائس، وإليه ينسب للطفيلون . وكان يقول لأصحابه : إذا دخل أحدكم عرسا فلا يلتفت تلقى المريب، ويتغير المجالس، وإن كان العرس كثير الزحام فليمض ولا ينظر في عيون الناس، ليظن أهل المرأة أنه من أهل الرجل، ويظن أهل الرجل أنه من أهل المرأة؛ وإن كان البواب غليظا فاحشا، فليبدأ به، ويأمره وينهاه من غير أن يُعسف عليه، ولكن بين النصيحة والإدلال .

وأشهر من تُسب إليه هذا الاسم وكثرت عنه الحكايات، بُنَانُ الطُّفَيْل، وهو عبد الله بن عثمان، ويكنى أبا الحسن، ولقبه بُنَان، وأصله مَرَوَزِيّ وأقام ببغداد، وكان نقش خاتمه «مَالَكُمْ لَا تَأْكُلُونَ» . حكى أن رجلا سأله أن يدعو له، فقال : اللهم ارزقه صحة الجسم وكثرة الأكل، ودوام الشهوة، وتقواه المَعْدَةِ، وأتممه بِضُرْس طَحُون، ومَعِدَةِ هَضُوم؛ مع السعة والدعة، والأمن والعافية . وقال يوصي بعض أصحابه : إذا قعدت على مائدة وكان موضعك ضيقا فقل للذي يليك : لعل ضيقت عليك فإنه يتأخر إلى خلف، ويقول : موضعي واسع، فيسع عليك موضع رجل . وقال له طفيل : أوصني، فقال : لا تصادق من الطعام شيئا ترفع يدك عنه وتقول : لعل أصادف ما هو أطيب منه، فإن هذا عجز ووهن؛ قال : زدني، قال : إذا وجدت خبزا فيه قِلَّة فكل الحروف، فإن كان كثيرا فكل الأوساط؛ قال : زدني، قال :



لا تتكثر شرب الماء وأنت تأكل، فإنه يصدك عن الأكل، ويمتلك من أن تستوفي؛ قال : زدني، قال : إذا وجدت الطعام فكل منه أكل من لم يره قط، وترؤد منه زاد من لا يراه أبداً؛ قال : زدني، قال : إذا وجدت الطعام فاجعله زادك إلى الله تعالى، وقال : إذا دعاك صديق لك فاقعد يمتة البيت، فإنك ترى ماتحِبُّ، وتسودهم في كل شيء، وتسبقهم إلى كل خير، وأنت أول من يفلس يده والمسدل جاف، والماء واسع، والخوان بين يديك يوضع، والنبيذ أول القينة ورأسها تشربه، والنقل متخب يوضع بين يديك، وتكون أول من يتبخر؛ فإذا أردت أن تقوم لحاجة لم تحتج أن تخطاهم، وأنت في كل سرور إلى أن تنصرف . قال البديع الحمذاني في طفليين يشبههم بُنَّان :

١٠ خَلَقْتُم بُنَّانًا فَكَمْ مِنْ أَدِيبٍ « مِنْ الْغَيْظِ عَصَّ عَلَيْكُمْ بُنَّانًا

إِذَا مَا النَّهَارُ بَدَأَ ضَوْؤُهُ « غَدَوْتُمْ نَحْمَاصًا وَرُحْمًا بَطَّانًا

ومنها : عثمان بن عفان، قيل له : كيف كنت تصنع إذا لم يدخلك أهل العرس؟ قال : أنوح على الباب، فيتطيرون فيدخلوني . وحكى أبو الفرج الأصفهاني :

أن عثمان هذا كان يلزم سعيد بن عبد الكريم الخطابي أحد ولد زيد بن الخطاب،

فقال له : ويحك ! إني أبخل بأدبك وعلمك، وأضن بك عما أنت فيه من التطفيل

ولى وظيفة راتبة في كل يوم، فالزني وكن مدعوا، أصالح لك عما تفعل؛ فقال :

يرحمك الله، فأين لذة الجديد، وطيب التنقل كل يوم إلى مكان^(١) ! وأين نيلك^(٢)

ووظيفتك من أحتفال العرس ! وأين ألوانك من ألوان الوليمة ! قال : فاما إذا أبيت^(٣)

ذاك فإذا ضاقت عليك المذاهب فأنتي؛ قال : أما هذا فنعم . قال وقال له رجل :

٢٠ ما هذه الصُّفْرة التي في لونك ؟ قال : من الفترة التي بين القصمتين ، ومن خوف

(١) كذا في الأغاني (ج ١ ص ٣٧ طبع بولاق) . وفي الأصل : « هَوْنَاكَ » .

(٢) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « قَاذَاهُت » .

في كلّ يوم من نفاذ الطعام قبل أن أشبع . وقيل له مرة : هل تعرف بستان فلان؟ فقال : إى والله، وإنه للجنة الحاضرة في الدنيا؛ قيل له : فلم لا تدخل إليه فتأكل من ثماره، وتقبل تحت أشجاره، وتسبح في أنهاره؟ قال : لأن فيه كلبا لا يتحضر إلا بدماء عراقيب الرجال . وعثمان هذا الذى يقول :

لَذَّةُ التَّطْفِيلِ دُومِي * وَأَقْبَى لَا تَرِيْمِي
أَنْتَ تَشْفِينِ غَلِيلِي * وَتَسْلِيْنِ هُمُوْمِي

ولم أخبر وحكايات ، منها : ما نقل عن نصر بن عليّ الجهمضى أنه قال : كان لى جار طفيل إذا دعيت الى مدعاة ركب مئى وجلس حيث أجلس، فياكل وينصرف، وكان نظيفا عطرا، حسن اللباس والمركب؛ وكنت لأعرف من أمره إلا الظاهر، فاتفق لجعفر بن القاسم الهاشمي حَقُّ دعا له أشراف البصرة ووجوهها، وهو يومئذ أمير البصرة، فقلت في نفسي : إن تعنى هذا الرجل الى دار الأمير لأخزيته؛ فلما كان يوم الحضور جاءنى الرسول فركبت، وإذا به قد تعنى حتى دخل بدخولى، وأرتفع حيث أجلس؛ فلما حضرنا الطعام، قلت : حدثنا دُرُسْتُ آبن زياد عن أبان بن طارق عن نافع عن آبن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من دخل الى دار قوم بغير إذنهم دخل سارقا ونرج مُغيِرا ومن دُعِي فلم يُجب فقد عصى الله ورسوله " ، فظننت أنى قد أشرفت على الرجل وقصرت من لسانه؛ فأقبل على وقال : أعينك بالله من هذا الكلام في دار الأمير، فإن الأشراف لا يَحْتَمِلُون التعريض باللؤم، وقد حَظَرَ الدينُ التعريضَ، وعزَّرَ عليه عمر رضى الله عنه؛ ووليمة الأمير دعاء لأهل مِصره فإنه سَلِيلُ أهل السقاية والزفادة، والمطعمين

(١٤١)

(١) رواية في تهذيب التهذيب في ترجمة أبان بن طارق : « من دخل على غير دعوة دخل سارقا ... الخ » .

الأفضلين الذين هَشَمُوا الثَّيِّدَ ، وأبرزوا الحَقَّانَ لِمَن غدا إليهما ؛ ثم لا تُوزَعُ وأنت في بيت من العلم معروف من أن تحدث عن درست بن زياد وهو ضعيف ، عن أبان بن طارق وهو متروك الحديث ، بحكم رفعه الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ والمسلمون على خلافه ، لأن حكم السارق القطع ، والمخير يُعزَّرُ على ما يراه الإمام ، وهذان حكمان لا ينفذان على داخل دارا في جمع فيتناول لِقَمًا من فضل الله الذي آتَى أهلها ثم لا يُحَدِّثُ حدثا حتى يخرج عنها ؛ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : " طعامُ الواحد يكفي الاثنين وطعامُ الاثنين يكفي الأربعة " ، حدثنا بذلك أبو عاصم النبيل عن ابن جُرَيْج عن أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فأين أنت عن هذا الحديث الصحيح الإسناد والمتن ؟ قال نصر : فأصابتني تَجَلَّةٌ شديدة ، فلما نظر الرجل إلى ما بي أكل ونهض قيل ، فلما خرجت وجدته واقفا على دابته الباب ، فلما رآني تبغى ، ولم يكلني ولم أكله ، إلا أنني سمعته يتمثل :

وَمَنْ ظَنَّ مِنْ يَلَا فِي الْحُرُوبِ • بِالْأَيُّ صَابَ فَقَدْ ظَنَّ عَجْزًا

وقيل : مرة طفيل بسكة النَّخَعِ بالبصرة على قوم وعندهم وليمة ، فاقترح عليهم ، وأخذ مجلسه مع مَنْ دُعِيَ ، فأنكره صاحب المنزل ، فقال له : لو تأتيت أو وقفت حتى يُؤَدَّنَ لك أو يُعَمَّ إليك ! فقال : إنما أَتُخَذَتِ البيوتُ لِيُدْخَلَ إليها ، وَوُضِعَتِ الموائدُ لِيُؤْكَلَ ما عليها ، وما وجهت بهدية فأتوقع الدعوة ؛ والحشمةُ قطعةٌ ، وأطراؤها صلةٌ ، وقد جاء في الأثر : « صلِّ مَنْ قطعك ، وأعطِ مَنْ حرمك » ؛ ثم أنشد :

كُلُّ يَوْمٍ أَدُورُ فِي عَرَصَةِ الدَّاءِ • رَأْسُ الْقَتَارِ شَمُّ الدُّبَابِ
فَإِذَا مَا رَأَيْتُ آثَارَ عُرْسٍ • أَوْ دُخَانًا أَوْ دَعْوَةَ الْأَصْحَابِ

لم أعرج دون التغم لا أر * هب شمتا ولكرة البواب
مستيتا بن دخلت عليه * غير مستأذن ولا هباب
فتراني ألق بالرم منهم * كل ما قدموه لى المقاب
ووصف طفيل نفسه فقال :

نحن قوم إذا دُعينا أجبتا * ومتى نُس يدعنا التطليل
ونقل علنا دُعينا فجبنا * وأنا فلم يحدنا الرسول
وقال آخر :

نحن قوم نحب هدى رسول الله هديا به الصواب أصبتا
فادعنا كلها بسطت فأتنا * لو دُعينا إلى كراع أجبتا
وقال آخر :

نحن قوم إن جفا لنا * س وصلنا من جفانا
لأنبأى صاحب الداء * ر قسينا أم دنا
وقال آخر وقد أقبل إلى طعام، من غير أن يدعى إليه، فقال له صاحب الصنيع :
من دعاك ؟ فأشد :

دعوت نفسى حين لم تدعنى * فالحمد لى لا لك فى الدعوة
وكان ذا أحسن من موعده * إخلافه يدعو إلى جفوه
وقد مدح أبو روح ظفر بن عبد الله الحريرى طفيليا ولم يسبق إليه، فقال :
إن الطفيل له حرمة * زادت على حرمة ندمانى
لأنه جاء ولم ادعه * مبتدئا منه بإحسان

(١) رواية العقد الفريد : « لا أرب طعنا » .

(٢) كذا فى العقد الفريد : وفى الأصول : « قولنا ... الخ » .

ودخل طفيلي إلى قوم فقالوا له : ما دعوناك ! فوالذي جاء بك ؟ فقال :
إذا لم تدعوني ولم آت وقعت وحشة ، فضحكوا منه وقربوه .

وقيل : مرّ طفيلي على قوم يتغدون ، فقال : سلام عليكم معشر اللطام ، فقالوا :
لا والله بل كرام ؛ فثنى ركبته ونزل ، وقال : اللهم أجعلهم من الصادقين ،
وأجعلني من الكاذبين .

قال هشام أخو ذى الرزمة لرجل أراد سفرا : إن لكل رُفقة كلبا يشترهم في فضلة
الزاد ، فإن أستطعت ألا تكون كلب الرفاق فأفعل .

ونظر طفيلي إلى قوم من الزنادقة يسار بهم إلى القتل ، فظنهم يذهبون إلى صنيع ،
فتلطف حتى دخل في ليفهم وصار كواحد منهم ، فلما بلغوا صاحب الشرطة ، أمر
بضرب أعناقهم ، فقدموا واحدا بعد واحد حتى انتهوا إلى الطفيلي ، فلما قدم للقتل
آلفت إلى صاحب الشرطة فقال له : إني والله ما أنا منهم ، ولا أعلم بما يدينون ؛
وإنما أنا طفيلي ظننتهم يذهب بهم إلى صنيع ، فتلطفت حتى دخلت في جملتهم ؛
فقال : ليس هذا مما ينبغي ، اضربوا عنقه ؛ فقال : أصاحك الله ، إن كنت عزمت
على قتل فأمر السيف أن يضرب بعني بالسيف ، فإنه هو الذي أوقعني في هذه
الورطة ، فضحك ؛ وكشف عنه فأخبر أنه طفيلي معروف ، فخلّى سبيله .

وحكي أن المأمون أمر أن يحمل إليه عشرة من الزنادقة شملوا له من أهل
البصرة ، فجمعوا ، فأبصرهم طفيلي فقال : ما اجتمعوا إلا لصنيع ، فدخل في وسطهم
ومضى بهم الموكلون ، حتى انتهوا إلى زورق قد أعد لهم ؛ قال الطفيلي : هي زُرعة ،
فدخل معهم الزورق ، فلم يكن بأسرع من أن قيدوا ، وقيد معهم الطفيلي ، ثم سير بهم
إلى بغداد ، فأدخلوا على المأمون ، فجعل يدعوهم بأسمائهم رجلا رجلا ، ويأمر بضرب

أعناقهم، حتى وصل إلى الطفيل^(١)، وقد استوفى المدة؛ فقال للوكيلين : ما هذا ؟ قالوا : والله ما ندري ، غير أننا وجدناه مع القوم ، فجئنا به ؛ فقال له المأمون : ما قصتك ؟ ويليكَ ! فقال يا أمير المؤمنين : أمرأتى طالق إن كنت أعرف من أقاويلهم شيئاً ولا مما يدينون به ، وإنما أنا رجل طفيل^(٢)، رأيتهم مجتمعين فظننتُ صنيعاً يُدعون إليه ، فضحك المأمون وقال : يؤدب ؛ وكان إبراهيم بن المهدي قائماً على رأس المأمون فقال : يا أمير المؤمنين ، هب لي ذنبه^(٣)، وأخذتُك بحديث عجيب عن نفسي ؛ قال : قل يا إبراهيم ؛ قال : يا أمير المؤمنين ، خرجتُ من عندك يوماً فطُفْتُ في سِكَكِ بغداد متطرباً حتى انتهيت إلى موضع كذا ، فشمت منه قُتَارُ أبازير قدور قد قاح [طيها^(٤)] ، فتأقت نفسي إليها وإلى طيب ريحها ، فوقفت إلى خياط فقلت له : لِمَن هذه الدار ؟ فقال : لرجل من التجار [البازين^(٥)] ، قلت : ما اسمه ؟ قال : فلان بن فلان ، فرميت بطرفي إلى الدار ، فإذا شباك فيها مُطلٌ ، وإذا كُفٌ قد خرج من الشباك ومِعْصَمٌ ، فشغلني حسن الكف والمعصم عن رائحة القُدور ، فَبِثْتُ ساعة ، ثم أدركني ذهني ، فقلت للخياط : أهو بمن يشربُ النبيذ ؟ قال : نعم ، وأحسب أن عنده اليوم دعوة ، وهو لا ينادم إلا بُجَّاراً مثله مستورين ؛ فإني لكذلك إذ أقبل رجلان نيّلان راكبان من رأس الدرب ، فقال لي الخياط : هؤلاء منادماه ؛ فقلت : ما اسماهما وما بُجَّاهما ؟ فقال : فلان وفلان ، فخرّكتُ دابتي وبداخلتهما وقلت : جِئْتُ فِدَاكِ ، قد استَبَطْتُ كما أبو فلان ،

(١) كذا في العقد الفريد . وفي الأصل : « هب لي أذنه » .

(٢) كذا في أحد الأصلين والعقد الفريد . وفي الأصل الآخر : « متطرباً » .

(٣) التكلية من العقد الفريد .

(٤) في العقد الفريد : « غيبتُ أنا كذلك » .

وسايرتهما حتى بلغنا الباب ، فأجلاني وقدماني فدخلت ودخلا ، فلما رآني صاحب
المزل معهما ، لم يشك أنى منهما ، فَرَحَّبَ بى وأجلسنى فى أفضل المواضع ، وبنى
يا أمير المؤمنين بمائدة عليها خبز نظيف وأتينا بتلك الألوان ، فكان طعمها أَلْيَبَ
من ريمها ، فقلت فى نفسى : هذه الألوان قد أكلتها ، بقيت الكُفَّ [والمعم] ^(١) ،
كيف [أصل] ^(٢) إلى صاحبيهما ؟ ثم رُفِعَ الطعام ، وجرىء بالوضوء ، ثم صرنا إلى مجلس

•

المتادمة ، فإذا أشكل منزل ، وجعل صاحب المزل يلطف بى ، ويميل على
بالحديث ، حتى إذا شربنا أفداحا خرجت علينا جارية كأنها بدر ، لتلقى يا أمير المؤمنين
كالخيزران ، فأقبلت وسلمت غير تهجلة ، وثبت لها وسادة بفلست عليها ، وأتى
بالعود فوضع فى حجرها ، بغسسته فاستبكت جِدْقَهَا فى جَسَّهَا ، ثم أندفعت تَفْتَى :

١٠

توهمها طَرْفِي فأصبح خَدُّهَا * وفيه مكان الوهم من نظري أثر ^(٣)
تصالحها كَفَى قَتُولِي كَفَّهَا * فَمَسَّ كَفِّي فى أناملها عَقَرُ

فهيجت يا أمير المؤمنين بلإلى ، وطربت لحسن شعرها ، ثم أندفعت تَفْتَى :
أشرت إليها هل عرفت مودتى * فردت بطرف العين إني على العهد
فقدت من الإظهار عمدا لسرها * وحادت عن الإظهار أيضا على عمد

١٠

فصحت يا أمير المؤمنين ، وجاءنى من الطرب ما لم أملك نفسى معه ، ثم أندفعت ففتت
الصوت الثالث :

أليس عجيبا أن يتأيسضنى * وإياك لا نخلو ولا نتكلم
سوى أعين تشكو الهوى يمجفونها * وقطع أجداد على النار تُضْرَمُ
إشارة أفواء ونمزحواجيب * وتكسر أجفان وكف تُسَلَّمُ

٢٠

(١) زيادة من العقد الفريد .

(٢) الأثر : أثر الجرح بين يدي الهدى .

ففسدتها والله يا أمير المؤمنين على حذيقها ومعرقها بالفناء، وإصابتها للمنى الشعر، فقلت : بئى طليك يا جارية ، فضربت بالعود على الأرض ، وقالت : متى كنتم تَحْضَرُونَ مجالِسَكم البُغْضَاءُ! فَنِدِمْتُ على ما كان مِنِّي ، ورأيت القوم تَغَيَّرُوا لِي ، فقلت : أما عندكم عود غير هذا ؟ قالوا : بلى ، فَأَتَيْتُ بَعُودَ فَأَصْلَحْتُ مِنْ شَانِهِ ثُمَّ غَنَيْتُ :

مَا لِلنَّازِلِ لَا يُجِيبُ حَرِينَا * أَصَمَّنَ أَمْ قَدَّمَ الْمَدَى فَبَلِينَا
رَاحُوا الْعِشْيَةَ رَوْحُهُ مَذْكُورَةٌ * إِنْ مَتَنَ مَتْنًا أَوْ حَيَّنَ حَيِّنًا

فَا اسْتَمَعْتُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، حَتَّى قَامَتِ الْجَارِيَةُ ، فَأَكَبْتُ عَلَى رَجُلَيْهِ تَقْبِلُهُمَا ، وَقَالَتْ : مَعْذِرَةٌ يَا سَيِّدِي ، فَوَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ أَحَدًا يُضَيِّقُ هَذَا الصَّوْتَ غَنَاءُكَ ، وَقَامَ مَوْلَاهَا وَأَهْلُ الْمَجْلِسِ ، ففعلوا كفعليها ؛ وطرب القوم وأستحبوا الشرب فشرَبُوا ، ثُمَّ أَنْدَفَعْتُ أَغْنَى :

أَفِي الْحَقِّ أَنْ تَمِثِّي وَلَا تَذْكُرْتِي * وَقَدْ سَمِعْتَ عَيْنَايَ مِنْ ذِكْرِهَا الدُّمَا
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو بُحْلَهَا وَسَمَاحَتِي * لَهَا عَسَلٌ مِنِّي وَتَبْذِلُ عَاقِبَتَهَا
فَرُدِّي مُصَابَ الْقَلْبِ أَنْتِ قَتْلَتِي * وَلَا تَتْرَكِي ذَاهِلَ الْعَقْلِ مُغْرَمًا
فَطَرِبَ الْقَوْمُ حَتَّى خَرَجُوا مِنْ عَقُولِهِمْ ، فَأَمْسَكْتُ عَنْهُمْ مَاعَةً حَتَّى تَرَاغَبُوا ، ثُمَّ غَنَيْتُ الثَّالِثَ :

(١) كذا في المقد الفريد . وفي الأصل : « البلى » .

(٢) في المقد الفريد : « روعة منكورة » .

(٣) رواية المقد الفريد :

أَبِي اللَّهِ أَنْتِ تَمِثِّي وَلَا تَذْكُرْتِي * وَقَدْ سَمِعْتَ عَيْنَايَ مِنْ ذِكْرِهَا الدُّمَا

هَذَا مُجِيحٌ مَطْلُوبًا عَلَى كَيْدِهِ * عُبْرَى مَدَامُهَا تَجْرَى عَلَى جَسَدِهِ
لَهُ يَدٌ تَسْأَلُ الرَّحْمَنَ رَاحَتَهُ * مِمَّا بِهِ وَيَدٌ أُخْرَى عَلَى كَيْدِهِ

بلغت الجارية تصيح : هذا الفناء والله يا سيدي لا ما كنا فيه منذ اليوم ؛ وسكر
القوم ، وكان صاحب المنزل حسن الشرب ، صحیح العقل ، فأمر غلمانه أن يُخْرِجُوهم
ويحفظوهم إلى منازلهم ، وخلوتُ معه ؛ فلما شربنا أقداحا ، قال : يا سيدي ، ذهب
ما مضى من أيامي ضياعا ، إذ كنتُ لا أعرفك ، فمن أنت ؟ ولم يزل يُلْعَلُ عَلَى حَتَّى
أخبرته الخبر ؛ فقام وقبّل رأسي وقال : وأنا أعجب أن يكون هذا الأديب إلا لملك !
وإني لجالس مع الخلافة ولا أشعر ؛ ثم سألني عن قصتي ، فأخبرته حَتَّى بلغتُ إلى
صاحبة الكف والمعصم ، فقال للجارية : قومي فقولى لعلانة تنزل ، فلم تنزل تنزل
جواريه واحدةً واحدةً فانظروا إلى كَفِّهَا وَمِعْصَمِهَا ، وأقول : ليس هي هذه ! حَتَّى
قال : والله ما بقى غير أختي وأُمِّي ، والله لأزَلَّتْهُمَا إِلَيْكَ ؛ فصجبتُ من كرمه وسعة صدره ،
فقلت : جِئْتُ فداك ، إبدأ بالأخت قبل الأم فمضى أن تكون هي ؛ فبرزت ؛ فلما
رأيت كَفِّهَا وَمِعْصَمِهَا قلت : هي هذه ؛ فأمر غلمانه فصاروا إلى عشرة مشايخ
من جِلَّةِ جيرانه فأقبلوا بهم ، وأمر بِتَدْرِيْنِ فِيْهَا عَشْرُونَ أَلْفَ دَرْهَمٍ ، ثم قال
للمشايخ : هذه أختي فلانة ، أشهدكم أني قد زوّجتها من سيدي إبراهيم بن المهدي ،
وأمرتها عنه عشرين ألف درهم ، فرضيت وقبِلَتِ النكاح ، فدفع إليها البَدْرَةَ ، وفوق
الأخرى على المشايخ وصرفهم ؛ ثم قال : يا سيدي ، أمهد بعض البيوت فتنام فيه مع
أهلك ؟ فأحسنتُ ما رأيت من كرمه ، فقلت : أحضر عَمَّارِيَّةَ (١) وأحملكها إلى منزلي ،
ففعل ؛ فوافقه يا أمير المؤمنين ، لقد أتبعها من الجَهَّاز ما ضاقت عنه بيوتنا ؛ فأولدها

(١)

هذا القائم على رأس أمير المؤمنين — يشير إلى ولده — فعجب المأمون من كرم الرجل وألحقه في خاصة أهله ، وأطلق الطفيل وأجازته .

ومن إنشاء المولى الفاضل تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني ، وهو الذي حاز قصبات السبق في فن الأدب على أتباعه ، وفاز من البلاغة بِقِدْحِهَا الْمُعَلَّى في عُتُقُونِ شبابه ، رسالةً وضعها في هذا الفن ، وصار له بها على أهله غاية المتى ، مع نزاهة نفسه الأنيّة ، وأرتفاعه عن المطاعم الدنيّة ، وإنما وضعها تجربة لخاطره ، وضما إلى فوائده دقائره ، وهي :

هذا عهد عهده زارد بن لاقم ، لبالح بن حاجم ، آستفتحته بأن قال :

الحمد لله مسهل أوقات اللذات وميسرها ، وناظم أسباب الخيرات ومكثرها ، وجاعل أسواق الأفراح قائمة على ساق ، جارية لمن ورد إليها بأنواع الإرفاد وأجناس الإرفاق ؛
أحمده على أن أخلصنا من منازل السادات أرفع الدرجات ، وأحل لنا من الأطلعمة الفائقة الطيبات ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تهدينا إلى المقام الرفيع ، ونخصنا بالمحل الجسم المنيع ؛ وأشهد أن محمدا عبده ورسوله رب المكارم الجسام ، ومعدن الجسارة والإقدام ، الجامع بين فضيلتي الطمان والطعام ؛ صلى الله عليه وعلى آله أهل السماحة والكرام ، والإكرام ، صلاة تحيل قائلها في عُرفَات الحنان في دار السلام . وبعد ، فإن صناعة التطفيل صناعة مهوبة ، وحرقة هي عند الظرفاء محبوبة ، لا يلبس شعارها إلا كل مقدام ، ولا يرفع خافق صلبها إلا من عُدَّ في حرفته من الأعلام ؛ ولا يتلو أساطير شهاستها إلا من آرتضع أفابيق الصفاة ، ولا يهتدى لمنازل علانها إلا من تزج عن منكبها رداء الرقاعة والحماقة ؛ وكنت والفؤد غدا في الإهاب ، والفنن ريان من ماء الشباب ؛ والقُدَّ يمس في حلة النشاط ، والقدم

تَدْرَعُ الأرضَ دَرَعَ الاختِباطِ ؛ لا يُقامُ سوقٌ وليميةٌ إلا وأنا الساعي إليها ، ولا ترفعُ
أعلامَ نارٍ مَأْدُبَةٍ إلا وكنتُ الواقفُ لديها ؛ أتحذُّ الدروبَ شباكا للصطيادِ ، وحياتلُ
أُبلِغُ بها لذيقَ الازدردادِ ؛ قد جعلتُ المَقَطَسَ حليفَ الهواءِ ، والقلبَ نزيلَ الأهواءِ ؛
فَهِتُ عِبَتَ روائحِ الأُباذيرِ من أعلى تلكَ القصورِ ، وتمندلتُ تلكَ الشوارعِ^(١)
بزعفرانِ البرَمِّ والقُدُورِ ؛ أَلقيتُ عصاَ المسيرِ على البابِ ، وخَلَّيتُ بحسنِ أدبي
قَلْبَ البَوَّابِ ؛ وأوسعتُ في وصولي ألفَ حيلةٍ ، وجعلتها على ما عندي من حسنِ
فنونها مَحِيلَةً ؛ فلا دعوةٌ إلا وكنتُ عليهم دعوةٌ ، ولا وليمةٌ خِتانٌ إلا وقد طلعتُ
على أرجائها مثلَ الجِفاقِ ، ولا سِماطٌ تَأَلِبُ إلا وكنتُ إليه الساعي المنيبَ ، ولا تَجَمُّعُ
ضيافةٍ إلا وكنتُ عليه أشدَّ آفةٍ ، ولا ملاكٌ عُرسَ مشهودٍ إلا وانتظمتُ في سلكِ
الشهودِ ؛ يحسنُ في قولِ القائلِ :

١٠

لو طَيَّخْتُ قَدْرَ بِمَطْمُورَةٍ • مَوْقَعُهَا الشامُ وأعلى الثغورِ

وأنتُ في الصينِ لو أقيمتُها • يا عالمَ الغيبِ بما في القُدُورِ

واليومَ قد مالَ القَويمُ إلى الاعوجاجِ ، وعزَّ بازى الشيبِ غُرَابَ الشَّعرِ الدَّجاجِ ؛
وقيدَ الزَّمَنُ أَقداما ، ومنعتُ الشيخوخةَ إقداما ؛ وصرتُ لهما على وَجْهِ ، بعد أن كنتُ
نارا على عَلمٍ ؛ وقد أخادتنى التَّجربةُ من هذه الصناعةِ فتونا ، وتلتُ على من محاسنها متونا ؛
وقد أبقيتُ لكلِّ جمعٍ بابا ، وفَدَّلْتُ لكلِّ مَشْهَدٍ حسابا ؛ وقد أَقْضَى حَسَنُ الرأى
أنْ أَفْضُ إِلَيْكَ أَمْرَها ، وأودِعَ تَأْمُورَ قَلْبِكَ وحسَّكَ سرَّها ؛ علمي بأنك الكَيِّسُ
الْقَيْطَنُ ، بل الأَلَمِيُّ الدَّرِبُ المَرِينُ ؛ لو عَقَدْتُ أَكْلَةَ الوِلايمِ بِغَيَابٍ وبلحَةٍ ، وأحسنَ بِنَاتِيهِ
الجِيلِ مَدْخَلَهُ ومَحْرَجَهُ ؛ وقد شاهدتُ من أَعْمَالِكَ الصَّالِحَةِ ، ما يقالُ عند ذهابي :

١٥

(١) تمندلت : فتشقت وفتحت ، وأصل التمدل : التعطيل بالمتدل .

(٢) في الأصل : « تَأْيِب » .

٢٠

❦

ما أشبه الليلة بالبارحة ؛ وقد عَهِدْتُ إليك ، وأسخرت الله في التحويل عليك ؛
فثلك من يُحْتَطَبُ للناصب ، ويتسم ذِرْوَةُ المراتب ؛ ودونك ما أنطق به من الوصايا ،
وأحفظ ما يسرُّه لسانُ القلم من جميل المزايا : إياك وموائد اللثام ، وأنزل بساحات
الكرام ، وأتخذ الشروع في الشوارع حرفة ، وأظهر على مشيك صَلافةً وعِفَّةً ؛ وميّز
بمينك حُسنَ المساطب وتَقَشَّ السُتُور ، وجمال الخدم وقعود الصدور ، وأقصد
الأبواب العالية ، والأكلة المنقوشة الحالية ؛ فإنَّ ذلك على مَادِيَةِ نصيها بعض
الأعيان ، وجمع إليها أصحابه [و] الإخوان ؛ فالس من ثيابك الجميلة قشيبها ، وضوِّع
بالمَنَدَلِ الرطب طيبها ، وأتقن خُبَرَ صاحب الدار وأخباره ، وقف في صدر الشارع
من الحارة ؛ فإذا رأيت الجمع وقد تهادَّوا بالموادى والأقدام ، وتهادَّوا فيما بينهم لذيذ
الكلام ، تقدَّم إليهم بقلب قَلَبِ الأمور ، وعلم بحسن تطلُّعه وتضلُّعه داءُ الجمهور ؛ وقل
لهم : رب الدار قد استبطاكم ، فما الذى أبطاكم ؛ حتَّى إذا قاربوا صُعود العتبة ،
ولم تبقْ هنالك مَعْتَبَةٌ ؛ تقدَّم رافعا لهم الستور ، ومعزفا بمقدار أولئك الصدور ؛
فالأضياف يمتقدون أنك غلام المضياف ، وربُّ الحِلَّةِ يعتقد أنك رفيق السادة
الحِلَّةِ ؛ وإنَّ وَبَلَّتْ مجتمع خِتان ، وقد نصبت فيه موائد الألوان ؛ وَزُورِنَتِ الأبواب ،
وأكفهرت وجوه العُجَّاب ؛ فاجعل تحت ضِيئِكَ المجمع ، وأخذع قلوبهم فثلك من
يَحْدَعُ ؛ وقل : رفيق الأستاذ ومعينه ، ورجله التى يسى بها بل يمينه ؛ فحينئذ ترفع

(١) المتدل : أجود العود .

(٢) زورنت : أغلقت ، قال الشباب الخفافى في شفاء الليل : وزرته كفة مولدة واستشهد لذلك

بقول الشاعر :

عسود فمها يرى * من الأسقام لو أمكن

فما تجنى وحاسها * بقفل الصدى قد زورن

وفي الأصل « ذورن » بالذال المعجمة .

(٣) الضن : الكنف . وفي الأصول . « طنبك » .

٢٠

- السُّور ، وتُقدِّمُ لك أطيبَّ القُدُور ؛ وإن رماك القَدْرُ على باب غفل عنه صاحبه ، وسها في غفله حاجبه ؛ وقد مدُّوا في أوانيه سِمَاطا ، وجعلوا لأوائل من يقدمه فِرَاطا ، وقد تقاربت الزبَادى ، وأمتدت الأيادى ؛ ورأيت السِّمَاطَ رَوْضَةً تخالفت ألوانها ؛ وأمتت أفنانها ، والموائد فيها بينها أفلاكٌ تدور بصحونها ، بل بروج ثابتة تُشعِرُ بسكونها ، فليج على غفلة من الرقيب ، وأبسُطَ بَنَانُ الأكل وكُفِّ
- لسان الحبيب ؛ فإن قيل لك : أما غلَّقَ دونك باب ؟ فقل : ما على الكرماء من حجاب ؛ وإياك والإطالة على الموائد ، فإنها مصائدُ الشوارد ؛ وإياك والقُدَّارة عليها ، فإنها إمارة الحرمان لديها ؛ وإن وقعت على وليمة كثيرة الطعام : قليلة الأزدحام ؛ فكبر اللقمة ولا تطل عَظَمَها ، ومُرِّ الفُكِّ في سرعة أن يَفْكُها ؛ فإنك ما تدرى ما يحدث الليالى والأيام ، خيفة أن يعثرَ عليك بعض الأقوام ؛ فتكتسى حُلَّةً اتَّجَسَل ، وتظهر على وجهك صُفرة
- الوَجَل ؛ وأجعل من آدابك ، تطلُعَ الى أنوابك ؛ ولا ترفع لمستجلَّ وجهها وجهها ، وقل لمن يحادثك إيه ولا تقل إياها ؛ وجاوب بنعم ، فإنها مُعِينة على التَّقَم ؛ وأجعل لكل مقام ما يناسبه من الحيلة ، ومِلْ دلى أهل الولائم والمآدب مِيلَةً وأى مِيلَةً ؛ وأسأل عمن ورث من آباءه مالا ، وقد جمعه يَوْعَثَاءَ السفر وعَنَاءَ حراما وحلالا ؛ أهل يُعْقَدُ مقاما ، أم يبلُغُ من دنياه بالقصف مراما ؟ فإن قيل : فلان الفلانى رَبَّ
- هذه المثابة ، وصاحب الدعوة المحجبة ؛ فكن نائلة الاثافي لِإِيَّاهِ ، وانتظم في سلك عُشْرَائِهِ وأَتْرَائِهِ ؛ وتفَقِّدِ الأسواق خصوصا الخامين ، ومواطنَ الطبخ ومساطبَ المطربين ؛ وتجمّع القراء ومعاهد محالِّ الوعاط ، وكلَّ بقعة هى مَظِنَّة فرح يعود عليك نفعه ؛ وكن أوَّلَ داخل وآخر خارج ؛ ومل إلى الزوايا ، فهى أجمل ما لهذه الحِرْفَةِ من المزايا ؛ وتَقَلَّ رِكَابك في كلِّ يوم ، فتسار في سوق اللحم وتارة في سوق الثوم ؛ وغير

الحلية، وقصير الخفية؛ وأبرز كل يوم في لباس، فهو أكثر للالكباس؛ وجدد البهت حتى نغده عصاك، وتجعله دريمة لمن عصاك؛ وأتقن الفنون المحتاج إليها؛ من غناء ونجامة، وطب وكهانة^(١)؛ وتاريخ وأدب، وكرم أصل وحسب؛ وحالتي التوقيت والتزليل، فاجملهما دأبك؛ فإذا عرفوك، وحضر الجمع وكشفوك، فطرز كل محفل بحسن أقوالك، وكل جيد كل مأذبة ببواهر أفعالك؛ وأعلم أنها صنعة دثرت معالمها، وقُلْ عالمها؛ ولو لم أر على وجهك غيايل يشرها، وعلى أعطاف أردانك روائح نثرها؛ لما ألفت إليك كتاب عهدا، ولا حملت لبياك راية مجدها؛ فتلق راية هذا العهد بساعيد مساعيد، وعضد في الولوج على الأسيطة معاضد؛ فوضت إليك أمر من تحلى ببواهرها المنظومة، وأيس حللها القشبية المرقومة؛ وبسطت لسان قلمك في رقم عهودها، وأذنت لك أن تُجريهم على سنن معهودها؛ وإياك أن تهتد إلا لمن ملك بخصالها، وجاس خلاها، وأستجلى هلالها، وأتقن أحوالها؛ ولاية عامة، وكتابة مبرمة تامة؛ حرس الله بك معقل الأدب واللطفة، وعما بك ما لم الشفالة والكفاة.

ذكر آداب الأكل والمؤاكلة

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّكُمْ لَهُ تَعْبُدُونَ﴾. وروى أن داود عليه السلام أمر مناديه فنادى: أيها الناس، اجتمعوا لأعلمكم التقوى؛ فاجتمعوا، فقام في محرابه فبكى ثم حيد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أيها الناس، لا تدخلوا هاهنا إلا طيبا، ولا تخرجوا منه إلا طيبا، وأشار إلى فيه. قيل: أول آداب الأكل معرفة الحلال من الحرام، وانجبت من الطيب.

(١) في الأصل: «شهادة» وهي لا تتفق مع الباق، فربما ما وضعناه.

وأما الآداب في هيئة المؤاكلة وأعمالها، فقد رُوي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عاب طعاماً قط، إن اشتهاه أكله وإلا تركه. ورُوي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لَا تَشْمُوا الطَّعَامَ كَمَا تَشْمُو الْبَهَائِمُ ^(١) مِنْ أَشْتَهَى شَبِثًا فَلْيَأْكُلْ وَمَنْ كَرِهَ فَلْيَدَعْ". وقال أنس: قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَأَنَا ابْنُ عَشْرٍ، وَدَخَلَ دَارَنَا فَحَلَبْنَا لَهُ شَاةً فَشَرِبَ، وَأَبُو بَكْرٍ عَنْ يَسَارِهِ وَأَعْرَابِي عَنْ يَمِينِهِ؛

فَقَالَ عُثْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَعْطَى أَبَا بَكْرٍ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"الْأَيْمَنُ فَلَا يَمِينُ". وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

صَدَدَتِ الْكَأْسُ عَنَّا أُمَّ عُمَيْرٍ • وَكَانَ الْكَأْسُ تَجْمَرَاهَا الْيَمِينَا

ورُوي عن أنس: أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم شرب جرعة ثم قطع، ثم سَمِيَ ثم شرب جرعة ثم قطع، ثم سَمِيَ ثم قطع الثالثة، ثم جَرَعَ مَصًّا حَتَّى فَرَّغَ، ثُمَّ حَمِدَ اللَّهَ. وقد نُدِبَ إِلَى غَسْلِ الْيَدِ قَبْلَ الْأَكْلِ فَإِنَّهُ يَنْفِي الْفَقْرَ، وَيَنْفِي اللَّعْمَ. ومن السُّنَّةِ: الْبَدَأَةُ بِاسْمِ اللَّهِ، وَحَمْدُهُ عِنْدَ الْإِتِهَاءِ.

رُوي عن عمر بن أبي سلمة أنه قال: مررت بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يأكل، فقال: "اجْلِسْ يَا بُنَيَّ وَسَمِّ اللَّهَ وَكُلْ بِمِيزَانِكَ مَا يَلِيكَ".

وقال بعض السلف: إذا جَمَعَ الطَّعَامُ أَرْبَعًا فَقَدْ كُنَّ كُلُّ شَيْءٍ: إذا كان حلالاً، وَذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَكَثُرَتْ عَلَيْهِ الْأَيْدِي، وَحَمِدَ اللَّهُ حِينَ يَفْرُغُ مِنْهُ.

ورُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "مَنْ قَالَ عِنْدَ مَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ بِاسْمِ اللَّهِ خَيْرَ الْأَسْمَاءِ [بِاسْمِ اللَّهِ] رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ لَمْ يَضُرَّهُ مَا أَكَلَ وَمَا شَرِبَ".

(١) في الجامع الصغير: «كأشبه البهائم».

(٢) رواية البخاري: «يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك».

(٣) الزيادة عن المستطرف في كل فن مستظرف للإيشي (ج ٢ ص ٢١٢).

وفي حديث عائشة رضي الله عنها ، عنه صلى الله عليه وسلم قال : " إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله فإن نسي في أوله فليقل بسم الله في أوله وآخره " . وقال صلى الله عليه وسلم : " إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه [وإذا شرب فليشرب بيمينه] فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله " .

• ورؤى : أن المسيح عليه السلام كان إذا دعا أصحابه قام عليهم ، ثم قال : هكذا فأصنعوا بالفقراء .

ووصف شاعر قوما فقال :

جُلُوسٌ فِي مَجَالِمِهِمْ رِزَانٌ • وَإِنْ ضَيَّفُ الْمَبِمْ وَقُوفٌ

قال سهل بن حصين : شهدت الحسن في وليمة ، قطع ثم قام فقال : مَدَّ الله لكم في العافية ، وأوسع عليكم في الرزق ، وأتممكم بالشكر . ١٠

ورؤى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " تَخَلَّلُوا فَإِنَّهُ نِظَافَةٌ وَالنِّظَافَةُ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْإِيمَانُ مَعَ صَاحِبِهِ فِي الْجَنَّةِ " .

وفي حديث عمر رضي الله عنه : " عَلَيْكُمْ بِالْحَشَبَتَيْنِ " يعني السَّوَاكَ وَالْخِلَالَ .

وكان بعضهم يقول لولده إذا رأى حرصه في الطعام : يَا بُنَيَّ ، عَوِدْ نَفْسَكَ الْأَثْرَةَ ، ومجاهدة [الهوى و] الشهوة ، وَلَا تَهْتَشْ نَهَشَ السَّبَاعِ ، وَلَا تَحْضِمَ حَضَمَ الْبَرَّازِينَ [وَلَا تُدْمِنِ الْأَكْلَ إِدْمَانَ النَّعَاجِ ، وَلَا تَلْقَمْ لَقْمَ الْجَمَالِ] ؛ فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَكَ لِنَاسًا ، فَلَا تَجْعَلْ نَفْسَكَ حَيْمَةً . ١٥

(١) التكلة عن الجامع الصغير والمقد الفريد والمستطرف .

(٢) رواية الجامع الصغير : « والنظافة تدعو إلى الإيمان » .

(٣) الأثرة (بالضم) : اسم من الإيثارة وهو تفضيل الإنسان غيره على نفسه . ٢٠

(٤) الزيادة عن المقد الفريد .

وحكى عن بعض الكلاب قال : تغذيت مع المأمون فالتفت إلى وقال : خلال قبيحة عند الجلوس على الطعام : كثرة مسح اليد ، والابتكاب على الطعام ، وكثرة أكل البقل . ومعنى ذمه هذه الخلال الثلاث : أنه إذا أكثر مسح اليد فإنما ذلك من غشها في الطعام ، والابتكاب يدل على شدة الحرص وزيادة الشره والنهم ، قال الشاعر :

لقد سترت منك الحيوانَ عمامةً * دجوجية ظلماتها ليس تغلع

وأما البقل ، فإن الحاجة إلى البقرة منه ، وفي الإكثار منه تشبه بالبهايم لانه مرعاه .
وقيل : الأكل ثلاثة : مع الفقراء بالإيثار ، ومع الإخوان بالانبساط ، ومع أبناء الدنيا بالأدب .

وقيل لبعض الحكماء : أى الأوقات أحسن للأكل ؟ فقال : أما من قدر فإذا آتته ، وأما من لم يقدر فإذا وجد .

ذكر الاقتصاد في المطاعم والعفة عنها

قال الله عز وجل : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ . وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "من زاره أخوه المسلم فقترب إليه ما يتسر غفر له وجعل في طعامه البركة ومن قُرب إليه ما يتسر فاستحق ذلك كان في مقت من الله حتى يخرج" . وقالت عائشة رضي الله عنها : أولم النبي صلى الله عليه وسلم على بعض نسائه مدين من شعير .

وقيل : كان عيسى بن مريم صلوات الله عليه يقول : إعملوا ولا تملوا لبطونكم ، وإياكم وفضول الدنيا ، فان فضولها رجز ، هذه طير السماء تفدو وتروح ، ليس معها

(١٠٦)

من أرزاقها شيء ، لا تحمُرث ولا تحصد ، والله يرزقها ؛ فإن قاتم : بطوننا أعظم من بطونها ؛ فهذه الوَحْشُ تغدو وتروح ، وليس معها من أرزاقها شيء والله يرزقها .
وروي أن علي بن أبي طالب رضى الله عنه : لما دخل شهر رمضان كان يقطر ليلة عند الحسن ، ليلة عند الحسين ، وليلة عند عبد الله بن جعفر ، لا يزيد على لقمتين أو ثلاث ؛ ف قيل له ؛ فقال : إنما هي أيام قلائل يأتي أمر الله وأنا نحيص ، فقتل من ليلته .

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "من قل طعمه ^(١) صح بدنه وصفا قلبه ومن كثر طعمه سقيم جسمه وقسا قلبه" . وعنه صلى الله عليه وسلم قال : "ما زين الله رجلا بزيئة أفضل من عفاف بطنه" . قال حاتم :

أبيت نحيص البطن مضطجرا الحشا * من الجوع أخشى الذم أن أتضلما
فإنك إن أعطيت بطنك سُؤْلَه * وقَرَجَك نالا منتهى الذم أجمعا
وقال بعضهم : رأيت مجنونا ينفد ، وهو على باب دار فيها صنيع والناس يدخلون ، وكنت ممن دُعِي ، فقلت : ألا تدخل فتأكل فإن الطعام كثير ؟ قال : وإن كثر فاني ممنوع منه ؛ فقلت : كيف والباب مفتوح ، ولا مانع من الدخول ؟ فقال : أأكل طعاما لم أَدْعَ إليه ! لقد أضطرتني الى ذلك غير الجوع ؛ فقلت : ما هو ؟ قال : دقاة النفس وسوء الفريرة . قال شاعر :

وإني لَلْف عن مَطَائِمَ جَمَّة * إذا زينَ الفَحْشاءَ للنفس جُوعُها

وقال آخر :

وأعرض عن مَطَائِمَ قد أراها * فأنزكها وفي البطن أنطواء
فلا وأبيك ما في العيش خير ^(٢) * ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

(١) الطعم (بالضم) : الطعام .

(٢) كذا في شرح ديوان الحماسة طبع أوربا (ص ١٦٥) . وفي الأصول : « وفي الدنيا » .

قال الجنيدي: مررت بجي الحارث بن أسد المحاسب، فرأيت فيه أثر الجوع، فقلت: يا عم، تدخل الدار وتناول شيئاً؟ قال: نعم، فدخل، وقدمت إليه طعاماً حُرِلَ إلى من عُرِس، فأخذ لقمة فلاكها، ونَهَضَ فألقاها في الدهليز ومضى، فالتقيت به بعد أيام، فقلت له في ذلك، فقال: كنت جائعاً، وأردت أن أسرك بأكل، ولكن بنى وبين الله تعالى علامة، ألا يسوغني طعاماً فيه شبهة، فن أين كان ذلك الطعام؟ فأخبرته، ثم قلت له: تدخل اليوم؟ قال: نعم، فقدمت إليه كثيراً كانت لنا، فأكل وقال: إذا قدمت لفقير شيئاً، فقدم مثل هذا.

وروي أن عمرو بن العاص قال لأصحابه يوم الحكين: أكثرُوا لهم الطعام، فواثقه ما يَطْعَن قوم إلا فقدوا بعض عقولهم، وما مضت عَزْمَةُ رجل بات بعطينا، فلما وجد معاوية ما قال صحيحاً، قال: «البَطْنَةُ تُثْبِتُ الفِطْنَةَ»^(١).

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تُمَيِّتُوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فإن القلوب تموت كالزُّرْع إذا كثُر عليه الماء»^(٢).

ودخل عمر رضي الله عنه على ابنه عاصم وهو يأكل لحماً، فقال: ما هذا؟ قال: قَرِمْنَا إليه، قال: ويحك! قَرِمْتَ إلى شيء فأكلته، كفى بالمرء شَرّاً أن يأكل كل ما يشتهي. قال ابن دريد: العرب تُعَيِّرُ [بعضها] بكثرة الأكل، وأنشد:

لستُ بأَكْأَل كَأكل العبد * ولا ينوأم كَنوأم الفهْد

(١) في جمع الأمثال: «البطنَةُ تأخِرُ الفِطْنَةَ».

(٢) في الاحياء للزناي: «فإن القلب كالزُّرْع يموت... إلخ» - وفي المستطرف: «فإن القلب كالزُّرْع إذا كثُر عليه الماء مات».

(٣) الزيادة من المستطرف.

وقال عمرو بن لُحَيٍّ رضي الله عنه : ما أجمع عند النبي صلى الله عليه وسلم إدامان إلا أكل أحدهما وتصتق بالآخر .

وقال أبو سليمان الداراني : خير ما أكون إذا لصق بطني بظهري ، أجوعُ الجوعَ فأنخرج تزحمتي المرأة فما ألصقت إليها ، وأشبع الشبعة فأنخرج فأرى عيني تطمحن .

ذكر أخبار الأكلة

قد نُسب ذلك إلى جماعة من الأكابر وذوى المهمة ، فمن ذلك ما حكاه المحدثون في تذكروته : أن معاوية بن أبي سفيان أتى يسجل مشوي^(١) ، فأكل معه دسنا من الخبز السميد ، وأربع قرآن^(٢) ، وجدياً حازاً ، وجدياً بارداً ، سوى الألوان ، ووضع بين يديه مائه رطل من الباقلاء الرطب ، فأتى عليه . وقيل : إنه كان يأكل كل يوم أربع أكلات آتحرهن^(٣) أشدهن ثم يقول : يا غلام ، أرفع ، فواقه ما شيعت ، ولكني ملكت .

ومنها عبيد الله بن زياد ، كان يأكل في اليوم خمس أكلات آتحرها جنبه بفل ، ويوضع بين يديه بعد ما يفرغ من الطعام عناق^(٤) أو جدى^(٥) فيأتى عليه وحده .

ومنها الحجاج بن يوسف ، قال سلم بن قتيبة : كنت في دار الحجاج مع ولده ، وأنا غلام ، فقالوا : جاء الأمير ، فدخل الحجاج وأمر بتؤر فتُصب ، وأمر رجلاً يتخير خبز الماء ودعا بسمك ، فأكل حتى أتى على ثمانين جاماً من السمك بثمانين ريفاً من خبز الماء .

(١) الفرائي : خبز يشوى ويروى سماً وليناً وسكراً .

(٢) التاق : الأتقى من أولاد المنز .

(٣) كذا في كتاب المعارف لابن قتيبة والطبري وابن الأثير . وفي الأصل : «سلم بن قتيبة» .

ومنها سليمان بن عبد الملك، روى أنه شوى له أربعة وثمانون خروفاً، فذهب
إلى كل واحد منها فأكل شحم أليته ونصف بطنه مع أربعة وثمانين رغيفاً، ثم أذن
للناس وقدم الطعام، فأكل معهم أكل من لم يثق شيئاً.

وقال السمرقندى ويكل عمرو بن العاص: قدم سليمان بن عبد الملك الطائف،

فدخل هو وعمرو بن عبد العزيز، فجاء حتى ألقى صدره إلى غصن، ثم قال: يا سمرقندى،
ما عندك شيء تطعمنى؟ قلت عندى جدى تغدو عليه حافل وتروح أخرى؛ قال:

عجل به، فأتيته به كأنه عكة^(١) سمن، فجعل يأكل، وهو لا يدع عمره، حتى بق منه فخذ
قال: يا أبا حفص هلم، قال: إني صائم، فأتى عليه؛ ثم قال: يا سمرقندى ويلك!

ما عندك شيء؟ قلت: دجاجات ست، كأنهن رطلان النعام، فأتيته بهن فأتى عليهن؛
ثم قال: ويلك يا سمرقندى! ما عندك شيء؟ قلت: سويق كأنه قرأضة الذهب، فأتيته

بمس يفيب فيه الرأس، فشر به؛ فلبس فرغ تحشاً كأنه صارخ في جُب؛ ثم قال:
يا غلام، أفرغت من غدائنا؟ قال: نعم، قال: ما هو؟ قال: تيف وثمانون قدراً،

قال: فأت بقدر قدر، وبقناع عليه رقاق، فأكل من كل قدر ثلاث لقم، ثم مسح
يده وأستلقى على فراشه، فوضع الخوان وقعد يأكل مع الناس.

ومن المشهورين بالأكل، هلال بن الأسعر المازنى، قال المعتمر بن سليمان:
سأته عن أكله فقال: جعت مرة ومضى بعيرى فتحرته وأكلته إلا ما حملت منه

(١) كذا في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٥): وفي الأصل: «جفع».

(٢) مكة: زقيق صغير للسمن.

(٣) رواية العقد الفريد: «نمس دجاجات هنديات».

(٤) في العقد الفريد: «حريرة» وهي دقيق يطبخ بلبن أو دسم.

(٥) المس: القندح العظيم.

(٦) في العقد الفريد: «في حب» والحب: الخالية، فارمى مرب.

(٧) القناع (بالكسر): الطبق من جنب النخل يوضع فيه الطعام.

عل ظهرى ، فلما كان الليل راودت أمة لى فلم أصل إليها ، فقالت : كيف تصل إلى
وبنى وبينك جمل ؟ فقلت له : كم تكفيك هذه الأكلة ؟ فقال : أربعة أيام .
وحكى أبو سعيد منصور بن الحسين الآبى فى كتابه المترجم بنثر الدر : أن هلالا
هذا أكل بمرأ ، وأكلت أمراءه فصيلا وجامعها فلم يتكهن منها ؛ فقالت له : كيف
تصل إلى وبنى وبينك بمران ؟ وله حكايات ذكرها الحمدونى فى التذكرة ، والآبى
فى نثر الدر تركاها اختصارا .

ومنها محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، ذكر الجاحظ : أنه أكل يوما
جنبي بكر شواء بعد طعام كثير .

ومن المشهورين بالنهم أحمد بن أبى خالد الأحول وزير المأمون ، وكان
المأمون اذا وجهه فى حاجة أمره أن يتخذى ويمضى ؛ فرفع إلى المأمون فى المظالم :
إن رأى أمير المؤمنين أن يجرى على ابن أبى خالد بدلا ، فإن فيه كلبية ، إلا أن
الكلب يحرص المنزل بكسرة ، وابن أبى خالد يقتل المظلوم ، ويمسك الظالم بأكلة ؛
فأجرى عليه المأمون فى كل يوم ألف درهم لمأنته ، وكان مع ذلك يشتره إلى طعام
الناس . ولما آنصرف دينار بن عبد الله من الجبل ، قال المأمون لأحمد بن أبى خالد :
امض إلى هذا الرجل وحاسبه وتقدم إليه بحمل ما يحصل لنا عليه ، وأنفذ معه خادما
ينهى إليه ما يكون منه ؛ وقال : إن أكل أحمد عند دينار عاد الينا بما نكره .
ولما أتصل خبر أحمد بدينار قال للطباخ : إن أحمد أشبه من نفع فيه الروح ، فإذا
رأيتة فقل له : ما الذى تأمر أن يتخذ لك ؛ ففعل الطباخ ، فقال أحمد : فراريج

- (١) كذا فى الأغاني (ج ٣ ص ٦٨ طبع دار الكتب) والمسخر . وفى الأصول : « كم تلتك » .
(٢) كذا فى مصب يافوت ونظم الدر لأبى سعد . وفى الأصول : « أبو سعيد منصور بن الحسن الآبى »
وهو تحريف . والآبى شبه إلى آبة قريية من أصبهان .
(٣) البذل : الطاء ، وفى الأصل : « نزلا » .

كُنْكَرِيَّة بِمَاءِ الرِّمَانِ تُقَدَّمُ مَعَ خَبْزِ الْمَاءِ بِالسَّمِيدِ، ثُمَّ هَاتِ بَعْدَهَا مَا شِئْتَ، فَابْتَدَأَ
 الطَّبَاخُ بِمَا أَمَرَ، وَأَخَذَ أَحْمَدُ يُكَلِّمُ دِينَارًا، فَقَالَ لَهُ : يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ : إِنْ لَنَا
 قَبْلُكَ مَا لَا قَدْ حَبِسْتَهُ عَلَيْنَا، فَقَالَ : الَّذِي لَكُمْ ثَمَانِيَةَ آلَافٍ أَلْفٍ، قَالَ : فَاحْلُوهَا،
 قَالَ : نَعَمْ، وَجَاءَ الطَّبَاخُ فَاسْتَأْذَنَ فِي نَصَبِ الْمَائِدَةِ، فَقَالَ أَحْمَدُ : تَحْجَلْ بِهَا فَإِنِّي
 أَجُوعُ مِنْ كَلْبٍ، فَقُدِّمَتْ وَعَلَيْهَا مَا اقْتَرَحَ، وَقَدَّمَ الدِّجَاجُ وَعِشْرِينَ فُرُوجًا كَسَكْرِيَّةً،
 فَأَكَلَ أَكُلَ جَائِعٍ نَهْمًا، مَا تَرَكَ شَيْئًا مِمَّا قَدَّمَ، فَلَمَّا فَرَغَ وَقَدَّرَ الطَّبَاخُ أَنَّهُ قَدْ شَبِعَ،
 لَوْحَ بَطِيغُورِيَّةٍ فِيهَا خَمْسُ سَمَكَاتٍ شَبَابِيضَ كَأَنَّهَا سَبَائِكُ الْفِضَّةِ، فَأَنْكَرَ أَحْمَدُ عَلَيْهِ
 أَنْ لَا قَدِّمَهَا، وَقَالَ : هَاتَهَا، وَأَعَادَ أَحْمَدُ الْخُطَابَ، فَقَالَ دِينَارُ : أَلَيْسَ قَدْ عَرَفْتُكَ
 أَنَّ الْبَاقِيَ لَكُمْ عِنْدِي سَبْعَةَ آلَافٍ أَلْفٍ؟ قَالَ : أَحْسَبُكَ اعْتَرَفْتَ بِأَكْثَرِهَا، فَقَالَ :
 مَا اعْتَرَفْتَ إِلَّا بِهَا، فَقَالَ : هَاتِ خَطِّكَ بِمَا اعْتَرَفْتَ بِهِ، فَكُتِبَ بِسِتَّةِ آلَافٍ أَلْفٍ،
 فَقَالَ أَحْمَدُ : سُبْحَانَ اللَّهِ! أَلَيْسَ قَدْ اعْتَرَفْتَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا؟ قَالَ : مَا لَكَ قَبْلِي
 إِلَّا هَذَا الْمَقْدَارُ فَأَخَذَ خَطَّهُ بِهَا، وَتَقَدَّمَ الْخَادِمُ فَأَخْبَرَ الْمَأْمُونُ بِمَا جَرَى. فَلَمَّا وَرَدَ
 أَحْمَدُ نَاولَهُ الْخُطَّ، فَقَالَ : قَدْ عَرَفْنَا مَا كَانَ مِنْ أَلْفِ الْأَلْفِ بِتَنَاوُلِ الْغَدَاءِ، لَمَّا بَالَ
 أَلْفُ الْأَلْفِ الْأُخْرَى! فَكَانَ الْمَأْمُونُ بِمَعْنَى ذَلِكَ يَقُولُ : مَا أَعْلَمُ غَدَاءَ قَامَ عَلَى أَحَدٍ
 بِالْفِي أَلْفٍ إِلَّا غَدَاءَ دِينَارٍ، وَأَقْتَصَرَ عَلَى الْخُطِّ وَلَمْ يَتَعَقَّبْهُ كَرَمًا وَبُئْلًا.

وَمِنْهُمْ أَبُو الْعَالِيَةِ، حُكِيَ أَنَّ أَمْرَأَةً حَلَّتْ لِحْلَفَتْ إِنْ وَلَدَتْ غُلَامًا لِأَشْبَحَ
 أَبَا الْعَالِيَةِ خَيْصًا، فَوَلَدَتْ غُلَامًا، فَأَطْعَمَتْهُ، فَأَكَلَ سَبْعَ يَفَانَ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّمَا
 حَلَفْتَ أَنْ تُشْبِعَكَ خَيْصًا، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَوْ عَامَتْ لِمَا شَبِعْتَ إِلَى اللَّيْلِ.

وَمِنْهُمْ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْعَلَّافُ الشَّاعِرُ، دَخَلَ يَوْمًا عَلَى الْوَزِيرِ
 الْمُتَهَلِّيِّ بِنِغْدَادَ، فَأَنْفَذَ الْوَزِيرُ مِنْ أَخَذَ حِمَارَهُ الَّذِي كَانَ يَرْكَبُهُ مِنْ غُلَامِهِ، وَأَدْخَلَ

المطبخ وذُبح وطبخ لحمه بماء وملح، وقُدِّم بين يديه، فأكله كله وهو يظن أنه لحم بقر، فلما خرج [و] طلب الحمار، قيل له: قد أكلته. وعوضه الوزير عنه ووصله. فهذا كافي في أخبار الأكلة.

ذكر ما قيل في الجُبْن والفرار

• ومن أقبح ما يُحیی به الرجل أن يكون جبَّاناً فراراً، وقد نهانا الله عز وجل عن الفرار، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ ذَرَّهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنْ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَفَسَّ الْمَصِيرُ﴾. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾. وقالت عائشة رضي الله عنها: إن لله خلقاً قلوبهم كقلوب الطير، كلما خفقت الريح خفقت معها، فأف للجبناء! أف للجبناء!

وقال خالد بن الوليد عند موته: [لقد] لقيت كذا وكذا زحفاً، وما في جسدي موضع [شبر] ^(١) إلا فيه طعنة برُخ أو ضربة سيف أو رمية بسهم، وهانذا أموت على فراشي خشف أظني، كما يموت العير، فلا نامت أعين الجبناء!

• وقيل: كتب زياد إلى ابن عباس: أن صف لي الشجاعة والجُبْن والجلود والبخل؛ فكتب إليه: كتبت تسألني عن طبائع رُجبت في الإنسان تركيب الجوارح، أعلم أن الشجاع يقاتل عمن لا يعرفه، والجبان يفر عن عرسه، وأن الجواد يعطي من لا يلزمه، وأن البخيل يمسك عن نفسه. وقال شاعر: ^(٢)

يَفِرُّ جَبَانُ الْقَوْمِ عَنْ عَرْسِ نَفْسِهِ * وَيَتَمَيَّحُ جَبَانُ الْقَوْمِ مِنْ لَا يَنَابِسُهُ ^(٣)

٢٠ (١) الزيادة عن المقدم الفريد وتذكرة الصفي - (٢) هو أبو يعقوب الخرمي كما في كتاب بهجة المجالس وأنس المجالس تأليف أبي عمرو يوسف بن عبد الله بن عبد البر التري الأندلسي ورقة ١٣٣ (٣) كذا في الأصل وبهجة المجالس. وفي المقدم الفريد: «عن أم نفسه».

وقالوا : الجبن غريزة كالشجاعة يضعها الله فيمن شاء من خلقه .

قال المتنبي :

يرى الجبناء أن الجبن حرم * وتلك خديعة الطبع اللئيم

وقالوا : حد الجبن : الضن بالحياة ، والحرص على النجاة .

- وقالت الحكماء في الفراسة : من كانت فزعته في رأسه فذاك الذي يقر من أمه وأبيه ، وصاحبه وأخيه ، وفصيلته التي تؤويه .

ويقال : أسرع الناس إلى الفتنة أقلهم حياء من الفرار .

وقال هاني الشيباني لقومه يوم ذي قار يحرضهم على القتال : يا بني بكر ! هالك معدور خير من تاج قور . المنيّة ولا الدنيّة . استقبال الموت خير من آتدباره .

- ١٠ النفر في ثغور النحور : خير منه في الأعجاز والظهور . يا بني بكر ! قاتلوا ، فما من المتأبّد ، الجبان مفضّ حتى لأتمه ، والشجاع محبّب حتى لعدوه .

ويقال : الجبن خير أخلاق النساء ، وشر أخلاق الرجال .

وقال يعلى بن منبه لقومه حين فزوا من عليّ يوم صفّين : إلى أين ؟ قالوا : ذهب الناس ، قال : أف لكم ! فراراً واحتذاراً !

- ١٥ قال : ولما قاتل أبو الطيّب المتنبي ورأى الغلبة عليه فز ، فقال له غلامه : أترضى أن يحدث الناس بهذا الفرار عنك ؟ وأنت القاتل :

الخيّل والليل واليسداء تعرفني * والطنن والضرب والقرطاس والقلم

فكر راجعاً ، وقاتل حتى قُتل ، واستبجح أن يُعبر بالفرار .

(١) في ديوان المتنبي : « ان الجزع عقل ... الخ » .

(٢) في العقد الفريد : « قال الأحنف » .

(٣) ورد هذا الخبر في تذكرة الصفدي يتبسّط عما هنا .

(٤) في تذكرة الصفدي : « حاموا » .

وقال المنصور لبعض الخوارج عليه وقد ظفّره : أخبرني عن أصحابي ، أيهم كان أشدّ إقداما في المبارزة ، قال : لا أعرف وجوههم مقبلين وإنما أعرف أقفيتهم مُدبرين ، فقل لهم يُدبروا لأعزّتك أيهم كان أشدّ فرارا .

وقال ابن الرومي في سليمان بن عبد الله بن طاهر :

قِرْنُ سُلَيْمَانَ قَدْ أَضْرَبَهُ * شَوْقٌ إِلَى وَجْهِهِ سَيِّدُهُ
لَا يَعْرِفُ الْقِرْنَ وَجْهَهُ وَيرى * قَفَاءَ مَنْ فَرَّخَ فِعْرِفُهُ

وقال حسان بن ثابت يُعَيِّرُ الحارث بن هشام بفراره يوم بدر :

إِنْ كُنْتُ كَاذِبَةً الَّذِي حَدَّثَنِي * فَجُودٌ مَتَجَّى الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ
تَرَكَ الْأَجْبَةَ لَمْ يُقَاتِلْ دُونَهُمْ * وَنَجَا بِرَأْسِ طَيْمِرَةٍ وَلِحَامٍ
مَلَأَتْ بِهِ الْفَرَجَيْنِ فَاوَدَّتْ بِهِ * وَتَوَى أَحَبَّهُ بَشَرٌ مُقَامٍ^(١)

وقال أبو الفرج الأصفهاني : وكانت أبو حية النخريّ ، وهو الهيثم بن الربيع ابن زُرّارة ، جباناً بخيلاً كذاباً . قال ابن قتيبة : وكان له سيف يسميه : لعاب المنية ، ليس بينه وبين الخشب فرق . قال : وكان أجبن الناس ، قال : فخذني جار له قال : دخل ليلة إلى بيته كلب فظنه لصباً ، فأشرفت عليه ، وقد آنتظى سيفه ، وهو واقف في وسط الدار يقول : أيها المُفترَّبُنا ، المجترئ علينا ، بئس والله ما اخترت لنفسك ، خيرٌ قليل ، وسيفٌ صقيّل ، لعاب المنية الذي سمعت به ، مشهورة ضربته ، لا تخاف نبوته ، أخرج بالعفو عنك قبل أن أدخل بالعقوبة عليك ، إني والله إن أدعُ قيساً إليك لا أتم لها ، وما قيس ؟ تملأ والله الفضاء خيلاً ورجلاً ، سبحان الله !

(١) اودعت به : أسرعت وعدت مثل عدو الرمداء ، وهي النعام .

(٢) يقال : نضى السيف من غمده وأنتضاه إذا أخرجه .

ما أكثرها وأطيبها! فينبا هو كذلك، إذا الكلب قد خرج، فقال : الحمد لله الذى
مسحك كلبا، وكفانا [فيك] حربا .

ومن أبلغ ما قيل فى الجبن من الشعر القديم، قول الشاعر :
ولو أنها عصفورة لحسبتها * مسومة تدعو عبيدا وأزمتا^(١)

ومثله قول عروة بن الورد :
وأشجع قد أدركتهم فوجدتهم * يخافون خطف الطير من كل جانب
وقال آخر :

مازلت تحسب كل شئ بعدهم * خيلا تذكر عليهم ورجالا
وقول أبى تمام :

موكَّل بيفاع الأرض يشرفه * من خفة الخوف لا من خفة الطرب
وقال ابن الرومي :

وفاريس أجبن من صفيرد * يحول أو يعوز من صفرة
لو صاح فى الليل به صائح * لكانت الأرض له طفرة
يرحمه الرحمن من جبنه * فيرزق الجنس به النصرة^(٢)

١٥

(١) الزيادة عن تذكرة المصنفى .

(٢) فى كتاب النقائص (ص ٥٨٤) ولسان العرب هو المزام بن شاذب الشيباني .

(٣) كذا فى النقائص ص ٥٨٥ ولسان العرب مادة «زيم» ؛ وعيد وأزمت : بطنان من بنى بربوع .

وفى الأصلين (أرنا) بإزاء المهلة وهو تخرىف .

(٤) المفرد : طائر يقال له : أبو الملح وهو طائر جبان .

(٥) فى ديوان ابن الرومي : "أريشول" .

(٦) فى ديوان ابن الرومي : "فطعم الله به نصره" .

٢٠٠

ومن أخبار الفرّارين الذين حَسَنُوا الفرار على قُبْحِهِ
 قال صاحب كليلة ودمنة : إن الحازم يكره القتال ما وجد بُدًّا منه ، لأن النفقة
 فيه من النفس ، والنفقة في غيره من المال .

وقالوا : من تَوَقَّى سَلِيمٌ ، ومن تَهَوَّرَ نَدِيمٌ .

وقال عبد الله بن المقفّع : الشجاعة متّفة ، وذلك أن المقتول مُقبلاً أكثر من
 المقتول مُدبراً ، فمن أراد السلامة فَلْيُؤَثِّرِ الجُنَّ على الشجاعة .

ولِيَمِمْ بعضُ الجبناء على جنبه ، فقال : أقلّ الحرب شَكْوَى ، وأوسطها تَجْوَى ،
 وآخرها بَلْوَى .

وقال آخر : الحرب مقتلة للمباد ، مذهبة للطارف والثلاد .

وقيل لجبان : لِمَ لَا تَقَاتِلُ ؟ فقال : « عند النطاح يُقَلَّبُ الكesh الأجم^(١) » .

وقالوا : الحياة أفضل من الموت ، والفرار في وقته ظَفَرٌ .

وقالوا : الشجاع مُلَقٌّ ، والجبان مُوَقٌّ . قال البديع الحمّذاني :

ما ذاقَ هَمًّا كالشجاع ولا خلا ٥ بمسرة كالعاجز المتسواني

وقالوا : الفرار في وقته ، خير من الثبات في غير وقته .

وقالوا : السّلم أذكى للآل ، وأبقى لأنفس الرجال .

وقالوا : الحماة في الإقدام ، والسلامة في الإحجام .

وقال المتوكل لأبي العيّن : إني لأفرّق من لسانك ، يا أمير المؤمنين ، الكريم
 ذو فرق وإحجام ، واللّئيم ذو وقّاحة وإقدام .

(١) الأجم : الذي لا قرن له ، وهو مثل يضرب لمن غلبه صاحبه بما أعد له .

وقيل لأعرابي: ^(١) ألا تعرف القتال فإن الله قد أمرك به؟ فقال: والله إنى لأبغض الموت على فراشي في عافية، فكيف أمضى إليه ركبضا! قال شاعر:

تمشى المنيا إلى قسوم فأبغضها • فكيف أعدو إليها عارى الكف^(٢)ين؟

وقيل ليزيد: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا رأيت شخصا بالليل فكن

- للإقدام عليه أولى منه طبع»، فقال: أخاف أن يكون قد سمع الحديث قبل، فأقع معه فيما أكره، وإنما الحرب خير.

وسمع سليمان بن عبد الملك قارئاً يقرأ: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فقال: ذلك القليل زيد.

- ولما قرأ أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد يوم مرداء هجر بالبحرين ^(٣) من أبي فديك الخاريجي إلى البصرة، ودخل عليه أهلها، فلم يدروا كيف يكلمونه ولا ما يلقونه به من القول، أبهتونه بالسلامة أم يعزونه بالفرار، حتى دخل عبد الله ابن الأهم، فاستشرف الناس له، ثم قالوا: ما عسى أن يقول لمنهزم! فلم يمهل قال: مرحبا بالصابر المخذول [الذي خذله قومه]، الحمد لله الذي نظر لنا عليك، ولم ينظر لك علينا، فقد تعرضت للشهادة جهداً. ولكن الله علم حاجة أهل الإسلام إليك فأبناك لهم بخذلان من معك لك. فقال أمية: ما وجدت أحداً أخبرني عن نفسي غيرك.

(١) في تذكرة الصفي والمقد الفرزدق (ج ١ ص ٤٠ طبع بولاق): «ألا تنفرو العذرة فإن الله... الخ».

(٢) في تذكرة الصفي: «عاري الكف».

(٣) في معجم البلدان لياقوت — بعد أن شرح «مرداء هجر» بأنها رحلة دونها لا تنبت شيئا —

قال: «مرداء» مضر أيضاً قرية كان بها يوم بين أبي فديك الخاريجي وأمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد فترأمية أخرج فرار» اهـ. (٤) الزيادة عن المقد التريدي.

- وقال الحارث بن هشام وأحسن في اعتذاره عن الفرار :
- أفنه يعلم ما تركت قتالهم * حتى علوا مهري بأشقر مرزید
وعلمت أني إن أقاتل واحدا * أقتل ولا يضُرُّ عدوى مشهدي
فصدفت عنهم والأحبة فيهم * طمعا لهم بعقاب يوم سمرید
- وقال زُفر بن الحارث وقد فر يوم مرج رَاهِط ^(١) عن رفيقه ^(٢) :
- أيذهب يوم واحد إن أسأته * بصالح أياي وحسن بلائيا
فلم تُرمي زلة قبل هذه * فرأى وتركي صاحبي ورائيا
- وهي أبيات نذرها إن شاء الله في التاريخ . ونظير ذلك قول عمرو بن معد يكرب من أبيات يخاطب بها أخته ربيعة ، وقد فر من بني عبس :
- أجاعلة أم الشويرخزية * على فرأى إذ لقيت بني عبس
وليس يُعاب المرء من جبن يومه * إذا عرفت منه الحماية بالأميس
- وعكس هذا البيت عبد الله بن مطيع بن الأسود العدوي ، وكان قد فر يوم الحرة من جيش مسلم بن عقبة ، فلما حاصر الحجاج عبد الله بن الزبير بككة جصل يقاتل أهل الشام ويرتجز :
- أنا الذي قررت يوم الحرة * والشيخ لا يفت إلا مرة
فاليوم أجرى كوة يفسره * لا بأس بالكوة بعد الفرة
- ولم يزل يُعاتل حتى قُتل . قال الفزار السلمي :

(١) مرج رَاهِط : موضع بقوطة دمشق ، سمى باسم رجل من قضاة ، كانت به وقعة مشهورة بين عبس وقطب (راجع معجم ياقوت) في اسم رَاهِط .

(٢) في المقد الفريد : « عن أبيه وأخيه » .

(٣) في حاسة البحري (ص ٦٧ طبع أوربا) : « أم الحصين » .

(٤) في المقد الفريد : « ... إذا عرفت منه الشجاعة ... الخ » .

(٥) الذي في حاسة البحري ص ٦٥ « وقال حيان بن الحكم السلمي » .

وفوارس لَبَسَتْهَا بِسْوَارس * حتى إذا أَتَيْتْ أَمَلَتْ بِهَا يَدِي ^(١)
وَرَزَّكُهُمْ نَقِصَ الرِّمَاحُ ظُهُورَهُمْ * من يَبِىْ مَقْتُولٍ وَأَنْتَ مُسْتَدِ
هل يَنْفَعُنِي أَنْ تَقُولَ نَسَاؤُهُمْ * وَقِيلْتُ دُونَ رَجَالِهِمْ : لَاتَبَعِدِ ؟
وقال آخر :

- قامت مُسَجِّجِي هِنْدٍ قَلْتُ لَهَا * إِنْ الشَّجَاعَةُ مَقْرُونٌ بِهَا الْعَطْبُ
لا وَالَّذِي مَنَعَ الْأَبْصَارَ رُؤْيَايَتَهُ * مَا يَشْتَهِي الْمَوْتُ عِنْدِي مِنْ لَهْ أَرْبُ ^(٢)
لِلْهَرَبِ قَوْمٌ أَضَلَّ اللَّهُ سَبِيلَهُمْ * إِذَا دَعَتْهُمْ إِلَى نِيرَانِهَا وَبُؤَا ^(٣)
وقيل لبلبان في بعض الوقائع : تَقَدَّمَ، فقال :
وقالوا تَقَدَّمَ قَلْتُ لَسْتُ بِفَاعِلٍ * أَخَافُ عَلَى نَفْسِي أَنْ تَحْطُمَا
فلو كان لي رَأْسَانِ أَتَقَفْتُ وَاحِدًا * وَلَكِنَّهُ رَأْسٌ إِذَا زَالَ أَغْنَا ^(٤)
وَأَوْتَمُّ أَوْلَادًا وَأَرِمِلُ نِسْوَةً * فَكَيْفَ عَلَى هَذَا تَرَوْنَ التَّقَدُّمًا ^(٥)

ذكر ما قيل في الحق والجهل

قالوا : الْحَقُّ قَلَّةُ الْإِصَابَةِ، وَوَضَعَ الْكَلَامَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ . وقيل : هُوَ قَدِ انْ
مَا يَجِدُ مِنَ الْعَاقِلِ . وقيل لعمري هُبَيْرَةُ : مَا حَذَّ الْحَقُّ ؟ قال : لَا حَذَّ لَهُ كَالْعَقْلِ .

- (١) ورد هذا البيت في حاشية البحرى ص ٢٦٥ هكذا :
وكَيْفِيَّةُ لَبَسَتْهَا بِسْوَارِس * حتى إذا أَتَيْتْ تَحَمَّتْ بِهَا يَدِي
(٢) هكذا في حاشية البحرى، وقص : تَقَدَّمَ وَتَكَسَّرَ . وفي الأصل : « قَضَى » وهو تحريف .
(٣) في تذكرة الصفدى : * بَأْتَتْ تَسْجِي عَرَسِي وَقَدْ عَلِمْتُ *
(٤) رواية تذكرة الصفدى : * جِئْتُ الْأَنْصَارَ كَمَا *
(٥) في تذكرة الصفدى : ... إِلَى آفَاتِهَا ... الخ .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الأحمق أبغض الخلق إلى الله ، لأنه حرّمه أعزّ الأشياء عليه وهو العقل » .

(١١٥)

وقيل : أوحى الله تعالى إلى موسى : أَتَدْرِي لِمَ رَزَقْتُ الأحمق ؟ قال : لا يا ربّ ، قال : ليعلم العاقل أن طلب الرزق ليس بالاجتهاد .

وقال الشعبي : إذا أراد الله أن يُزِيلَ عن عبد نعمة كان أول ما يُسدّمه عقله .

وقالوا : الحق داءٌ دواؤه الموت . وقد بين الله تعالى خيبة من لم يعقل بقوله : ((لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا)) قيل : عاقلا ، وبقوله : ((لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ)) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أتني قومٌ على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى بَأْتُوا ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كيف عقل الرجل » ؟ فقالوا : مُخْبِرُكَ عَنْ أَجْتِهَادِهِ فِي الْعِبَادَةِ وَأَصْنَافِ الْخَيْرِ وَتَسَالُنَا عَنْ

عقله ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الأحمق يَصِيبُ بِمُحَقِّقِهِ أَعْظَمَ مِنْ بَطُورِ الْفَاجِرِ وَتَرْفِيعِ الْعِبَادُ غَدَا فِي الدَّرَجَاتِ [زَلَنِي مِنْ رِبِّهِمْ] عَلَى قَدَرِ عَقُولِهِ » .

ومن كلام لقمان لابنه : أَنْ تَكُونَ أُنْحَرَسَ عَاقِلًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ نَطُوقًا جَاهِلًا . ولكل شيء دليل ، ودليل العقل النقل ، ودليل النقل الصمت^(١٢) . وَكَفَى بِكَ جَهْلًا أَنْ تَنْهَى النَّاسَ عَنْ شَيْءٍ وَتَرْكِبُهُ .

وقال عيسى عليه السلام : عَابَلْتُ الأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ فَأَبْرَأْتُهُمَا ، وَعَابَلْتُ الأحمق فَأَعْيَانِي . قال شاعر :

لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ يُسْتَطْبُ بِهِ « إِلَّا الْحِمَاةَ أَعْيَتْ مِنْ يَدَاوِيهَا

(١) الزيادة عن تذكرة الصفدى .

(٢) رواية الصفدى : « ودليل العقل التفكير ، ودليل الفكر الصمت » .

وقال آخر :

وعلاج الأبدان أيسر خطباً * حين تعتل من علاج العقول

وقال آخر :

الخلق داء ما له حيلة * تُربى كبد النجم من مسه

وقيل إذا قيل لك : إن فقيراً استغنى ، وغنياً افتقر ، وحياتاً مات ، أو ميتاً عاش ،
فصدق ، وإذا بَلَغَكَ أن أحق استغناءً عقلاً فلا تُصدق .

وقالوا : الأحق نُحَى أمه أنها به مُشكلة ، ونُحَى زوجها أنها منه أرملة ؛ ويتقى
جاره منه العزلة ، ورفيقه منه الوحشة ، وأخوه منه الفرقة .

وقال سهل بن هارون : وجدت مودة الجاهل ، وعداوة العاقل ، أسوة في الخطر ؛
وجدت الأئس بالجاهل ، والوحشة من العاقل ، سبب في العيب ؛ ووجدت غش
العاقل أقل ضرراً من نصيحة الجاهل ؛ ووجدت ظن العاقل أوقع بالصواب من
يقين الجاهل ؛ ووجدت العاقل أحفظ لما لم يُستَكَم من الجاهل لما استُكِم .
وقال لقمان لابنه : لا تُعاشِرِ الأحمق ، إن كان ذا جمال ، وأنظر الى السيف ،
ما أحسن منظره وأفبح أثره !

وقال علي رضي الله عنه : قطيعة الجاهل تعيل صِلَة العاقل . وقال : صديق
الجاهل في تعب .

وقال آخر : لَأَنَا لِلْعَاقِلِ الْمُذْبِرِ أَرْجَى مَنِ الْأَحْمَقِ الْمُقْبِلِ . وقال شاعر :
عَدُوُّكَ دُوُّ الْعَقْلِ خَيْرٌ مِنَ الصَّدِيقِ لَكَ الْوَامِقِ الْأَحْمَقِ

(١) كذا في تذكرة السعدي . وفي الأصل : « أرى شيء من الأحمق » وهو نحو هذا .

والبيت المشهور السائر :

وَلَا نَ يُعَادِي عَاقِلًا خَيْرُهُ * مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَحَقُّ

وقيل : الحق يسلب السلامة، ويورث الندامة . وقد ذموا من له أدب بلا عقل .

ووصف أعرابي رجلا فقال : هو ذو أدب وافر، وعقل نافر. قال شاعر :

فَهَبْ أَخَا الْأَدَابِ أَى فَضِيلَةٍ * تَكُونُ لَدَى عِلْمٍ وَلَيْسَ لَهُ عَقْلٌ



ومن صفات الأحمق وعلاماته . قيل : ما أعدمك من الأحمق فلا يعدمك منه كثرة الالتفات وسرعة الجواب . ومن علاماته الثقة بكل أحد .

وَيُقَالُ : إِنَّ الْجَاهِلَ مُوَلِّجٌ بِحِلَاوَةِ الْعَاجِلِ ، خَيْرُهُ بَالٌ بِالْعَوَاقِبِ ، وَلَا مُعْتَبِرُ الْمَوَاقِظِ ، لَيْسَ يُعْجِبُهُ إِلَّا مَا ضَرَّهُ ، إِنْ أَصَابَ فَعَلَّ غَيْرَ قَصِيدٍ ، وَإِنْ أَخْطَأَ فَهُوَ الَّذِي لَا يَحْسُنُ بِهِ غَيْرُهُ ، لَا يَسْتَوْحِشُ مِنَ الْإِسَاءَةِ ، وَلَمْ يَفْرَحْ بِالْإِحْسَانِ .

وقالوا : سَتَّ خِصَالٌ تُعَرِّفُ فِي الْجَاهِلِ : الْغَضَبُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ، وَالْكَلَامُ فِي غَيْرِ نَفْعٍ ، وَالْفُطْنَةُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ ، وَلَا يَعْرِفُ صَدِيقَهُ مِنْ عَدُوِّهِ ، وَإِفْشَاءُ السِّرِّ ، وَالثِّقَةُ بِكُلِّ أَحَدٍ .

وقالوا : غَضَبُ الْجَاهِلِ فِي قَوْلِهِ ، وَغَضَبُ الْعَاقِلِ فِي فِعْلِهِ . وَالْعَاقِلُ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَتْبَعَهَا مَثَلًا ، وَالْأَحْمَقُ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَتْبَعَهَا حَلْفًا ^(١) . الْأَحْمَقُ إِذَا حَدَّثَ ذَهَلًا ، وَإِذَا تَكَلَّمَ عَجَلًا ، وَإِذَا حَمَلَ عَلَى الْقَيْحِجِ قَعْلًا .

وقال أبو يوسف : إِبْتِاثُ الْحُجَّةِ عَلَى الْجَاهِلِ سَهْلٌ ، وَلَكِنْ إِقْرَارُهُ بِهَا صَعْبٌ .

(١) كَذَا فِي التَّذَكُّرَةِ . وَفِي الْأَسْوَلِ : « خَلْفًا » بِأَخْطَاءِ الْمُعْجَمَةِ .

وقال وهب بن منبه : كان يقال للأحقق : اذا تكلم فضعه حقه ، واذا سكّت فضعه عنه ؛ واذا عمل أفسد ، واذا ترك أضاع ؛ لا علمه بعينه ، ولا علم غيره ينفعه ؛ تؤذ أمه أنها تكلته ، وتقتى أمراؤه أنها قديمته ؛ ويتقى جاره منه الوحدة ، وتأخذ جليسه منه الوحشة .

وَيُسْتَدَلُّ عَلَى الْأَحْقَقِ بِأَشْيَاءَ ، قَالُوا : مِنْ طَالَتْ قَامَتُهُ ، وَصَغُرَتْ هَامَتُهُ ، وَأَنْسَدَتْ لَحِيَتُهُ ، كَانَ حَقِيقًا عَلَى مَنْ يَرَاهُ أَنْ يُقَرِّبَهُ عَنْ عَقْلِهِ السَّلَامَ .

وَيُقَالُ فِي التَّوْرَةِ : الْهَيْئَةُ تَخْرُجُهَا مِنَ الدِّمَاغِ ، فَمَنْ أَفْرَطَ عَلَيْهِ طَوْلُهَا قَلَّ دِمَاغُهُ ، وَمَنْ قَلَّ دِمَاغُهُ قَلَّ عَقْلُهُ ، وَمَنْ قَلَّ عَقْلُهُ فَهُوَ أَحَقُّ .

وَقَالَتْ أَعْرَابِيَّةٌ لِقَاضٍ قَضَى عَلَيْهَا : صَغُرَ رَأْسُكَ ، قَبِعُدَ فَهْمُكَ ، وَأَنْسَدَتْ لَحِيَتُكَ ، فَتَكْشِجْ عَقْلُكَ ، وَمَا رَأَيْتَ مَيْتًا يَقْضِي بَيْنَ حَيِّينِ غَيْرَكَ .

وَقَالَ سَلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بِلُحْسَانِهِ : يُعْرِفُ حَقُّ الرَّجُلِ فِي أَرْبَعٍ : طَوْلَ لَحْيَتِهِ ، وَبِشَاعَةَ كَنِيَّتِهِ وَإِفْرَاطَ شَهْوَتِهِ ، وَنَقَشَ خَاتَمِهِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ طَوِيلُ الْهَيْئَةِ ، فَقَالَ : أَمَّا هَذَا فَقَدْ أَتَاكُمْ بِوَاحِدَةٍ ، فَانظُرُوا أَيَّ هَوَمِنِ الثَّلَاثِ ؛ فَعِيلَ لَهُ : مَا كُنَيْتُكَ ؟ فَقَالَ : أَبُو الْيَاقُوتِ ، فَعِيلَ لَهُ : مَا نَقَشَ خَاتَمُكَ ؟ فَقَالَ : وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ : أَلَيْ لَا أَرَى الْهَنْدُودَ . قِيلَ : فَأَيُّ الطَّعَامِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الْجَلَنْجَبِينَ^(٢) ؛ فَقَالَ مَسَامَةَ : فِيهِ مَا بَعْدَ كَنِيَّتِهِ ، مَعَ طَوْلِ لَحْيَتِهِ ، مَعَ نَقَشِ خَاتَمِهِ شَيْءٌ لَعَنِي .

قَالَ الشَّعْبِيُّ : خَطَبَ الْمَجَاجُ يَوْمَ جَمْعَةٍ فَأُطَالَ ، فَقَامَ إِلَيْهِ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ لَهُ : إِنْ الْوَقْتُ لَا يَنْتَظِرُكَ وَإِنَّ الرَّبَّ لَا يَبْذُرُكَ ، فَأَمَرَ بِهِ فَخُبِسَ ، فَأَنَاهُ أَهْلُهُ يَشْفَعُونَ فِيهِ

(١) فِي عَيُونِ الْأَعْيَارِ (ج ٢ ص ٣٩ طبع دار الكتب المصرية) : « هشام بن عبد الملك » .

(٢) فِي تَخْلِيفِ الْأَفْهَامِ الْفَارَسِيَةِ الْمَرْبُوعَةِ لِأَدِي شِيرَ وَأَقْرَبِ الْمَوَارِدِ أَنَّ الْجَلَنْجَبِينَ : مَعْجُونٌ يَعْمَلُ مِنَ الزَّوَرْدِ وَالْمَسَلِ ، فَارْسِيٌّ مَعْزَبٌ عَنْ كَلِمَةِ " كُلِّ " وَمَعْنَاهَا وَرْدٌ ، وَعَنْ كَلِمَةِ " أَنْكَبِينَ " وَمَعْنَاهَا عَسَلٌ .

وقالوا : إنه مجنون ؛ فقال المجاحج : إن أقر بالجنون خليت سبيله ؛ فاتوه وسالوه ذلك ، فقال : لا والله ، لا أقول إن الله آبتلاني وقد عافاني ؛ فبلغ كلامه المجاحج فعظم في نفسه وأطلقه .

وقال الأصمعي : قلت لغلام من أبناء العرب : أيسرك أن يكون لك مائة ألف وأنت أحمق ؟ قال : لا والله ! قلت : ولم ؟ قال : أخاف أن ينجني على حمقى جنابة فتذهب مني ويبقى حمقى .

والعرب تضرب المثل في الحمقى بعجل بن لحيم ، وزعمون أنه قيل له : إن لكل فارس جواداً أسماً ؛ وإن فرسك هذا سابق فسمه ؛ ففحاً عينه وقال : سميت الأعرور . وفيه يقول الشاعر :

رَمَنِي بَسُو عَجِلْ بِدَاءِ أَبِيهِمْ * وَهَلْ أَحَدٌ فِي النَّاسِ أَحَقُّ مِنْ عَجِلْ ١٠

أليس أبوهم عازٍ عَيْنَ جَوَادِهِ * فَسَارَتْ بِهِ الْأَمْثَالُ فِي النَّاسِ بِالْجَهْلِ

ويضربون المثل في الحق بهبقة القيسي ، وهو يزيد بن زروان ، ويكنى أبا نافع ، حكى أنه شرد له بعير ، فقال : من جاء به فله بعيران ؛ فقيل له : أتعجل في بعير بعيرين ؟ فقال : إنكم لا تعرفون فرحة الوجدان .

وقد رضى قوم بالجهل فقالوا : ضعف العقل أمانٌ من النِّم . وقالوا : ما سرُّ عاقل قط . قال أبو الطيب المتنبي :

ذُو الْعَقْلِ يَشْقَى فِي النَّسِيمِ بِعَقْلِهِ * وَأَخُو الْجَهْلَةِ فِي الشَّفَاوَةِ يَنْعَمُ

(١) رواية عيون الأخبار (ج ٢ ص ٤٣) :

* وأنى عباد الله أنوك من عجل *

(٢) عازه : صيره أعرور .

وقال حكيم : ثمرة الدنيا السرور، ولا سرور للعقلاء . وقال المغيرة بن شعبه :
ما العيش إلّا في إلقاء الحشمة . وقال بكر بن المتتمر : اذا كان العقل ^(١) سبعة أجزاء
احتاج الى جزء من جهل يُقدّم على الأمور، فإنّ العاقل أبداً متوانٍ مترقب متوقّف
متخوّف . قال النابغة الجعدي :

ولا خير في علم اذا لم تكن له * بوادر تهي صفوه أن يكدر
وقال آخر :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وفاز بالطيّات الفاتك اللّهج
أخذه آخر فقال :

من راقب الناس مات غمّا * وفاز باللذة الجسور

وقالوا : الجاهل يتألّ أغراضه، ويظفر بأرائه، ويطيّع قلبه، ويجرى في عنان
هواه، وهو برىء من اللوم، سليم من العيب، مغفور الزلات .
وقالوا : الجاهل زنى الذرع، خلى البال، عازب الهن، حسن الظن، لا يخطر
خوف الموت بفكره، ولا يجرى ألم الإشفاق على ذكره .

وقالوا : الجهل مطيّة المراج والمسرة، ومسرح المزايج والفكاهة، وحليف الهوى
والتصايب، صاحبه في ذمائم من عهدة اللوم والعتب، وأمان من قوارص الذم والسب .
قال بعض الشعراء :

ورأيت الموم في صحّة العقل قدأويها بإمراض عقل

وقالوا : لو لم يكن من فضيلة الجهل غير الإقدام، وورود الحمام، إذ هما من
الشجاعة والبسالة، وسبب تحصيل المهابة والجلالة، لكفاه . قال أبو هلال العسكري :
سألني بعض الأدباء : أتى الشعراء أشدّ حقاً ؟ قلت الذي يقول :

٢٠

(١) في تذكرة الصفي : "تسه" .

أَتَيْتُهُ عَلَى إِنْسِ الْبِلَادِ وَجِئْتُهَا : وَلَوْلَمْ أَجِدْ خَلْقًا لَتَيْتُهُ عَلَى نَفْسِي
أَتَيْتُهُ فَلَا أُدْرِي مِنَ التَّيْبَةِ مَنْ أَنَا * سَوَى مَا يَقُولُ النَّاسُ فِي وَفِي جَنْسِي
فَإِنْ صَدَقُوا أَنَّى مِنَ الْإِنْسِ مِثْلُهُمْ * فَمَا فِي عَيْبٍ غَيْرَ أَنِّي مِنَ الْإِنْسِ

ذكر ما قيل في الكذب

قال الله عز وجل : ﴿ وَبِئْسَ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٌ ﴾ . وقال : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ . وقال في الكاذبين : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴾ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ يَا كَذِبُ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى
الْفُجُورِ وَالْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ﴾ . وقال صلى الله عليه وسلم : ﴿ الْكَذِبُ مُجَانِبُ
الْإِيمَانِ ﴾ . وقال صلى الله عليه وسلم : ﴿ ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مَنَاقِقٌ وَإِنْ صَلَّى
وَصَامَ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا أَؤْتِمَنَ خَانَ ﴾ .
وقال صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَا يَجُوزُ الْكَذِبُ فِي جِدَّةٍ وَلَا هَزْلٍ ﴾ . وقال : ﴿ لَا يَكُونُ
الْمُؤْمِنُ كَذَّابًا ﴾ .

وقالت الحكماء : ليس لكاذب مُرْوَةٌ .

وقالوا : من عُرف بالكذب لم يحسن صدقه .

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : خُلِفَ الوعد ثَلَاثُ النِّفَاقِ .

وقال بعض الحكماء : الصدق مُنْجِيكَ وَإِنْ خِفْتَهُ ، وَالْكَذِبُ مُرْدِيكَ وَإِنْ أَمِنْتَهُ .

قال أبو عمرو بن العلاء القاري : سَادَ عُبَيْدُ بْنُ رِبْعَةَ وَكَانَ مَلِيقًا ، وَسَادَ أَبُو جَهْلٍ وَكَانَ

(١) في تذكره الصفدي زيادة في هذا الحديث نصها : " وتحزروا الصدق فإن الصدق يهدي إلى البر

(١١٢)

حَدَّثَنَا ، وساد أبو سفيان وكان بَخَّالًا ، وساد عامر بن الطَّفِيل وكان عاهراً ، وساد
كُتَيْب بن وائل وكان ظلولاً ، وساد عُيَيْنَة وكان مُخَمَّقًا ، ولم يُسَد قطُّ كَذَابٌ ؛ فصلح
السُّودُّد مع الفقر والحداثة والبخل والعهر والظلم والحق ، ولم يصلح مع الكَذِب ؛
لأن الكَذِبَ يعم الأخلاق كلها بالفساد .

- وقال يحيى بن خالد : رأيت شَرِيْبَ نَعْرِزَع ، ولصا أفلح ، وصاحب قواحش .
رجع ، ولم أرَ كَذَابًا رجع .

ويقال : الكَذِبُ مفتاح كُلِّ كَبِيرَةٍ ، وانخرِجَ مَجَاعُ كُلِّ شَرٍّ .

وقيل : لا تَأْمَنَنَّ مَنْ يَكْذِبُ لَكَ أَنَّ يَكْذِبَ عَلَيْكَ .

وقيل : الكَذِبُ والنفاق والحسد أثنى الدَّلِّ .

- وقال ابن عباس : حَقِيقٌ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرْفَعَ لِلْكَاذِبِ دَرَجَةً ، وَلَا يُثَبِّتَ لَهُ حِجَّةً .
وقال سليمان بن سَعِيدٍ : لو صَحَّيْنِي رَجُلٌ وَقَالَ : لَا تَسْتَرْطِ عَلَيَّ إِلَّا شَرْطًا وَاحِدًا
لَقُلْتُ : لَا تَكْذِبْنِي .

وقال أبو حيان التَّوْحِيدِيُّ : الكَذِبُ شِعَارُ خَلْقٍ ، وَمَوْرِدُ رَنَقٍ ، وَأَدَبُ سَيِّئٍ ،
وَعَادَةُ فَاحِشَةٍ ؛ وَقُلَّ مَنْ أَسْتَرْسَلَ فِيهِ إِلَّا أَلْفَهُ ، وَقُلَّ مَنْ أَلْفَهُ إِلَّا أَتْلَفَهُ .

- وقال غيره : الكَذِبُ أَوْضَعُ الرِّذَائِلِ خُطَّةً ، وَأَجْمَعُهَا لَذِمَّةً وَمَحْطَةً ، وَأَكْبَرُهَا ذُلًّا
فِي الدُّنْيَا ، وَأَكْثَرُهَا نَزْمًا فِي الْآخِرَةِ ؛ وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ عِلَامَاتِ النِّفَاقِ ، وَأَقْوَى الدَّلَائِلِ
عَلَى دَنَاءَةِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْرَاقِ ؛ لَا يُؤْمِنُ حَامِلُهُ عَلَى حَالٍ ، وَلَا يُصَدِّقُ إِذَا قَالَ .

وقيل : لكل شيء آفةٌ ، والكذب آفة النطق .

وقال بعضُ الكرماء : لو لم أَدْعِ الكَذِبَ تَأَثُّمًا ، لَرَكَنَتِ تَكْرُمًا .

- وقال أرسطاطاليس : فَضَّلَ النَّاطِقُ عَلَى الْأَنْحَرِسِ بِالنِّطْقِ ، وَزَيْنُ النَّطْقِ الصِّدْقُ ؛
فَإِذَا كَانَ النَّاطِقُ كَاذِبًا فَالْأَنْحَرِسُ خَيْرٌ مِنْهُ .

وقال بعض الحكماء لولده : يا بُنَيَّ إِيَّاكَ وَالْكَذِبَ ، فَإِنَّهُ يُزَيِّرُ بِقَائِلِهِ ، وَإِنْ كَانَ شَرِيفًا فِي أَصْلِهِ ، وَيُذِلُّهُ وَإِنْ كَانَ عَزِيزًا فِي أَهْلِهِ .

وقال الأحنف بن قيس : إِيَّانِ لَا يَجْتَمِعَانِ : الْكَذِبُ وَالْمَرْوَةُ .

وقال بُزْرَجِمُورُ : الْكَاذِبُ وَالْمَيْتُ سَوَاءٌ ، لِأَنَّ فَضِيلَةَ النُّطْقِ الصَّدْقُ ، فَإِذَا لَمْ يُوْتَقِ بِكَلَامِهِ بَطَلَتْ حَيَاتُهُ .

وقال معاوية يوما للأحنف : أَمْ كَذِبٌ ؟ فَقَالَ : وَاقِعُهُ مَا كَذَبْتُ مُذْ عَلِمْتُ أَنَّ الْكَذِبَ شَيْنٌ .

وقيل : لَا يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَكْذِبَ لِصَلَاحِ نَفْسِهِ ، فَمَا عَجَزَ الصَّدْقُ عَنْ إِصْلَاحِهِ كَانَ الْكَذِبُ أَوْلَى بِفَسَادِهِ . قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

مَا أَحْسَنَ الصَّدْقَ وَالْمَغْبُوطَ قَائِلُهُ • وَأَقْبَحَ الْكَذِبَ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

وَقَالُوا : إِحْذَرِ مَصَاحِبَةَ الْكَذَّابِ ، فَإِنَّ أَضْطَرَّيَرَتْ إِلَيْهَا فَلَا تَصْدَفْهُ ، وَلَا تَعْلَمْهُ أَنَّكَ كَذَّبْتَهُ ، فَيَنْتَقِلُ عَنْ مَوَدَّتِهِ ، وَلَا يَنْتَقِلُ عَنْ كَذِبِهِ .

وَقَالَ هُرْمَسٌ : اجْتَنِبْ مَصَاحِبَةَ الْكَذَّابِ ، فَإِنَّكَ لَسْتَ مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ يُخَصِّلُ ، وَإِنَّمَا أَنْتَ مَعَهُ عَلَى مِثْلِ السَّرَّابِ يَلْمَعُ وَلَا يَنْفَعُ .

وقيل : الْكَذَّابُ شَرٌّ مِنَ النَّعَامِ ، فَإِنَّ الْكَذَّابَ يَنْتَقِلُ عَلَيْكَ ، وَالنَّعَامَ يَنْتَقِلُ عَنْكَ . قَالَ شَاعِرٌ :

إِنَّ النَّعْمَ أَعْطَى دُونَهُ خَيْرِي • وَلَيْسَ لِي حِيلَةٌ فِي مُفْتَرِي الْكَذِبِ

وَقَالَ آخَرُ :

لِي حِيلَةٌ فِيمَنْ يَنْمِي وَلَيْسَ فِي الْكَتَابِ حِيلَةٌ

مَنْ كَانَ يَخْلُقُ مَا يَقُو • لِي حِيلَتِي فِيهِ قَلِيلَةٌ

ووصف أعرابي كذاباً فقال : كَذِبُهُ مِثْلُ عَطَاسِهِ : لَا يُمَكِّنُهُ رَدُّهُ .

وقال بعض الأعراب : جِيتَ مِنَ الْكِتَابِ الْمَشِيدِ بِكَذِبِهِ ، وَإِنَّمَا هُوَ يَدُلُّ النَّاسَ عَلَى عَيْبِهِ ، وَبِمَرَضٍ لِلْعِقَابِ مِنْ رَبِّهِ ، فَالْإِثْمُ لَهُ عَادَةٌ ، وَالْأَخْبَارُ عَنْهُ مُتَضَادَّةٌ ؛ إِنْ قَالَ حَقًّا لَمْ يُصَدَّقْ ، وَإِنْ أَرَادَ خَيْرًا لَمْ يُؤْفَقْ ؛ فَهُوَ الْخَائِي عَلَى نَفْسِهِ بِفِعَالِهِ ، وَالْبَدَالِ عَلَى فُضِيحَتِهَا بِمَقَالِهِ ؛ فَاصْحَحْ مِنْ صِدْقِهِ نَسِيبَ إِلَى غَيْرِهِ . وَمَا صَحَّ مِنْ كَذِبٍ غَيْرِهِ نُسِبَ إِلَيْهِ .

ويقال : الكذب جَمَاعُ النِّفَاقِ ، وَعِمَادُ مَسَاوِي الْأَخْلَاقِ ، عَارٌ لَا زَمَ ، وَذُلٌّ دَائِمٌ ؛ يُخَيِّفُ صَاحِبَهُ نَفْسَهُ وَهُوَ آمِنٌ ، وَيَكْشِفُ سِرَّ الْحَسَبِ عَنْ لُؤْمِهِ الْكَامِنِ .
وقال بعض الشعراء :

١٠ لَا يَكْذِبُ الْمَرْءُ إِلَّا مِنْ مَهَائِهِ * أَوْ عَادَةِ السُّوءِ أَوْ مِنْ قِلَّةِ الْوَرَعِ
وقال الأصمعي : قِيلَ لِرَجُلٍ مَعْرُوفٍ بِالْكَذِبِ : هَلْ صَدَقْتَ ؟ قَالَ : أَخَافُ
أَنْ أَقُولَ : " لَا " فَاصْدُقْ .

وَأَفَةُ الْكَذِبِ النِّسْيَانُ . قَالَ شَاعِرٌ :

وَمِنْ أَفَةِ الْكَذَابِ نِسْيَانُ كَذِبِهِ * وَتَقْلَاهُ ذَا دَعْوَى إِذَا كَانَ كَاذِبًا

١٥ وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْقَاسِمِ شَاعِرُ الْيَتِيمَةِ :

نَكِيبُ الْكَذِبَةِ يَوْمًا * ثُمَّ تَنْسَاهَا قَرِيبًا
كَنْ ذَكُورًا يَا أَبَا يَحْيَى * بِنِي إِذَا كُنْتَ كَذُوبًا

وقال أبو تمام :

يَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَعَدًا حَشَوُهُ خُلْفٌ * وَأَكْثَرَ النَّاسِ قَوْلًا حَشَوُهُ كَذِبٌ

٢٠ (١) فِي يَتِيمَةِ الدَّهْرِ : « الْكَذِبَةُ جَهْلًا » .

(٢) فِي دِيْوَانِ أَبِي تَمَّامٍ : « كَلَمَةً » .

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه :

صحيفة أفينيت^(١) ليت بها و«عسى» * عنوانها راحة الراجي إذا يسأ
وعده له هاجس في القلب قد برمت * أحشاء صدي به من طول ما هجسا
يراعة غرني منها وميض سنا * حتى مددت إليها الكف مقتيسا^(٢)
فصادفت حجرا لو كنت تضربه * من لؤمه عصا موسى لما أنجسا^(٣)

وقال آخر :

وتقول لي قولاً أظنك صادقا * فاجيء من طمع اليك وأذهب
فلذا أجمعت أنا وأنت يجلس * قالوا مسليمة وهذا أشعب

ذكر ما قيل في الغدر والخيانة

قال الله عز وجل : ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾

﴿١٢﴾

وقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «من أمن رجلا ثم قتله^(٤)

وجب له النار وإن كان المقتول كافرا» . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : «إذا

جمع الله الأولين والآخرين رُفع لكل غادر لواء» وقيل هذه غدره فلان .

(١) رواية المقد الفريد (ج ١ ص ٢٤٩ طبع بولاق) :

«وعده له هاجس في الغدر ... * ... من طول ما هجسا»

(٢) في المقد الفريد : «مواعد» .

(٣) في المقد الفريد : «نصادت» .

(٤) رواية الجامع الصغير : «من أمن رجلا على دمه فقتله فأنا يرى من القاتل وإن كان المقتول كافرا» .

(٥) في تذكرة الصفدي رواية ابن عمر : «الغادر ينصب له لواء يوم القيامة فيقال هذه غدره فلان» .

وقالوا : من تقض عهده ، ومنع رِفْده ، فلا خيرَ عنده .

وقالوا : الغالب بالقدر مقلول ، والثاكت للمهد ممقوت مخذول .

وقالوا : من علامات النفاق ، تقضُ المهد والميثاق .

وقالوا : لا عذر في القدر . والعذر يصلح في كلِّ المواطن ، ولا عذر لفساد

ولا خائن .

وفي بعض الكتب المتألة : إن ما تُتَجَلَّ عقوبته من الذنوب ولا تُؤَنَسُ الإحسان

يُكَفَّر ، والذمة تُخَفَّر . قال شاعر :

أَخْلَقَ بِنَ رَضَى الْخِيَانَةَ شِمِيَّةً * أَلَا يَرَى إِلَّا صَرِيحَ حَوَادِثِ

مَا زَالَتِ الْأَرْزَاءُ تُلْحِقُ بِرُوسِهَا * أَبَدًا بِفَادِرِ ذِمَّةٍ أَوْ نَاصِتِ

وقالوا : القدر ضامن العثرة ، فاطم ليد النصرة .

ويقال : من تعدى على جاره ، دَلَّ على لُؤْمٍ بِنَجَّارِهِ .

وذكر أن عيسى صلوات الله عليه مرَّ برجل وهو يُطَارِدُ حَيَّةً وهي تقول له :

وَالله لئن لم تذهب عني لأَنْفَعَنَّ عليك نفخة أقطعك بها قِطْعًا ؛ فعسى عيسى

عليه السلام في شأنه ، ثم عاد فرأى الحية في جُونة الرجل محبوسة ، فقال لها :

ويحك ! أين ما كنتِ تقولين ؟ قالت : يَا رُوحَ اللهِ ، إنه حلف لي وغَدَرَ ، وإكْسَمَ

غَدْرَهُ أَقْتُلْ لَهُ مِنْ سُمِّي .

ذكر أخبار أهل الغدر وغدراتهم المشهورة

أعرف الناس في الغدر آل الأشعث بن قيس بن معد يكرب ، وقد عدت لهم غدرات ، منها : غدر قيس بن معد يكرب بمراد ، وكان بينهم عهد ألا يفزوه إلى أنقضاء شهر رجب ، فوافاهم قبل الأمد يكنته ، وجعل يحمل عليهم ويقول :

أقسمت لا أنزل حتى تهزموا . أما ابن معد يكرب فاستسلموا

• فارس هيجا ورئيس مضدم •

فقتل قيس بن معد يكرب . وأردت الأشعث عن الإسلام . وغدر الأشعث بنى الحارث بن كعب ، وكان قد غزاهم فأسروه ، ففدى نفسه بمائتي بعير ، فأعطاهم مائة وبقي عليه مائة فلم يؤدها ، وجاء الإسلام فهدم ما كان في الجاهلية .

وغدر محمد بن الأشعث بن قيس بمسلم بن عقيل بن أبي طالب ، وغدر أيضا بأهل طبرستان ، وكان حبيد الله بن زياد ولأه إياها ، فصالح أهلها على ألا يدخلها ورحل عنهم ، ثم عاد إليهم غادرا ، فأخذوا عليه الشعب ، وقتلوا ابنه أبا بكر .

وغدر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بالهجاج لما ولأه نرأسان ، ونرج عليه وأدعى الخلافة ، وكان بينهم من الوقائع ما نذكره في التاريخ في أخبار الهجاج إن شاء الله تعالى ، وكانت الدائرة على عبد الرحمن ، وكأهم ورثوا الغدر عن معد يكرب ، فإنه غدر مهرة ، وكان بينه وبينهم عهد إلى أجل ، فغزاهم ناقضا لعهدهم فقتلوه وبقرؤا بطنه وملشوه بالخصي .

وغدرت أبنة الضيّن بن معاوية بأبيها صاحب الحضر ودلت سابور على طريق فتحه ، ففتحته وقتل أباهما وتزوجها ، ثم قتلها . وقد ذكرنا ذلك في الجزء الأول

من هذا الحجاب في المباني . ومن ذلك ما فعله النعمان بن سِنَمَار ، وقد ذكرناه أيضا في خبر بناء الحَوَرَتِقي .

ومن أشهر بالغدر عمرو بن جُرموز : غدر بالزبير بن العوام ، وقتله بوادي السباع . ونذكر ذلك إن شاء الله تعالى في حرب الجمل .

- ومن الغدر الشنيع ما فعلته عَصَلُ والقَارَةُ ، رُوي أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهطاً من عَصَلُ والقارة ، فقالوا : يا رسول الله إن فينا إسلاماً وخيراً ، فابحث معنا نفراً من أصحابك يفتقهننا في الدين ، ويُقرئونا القرآن ، ويعلموننا شرائع الإسلام ؛ فبحث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة نفر من أصحابه ، وهم : مرثد بن أبي مرثد الفَنَوِي ، وخالد بن [أبي] البَكْرِ حليف بن عديّ ابن كعب ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح أخو بن عمرو بن عوف ، وخُبيب بن عديّ أخو بن عَجْجَبِي بن كُفَّة بن عمرو بن عوف ، وزيد بن الدُّثَنَةِ أخو بن بِيَّاضَةَ بن عامر ، وعبد الله بن طارق ، ومُعتَب بن عُبَيْد أخو عبد الله لأُمِّه ، وأمر عليهم مرثد ابن أبي مرثد ؛ وقيل أمر عليهم عاصم ؛ فخرجوا مع القوم ، حتى إذا كانوا على الرجيع — ماء لذيذ — غدروا بهم وأصصرخوا عليهم هُدَيْلاً ، فلم يرجع القوم وهم في رحالم إلا الرجال في أيديهم السيوف ؛ فأخذوا أسياقهم ليقاتلوا القوم ، فقالوا : [إنا والله ما نريد قتلكم ، ولكنا نريد أن نُصيبَ بكم شيئاً من أهل مكة] ولكم عهد الله وميثاقه لا نقتلكم] ؛ فاما مرثد وخالد وعاصم ومُعتَب فقالوا : والله ما نقبل من مشرك عهداً

(١) في تذكرة الصفي : « ستة نفر » وفي طبقات ابن سعد بيان لسان بن ثابت ذكر فيها ستة

ولم يذكر معتب بن عبيد .

(٢) التصويب من الصفي والطبقات الكبرى .

(٣) الزيادة من تذكرة الصفي .

❦

ولا عقدا ، فقالوا حتى قتلوا ؛ وأما زيد وحبيب وعبد الله فلانوا ورجعوا في الحياة ، وأعطوا بأيديهم ، فأسروهم وخرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها ؛ حتى إذا كانوا بتر الظهران أترع عبد الله بن طارق يده من القرآن^(١) ، ثم أخذ سيفه وأستأخر عن القوم ، فرمؤه بالحجارة حتى قتلوه ؛ وقدموا بحبيب وزيد إلى مكة فباعوهم ، فابتاع خبيبا ثُجْر بن أبي إهاب التيمي حليف بني نوفل لعقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل ليقْتلَه بالحارث ؛ وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صقوان بن أمية ليقْتلَه بأمية بن خلف . ورؤى أن خبيبا لما حصل عند بنات الحارث استعار من إحدهن موسى ليستحى بها [للقتل] ؛ فإزارع المرأة إلا صبي لها يدرج ، وخبيب قد أجلس الصبي على فخذه ، والموسى في يده ؛ فصاحت المرأة ، فقال خبيب : أحسسين أنى أقتله ؟ إن الفئر ليس من شأننا ؛ فقاتل المرأة : مارأيت بعد أسيرا قط خيرا من خبيب ! لقد رأيته وما بمكة من ثمره ، وأن في يده قطفا من عنب يأكله ، إن كان إلا رزقا رزقه الله خبيبا . ولما أخرج بحبيب من الحرم ليقْتلوه قال : ذروني أصل ركتين ، ثم قال : لولا أن يقال : جزع لزدت ، وما أبالي على أى شئ كان مصرى . وهذه القصة نذكرها إن شاء الله تعالى بما هو أبسط من هذا في السيرة النبوية في سيرة مرقد إلى الرجيع .

قيل : أغار خيثمة بن مالك الجعفي على حم من بني القين ، فاستاق منهم إبلا فاحرقوه ليستنقذوها منه ، فلم يطمعوا فيه ؛ ثم ذكر بدا كانت لبعضهم عنده ، نقل عما كان في يده ، وولى منصرفا ، فنادوه وقالوا : إن المفازة أمامك ، ولا ماء معك ، وقد فعات جميلا ، فأنزل ولك اللذام والجناء ، فترل ؛ فلما أطمأنتوسكن واستمكثوا منه ، غدروا به فقتلوه . ففى ذلك تقول عمرة أبنته :

(٢) الزيادة من تذكرة الصفدى .

(١) القرآن : حبل يقاد به الجر .

غدرتم بمن لو كان ساعة غدركم * بكفيه مفتوق الفرار ين قاضب

أذاذكم عنه بضرب كأنه * سهام المنايا كلهن صواب

وتلاحي بنو مفروق بن عمرو بن محارب، وبنو جهن بن مرة بن محارب، على ما لهم، فغلبتهم بنو مفروق فظهرت عليهم؛ وكان في بني جهن شيخ له تجربة وسن، فلما رأى ظهورهم قال: يا بني مفروق، نحن بنو أب واحد، فلم نتفانى؟ هلموا إلى الصلح، ولكم عهد الله تعالى وميثاقه وذمة آبائنا ألا نهجمكم أبدا ولا نراحمكم في هذا الماء؛ فاجابهم بنو مفروق إلى ذلك؛ فلما أطمأنوا ووضعوا السلاح عدا عليهم بنو جهن فقاتلوا منهم قتالا عظيما، وقتلوا جماعة من أشrafهم. ففي ذلك يقول أبو ظفر الحارثي:

١٠ هلا غدرتم بمفروق وأسرتَه * والبيض مُصلَّة والحرب تستمر
لما أطمأنوا وشاموا من سيوفهم * ثرمت اليهم وعُر الغدر مشتمر
غدرتمهم بأيمان مؤكدة * والورد من بعده للغادر الصدر
هذا ما قيل في الغدر.

وأما الخيانة، فقد نهى الله تعالى عنها فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَخَوْنُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

١٥ وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له".

وقيل: من ضيع الأمانة، ورصى بالخيانة، فقد برئ من الديانة.

(١) كذا في تذكرة الصفي. وفي الأصل: «بنو مقرون» وهو محريف.

(٢) في تذكرة الصفي: «هلا ظفرت».

(٣) كذا في تذكرة الصفي. وفي الأصل: «في».

(٤) رواية الجامع الصغير: «لا إيمان لمن لا أمانة له ولا صلاة لمن لا طهورة ولا دين لمن لا صلاة له وبوضع الصلاة من الدين كوضع الرأس من الجسد».

وقال حكيم : لو علم مُضَيِّعُ الأمانة ، ما في النكث والخيانة ، انقصر عنهما عَنَانُهُ .
وقالوا : من خان مان ، ومن مان هان ، وتبرأ من الإحسان .

قيل : دخل شهر بن حوشب وهو من جِلَّةِ القزاء وأصحاب الحديث على معاوية ،
وبين يديه خرائط فيها مال ، قد جُمعت لتوضع في بيت المال ، فقعد على خريطة
منها وأخذها ، ومعاوية ينظر إليه ؛ فلما رُفعت الخرائط قُعد من عندها خريطة ،
فأعلم الخازن بذلك معاوية ؛ فقال : هي محسوبة لك فلا تسأل عن أخذها . ففيه يقول
بعض الشعراء :

لقد باع شهر دينه بخريطة * فلن يأمن القزاء بعدك يا شهر

وقال المنصور لعاقل بلغه عنه خيانة : يا عدو الله وعدو أمير المؤمنين وعدو
المسلمين ! أكلت مال الله ، وخُنت خليفة الله ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، نحن عيالُ
الله ، وأنت خليفة الله ، والمال مالُ الله ، قال من ناكل إذا ! فضحك وأطلقه ،
وأمر ألا يؤتى عملا بعدها .

وسرق رجل في مجلس أنوشروان جاماً من ذهب وهو يراه ، ففقدته الشرايط
فقال : والله لا يخرج أحد حتى يُفتش ؛ فقال له أنوشروان : لا تتعرض لأحد ،
فقد أخذه من لا يرقه ، ورآه من لا يئم عليه .

وحكى أن بعض التجار أودع عند قاض بمكة النعان ودبعة ، وغاب مدة ، فلما
رجع طالبها ، فأنكرها القاضى ، فقتلته إليه برؤساء بلده ، فما زالوا به
حتى أقر بها ، وأدعى أنها سُرقت من حرزه ؛ فاستحلفه المودع لحلف . فقال آبن
الدَّويذة في ذلك :

لَا يَصْدُقُ الْقَاضِي الْخَوْرُونَ إِذَا آدَعَى * عَدَمَ الْوَدِيعَةِ مِنْ حَصِينِ الْمُوْدَعِ
 إِنْ قَالَ قَدْ ضَاعَتْ فَيَصْدُقُ، إِنَّمَا * ضَاعَتْ وَلَكِنْ مِنْكَ يَعْنِي لَوْ تَبَيَّ
 أَوْ قَالَ قَدْ وَقَعَتْ فَيَصْدُقُ، إِنَّمَا * وَقَعَتْ وَلَكِنْ مِنْهُ أَحْسَنَ مَوْقِعٍ
 وَقَالَ ابْنُ الْمُجَالِجِ :

وَادْعُوهُمْ إِلَى الْقَاضِي عَسَاءُ * إِذَا وَقَعَ الْيَمِينُ يُخْلِفُونِي
 وَأَضِيعُ مَا يَكُونُ الْحَقُّ عِنْدِي * إِذَا عَزَمَ الْغَرِيمُ عَلَى الْيَمِينِ

ذَكَرَ مَا قِيلَ فِي الْكِبَرِ وَالْعُجْبِ

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ
 جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِمَا قَبِلْتُمْ مَتَوًى الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ . وَقَالَ : ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَتَوًى
 لِلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ . وَقَالَ : ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُنْكَبِرٍ جَبَّارًا﴾ . وَقَالَ :
 ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ . وَنَاهَيْكَ بِهَذَا زَجْرًا .
 وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ حَبَّةٌ مِنْ
 تَرَدُّلٍ مِنْ كِبَرٍ" . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "مَنْ تَعَظَّمَ فِي نَفْسِهِ وَاخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ
 لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ" . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ
 خِيَلًا لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ [يَوْمَ الْقِيَامَةِ]" .

وَرَوَى : أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ، مَرَّ بِالسُّوقِ يَحْمِلُ حُرْمَةً حَطْبٍ، فَقِيلَ لَهُ :
 أَلَيْسَ قَدْ أَغْنَاكَ اللَّهُ عَنْ هَذَا؟ قَالَ : بَلَى ! وَلَكِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَقْعَبَ بِهِ الْكِبَرَ،
 سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ
 مِنْقَالُ حَبَّةٍ [مِنْ تَرَدُّلٍ] مِنْ كِبَرٍ" .

(١) التَّكَلُّفُ عَنْ الْجَمَاعِ الصَّغِيرِ .

(٢) التَّكَلُّفُ مِنَ الصَّفْدَى .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما وجد أحد في نفسه كبرا إلا من مهانة يحمدها في نفسه .

وقالوا : مَنْ قَلَّ لَهُ كَثْرُ عَجْبِهِ .

وقالوا : عَجِبَ المرء بنفسه أحد حساده .^(١)

وقال أردشير بن بابك : ما الكبر إلا فضل حُقي لم يدر صاحبه أين يضعه فصرفه إلى الكبر .

ومن كلام لابن المعتز : لما عَرَفَ أَهْلُ التَّكْصِيرِ حَالَهُمْ ، عند أهل الكمال استعانوا بالكبر ليعظم صغيرا ، ويرفع حقيرا ، وليس بفاعل .

وقال أكرم بن صبيح : من أصاب حفظا من ديناه فإصاره ذلك إلى كبر وترفع
١٠ فقد أعلم أنه نال فوق ما يستحق ؛ ومن أقام على حاله فقد أعلم أنه نال ما يستحق ؛ ومن تواضع وغادر الكبر فقد أعلم أنه نال دون ما يستحق .

وقال علي رضي الله عنه : عجبت للكبر الذي كان بالأمس نطفة ، وهو غدا جيفة .
وقيل : مرَّ بعضُ أولادِ المهلب بمالك بن دينار وهو يتحيط ، فقال له : يا بُنَيَّ ، لو خَفَضْتَ بعضَ هذه الخيلاء لم يكن أحسنَ بك من هذه الشهرة التي قد شهرت بها نفسك ؟ ! فقال له الفتى : أو ما تعرف من أنا ؟ قال : بلى ! والله أعرفك معرفة جيدة ، أولئك نطفة مذيرة ، وآتراك جيفة قذرة ، وأنت بين ذلك حامل عذرة ؛ فأرني الفتى رذنيته وكف مما كان يفعله ، وطأأ رأسه ، وهضى مسترسلا .

(١) كما في تذكرة الصفي . وفي الأصل « عجب المرء بنفسه أحد حساده » والنظائر أن كلمة « حقه » مقسمة من الناصح .

٢٠ (٢) في أدب الدنيا والدين وتذكرة الصفي : « لما عرف أهل القصر » .

(٣) الرذائل : المكان .

وقال الواقدي : دخل الفضل بن يحيى ذات يوم على أبيه [وأنا عنده] وهو يتبخر في مشيته ، [فكره ذلك منه] ، فقال لي يحيى : يا أبا عبد الله ، إن البخل والجهل مع التواضع أزين بالرجل من الكبر مع السخاء والعلم ؛ فإياها حسنة غطت على عيتين عظيمين ؛ وإياها سيئة غطت على حسنتين كبيرتين ؛ ثم أوما إليه بالجلوس وقال : أحفظه يا عبد الله ، فإنه أدب كبير أخذناه عن العلماء .

ومن الكبر المستهجن ما روى : أن وائل بن حجر أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأقطعته أرضاً ، وقال لمعاوية : " اعرض هذه الأرض عليه وأكتبها له " ؛ فخرج مع وائل في هاجرة شاوية ، ومشى خلف ناقته ، وقال له : أردفتني على حجر راحلتك ؛ فقال : لست من أرداف الملوك ؛ قال : فأعطيني نعلك ؛ فقال : ما بجعل يمنى يابن أبي سفيان ، ولكن أكره أن يبلغ أقبال اثنين أهلك لست نعل ، ولكن أمش في ظل ناقتي ، فحسبك به شرفاً . قيل : إن وائلاً أدرك زمن معاوية ودخل عليه فأقصده معه على السرير وحده .

والعرب تجعل جذيمة الأبرش الغاية في الكبر ، ورؤى : أنه كان لا ينادم أحداً ترهما وكبرا ، ويقول : إنما ينادمني الفرقدان . ومنه قول متمم :

وَكَمَا كُنْدُمَانِي جَذِيمَةَ حَقِيقَةٍ

قيل : إنما أراد الفرقدين ، لا كما ذكره الرواة أنهما مالك وعقيل . وقيل : كان ابن توبة من أهب الناس كبرا ، روى : أنه قال لغلامه : آسقني ماء ، فقال : نعم ، قال : إنما يقول : " نعم " من يقدر على أن يقول : " لا " ، وأمر

(١) الزيادة عن تذكرة الصفدي .

(٢) كذا في الأصل والتذكرة - ولعلها : « يا أبا عبد الله » .

(٣) كذا في الصفدي والطبري - وفي الأصول : « أبو » وهو مخريف - وفي المختلف (ج ١ ص ٥٥)

« كان ابن توبة » .

بضربه . ودعا أكأراً فكله، فلما فرغ [من كلامه] دعا بماء وتمضمض استغذارا
لخاطبته . قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود :

ولا تعجبا أن تؤتيا فتكلما * فاحشى الأقوام شرأ من الكبر

قال الجاحظ : المذكورون بالكبر من قريش : بنو مخزوم ، وبنو أمية ، ومن
العرب : بنو جعفر بن كلاب ، وبنو زُرارة بن عدس ، وأما الأكاسرة فكانوا
لا يعدّون الناس إلا عبيداً ، وأنفسهم إلا أرباباً ، والكبر في الأجناس الذليلة أرسخ ،
ولكن القسلة والذلة مانستان من ظهور كبرهم ، ومن قدر من الوضعاء أدنى قدرة
ظهر من كبره ما لا تخفاه به ، و [شيء قد قتلته علماً وهو أني] لم أر ذا كبر
قطّ علا منّ دونه إلا وهو يذل لمن فوجه بمقدار ذلك ووزنه . قال : أما بنو مخزوم ،
و بنو أمية ، و بنو جعفر بن كلاب ، وأخصاصهم بالتيه ، فإهم أبطّروهم ما وجدوا
لأنفسهم من الفضيلة ، ولو كان في قوَى عقولهم فضلٌ عن قوَى دواعي الحية فيهم
لكانوا كئيبى هاشم في تواضعهم وإنصافهم منّ دونهم .

وقال أبو الوليد الأعرابي :

ولستُ بتيّاه إذا كنتُ مُثرياً * ولكنه خُلقي إذا كنت مُعديماً

وإن الذي يُعطى من المال ثروة * إذا كان نذل الوالدين تعظماً

ومن المتكبرين ، عُمارَةُ بن حمزة ، حكى عنه : أنه دخل على المهديّ ، فلما استقر
به الجلوس ، قام رجل كان المهديّ قد أعدّه له ليتهكّم به ، فقال : مظلوم
يا أمير المؤمنين ! قال : من ظلمك ؟ قال : عُمارَةُ غصبنى صبيحى ، وذكر ضيعة من

(١) زيادة عن الصدقي .

(٢) رواية الصدقي : «والجملة أن من قدرا الخ» .

(٣) في الصدقي : «قال أبو الوليد» .

أحسن ضياع ثُمارة وأكثرها تحركاً؛ فقال المهدي لثُمارة : قم فأجلس مع خصمك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما هولى بخصم ، إن كانت الضيعة له فلست أنازعها فيها ، وإن كانت لي فقد وهبتها له ، ولا أقوم من مجلس شرفي به أمير المؤمنين ؛ فلما أنصرف المجلس ، سأل ثُمارة عن صفة الرجل ، وما كان لبأسه ، وأين كان موضع جلوسه . وكان من بينه أنه إذا أخطأ يمز على خطئه تكبرا عن الرجوع ، ويقول :

نقض وإبرام في ساعة واحدة ، انخطأ أهون منه .

ومنهم من أهلكه الكبر وأذله . كان خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري أميراً على العراق ، وبلغ من هشام بن عبد الملك علواً رفيعاً ، فأفسد أمره العجب والكبر ، وأذياه ^(١) إلى الملكة ، وعذب حتى مات ؛ وذلك أنه كان إذا ذكر هشام عنده قال : ابن الحمقاء ! فسميها رجل من أهل الشام ، فقال لهشام : إن هذا البطر الأشير الكافر لنعمتك ونعمة أبيك وإخوتك ، يذكرك بأسوأ الذكرك ؛ قال : لعله يقول : الأحوّل ، قال : لا ، ولكنه يقول : ما لا تتقي به الشفتان ؛ قال : لعله يقول : ابن الحمقاء ، فامسك الشامي ؛ فقال هشام : قد بلغني كلّ ذلك عنه . وكان خالد يقول : والله ما إمارة العراق مما تُشرفني ، فبلغ ذلك هشاماً [فناظله] ، فكتب إليه : بلغني أنك يا ابن النصرانية تقول : إن إمارة العراق لا تُشرفك وأنت دعيّ ^(٢) [إلى] ببيلة القليلة الذليلة ، والله إنني لأظن أن أول من يأتيك صيفي بن قيس فيشدّ يدك إلى عنقك . قال خالد بن صفوان بن الأهم : لم تزل أفعال خالد حتى عزله هشام وعذبه ، وقتل أبته يزيد بن خالد ؛ فرأيت في رجله شريطاً قد شدّه به الصبيان يمزونه ، فدخلت إلى هشام يوماً فحدثته فاطلت ؛ فتتفّس وقال : يا خالد [ربّ خالد] ! كان أحبّ إلى قُرْباً وألذّ

(١) كذا في تذكرة الصفدي . وفي الأصول : « أدناه » .

(٢) الزيادة عن الصفدي .

عندى حديثنا منك - يعنى خالدًا القسري - قال: فاتهزئها ورجوت أن أشفع فتكون
 لدى عند خالد يدا، فقلت: يا أمير المؤمنين، ما يمنعك من استئناف الصنعة فقد
 أدبت به فافط منه؟ فقال: هيات! إن خالدًا أوجف فأعجف، وأدل فأمل، وأفط
 في الإساءة فافطنا في المكافاة؛ ^(١) لحلم الأديم، ونزل الجرح، وبلغ السيل الزبي،
 والحزام الطينين، ولم يبق فيه مستصالح، ولا للصنعة - عنده موضع، عُد إلى حديثك.
 ومنهم: من أفط به الكبر إلى الكفر. حكى: أن سعيد بن زُرارة مرّ به
 امرأة فقالت له: يا عبد الله، كيف الطريق إلى مكان كذا؟ فقال لها: أمثل يكون
 من عبيد الله!

ومنهم: عيّد الله بن زياد بن ظبيان، قال له رجل من قومه وقد رأى منه
 ما أعجبه: كثر الله فينا مثلك، فقال: لقد كلّفت الله شططا.

ومن أشعار المتكبرين التياحين قول بعضهم:

* أتبه على جنّ البلاد وإنسها *

الآيات، وقد تقدّمت في المحقّق.

وقال آخر:

أَلْفَنِي فِي لَغَى فَإِنْ أَحْرَقْنِي * فَيَقْنِ أَنْ لَسْتُ بِالْبَاقُوْتِ ١٥

صنّع النّسج كلّ مَنْ حاك لكُنْ * ليس داوودُ فيه كالمسكوبِ

قال ابن صابر الحوائى المنجنيّ برّد عليه:

أَيُّهَا الْمَدْعَى الْفَخَّارَ دَعِ الْفَخْ * تَرِ لَيْذَى الْكِبْرِيَاءِ وَالْجَبْرُوْتِ

نَسِجُ دَاوُدَ لَمْ يُخَدِّ لَيْسَلَةَ الْفَا * وَكَانَ الْفَخَّارُ لِلْعَسْكَوْتِ

(١) حلم الأديم: فد، وهو ما بعده خاية عن اليأس من إصلاح الأمر بعد أن أوصله انفساد إلى
 حيث لا يرجى إصلاحه. (٢) في الأصل «ابن بجارة» والصوب عن وفيات الأعيان لابن
 خلكان (أنظر ترجمه في الجزء الثاني ص ٥٠٠ - ٥٠٧ طبع بولاق).

وبقاء السَّمْنَدِ فِي حَلَبِ النَّاسِ * رُزِيلُ فَضِيلَةَ الْيَاقُوتِ
وَكَذَلِكَ النَّعَامُ يَلْتَمِ الْجَمْعُ * رَوَمَا الْجَمْرُ لِلنَّعَامِ بِقُوتِ



وَمَا تُجِئِي بِهِ أَهْلُ التَّكْبَرِ ، قَوْلُ جُعْفَرَانَ يَهْجُو سَعِيدَ بْنَ سَلَمَةَ بْنِ قُتَيْبَةَ :
أُمُّ سَعِيدٍ لَمْ وَلَدَتْهُ * مَلُوتًا بِالْكِبَرِ وَالتَّيْبَةِ
لَيْتَكَ إِذْ جِئْتَ بِهِ هَكَذَا * حِينَ تَحْرِيْبِهِ أَكْثِيهِ

(١٧)

ذكر ما قيل في الحرص والطمع

قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم : (وَلَا تُؤْمَدَنَّ عَيْنُكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى) .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أربع من الشقاء ... انزع^(٢) عذ منها
الحرص والأمل . وقال : «ما ذهبان جائعان أرسلا في غم فأفسداها أشد من حرص
المرء على المال» . وقال : «يَتَسَيَّبُ^(٣) ابْنُ آدَمَ وَتَسَبَّ مِنْهُ آتِنَانِ الْحَرَصِ عَلَى الْمَالِ
وَالْحَرَصِ عَلَى الْعَمْرِ» . وقال : «لِيَأْكَمْ^(٤) وَالطَّمَعُ فَإِنَّهُ الْفَقْرُ الْحَاضِرُ» .

(١) السمند : طائر يستقذ بالنار ولا يحترق بها .

(٢) تمام الحديث كما في الجامع الصغير والصفدي : « ... جود العين وقسوة القلب والحرص وطول
الأمل » .

(٣) الذي في الجامع الصغير : « ما ذهبان جائعان أرسلا في غم فأفسداها من حرص المرء على المال
والشرف لدينه » . وقد ساق الحديث في اللسان مادة (شرف) برواية فيها بعض مخالفة عما هنا وعلق على قوله
«والشرف لدينه» بقوله : يريد أن يتشرف للباراة والمفاخرة والمساماة .

(٤) رواية الجامع الصغير : «يهرم ابن آدم ويبقى معه آتتان الحرص وطول الأمل» .

ومن كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الطمع مُورِدٌ غير مُصْدِرٍ ، وضامن غير وفٍ . [وربما شَرِقَ شارب المساء قبل رِيهِ^(١)] ؛ ولهما عَظُمُ قدر الشيء المتناقِس فيه عظمت الرِّزْيَة لفقدته . والأمانِي تُمَعِي البصائر . أَرَى بنفسه من آسْتَشعر الطمع ، واستولت عليه الأمانِي^(٢) .

• وقال بعضهم : الحرص ينقص من قدر الإنسان ، ولا يزيد في رزقه .

وقال قُتَيْبَة : إن الحرص آسْتَجِيل النَّفْلَة ، قبل إدراك البقية .

وقيل : لا راحة لحرص ، ولا غنى لذي طَمَع .

وقيل : إن كُفَّنا لِنَقِ عبد الله بن سلام ، فقال : يا بن سلام ، مَنْ أَرَبَابُ العلم ؟

قال : الذين يعملون به . قال : فما أَذهب العلم من قلوب العلماء بعد إِذْ عَلِمُوهُ

وَوَعَوْهُ ؟ قال : الطَّمَعُ ، وَشَرُّهُ النَّفْسُ ، وطلب الحوائِجِ الى الناس . قال الأَقْمَمِيّ :

سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ : عَجِبْتُ لِحَرِصِ الْمُسْتَكْبِرِ ، الْمُسْتَقِيلِ لِكَثِيرِ مَا فِي يَدِهِ ، الْمُسْتَكْثِرِ

لِقَلِيلِ مَا فِي يَدِ غَيْرِهِ ، حَتَّى طَلَبَ الْفَضْلَ بِنَهَابِ الْأَصْلِ ؛ فَرَكِبَ مَفَاوِزَ الْبَرَارِي ،

وَلَحَجَّ الْبَحَارَ ، مَرَضًا نَفْسَهُ لِلْمَاتِ ، وَمَالَهُ لِلْآفَاتِ ؛ نَظَرَا إِلَى مَنْ سَلِمَ ، غَيْرَ مُعْتَبِرٍ

بِمَنْ عِلِمَ .

قال يزيد بن الحكم التَّقَفِيّ :

رَأَيْتُ السَّيْحَى النَّفْسَ يَأْتِيهِ رِزْقُهُ * هَنِيئًا وَلَا يُعْطَى عَلَى الْحَرِصِ جَاشِعُ

وَكُلُّ حَرِصٍ لَنْ يُجَاوِزَ رِزْقَهُ * وَكَمْ مِنْ مُوقٍ رِزْقَهُ وَهُوَ وَادِعُ

وقالوا : مصارعُ الأبواب تحت ظلال الطمع . ويقال :

الحَرْ عِبْدُ مَا طَلِعَ * والعبد حَرْمًا قَنِيع

(١) الزيادة من الصفدى .

(٢) لم يذكر الصفدى كلام علي بن أبي طالب فيه الفقرة الأخيرة ، وإنما ذكرها لأرسطاطاليس

وعبارته : « لا غنى لمن ملكه الطمع واستولت عليه الأمانِي » .

وقالوا : أخرج الطمع من قلبك ، تحل القيد من رجلك .

وقال عمرو بن مالك الحارثي :

الحِرْصُ للنَّفْسِ قَرٌّ وَالْقُنُوعُ غِنَى * وَالْقُوَّةُ إِن قَنَعَتْ بِالْقُوَّةِ يَحْزِيهَا

وَالنَّفْسُ لَوْ أَنَّ مَاءَ الْأَرْضِ حَبَزَ لَهَا * مَا كَانَ لِنَفْسٍ هِيَ لَمْ تَقْنَعْ بِكَافِيهَا

وقال ابن هرمة :

وفي اليأس عن بعض المطامع راحة * ويأربُّ خُسِرَ أَدْرَكَتْهُ الْمَطَامِعُ

وقال هذبة بن خشرم :

وبعضُ رَجَاءِ الْمَرْءِ مَا لَيْسَ نَائِلًا * عَنَاءُ وَبعضُ الْيَاسِ أَغْنَى وَأَرْوَحُ

وقال مكثف بن معاوية التميمي :

تَرَى الْمَرْءَ يَأْمُلُ مَا لَا يَرَى * وَمِنْ دُونِ ذَلِكَ رَيْبُ الْأَجَلِ

وَكَمْ آيِسٍ قَدْ أَتَاهُ الرَّجَاءُ * وَذِي طَمَعٍ قَدْ لَوَاهُ الْأَمَلُ

وقال آخر :

طَلِمَتْ فِيهَا وَعْدَتُكَ الْمَنَى * وَلَيْسَ فِيهَا وَعْدَتُ مَطْمَعُ

وَقَبَّتْ بِالْبَاطِلِ مِنْ قَوْلِهَا * وَلَيْسَ حَقًّا كُلُّ مَا تَسْمَعُ

وَأَمَّا مَوْعِدُهَا بَارِقٌ * فِي كُلِّ حِينٍ خُلْبٌ يَلْمَعُ

ويضرب المثل في الطمع "بأشعب" . قيل له : ما بلغ من طمعك ؟ فقال

للقائل له : لم تقل هذا إلّا وفي نفسك خير تصنمه بي . وقيل : إنه لم يمت شريف

(١) كذا في تذكرة الصفدي وكتاب الشعر والشعراء وحاسة البحري . وفي الأصل : « هرمة بن

خشرم » وهو تحريف .

(٢) كذا في الصفدي وحاسة البحري . وفي الأصول : « التيمى » .

(٣) في الصفدي وحاسة البحري « ما لن يرى » .

قط من أهل المدينة إلا استمعى أشعب على وصيه أو وارثه وقال له : أحلف أنه لم يؤص لي بشيء قبل موته . ووقف على رجل يعمل طباقا من الخيزران، فقال له : وسعه قليلا، قال الخيزراني : كأنك تريد أن تشتريه ؟ قال : لا، ولكن ربما يشتريه بعض الأشراف فيهدي إلى فيه شيئا . وسأله سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن طعمه ؛ قال : قلت لصبيان مرة : أذهبوا، هذا سالم قد فتح بيت صدقة عمر حتى يطعمكم تمرا، فلما أحضروا ظننت أنه كما قلت لهم، فعدوت في إثرهم . وقيل له : ماذا بلغ من طعمك ؟ قال : أرى دخان جاري فأثرد عليه . وقيل له أيضا : ما بلغ من طعمك ؟ قال : ما رأيت عروسا بالمدينة تُرَف إلا كنست بيتي ورششته طمعا أن تُرَف إلي . وقيل له : هل رأيت أطلع منك ؟ قال : نعم، كلب أم حومل، تبغى فرسخين، وأنا أمضغ كُندرا^(١)، ولقد حسدته على ذلك . ١٠

ذكر ما قيل في الوعد والمطل

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « العدة دين^(٢) » . وقال بعض القُرشيين : من خاف الكذب أقل من المواعيد . وقيل : أمران لا يَسْلُمان من الكذب : كثرة المواعيد، وشدة الاعتذار . وقالوا : خُف الوعد، خُلُق الوعد . ١٥ وقال المهلب لبنيه : يابني، إذا غدا عليكم الرجل أورا ح مُسلما فكفى بذلك تقاضيا .

(١) ترد الخبز : ص .

(٢) الكذب : ضرب من الملك، وهو اللبان المذكور .

(٣) رواية الجامع الصغير : « حدة المؤمن دين » .

قال الشاعر :

أروح لتسلم عليك وأعتدي * غيبك بالتسلم متى تقاضيا
كفى يطلاب المرء ما لا يناله * عتاء وباليأس المصرح ناهيا

وقيل : الوعد إذا لم يشغفه إنجاز يُحققه كان كلفظ لا معنى له ، وجسم لأروح فيه . وقالوا : الخلف الأُم من البخل ، لأنه من لم يفعل المعروف ، لزمه [ذم اللؤم وحده ، ومن وعد فأخلف لزمه ثلاث مذقات] : ذم اللؤم ، وذم الخلف ، وذم المعجز . قال بعض الشعراء :

وعدت فأكذبت المواعيد جاهدا * وأقلت إقلاع الجهام بلا ويل
واجترت لي حبلا طويلا تبعته * ولم أدِر أن اليأس في طَرف الحبيل

وقال أبو تمام :

وما نفع من قدمات بالأمس صاديا * إذا ما سمأ اليوم طال أنهارها
وما العرف بالتسويق إلا كفلة * تسليت عنها حين شط مزارها

والعرب تضرب المثل بمواعيد عُرُوب ، وكان رجلا من العالقي وله في ذلك حكايات . فنها : أنه أتاه أخ له : يسأله شيئا ، فقال له عُرُوب : إذا أطلمت هذه النخلة فلك طلمها ، فلما أطلمت ، أتاه الرجل للعنة ، فقال : دعها حتى تصير بلحا ، فلما أبلحت ، أتاه ، فقال : دعها حتى تصير زهوا ، فلما أزهد ، قال : دعها حتى تصير رطباً ، فلما أرطبت ، قال : دعها حتى تصير تمرا ، فلما أتمرت ، عمد إليها عُرُوب بجفنها ، ولم يعط أخاه منها شيئا .

وفيه يقول الأصبهي :

وعذت وكان الخلف منك حبيبة * مواعيد عرقوب أخاه يستريب^(١)

وقال كعب بن زهير بن أبي سلمى :

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً * وما مواعيدها إلا الأباطيل

وقال الشكيت للمهدي : يا أمير المؤمنين ، لو كان الوعد يُستزل بالإهمال والسكوت لشكرتك القلوب بالضمير ، ونظرت إلى فضلك العيون بالأوهام ، فقال المهدي : هذا جزاء التفريط فيما يكسب الأجر ، ويدخر الشكر ، وأمر بقضاء حاجته .

وقال أعرابي : العذر الجميل أحسن من المقل الطويل ، فإن أردت الإتمام فأنجح ، وإن تعذرت الحاجة فافصح .

وقال بعض كرماء العرب : لأن أموت عطشاً أحب إليّ من أن أخلف مؤمداً .
وقالوا : من وعد فأخلف لزمته ثلاث منعات : ذم الأثوم ، وذم الخلف ، وذم الكذب . وقال بعض الشعراء :

ولا خير في وعد إذا كان كاذباً * ولا خير في قول إذا لم يكن فعل

فإن تُجسّع الآفات فالبخل شرها * وشر من البخل المواعيد والمطل

قال بعض الأعراب : فلان له مواعيد عواقبها المطل ، وثمارها الخلف ، ومحصولها اليأس .

(١) يرب (بالهاء المثناة وضع الراء) : قرية بالجماعة . أنظر الساب والقاموس . وفي الأصول : يرب بالهاء المظنة .

(٢) هو صالح الخنمي كما في المستطرف ج ١ ص ٢٣٤

وقال آخر : فلان له وعد مطيع . ومطل مؤيس ، وأنت منه أبدا بين ياس
وطمع ، فلا بدُّ من صريح ، ولا تمنع صريح .

وقال الثعالبي : أفل من أخلف المواعيد ولم يف بشيء منها إسماعيل بن صبيح
كاتب الرشيد ، وما كان الرؤساء يعرفون قبله المواعيد الكاذبة .

ذكر ما قيل في النبي والحصر

قال الله عز وجل : ﴿ أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْخَلْقِ وَهُوَ فِي الْخَصَامِ غَيْرُ مَبِينٍ ﴾ . وقال تعالى
إخبارا عن فرعون عند أفضاخه على موسى بالبيان : ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ
مَهِينٌ وَلَا يَكَادُبِينِ ﴾ . قال أهل التفسير : إن موسى عليه السلام لما سمع هذا القول
قال : ﴿ رَبِّ أَتُخْرِجُنِي صَدْرِي وَيَسْرُلِي أَمْرِي وَأَحْلُلُ مُقَدَّةَ مَنْ لِسَانِي بِفَقْهُو أَقُولِي ﴾
الاية ، فقال الله تعالى : ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾ :

وقيل : حذ النبي معنى قصير يحويه لفظ طويل . وقال أكرم بن صبيح :
هو أن تتكلم فوق ما تقتضيه حاجتك . وقالوا : الفقير الناطق أغنى من الغني
الساكت .

وقال كسرى : الصمت خير من عي الكلام .

وقالوا : فضل الإنسان على ما عداه من الحيوان بالبيان ، فإذا نطق ولم يفصح
عاد بوجها .

وقالوا : النبي داء دواؤه الخرس . ومن علامات النبي الاستعانة ، وهي أن ترى
المخاطب إذا كل لسانه عند مقاطع كلامه يقول للمخاطب : اسمع مني ، أو سمعت
لي ، وأفهم عني ، وأشباه ذلك .

ومنهم من يقول : قولى كذا، أعنى به كذا، ولا يرد التفسير، ولكنه بعيد كلامه بصيغة أخرى تكون غير مراده الأول يُفهم عنه .

ومن عيوب اللسان التَّمَتَّةُ ، والفَافَاءُ ، والعُقْلَةُ ، والحُبْسَةُ ، واللقْفُ ، والرَّثَةُ ، والقمْغمة ، والطَمْطمة ، والألْكَنَةُ ، والفَنَةُ ، والثَّنَةُ . فالتَّمَتَّةُ ، قال الأصمِّى : إذا تَعَتَّعَ فى التاء فهو تَمَتَّامٌ ، وإذا تردَّدَ فى الفاء فهو فَاَفَاءٌ . قال الراجز :

ليس بِفَافَاءٍ ولا تَمَتَّامٍ * ولا كثيرُ المُجَرِّ فى الكلام

والعُقْلَةُ : آتواء اللسان عند الكلام . والحُبْسَةُ : تعذُّر النطق ، ولم تبلغ حدَّ الفَافَاءِ ولا التَمَتَّامِ . ويقال : إنها تعرض أول الكلام ، فإذا مرَّ فيه انقطعت . واللقْفُ : إدخال بعض الكلام فى بعض . وقال الراجز :

كَأَنَّ فيه لَقْفًا إذا نَطَقَ * من طول تحميس وهم وأرق

والرَّثَةُ : اتصال بعض الكلام ببعض دون إفادة . والقمْغمة : أن تسمع الصوت

ولا يتبين لك تقطيع الحروف ، ولا تفهم معناه . والطَمْطمة : أن يكون الكلام شيئا بكلام المعجم ، وهى جُمُوعِيَّةٌ ، وقالوا : هى إبدال الطاء بالتاء لأنهما من مخرج واحد ؛ فيقول : السُّلْتانُ والشَّيْتانُ ، وأشبه ذلك . قيل : وكانت فى لسان زياد بن سَلَمَى ، وكان خطيبا شاعرا كاتباً . والألْكَنَةُ : إدخال بعض حروف العرب فى حروف

المعجم ، وتشارك فيها اللغة التركية والتبليغية ؛ وهى إبدال الهاء حاءً ، وأقتراب العين همزة ، وكانت فى لسان عُيَيْدِ الله بن زياد ، وصُيِّبِ الرومى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل : إن مولى لزياد ، قال له : أيها الأمير ، أهدوا لنا حِمَارَ وَهْشٍ : يريد : أهدوا لنا حمار وحش ؛ فلم يفهم زياد عنه ، وقال : ويلك ! ماذا تقول :

(١) رواية المقد القرىد (ج ١ ص ٢٩٤) فى هذا الشطر :

* ولا محب سقط الكلام *

- قال : أحدوا لنا أيراً : يريد عيراً ، فقال زياد : أرجعنا إلى الأول فهو خير . والفئة أن يشرب الصوت انخيشوّم . والحنّة : ضرب منها . والترخيم : حذف بعض الكلمة لتعذر النطق بها . والثثّة : إبدال ستة حروف بغيرها ، وهي : الهمزة والراء والسين والقاف والكاف واللام ، أما ألّى تعرض للهمزة فهي إبدالها عينا ، فإذا أراد أن يقول : أنت ، قال : عنت ، وهي مستعملة في لسان التكرور . وأما التي تعرض
- في الراء ، فهي ستة أحرف ، فمنهم من يجعلها عينا معجمة فيقول (عَمَح) : يريد عُمر ، وهي غالبية على لسان أهل دمشق ، وإذا اجتمعت الراء والسين في كلمة كقولهم : رغيف ، قالوا : (غريف) ، وفقرت بمكان فرغت ، فيبدلون كلّ حرف بالآخر .
 - فيل : وكانت في لسان محمد بن شبيب الخارجي ، وواصل بن عطاء الممتلي ، وكان لاقتداره على الكلام ، وغزارة مادته منه يتجنب النطق بها . وفيه يقول الشاعر
- من أبيات :

ويعمل البرقعاً في تصرفه • وجانب الراء حتى آحتل للشعر

ولم يطق مطراً والقول يجعله • فعاذ بالقيث إشفافاً من المطر

ومنهم : من يجعلها عينا مهملة ، فيقول في أزرق : أزقق ، وهي في لسان عوام

- أهل دمشق . ومنهم : من يجعلها ياء ، فيقول في عُمر : عُمى . ومنهم : من يبدلها بالطاء . ومنهم : من يبدلها همزة ، فإذا أراد أن يقول : رأيت ، قال : آأيت . وأما التي تعرض للسين فإنهم يبدلونّها تاء ، فيقولون : باسم الله ، ويؤثر الله ، إذا أرادوا باسم الله ، ويُسرة الله ، أو أشباه ذلك ؛ وهي مستحسنة في الجوارى والعلماء . قال الشاعر :

- وأهيف كالملال شكوتُ وجدي • إليه لحسنه وأطلت بغي
- وقلت له فدنك النفس مني • تحمّز في الشواب فقال بغي

وأما التي تعرض للقاف ، فإن صاحبها يجعل القاف طاءً ، فإذا أراد أن يقول :
 ذال ، وقلت ، نطق : يظال ، وطلت ، وهي نبطية ؛ وكانت في لسان أبي مسلم صاحب
 الدعوة ، وعيّد الله بن زياد . ومنهم من يجعلها كافا فيقول : كَال وكُلْتُ . وأما التي
 تعرض للكاف ، فمنهم من يجعلها همزة ، فيقول : أَأَف . ومنهم من يبدلها تاء ،
 فيقول : تَان ، إذا أراد : كَانَ . وأما التي تعرض في اللام ، فمنهم من يبدلها ياءً ،
 فيقول : اعْتَيَّتْ ، بمعنى اعتلت ، ويقول في جَمَل : جَمَى ، وإذا أقسم بالله ،
 يقول : وَيَاه . ومنهم من يبدل الخاء المعجمة حاءً مهملة ، فيقول في خَوْخ : حَوْخ ،
 ويُستحسن في الفُلمَان والجهواري . ومنهم من يبدل الجيم ضاداً ، فإذا اجتمع لأحد
 في كلمة جيم وضاد ، مثل ضجهر ، ونضيج ، قال : جضر ، ونجضر . والحمد لله وحده !

صورة ما ورد بآخر الجزء الثالث في أحد الأصولين الفتوغرافيين

كل الجزء الثالث من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب ، يتلوه إن شاء الله تعالى
في أول الجزء الرابع منه : ” الباب الثالث من القسم الثالث من الفن الثاني
في المحبون والنوادر والفكاهات والملح ” والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد
نبيه وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا وحسبنا الله ونعم الوكيل

صورة ما ورد بآخر الجزء الثالث في الأصل الآخر الفتوغرافي

كل الجزء الثالث من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب على يد مؤلفه ، فقير
رحمة ربه أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكري التيمي القرشي
المعروف بالتويري عفا الله عنه . ووافق الفراغ من كتابته في يوم الثلاثاء المبارك
لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر عام اثنتين وعشرين وسبعائة ، يتلوه — إن
شاء الله تعالى — في أول الجزء الرابع : الباب الثالث من القسم الثالث من الفن
الثاني في المحبون والنوادر والفكاهات والملح .
والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
وحسبنا الله ونعم الوكيل

(مطبعة دار ٤٨٣ / ١٩٣٧ / ١٠٠٠)
